

الخطب السياسية

لتوحيد الأمة الإسلامية

الخطبة الإلهية خطبة أهل بيت النبي خطة قادة التاريخ الإسلامي

تأليف

المحامي الأستاذ أحمد حسين يعقوب



- المقدمة
- الباب الأول: الأركان الشوعية لوحدة الأمة الإسلامية
 - الفصل الأول: ماهية وحدة الأمة الإسلامية
 - الفصل الثاني: أسس وحدة الأمة الإسلامية
 - الفصل الثالث: الأساس الثاني: المنظومة الحقوقية الإلهية
 - الفصل الرابع: نقد النظرية الرسمية في جمع القوان
 - الفصل الخامس: نظرية أهل البيت وشيعتهم في جمع القوان
 - الفصل السادس: موقع بيان النبي من المنظومة الحقوقية
 - الفصل السابع: بيان النبي عند شيعة أهل البيت وشيعتهم
 - الفصل الثامن: قضية كتابة الحديث النووي
 - الفصل التاسع: تريان مختلفان
 - الفصل العاشر: كتابة الحديث النووي عند أهل البيت
 - الفصل الحادي عشر: الوكن الثالث للوحدة: الأمة
- الباب الثاني: الإختلاف بعد الوحدة والائتلاف
 - الفصل الأول: طبيعة الاختلاف ومخاطره
 - الفصل الثاني: فتح أبواب التعزق والاختلاف
 - الفصل الثالث: ثمار الترتيبات الوضعية
 - الفصل الرابع: تحول الترتيبات الوضعية إلى قناعات
- الباب الثالث: تخريب المنظومة الحقوقية الإلهية وإبطال مفعولها بعد وفاة النبي
 - الفصل الأول: المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النوبة الأرشد
 - الفصل الثاني: تخريب النظام السياسي الإسلامي

الفصل الثالث: تعديل وإلغاء الترتيبات الإلهية

الفصل الرابع: نشأة النظام البديل

الفصل الخامس: إقامة النظام البديل وتكون أركانه

الفصل السادس: الإمام الشوعي يطلب النصرة

الفصل السابع: الآثار السياسية لانتصار النظام البديل

الفصل الثامن: تفكيك النظام الإلهي وتعطيل مسيرته المبركة

الفصل التاسع: فك الارتباط بين المنظومة الحقوقية الإلهية وبين أهل البيت

الفصل العاشر: رد فعل القوة المتغلبة



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم هولاي على نعمك المتواليه التي لا تحصى، وأخص نعمتك التي أنعمت علي مؤخرا والتي أضأت بها قلبي، وجنابات نفسي بنور الولاء لآل محمد، وعلمتني من فضلهم ما لم أكن أعلم، رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، وأن أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لي في نوبتي، واملأ القلوب بنور الولاء لآل الكوام.

وأسألك يا هولاي بأسمائك الحسنی، أن تصلي وتسلم وتبرك على خاتم الأنبياء والرسل محمد، وعلى آله الكوام، سفن النجا، ونجوم الهدى، وأن تحشوني بمرتهم، وتجعلني من مواليهم، إنك لو بودرحيم.
أما بعد:

فإن وحدة الأمة الإسلامية، أمنية غالبية على قلب كل مسلم صادق، وهدف عام مشترك يسعى لتحقيقه الذين آمنوا في مشرق الأرض ومغربيها، وفضلا عن أن هذه الوحدة فيضة ربانية أوجب الله تعالى على المؤمنين إقامتها، فقد أصبحت وحدة الأمة الإسلامية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين، وتفوضها ضرورات وجودهم للوقوف أمام زحف الطامعين في رُضهم، وخواتهم، وردتهم عن دينهم.

الصفحة 4

ثم إن وحدة الأمة الإسلامية هي الإطار الأمثل لإحساس الأواد المسلمين بكرامتهم، وتمزجهم بوسالنتهم العالمية. وعلى الرغم من أن الوحدة الإسلامية أمنية غالبية، وفيضة ربانية، وهدف مشترك، وضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، إلا أن المسلمين مختلفون في وسائل تحقيقها، سلميا وبدون عنف، بالحكمة والإقناع لا بالقوة والإكراه، والأخواب الدينية الإسلامية عرضت وجربت عشوات الخطط لإقامة الوحدة الإسلامية، ففشلت خططها، وهي لا تتوقف عن اختراع خطط جديدة.

وتسهيلا لمهمة المنادين بوحدة الأمة الإسلامية وضعت هذا الكتاب (الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية) وقسمته إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: الأركان الشوعية لوحدة الأمة الإسلامية، ومن خلاله عرضت النقاط الأساسية والتفصيلية للخطة الإلهية لتوحيد الأمة الإسلامية، وقد قسمت هذا الباب إلى اثني عشر فصلا، وقسمت كل فصل إلى عشوات الفقات المترابطة، سقت فيها مختلف الأفهام للنصوص الشوعية، وعملت من مختلف الجهات لتوضيح كل خافية، وما أن ينتهي القارئ من قاءة هذا الباب حتى يقف حقيقة على الخطة الإلهية لتوحيد الأمة الإسلامية.

وفي الباب الثاني: الاختلاف بعد الوحدة والائتلاف، بينت كيف انقسمت الأمة، وبدأت الوحدة تتآكل من الداخل، ثم انهلت نهائيا وسقطت بسقوط آخر سلاطين بني عثمان، وعلل هذا الانهيار يومذاك على أنه نتيجة لتأمر دول الغرب، مع أن تأمر الأمم الكافرة على الأمة المسلمة لم يتوقف حتى في عهد النوبة، لكن السبب الجوهري لانهيار وحدة الأمة الإسلامية يكمن في التآكل الداخلي الناتج عن الصواع الصامت بين الشرعية والواقع، والتفاوت المذهل بين هذين البعدين.

الصفحة 5

أما الباب الثالث: فقد تشابكت فيه الشرعية مع الوقائع التاريخية تشابكا عجيبا، وقد حاولت أن أفك الاشتباك والتداخل بين المنظومة الحقوقية الإلهية وبين أفعال الحكام، بحيث تكون المنظومة الإلهية كيانا حقوقيا مستقلا، وأفعال الحكام كيانا حقوقيا آخر مستقلا ومتمزا. والعملية في غاية العسر والتعقيد، فقد اختلطت الشرعية بالوقائع التاريخية، ووحدت المجموعتان معا، واستمرت هذه الوحدة 1200 عاما تقريبا. وحتى نوضح المنظومة الحقوقية الإلهية تمهيدا لإواز الخطة الإلهية لتوحيد الأمة الإسلامية حتى تتميز بالكامل عن غيرها. وحتى نفهم خطة أهل بيت النوبة لتوحيد الأمة الإسلامية يتوجب الوقوف عليها من مصاروها النقية، وبالتالي تمييزها بالكامل عن غيرها. وحتى نفهم خطة قادة التاريخ السياسي الإسلامي لتوحيد الأمة الإسلامية يجب الإحاطة بالحدوثات التاريخية وتمييزها عن غيرها.

وبذلك نضع أيدينا على ثلاثة نماذج من الخطط لتوحيد الأمة الإسلامية.

ولا بد من التنبيه إلى أن شيعة قادة التاريخ السياسي الإسلامي وهم الحزب الحاكم لم يكونوا أبدا على وفاق مع شيعة أهل بيت النوبة وهم الحزب المعروض، فكل حزب من هذين الحزبين ينظر نظرة شك وحذر وريبة للحزب الآخر، فحزب قادة التاريخ وهم أهل السنة يعتقدون أنهم الأحق بحكم الأمة، وحزب شيعة أهل البيت يعتقدون أن أهل البيت هم الأحق بحكم الأمة، ويحشر كل حزب آلاف الأدلة لإثبات صواب وجهة نظره، وبالتالي فإنه لا يمكن علميا الوكون لأي أي حزب من هذين الحزبين بالآخر، والمثير حقا أن كل حزب من هذين الحزبين زعم أنه مسلح بالخطة الإلهية، وأنه على الحق. والأصعب في البحث أنه لا بد من معرفة الماضي معرفة يقينية قدر الإمكان، لأن الحاضر مبني على الماضي، فالماضي هو أساس الحاضر.

الصفحة 6

والكلثة أن الحاضر هو أساس المستقبل، فلا يمكنك أن تفك الارتباط بين هذه الأبعاد الثلاثة، لأنها خلقت متشابكة أصلا، فكل بعد هو أساس للبعد الذي يليه.

وقد تبين لي أنه لا خلاف بين القوميين العرب بأن الهاشميين هم سادة العرب، ونوة تاجهم، ولا خلاف بين الإسلاميين

العرب بأن الهاشميين هم بطن النبي الأعظم، وأنهم الآل الكرام الذين لا تجوز الصلاة المفروضة على العباد بغير الصلاة عليهم، وأنهم الذين احتضنوا النبي واحتضنوا دين الإسلام، وأن العرب مجتمعة قد حاصرتهم ثلاث سنين في شعب أبي طالب، وأنهم أهل المودة في القوي، وأصحاب خمس الخمس، وأن منهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، ومنهم نجوم الهدى بالنص الشعري، وسفن النجا بالنص، وأنهم خير بطون بني آدم بالنص، وهم أحد الثقلين بالنص... إلخ.

والسؤال ما هو ضرر الأمة الإسلامية لو سلمت بحق أهل البيت بالإمارة، واحتفظت لنفسها بمنصب الوزارة، فأصبح الهاشميون هم الهيئة التأسيسية لوحدة الأمة الإسلامية، ونقطة تجمعها ومحور قيادتها، بوصفهم القاسم المشترك بين المسلمين؟

إذا سلمت الأحزاب الدينية والجماعات التي ترفع شعار الإسلام بهذا، فإنها تتخلى عما تسميه بمكتسباتها، خاصة وأنه ليس بينها وبين الاستيلاء على السلطة بالقوة إلا باع أو فراع، فهل يعقل أن تسلم وتعطي تعبها لغوها أي للهاشميين؟

فقرى الأحزاب، والجماعات الدينية، تضيء هالة من القداسة على مؤسسيها، وترفع شعار (النبي جد النبي ولو كان عبدا حبشياً) وتشكك هذه الأحزاب بالباطن الهاشمي، وبأهل بيت النبوة، وتتجاهل النصوص الشرعية الآخذة بالأعناق، والتي تعطيهم حق القيادة والولاية، مما يعني أن المطلب الأساسي للأحزاب والجماعات الدينية هو الحكم، والدين ليس أكثر من حبل يترجحون عليه للوصول إلى غايتهم وهو الاستيلاء على السلطة بالقوة.

الصفحة 7

نحن نؤمن بالسلم، ونكوه العنف، ونحترم العقل البشري الذي جعله الله حجة على خلقه، ونحترم حرية الإنسان وكرامته، ولا يضيق صرنا بالأي المعرض، لأن غايتنا هي إرواك الحقائق الشرعية المجردة، فقد يخطئ عمر وتصيب امرأة، ولكن لا بد من مرجعية شخصية شرعية تستمع لكل الآراء وتونها بمولدين الشرع الحكيم فتؤيد من يصيب وترد من يخطئ إلى جادة الصواب.

إلهي وسيدي وهولاي تجوز عني إن أخطأت، واغفر زلتي إن زللت، إنك أنت الغفار، وأنت تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب، فإن أخطأت فإن الخطأ مني، وإن أصبت فأنت ولي النعم.

إلهي اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك لا اشتهاً فيه ولا ادعاءً، وهدية خالصة لمحمد ولآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصدقة تطفئ بها خطاياي وذنوبي، هولاي إنك أنت الودود الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي وآله.

المحامي

أحمد حسين يعقوب

الصفحة 8

الصفحة 9

الباب الأول

الأركان الشرعية لوحدّة الأمة الإسلامية

الفصل الأول: ماهية وحدة الأمة الإسلامية

الأساس الأول: المرجعية والقيادة السياسية

الفصل الثاني: الأساس الثاني: أسس وحدة الأمة الإسلامية

الفصل الثالث: المنظومة الحقوقية الإلهية

الفصل الرابع: نقد النظرية الرسمية في جمع القوان

الفصل الخامس: نظرية أهل البيت وشيعتهم في جمع القوان

الفصل السادس: موقع بيان النبي من المنظومة الحقوقية

الفصل السابع: بيان النبي عند أهل البيت وشيعتهم

الفصل الثامن: قضية كتابة الحديث النووي

الفصل التاسع: ربان مختلفان

الفصل العاشر: كتابة الحديث النووي عند أهل البيت

الفصل الحادي عشر: الأساس الثالث للوحدة: الأمة

الصفحة 10

الصفحة 11

الفصل الأول

ماهية وحدة الأمة الإسلامية

1 - ماهية وحدة الأمة

الوحدة على العموم مطلب عام لكل أفراد، وأسر، وقبائل، وجماعات، وشعوب، وأمم، الجنس البشري، فكأن الوحدة عنصر من عناصر الحياة ذاتها، وأصل من أصول الخليفة، ولإلزامه من لوزم الفطرة الإنسانية، ومن هنا فإنك لن تجد إنسانا سويا على الإطلاق يجاهر بالقول بأنه ضد وحدة الأفراد، أو وحدة أسرته، أو قبيلته، أو شعبه، أو أمته، أو أنه حتى ضد وحدة الجنس البشري، دون أن يعلل هذه المجاهرة بعذر يستويح إليه ويظمن به، وما ذلك إلا لأن الوحدة أنس جميع البشر وأمنية الجميع أو أنها ضريبة الجنور بالفطرة الإنسانية، وأنها عاكسة لوحدة الخليفة، ووحدة الجنس البشري أصلا وابتداءا، ولعل هذا هو السر في كونها مطلبا عاما للبشر.

وبالرغم من أن الوحدة على كل الأصعدة مطلب عام، إلا أن البشر اختلفوا في وسائل تحقيقها، شأنها شأن أي مطلب عام إنساني. فكانوا طرائق قديدا، واختلافهم في وسائل تحقيق هذه الوحدة دليل قاطع على سعيهم المستمر لتحقيقها، وروهان ساطع على عميق إيراكهم لأهمية هذه الوحدة وجزيل نفعها.

وإذا تحققت وحدة الأمة الإسلامية على أساس سليم يغدو ميسورا أن تتحقق

الصفحة 12

وحدة الجنس البشري، لأنها مؤهلة - إذا اتحدت - لتأخذ بيد الجنس البشري، وتوحد الحركة الإنسانية نحو الأفضل والأقوم، وذلك لما عند هذه الأمة من ثروة فكرية وعقائدية وحقوقية شاملة وقائمة على الجرم واليقين. مضافا إلى أن الأمة الإسلامية هي أكبر تجمع بشري تجمع حول فكرة التوحيد والوحدة طوال التاريخ البشري. وفي عصونا نرى أن الأمة الإسلامية قادتها ظروف معينة إلى مفروق طريقتين فإما أن تحقق وحدتها، وإما أن تفقد ذاتها مع ما يستتبع هذا الفقدان من ضياع ودمار شامل.

عبر مئات المحاورات والمناقشات التي دلت بيني وبين الكثير من الإسلاميين والقوميين العرب حول أنجح الوسائل لتحقيق الوحدة، تبين لي أنهم يؤمنون تماما أن الوحدة قرار حكومي صادر عن رؤساء الدول، وكذلك نوعية النظام. فيكفي وأي الإسلاميين العرب أن يصدر زعيم أي بلد قورا بتبني النظام السياسي الإسلامي حتى يسود ذلك النظام فعلا، ويكفي وأي القوميين العرب أن يتفق الزعماء العرب على الوحدة وأن يعلنوا هذا الاتفاق، عندئذ تتحقق الوحدة! ذلك مبلغ الويقين من العلم، فكأنهم لا يعرفون الواقع، وكأنهم يجهلون أن في قواميس اللغة كلمة ومفهوما اسمه القناعة العامة، وأن القيادة السياسية ما هي في حقيقتها وجوهرها إلا مرآة تعكس كل ما في هذه القاعدة من مؤتلف ومختلف معا وبذات الوقت، فإن لم تفعل ذلك فقد خالفت الغاية من وجودها.

ليتهم يعرفون أن إكراه ألف عاقل على سلوك توب واحدة ليس معقولا ولا مقولا، فقد تنام أعين رجال التوك الذين أكوها الألف، عندئذ يفر العاقلون ويتفوقون، ولا يبري أحد ما الذي يجري نتيجة تفوقهم وفولهم هذا. ليتهم يعلمون أن هنالك ظروفنا موضوعية وأركانا ولولم أساسية لا بد من توفها وتواجدها وتحققها أولا، وأن استعجال الشئ قبل وأنه يؤدي لحرمانه.

الصفحة 13

2 - وحدة الأمة الإسلامية نعمة إلهية

وحدة الأمة الإسلامية من أكبر النعم الإلهية، وهي ثروة طبيعية للاعتصام بحبل الله، حيث تألفت القلوب وأصبح الأعداء إخوانا ونجوا من السقوط، وكانوا على شفا حوة من النار.

وتلك نعمة إلهية ما كان لها أن تتحقق بغير الوسائل الإلهية وبغير الانقياد التام لله حتى لو أنفق رائد الوحدة (صلى الله عليه

وآله وسلم) ما في الأرض جميعا وهذا فوق طاقته (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) سورة الأنفال آية 62.

فالوحدة مكافأة إلهية على انقياد المؤمنين لله، وقوة الوحدة وضعفها بحجم هذا الانقياد، فإذا توقف الانقياد تتبعثر الوحدة وينفط عقدها بصورة آية.

وإعمالا لفض الوحدة الإلهي، وإقامة له، وبالوسائل الإلهية وتحت الإثواف الإلهي المباشر، ومن خلال دعوة قادها النبي بنفسه تمخضت عن دولة رأسها النبي بنفسه، تحققت الوحدة المثلى لكل العرب بكلفة بشرية لا تتجاوز 389 قتيلا من الطرفين - دعاة الوحدة ومعلضيها - وبمدة زمنية لا تتجاوز عمليا عشر سنين وهي مدة رئاسته المباركة للدولة الإسلامية.

وقبل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مجرد التفكير بتوحيد القبائل العربية ضربا من الأوهام، أو أشد الأحلام جنونا. ولا بد من التذكير بأن القبائل العربية لم تتوحد مع بعضها على أساس أنها كلها عرب، ولا توحدت تلك القبائل مع مواليها ومن ساكنها في الجزيرة على أساس الإنسانية، أو على أي أساس آخر، إنما توحدوا بنعمة الله، وعلى أساس الإسلام الداعي لإقامة الدولة العالمية التي تحكم العائلة البشرية كلها، وفق المنظومة الحقوقية الإلهية. وبتحقيق وحدة العرب ومن ساكنهم ووالاهم، وباكتمال نزول القرآن الكريم وتام البيان المحمدي له، كمل الدين وتمت النعمة وانتهى عمليا دور النبي كنبى، فالأمة

الصفحة 14

متحدة ولها قانون نافذ وهو المنظومة الحقوقية بشقيها: القرآن الكريم والبيان المحمدي لهذا القرآن. ومن نافلة القول أن نذكر بأن هذه المنظومة بينت كل شئ على الإطلاق في الماضي والحاضر والمستقبل، بالحال والمآل، وبينت القيادة السياسية والمرجعية من بعد النبي على اعتبار أنها أهم الأشياء، وأعلن المسلمون تمسكهم، وإصولهم وحرصهم عليه.

في هذا الوقت بالذات أعلن النبي أنه خير فاختار ما عند الله، وأنه قد دعي للموت فأجاب.

* *

الصفحة 15

الفصل الثاني

أسس وحدة الأمة الإسلامية

الأساس الأول: المرجعية والقيادة السياسية

أن الأساس الأول لتحقيق وحدة الإسلامية هو وجود مرجعية وقيادة سياسية تبلغ الرسالة الإلهية، وتبينها بيانا يفهمه العامة والخاصة، بيانا قائما على الجزم واليقين، لا على الفرض والتخمين بحيث، يكون بيان هذه المرجعية هو عين المقصود الإلهي، المحدد بالمنظومة الحقوقية الإلهية، بدون زيادة ولا نقصان، وهي تقوم بدور المرجعية والقيادة السياسية معا، بحيث تكون هي المرجع لجميع أواد الأمة الإسلامية، وهيئاتها وجماعاتها في كل ما يتعلق ببيان أحكام العقيدة، أو المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي بنفس الوقت مرجع الواغبين بدخول الدين والانضمام إلى الأمة الإسلامية.

وفوق ذلك، هي التي تسوس الأمة وفق قواعد وأحكام المنظومة الحقوقية الإلهية، وتقود مسورة الأمة، وترشد حركتها السياسية بحيث تبقى دائما ضمن إطار الشوعية والمشروعية الإلهية.

والمرجعية والقيادة السياسية متلازمة بالضرورة مع المنظومة، ومزابة معها زابطا عضويا، فالمرجعية والقيادة السياسية تنهل من المنظومة الحقوقية الإلهية،

الصفحة 16

والمهمة الأساسية للمرجعية والقيادة السياسية هي بيان أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية بيانا قائما على الجزم واليقين، فالنبي كمرجع وكقائد يبين أحكام هذه المنظومة عين البيان الذي رآه الله، فهو المسؤول عن ترجمة نصوص وقواعد وغايات هذه المنظومة من النظرية إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة على صعيدي الدعوة والدولة معا، وهو بنفس الوقت المسؤول عن قيادة مسورة الأمة وتشديد حركتها السياسية، فبيان النبي جزء من المنظومة الإلهية، ويحسب من جملة مضامينها لأنه نبي.

ويمكنك القول بكل رتياح: أن المنظومة الحقوقية الإلهية - وهي القانون النافذ - بمثابة السفينة، وأن المرجع والقائد السياسي بمثابة القبطان، وأن هذه المنظومة هي المخططات العامة والتفصيلية اللازمة لمشروع الإنقاذ الإلهي، والمرجع والقائد السياسي هو بمثابة المهندس الذي يتولى عملية توضيح وشوح هذه المخططات، وبيانها، وترجمتها عمليا إلى واقع مادي محسوس وملموس.

وإن شئت فقل: إن المرجع والقائد السياسي هو بمثابة معلم البناء، والمنظومة هي بمثابة المواد الأولية، إنه من الجنون حقا تحضير المواد الأولية اللازمة للبناء والشروع بالبناء دون مشورة المهندس ومعلم البناء، ولقد عالجت موضوع القيادة السياسية بمؤلف خاص، بعنوان (نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام)، وهو كتاب لا غنى عنه لمن أراد أن يقف على الحقائق المجردة في هذا المجال.

2 - المرجعية والقيادة السياسية اختصاص وعمل فني بحت بمعنى أن بيان المنظومة الحقوقية الإلهية وقيادة

الأمة عملية فنية واختصاص تماما كالطب، والهندسة، وعلم النورة، والفلك إلخ.

فالمرجع والقائد السياسي معا هو الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وهو الأفضل من بين أتباعها، وهو الأنسب

لقيادة هؤلاء الأتباع، هذا هو وجه الاختصاص والفن بالمرجع والقائد السياسي، فهو أعلم أهل زمانه بالمنظومة الإلهية، وأكثر أهل زمانه إخلاصا لها،

الصفحة 17

وأكثرهم اعتصاما بالله، وأفضلهم للقيادة والمرجعية معا، لأن المرجعية والقيادة هي الحكم (بفتح الحاء) وهي الناطقة بالحكم الإلهي، وهي التي تقود مسودة الأمة وتُرشد حركتها في كل مجال، ويفترض أن ما تتبناه هذه المرجعية هو عين المقصود الإلهي بدون زيادة ولا نقصان.

وكل هذه الصفات خفية لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله تبارك وتعالى العالم بالسر وما يخفى، وأي ادعاء بالعلم بهذه الصفات هو ادعاء قائم على الفرض والتخمين بينما العلم الإلهي قائم على الجزم واليقين.

فالله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يعرف من تتوفر فيه صفات المرجعية والقيادة السياسية معا، وهذه الصفات مفصلة تفصيلا على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى كل الأنبياء والرسل، ولا يجادل أحد من أهل الملة بذلك. فكلهم يقرون بالعقل والشروع والضرورة أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الأعم والأفهم بالمنظومة الإلهية، وهو الأفضل من بين أتباعها، وهو الأنسب والأصلح لقيادة هؤلاء الأتباع.

بل تكاد هذه الحقيقة أن تكون سنة فعلية يتعذر على الجنس البشري مجتمعا ومنفردا إنكارها، ومحاولات إنكار هذه الظاهرة، أو الالتفاف عليها لإبطال مضمونها أو تأويلها، محاولات مكشوفة دوما، بإذن الله.

3 - المرجعية والقيادة السياسية من بعد النبي

النبي بشر، ومعروف بالعقل والشروع أنه ميت لا محالة، ولا خلاف بأن النبي هو المرجع الديني والقائد السياسي للمسلمين حال حياته لأنه الأعم والأفهم بالمنظومة الإلهية، والأفضل من بين أتباعها، والأصلح لقيادة هؤلاء الأتباع، ولكن بعد وفاة النبي الأعظم وشغور منصب المرجعية والقيادة السياسية، فمن الذي يقوم مقامه فيكون هو مرجع الناس في دينهم وقائدهم السياسي في دنياهم؟

الصفحة 18

ما هو حكم المنظومة الإلهية بذلك؟ وهل لا ينبغي أن يكون الأعم والأفهم بالمنظومة الإلهية، والأفضل من بين أتباع الملة، والأصلح لقيادة المسلمين حتى يكون أهلا لخلافة النبي، والقيام مقامه بمرجعية الدين، وقيادة المسلمين معا؟ فإذا كان كذلك فكيف نهدي إليه ونعرفه؟ وكيف تنتقل المرجعية والقيادة السياسية ببسر؟ وما هي القواعد الإلهية التي عالجت هذه الناحية؟ ما هو دور الأمة؟

وما هو دور القائد السياسي والمرجع القائم بكل ذلك... إلخ؟

بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) شاعت مقولتان:

المقولة الأولى: مقولة الإنكار والتقول بالتخلية، ومفادها أن الله ورسوله لم يعينا مرجعية للدين، ولا قيادة للمسلمين بعد وفاة النبي، وقد تركا هذه الناحية وخليا على الناس أمرهم، لأن القيادة السياسية والمرجعية - حسب رأي منطري هذه المقولة - شأن خاص بالمسلمين، فهم وحدهم الذين يهتدون للقيادة السياسية المثلى، فإذا اهتوا إليها تصبح القيادة السياسية هي نفسها المرجعية.

ومنظروا هذه المقولة لا ينكرون أن المرجعية والقيادة السياسية هي خلافة للنبوّة، وهي ضرورة من ضرورات الحياة، وقد أركوا في ما بعد بالعقل والشوع أن الأسوة لها مرجعية وقيادة، وكذلك القبيلة، وكذلك الشعب، وكذلك الأمة، وكل عقيدة إلهية أو وضعية لها مرجعية وقيادة بالضرورة، لأن المرجعية والقيادة عنصر أساسي لكل دعوة ولكل دولة ولكل جماعة بشرية، ولا توجد منظومة حقوقية إلهية أو وضعية إلا وقد بينت قواعدها بيانا يرفع الخلاف وفصلت تفصيلا كيفية تنصيب القيادة السياسية وكيفية انتقالها.

ومع هذا فإن القائلين بالتوك والتخلية يصرون على القول بأن الله ورسوله خليا على الناس أمرهم، وأن المنظومة الإلهية لم تعالج تنصيب وانتقال القيادة السياسية، ولما اكتشفوا أنه لا بد من سند شوعي صار فعل السابقين هو السند الشوعي لفعل اللاحقين، وزيادة باليقين قالوا بأن السند الشوعي هو الإجماع، والإجماع مصدر من

الصفحة 19

مصادر التشريع، ولقد سادت هذه المقولة طوال التريخ السياسي الإسلامي، ورسختها وسائل الإعلان الرسمية، حتى استقرت في الأذهان كسنة من سنن الأولين، وجاء الإصوار على تسيخ هذه المقولة دعما لوقائع التريخ السياسي الإسلامي، وإغاما من الحكام لأنوف أهل البيت الكرام خاصة، وبني هاشم عامة الذين يقولون بنظرية شوعية تعاكس تماما مقولة التوك والتخلية.

قلت في مقال لي نشر في جريدة اللواء الأردنية العدد 955 تريخ 17 صفر 1412 ما يلي:

الأخواب الدينية العربية لا تجهل أن الرسالات الإلهية لبني البشر لم تتوقف طوال التريخ البشري على الأرض، فهل تنتفضل هذه الأخواب - مشكورة ومأجورة إن شاء الله - فتيبين للناس متى أرسل الله تعالى رسالة بدون رسول؟ ومتى خصهم بعقيدة دون موجه؟ ومتى رحمهم بهداية دون هاد؟

وهل تنتفضل هذه الأخواب مشكورة، فتدلني على أي نظام إلهي أو وضعي عرف طوال التريخ، يغفل كيفية تنصيب القيادة السياسية أو كيفية انتقالها؟

معكم الدنيا طولا وعرضا فوقا وتحتا من لدن آدم حتى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا بإذن الله، فقد آن الأوان لتترك التقليد الأعمى، وأن وأن الدخول إلى أفق رحابة التكيف الإلهي للأحداث والأحكام.

يكن سبب المصائب التي حلت بهذه الأمة ومزقت وحدتها، وبعثت صفوفها، وجعلتها شيعا وأخوابا وطرائق قدا - يكن في الفصل بين المنظومة الإلهية وبين المرجعية والقيادة السياسية التي عينها الله تبرك وتعالى، واستبدالها بالمرجعية والقيادة

السياسية التي فوضتها القوة والغلبة، واستكان لها الناس بحكم طاعة الغالب، ثم بحكم التكرار والتقليد الأعمى.

فما سالت الدماء إلا من أجل رئاسة الدولة، وما اختلف المسلمون إلا بسبب هذه الرئاسة، وما حدثت الحروب بينهم إلا

طمعا بها، فهل يعقل أن يبين الشوع الحنيف

الصفحة 20

للناس كيف يدخلون إلى الخلاء ثم ينتظفون ويتطهرون ويغفل ويترك بيان من يتولى رئاسة الدولة بعد النبي، وكيفية

تنصيبه، وكيفية انتقال الرئاسة؟

فكل القواعد التي عالجتها ظاهرة السلطة في الإسلام والتي تقدمها للعالم على أساس أنها النظام السياسي الإسلامي وضعت

بعد وفاة النبي الكريم، وهي قواعد التريخ السياسي الإسلامي، وشتان ما بين التريخ وما بين النظام السياسي الإسلامي الذي

أقره الله على عبده، ولكن ضغط التكرار والتقليد هونا علينا أن نضحى بدين الله لنصح تريخ البشر!!

المقولة الثانية: وهي مقولة تعاكس المقولة الأولى تماما، وتوى بأن الله ورسوله لم يتوكا الأمر سدى، إنما بينا للمسلمين

الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب للقيادة والمرجعية من بعد النبي، وفي كل زمان حتى قيام الساعة، ومن المحال عقلا وشوعا

أن يكل الله القيادة والمرجعية إلى أهواء الناس، ومن المحال أن تخلو المنظومة الحقوقية الإلهية من القواعد التي ترتب كيفية

تنصيب المرجعية والقيادة، وكيفية انتقالهما ببسر وسهولة، وتلك أمور لم يغفل عنها الشوع الوضعي على قصوره.

وقد نادى بهذه المقولة الثانية أئمة أهل البيت الكرام خاصة، وبنو هاشم عامة، ومن شايعهم من العرب والعجم.

4 - المقولتان تحت أشعة البحث العلمي

فإذا قال المسلمون: أن الله ورسوله لم يعينا المرجعية والقيادة السياسية من بعد النبي، ولم يحددا من الذي سيقوم بوظائف

النبي من بعده، ولا حددا من يبين للناس أحكام المنظومة الإلهية، ولا من يبقي الأمة داخل إطار الشوعية والمشروعية، ولا بينا

من هو ولي الأمة بعد النبي، ولا من هو ركن مجدها القائم مقامه، ولا من هو ثقلها، ولا من هو مثلها الأعلى الحي المتحرك

بعد النبي، ولا من الذي سيقود معركة تحرير البشرية وإنقاذها... إلخ.

فإذا قال المسلمون ذلك، فإن قولهم هذا يناقض قاعدة كمال

الصفحة 21

الدين وتمام النعمة الإلهية، لأن هذه الأمور من صلب الدين، ومن صميم النعمة الإلهية ومن المحال عقلا أن تغفلها

المنظومة الحقوقية الإلهية التي بينت كل شئ على الإطلاق!! رجوكم كيف يكون الذهاب إلى الخلاء شيئا فتبينه المنظومة

الإلهية للناس ولا تكون المرجعية والقيادة السياسية شيئا!! ما لكم كيف تحكمون؟ بل وأين تفرون؟

فإنكم لو أصرتم على ذلك لوجدتم أن هذا الإصوار يتعرض مع العقل والمنطق، وأساسيات الحياة، فضلا عن تناقضه

الصلخ مع المنظومة الحقوقية، ومجافاته التامة لقواعدها.

5 - الرجوع عن مقولة التخلية

بعد أن استتب الأمر للصدیق (رضي الله عنه) بجهد خرق بذله بالتعاون مع الفاروق (رضي الله عنه)، وبعد أن دنت منية الصديق اكتشفوا أن ترك أمة محمد بلا مرجعية وبلا قيادة سياسية أمر غير عملي، ويؤدي للفتنة والخلاف، ومن هنا تداعوا لتجنب ذلك فعهد الصديق الفاروق، وتعالق نداءات التأييد لفكرة العهد، ونبذ التخلية والتوك.
ومن هذه النداءات:

1 - نداء السيدة عائشة أم المؤمنين:

قالت لعبد الله بن عمر بن الخطاب يا بني: أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلاراع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا، فإني أخشى عليهم الفتنة.
فأتى عبد الله، فأعلمه وهو يقاسي سكوات الموت، فقال: ومن تأموني أن أستخلف. راجع الإمامة والسياسة الطبعة الأخوة 1969 م صفحة 123.

فقد أدرت أم المؤمنين وهي امرأة أن عدم الاستخلاف، وتوك الأمة بدون راع يجعل المسلمين هملا، ويؤدي بهم إلى الفتنة، فهل يعقل أن تترك هذه الأمور امرأة، وتغيب على الشلوغ الحكيم!!!
لست أوري كيف تحكمون!!!

الصفحة 22

2 - نداء عبد الله بن عمر بن الخطاب:

دخل عبد الله بن عمر بن الخطاب على أبيه عمر وهو وجود بنفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين، استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وتوك إبله أو غنمه لاراعي لها للمته، وقلت له:
توكت أمانتك ضائعة، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد، فاستخلف عليهم.
راجع مروج الذهب مجلد 2 صفحة 249 للمسعودي - دار الكتب العلمية بيروت، وراجع حلية الأولياء مجلد 1 صفحة 44 برواية مشابهة.

فهل يعقل أن عبد الله بن عمر يترك مخاطر هذا الأمر، ولا يترك الشلوغ الحكيم!!!
لست أوري ثانية كيف تحكمون!!! أن لكم لما تخيرون!!!

3 - نداء معاوية بن أبي سفيان:

فمعاوية هو صاحب عام الجماعة، وهو الذي هندس اصطلاح التسنن (أهل السنة) وهو الذي اخترع نظرية عدالة كل الصحابة بثوبها الفضفاض. راجع الباب الأول من كتابنا: نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام.
فقوله لا بد أن يكون حجة على أولئك الذين قدموا التريخ على الشوع، وفصلوا الشوع على وقائع التريخ، فما وافق

التريخ فهو شوع، وما خالفه فليس من الشوع.

قدم معلوية المدينة ليأخذ من أهل المدينة البيعة لابنه يزيد، فاجتمع مع عدة من الصحابة، إلى أن أرسل إلى ابن عمر فأتاه وخلا به، فكلمه بكلام وقال: لأكوه أن أدع أمة محمد بعدي كالأضأن لاراعي لها. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري صفحة 168 مجلد 1 طبعة مصر.

4 - من أقوال أئمة أهل البيت الكوام:

قال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (... لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا وإما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيئاته). راجع نهج البلاغة قصار الكلمات و صفحة 151 من معالم الحكومة الإسلامية للعلامة جعفر السبحاني.

الصفحة 23

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) (إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إذا زاد الناس شيئا ردهم، وإذا أنقصوا شيئا أتمه لهم).

6 - ما هي الغاية من تأييد نظرية التخلية والترك

غاية أولئك الذين يقولون بأن النبي قد ترك هذه الأمة هملا لاراعي لها بعده، ولا مرجعية ترجع إليها، وبمعنى أن الدين قد أغفل هذه الناحية، غايتهم واضحة ومحددة وهي: إضفاء طابع الشرعية على ما جرى في التريخ السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول، وحتى سقوط آخر الخلفاء العثمانيين، فإذا سلموا بوجود النص فيثور السؤال: لماذا تجاهله الذين قاوا التريخ السياسي؟ فإذا تجاهلوه حقيقة فهم الذين يتحملون مسؤولية دمار الأمة، وفوقتها بنسب مختلفة، وهذا أمر غير معقول ولا يصدقه العقل، فهل يعقل أن شخصارأى الحبيب محمدا وآمن به، أن يخطأ مع سبق الإصرار؟ هذا أمر لا يصدق!

وأحرى بهم أن يؤولوا الدين تأويلا يضي الصحة والشرعية على أعمال الذين قاوا التريخ السياسي، بمعنى أنهم يضحون بالدين وكماله لينفقوا الرجال، لأنهم عرفوا الحق بالرجال، مع أن الرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

7 - قادة التريخ السياسي الإسلامي حكم ترضونه

الصديق على فاش الموت عهد بالخلافة لعمر، راجع تريخ الطوي مجلد 2 صفحة 429 ، وسورة عمر لابن الجوزي صفحة 27 ، وتريخ ابن خلدون مجلد 2 صفحة 58 ، وكتابنا النظام السياسي صفحة 28 ، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة، والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة 287 وما فوق، والإمامة والسياسة صفحة 5 ، وكان معروفا للخاصة والعامة أن الصديق سيعهد بالأمر من بعده للفاروق، لأن الفاروق موضع ثقة الصديق والفاروق هو الذي دعم خلافة الصديق، وهذا معنى قول الإمام علي (عليه السلام) لعمر: إحلب حلبا لك شطوه، واشدد له اليوم أمره برده عليك غدا.

راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري مجلد 1 صفحة 5 - 11 والخلاصة أن الصديق لم يتوك أمة محمد هملا، إنما استخلف عليها عمر. وعمر على فاش الموت وقد افتقد أبا عبيدة، وافتقد معاذ بن جبل، وحتى لا يدع أمة محمد هملا وبغير راع، استخلف عليهم عمليا عثمان بن عفان، وعثمان (رضي الله عنه) هذا موضع ثقة الصديق بدليل أنه عندما كتب العهد لعمر قال له الصديق:

لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها. راجع صفحة 438 مجلد 2 من تريخ الطوي، و صفحة 37 من سوة عمر لابن الجوزي، و صفحة 85 مجلد 2 من تريخ ابن خلدون، و صفحة 147 من كتابنا النظام السياسي في الإسلام، وباب القيادة السياسية من كتاب المرجعية السياسية في الإسلام.

وكان موضع ثقة الفاروق أيضا، فكان الناس إذا رأوا أن يسألوا عمر بشئ رموه بعثمان، وكان عثمان يدعى في إمرة عمر بالوديف، والوديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يوجونه بعدز عيمهم. راجع نظام الحكم للقاسمي صفحة 419 كما نقلها عن الطوي من ابتداء معركة القادسية. والخلاصة أن الفاروق لم يتوك أمة محمد هملا وبغير راع من بعده.

فتلك أمور معروفة، فالثلاثة الذين حضروا اجتماع السقيفة قد خرجوا من السقيفة معا مثلما دخلوها معا، وتثبت حقيقة أن أبا بكر هو الخليفة الأول، وأن عمر هو الخليفة الثاني، وأن أبا عبيدة هو الخليفة الثالث، وبموت أبي عبيدة وقع اختيار الخليفين على عثمان، ومن يدقق بالشروط التي وضعها عمر لأصحاب الشورى - الخمسة لأن طلحة كان غائبا - يكتشف أن عثمان بن عفان قد عهد إليه عمر بالنص، أو إن شئت فقل: سماه خليفة بالنص، راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة 148 و صفحة 328

وبعد أن تولى الأمويون رئاسة الدولة لم يتوكوا الأمة هملا وبغير راع، بل أصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الأغلب في تولية الخليفة، وهكذا الحال في عهد العباسيين،

والعثمانيين، فإما يعهد الخليفة إلى ولده أو لأحد أوفاد الأسرة الغالبة المالكة. راجع نظام الحكم للقاسمي صفحة 245 وما فوق.

ولم يصدف أن ترك أي خليفة على الإطلاق أمة محمد وبغير راع، وقد جرت العادة في ما بعد أن يعين رئيس الدولة الحالي الخليفة من بعده، وقد صور هذا الأمر كأنه حق شعبي فقال ابن خلدون (إن الإمام ينظر للناس في حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقوم لهم من يتولى أمرهم. راجع مقدمة ابن خلدون صفحة 177

والسند الشعبي لهذا كله، لا يكمن في وجود نص في الشريعة، سواء القوان أو السنة، فقد خلت الشريعة - وأبهم - تماما

من أي نص في هذه الناحية.

والشئ الوحيد الذي جعل هذا التصوف شوعيا هو عهد أبي بكر لعمر، وعهد عمر لعثمان أو للسنة.

* *

الصفحة 26

الصفحة 27

الفصل الثالث

الأساس الثاني: المنظومة الحقوقية الإلهية

1 - ماهية المنظومة الحقوقية الإلهية

ما جاء في القرآن الكريم، وما قاله النبي وما فعله وما أقره، حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقين لا مجال للشك فيه، وقد قدما تصورا يقينيا شاملا وكاملا وقائما على الجرم واليقين، وهذا التصور يغطي بالكامل ساحة الأهداف والوسائل وكافة نواحي الحياة، وهذا التصور هو بمثابة مخططات عامة وتفصيلية ودقيقة لواقع ما هو كائن على الإطلاق، ومستقبل كل كائن على الإطلاق في دائرة الواقع والممكن، وما ينبغي أن يكون عليه هذا الكائن في دائرة المني الذي سيتحول إلى واقع، بحيث يقدك هذا التصور اليقيني وتلك المخططات درجة درجة وخطوة خطوة حتى تصل بك إلى الغاية المومجة شوعيا من أقصر الطرق، وبأقل التكاليف، وفي كل أمر من الأمور.

عندئذ تكون المنظومة هي نبع الشرعية والمشروعية، وهي القائدة والموجهة.

إنها بنية حقوقية قائمة على الجرم واليقين، بعكس البنى الوضعية القائمة أصلا على الفوض والتخمين.

الصفحة 28

2 - ركنوتا المنظومة الحقوقية الإلهية

تقوم المنظومة الحقوقية الإلهية على ركنوتين، وتتكون من شقين:

1 - كتاب الله المتول.

2 - نبي الله المرسل بذاته وقوله وفعله وتقواه، ولا يمكن الفصل بين هذين الركنين، لأن الصلة بينهما عضوية لا تقبل

الانفصام.

3 - القرآن الكريم

اقتضت حكمة الله تعالى أن يقول القرآن مرفقا على عبده، وعلى مكث وفترات زمنية غطت عهد النبوة كاملا، ومن المتفق

عليه أن مدة إقامة النبي بالمدينة المنورة كانت عشر سنين، أما مدة إقامته بمكة المكرمة بعد البعثة ففيه ثلاثة أقوال، فقد قيل عشر سنين وقيل 13 سنة، وقيل 15 سنة، مما يعني أن مدة تنزيل القرآن استمرت 20 سنة، أو 23 سنة، أو 25 سنة. قال تعالى (وَوَإِنَّا فُوقِنَاهُ لَتَقُولُنَّ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَقَوْلَانِهِ تَتَّبِعُونَ) سورة الإسراء آية 106 حيث كانت آيات القرآن الكريم تنزل حسب الحاجة، خمس آيات، وعشر آيات، وأكثر، وأقل وصح نزول (غير أولي الضرر) وحدها وهي بعض آية، راجع أضواء على السنة المحمدية للسيد محمود أبو ريه صفحة 246 - 247 مؤسسة الأعلمي للطبوعات. ومع كل كوكبة تتول من القرآن الكريم توجيهات إلهية لتضع كل آية بسورة محددة، وفي مكان محدد من هذه السورة، كما سنبين في ما بعد.

لكن كيف جمع القرآن الكريم بصورته الموجودة بين أيدينا؟

لقد انقسم المسلمون إلى فريقين تماما كما انقسموا في المرجعية والقيادة السياسية، وسنبين الخطوط العريضة لهاتين النظريتين، ثم ترنهما بميزان الشرح الحكيم، وبميزان العقل الواجح الذي جعله الله حجة باطنة على خلقه، وهاتان النظريتان

هما:

- 1 - نظرية السلطة أو أهل السنة بوصفهم شيعة السلطة طوال التاريخ.
- 2 - نظرية المعارضة أو أهل الشيعة الذين كانوا شيعة لأهل بيت النبوة طوال التاريخ.

الصفحة 29

4 - ترك جديد وتخليية جديدة

لم يكتف أهل السنة بالقول بأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ترك القرآن في صدور الرجال دون جمع، وبما أن القرآن الكريم هو قانون الدولة الإسلامية النافذ الذي لا غنى عنه، ومن غير الجائز أن يتروك في صدور الرجال بدون جمع لأنه قد يضيع، لهذا كله شمر الصديق، والفاوق، وذو النورين عن سواعدهم، وقاموا بهذا العمل الجليل، واقتسموا هذا الشرف العظيم بينهم، ولولا خطواتهم المبلكة لضاع القرآن، ولما وصلنا، ولقد قانون الدولة كما فقد رئيسها.

وقد نقل المتقي الهندي في كزه عن ابن حبان في صحيحه، وعن الدارقطني في سننه، وعن أحمد في مسنده، وعن البخاري ومسلم في صحيحهما، وعن الترمذي في سننه... أن عمر راجع زيد بن ثابت ليجمع القرآن، وأن أبا بكر راجعه أيضا، فقال زيد لكل منهما كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله؟ فأجابه كل منهما بالقول (والله إنه خير) ولم يزل كل واحد منهما راجع زيدا حتى شوح الله صدر زيد لما شوح له صدر أبي بكر وعمر، وعندئذ بدأ بتتبع القرآن يجمعه من الوقاع، واللخاف، والأكتاف، وصدور الرجال، حتى وجد آخر سورة راءة مع خزيمة، ولم يجدها مع أحد من المسلمين غيره، وكانت الصحف التي جمع فيها زيد القرآن عند أبي بكر طيلة حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر طيلة حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

راجع كنز العمال - طبعة مؤسسة الرسالة مجلد 2 صفحة 571 - 572 الحديث رقم 4751

وراجع صحيح بخري مجلد 6 صفحة 48 باب جمع القآن.

ولما تولى عثمان أرسل إليها لتدفعه - القآن المجموع - فأبى حتى عاهدها عثمان ليردنه إليها، فبعثت حفصة بصحائف القآن، فنسخها عثمان هذه المصاحف ثم ردها، فلم تول عندها حتى

الصفحة 30

توفيت، ولما رجعوا من دفنها أرسل مروان بن الحكم إلى عبد الله بن عمر ليوسل إليه بصحف القآن التي كانت بحوزة أخته حفصة بنت عمر، فاستجاب عبد الله بن عمر وأرسل تلك الصحف، عندئذ أمر بها مروان فشقت حتى لا يرتاب الناس في مصحف عثمان. راجع كنز العمال مجلد 2 صفحة 572 - 574 الحديث 4751 ، وصحيح بخري مجلد 6 صفحة 48 باب جمع القآن.

وقد ربطنا هذه الرواية بالرواية السابقة لتشكّل الروايتان وجهة نظر رسمية متكاملة.

5 - أبطال جمع القآن الكريم وفرسانه

لقد تقاسم الخلفاء الثلاثة: الصديق، والفاروق وذو النورين مفخرة وشرف جمع القآن الكريم، ولولاهم لضاع القآن، بعد أن تركه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون جمع، بحسب رأي أنصار هذه النظرية. تعطي الروايات دور الفروسية لمجموعة من الصحابة الكرام، تفضلوا مشكورين ومأجورين بمساعدة الخلفاء الثلاثة على جمع القآن الكريم، وهم حصوا: زيد بن ثابت الذي تكلف عناء جمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، وكم بحث عن وأخر سورة التوبة فوجدها مع أبي خزيمة الأنصلي، راجع كنز العمال مجلد 2 صفحة 572 - 574 الحديث 4751، وصحيح بخري مجلد 6 صفحة 48 باب جمع القآن.

وحذيفة بن اليمان الذي أشار على عثمان بأن يترك الأمة، فنسخ عثمان المصاحف، راجع كنز العمال مجلد 2 صفحة 81 الحديث 4775 ، ونقله عن البخري مجلد 6 صفحة 226 باب جمع القآن، وجامع الأصول مجلد 2 صفحة 502 ، والتومذي كتاب التفسير رقم 2102، وعن ابن حبان.

وسعيد بن العاص فهو أعوب الناس، تعاون مع أكتب الناس زيد بن ثابت ابن الأنبلي في المصاحف، الحديث رقم 4767. ومالك بن أنس قال: كنت فيمن أمني عليهم فوبما اختلفوا في الآية الحديث 4776 مجلد 2 من الكنز نقله الخطيب في

المتفق،

الصفحة 31

وعن ابن أبي داود والأنبلي: وأبي بن كعب كان يملي وزيد بن ثابت يكتب وسعيد بن العاص يعوب. الحديث 4789

مجلد 2 صفحة 587 نقله عن ابن سعد. وأبو هريرة بك الجمع، وروى لذي النورين حديثاً عن رسول الله يترك طريقة

عثمان، فأعجب عثمان بالحديث، وأمر لأبي هريرة بعشوة آلاف روم، وقال له: والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا. الحديث رقم 4796.

ومروان بن الحكم له نور! فقد استحضر الصحف الموجودة عند حفصة بعد موتها، وأمر بحرق هذه الصحف، حتى لا يوتاب الناس في القآن العثماني الموجود بين أيدي الناس كما أسلفنا.

6 - وسيلة الأبطال والفسان لإثبات القآن

- 1 - لما كلف زيد بن ثابت بجمع القآن الكريم قال: فنتبعت القآن أجمعه من الرقاع، واللخاف، والأكتاف، والعسب، وصور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأنصلي، ولم أجدها مع غيره. راجع كنز العمال مجلد 2 صفحة 571 - 572 حديث 4751 ، وقد نقلها عن ابن سعد، وأحمد في مسنده وعن الترمذي في صحيحه، والنسائي في سننه، وابن حبان في صحيحه وعن البخاري في صحيحه، وعن مسلم في صحيحه.
- 2 - خاف الصديق أن يضيع القآن، فقال للفرقوق عمر بن الخطاب، وثريد بن ثابت: أقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه، مجلد 2 صفحة 572 من الكنز حديث 4754 ونقله عن ابن أبي داود في المصاحف. وروي مثل هذه الرواية أيضا عن ابن سعد، وعن الحاكم، وهي مثبتة بالحديث رقم 4756
- 3 - قام عمر بن الخطاب في الناس خطيبا فقال: من كان تلقى من رسول الله شيئا من القآن فليأتنا به... وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد عليه شاهدان، مجلد 2 صفحة 575 الحديث 4759

الصفحة 32

- 4 - خطب عثمان فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئا حتى يشهد عليه شاهدان، ف جاء خزيمة ومعه آيتان، فشهد معه عثمان. مجلد 2 صفحة 575 الحديث 4759
- 5 - أرسل أبو بكر مناديا، فنادى في الناس: من كان عنده شيء من القآن فليجيئ به... إلخ. كنز العمال مجلد 2 صفحة 576 الحديث 4764
- 6 - قال خزيمة: جئت بأية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فقال زيد: من يشهد معك بها؟ قلت: لا والله ما أوري، فقال عمر: أنا أشهد معه على ذلك. مجلد 2 صفحة 576 الحديث 4762 ومجلد 2 صفحة 578 الحديث 4766
- 7 - كان عمر لا يقبل آية من كتاب الله حتى يشهد عليها شاهدان، ف جاء رجل من الأنصار بأيتين، فقال عمر: لا أسألك عليها شاهدا غيرك... إلخ.

7 - مسك الختام، وتسمية القآن

ولما تم لهذا الفويق ما أراد وجمع القآن بهذه الكيفية، لم يبق عليهم إلا التسمية فاحتاروا! فقد روى الزركشي والسيوطي وغيرهما وقالوا (لما جمع أبو بكر القآن قال سموه، قال بعضهم سموه إنجيلا، فكوهوه، وقال بعضهم: سموه السفر فكوهوه

من يهود، فقال ابن مسعود: رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف فسوّه). راجع الإتقان للسيوطي صفحة 63 ومعالم

المترستين للعلامة السيد مرتضى العسكري مجلد 2 صفحة 14 - 15

وهكذا جمع القرآن، واختصوا بفضل جمعه من البداية إلى النهاية، ولولاهم لذهب القرآن، ولضاع تماما، ولما قامت للدين

قائمة.

ولما أنجزوا هذا العمل لم يبق عليهم إلا التسمية وإعمالا لمبدأ الشورى اقترح البعض أن يسموا هذا المجموع إنجيلا،

واقترح البعض الآخر أن يسمونه (سوا) وسموه مصحفا لأن للحبشة كتابا يدعونه بالمصحف.. ووضع هذا الإنجاز بين يدي

المسلمين!!



8 - علي لا مع الأبطال ولا مع الفوسان ولا مع الشهود

لقد اطلعت على كل الروايات التي يرددها أهل السنة في مجال جمع القوان الكريم، و عرفنا أبطال هذه المفخرة الجليلة وفوسانها، وعجبت من أنه ليس بين هؤلاء الأبطال والفوسان رجل واحد من آل محمد، ولا حتى علي (عليه السلام) الذي أعلن على رؤوس الأشهاد قائلاً (سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل تولت أم بنهار وفي سهل أم جبل) أخرجه بن سعد، راجع تزيخ الخلفاء صفحة 185 . وهو الهادي بنص الشوع، وهو ولي المؤمنين بنص الشوع، وهو الصديق الأكبر بنص الشوع، والفاروق الأعظم بنص الشوع، وهو مولى أبي بكر وعمر ومولى كل مؤمن ومؤمنة بنص الشوع، ومن ليس بولاه فليس بمؤمن بنص الشوع، وهو باب مدينة العلم والحكمة اللدنية بنص الشوع، ومثولته من النبي كمتولة هارون من موسى بنص الشوع وبقوار معاوية بن أبي سفيان، وهو زوج البتول، ووالد السبطين، وهو فرس الإسلام الأول، حبه إيمان وبغضه نفاق بنص الشوع. راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والعرجية السياسية في الإسلام، فقد أقيمت الحجة القاطعة. إلخ.

فإن قالوا: نسوا الآل الكرام، فالصلاة على النبي وآله جزء من الصلاة المفروضة على العباد، والآل هم الثقل الأصغر والقوان هو الثقل الأكبر بالنص الشوعي، فإذا نسوا الآل الكرام فكيف ينسى علي (عليه السلام)؟ وهو عميد أهل البيت وعميد قريش كلها!!

وإننا لله وإننا إليه راجعون، حسبنا الله ونعم الوكيل.

وكم من مرة قال الإمام علي (اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فقد قطعوا رحمي، وصغروا عظيم مثولتي، وأجمعوا على منزعتي أموا هو لي...) أو كما قال أبو ريرة في كتابه الرائع أضواء على السنة المحمدية: لك الله يا علي!!

* *

الصفحة 34

الصفحة 35

الفصل الرابع

نقد النظرية الرسمية في جمع القوان

1 - نقد نظرية عدم جمع القوان في عهد النبي

أهل البيت الكرام وشيعتهم يزهون النبي الأعظم عن ترك الأمة نون راع، كما أنهم يزهونه عن ترك القوان الكريم نون

جمع، وكيف لا يجمعه وهو معجزته، وقانون دولته، والدليل على صحة نبوته، وكيف يصح الوكون عقلا لنظرية السلطة

وشيعتها في موضوع جمع القوان!!!؟

في كتاب الفريد البيان في تفسير القوان وعلى الصفحات من 239 - 259 عالج الإمام الخوئي موضوع جمع القوان

الكريم، فنقل روايات أهل السنة ووضع تحت تصوف عاشقي الحقيقة النص الحرفي لهذه الروايات، ثم أثبت أنها متناقضة

تماما من حيث الوجوه التالية:

متى جمع القوان؟ ظاهر الرواية الأولى أن الجمع كان في زمن عثمان، وصويح الروايات الأولى والثالثة والرابعة، وظاهر

البعض الآخر أنه كان في زمن أبي بكر، وصويح الروايتين السابعة والثانية عشر أنه كان في زمن عمر.

من الذي تصدى لجمع القوان حسب هذه الروايات؟ تقول الروايات الأولى والثانية والعشرون أن المتصدي زيد بن ثابت،

وتقول الرواية الرابعة أنه أبو بكر نفسه، وإنما طلب من زيد أن ينظر، وتقول الرواية الخامسة أن المتصدي هما زيد وعمر.

الصفحة 36

من الذي فوض بجمع القوان حسب هذه الروايات؟ تفيد الرواية الأولى أن أبا بكر فوض ذلك إلى زيد، وتقول الرواية

الخامسة وغيرها أن الكتابة إنما كانت بشهادة شاهدين، حتى أن عمر جاء بأية الرجم فلم تقبل منه.

هل بقي من الآيات ما لم ييؤن إلى زمن عثمان؟ ظاهر كثير من الروايات بل صويحها أن عثمان لم ينقص مما كان مدونا

قبله، وصويح الرواية الرابعة عشر أنه محامون قبلة، فأمر المسلمين بمحو ما محاه.

من الذي طلب جمع القوان؟ تقول الرواية الأولى أن الذي طلب من أبي بكر جمع القوان هو عمر، وأن أبا بكر أجابه بعد

الامتناع، فرسل إلى زيد وطلب منه ذلك، فأجابه بعد الامتناع.

وتقول الرواية العاشرة أن زيدا وعمر طلبا ذلك من أبي بكر، فأجابهما بعد مشورة المسلمين.

من الذي جمع المصحف الإمام وأرسل منه نسخا إلى الأمصار؟ تقول الرواية الثانية إنه كان عثمان، وصويح الرواية

الثانية عشرة أنه كان عمر!

متى ألحقت الآيتان بأخر سورة راءة؟ صويح الروايات الأولى والحادي عشر والثانية والعشرين أن إلحاقهما كان في زمن

أبي بكر، وصويح الرواية الثامنة وغيرها أنه كان في عهد عمر.

من أتى بهاتين الآيتين؟ صويح الروايتين الأولى، والثانية والعشرين أنه كان أبو خزيمة، وصويح الروايتين الثامنة والحادية

عشوة أنه القوطي.

بما ثبت أنهما من القوان؟ بشهادة الواحد على ما هو ظاهر الرواية الأولى وصويح الروايتين التاسعة والثانية والعشرين،

وبشهادة عثمان معه على ما هو صويح الرواية الثامنة، وبشهادة عمر على ما هو صويح الرواية الحادية عشر.

من عينه عثمان لكتابة القوان وإملائه؟ صويح الرواية الثانية أن عثمان عين للكتابة زيدا وابن الزبير، وسعيد بن العاص،

وعبد الرحمن.

الكاتب لم يكن من ثقيف، وأن المملي لم يكن من هذيل، وصحيح الرواية التاسعة عشرة أن المملي كان أبي بن كعب، وأن سعيدا كان يعرب ما كتبه زيد، وهذا أيضا صحيح الرواية العشرين بزياده عبد الرحمن بن الحرت للإعواب. تعرض روايات الجمع فيما بينها: أن هذه الروايات معرضة بما دل على أن القآن كان قد جمع وكتب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد روى جماعة منهم ابن أبي شيبه، وأحمد بن حنبل، والثرمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي، عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى راءة وهي من المثنيين ففرقتم بينهما، ولم تكتوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟

فقال عثمان: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يأتي عليه الزمان يقول عليه السورة ذات العدد، وكان إذا قول عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتقول عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما قول بالمدينة، وكانت راءة من آخر القآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، وقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك فرقت بينهما ولم أكتب سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتهما في السبع الطوال.

وقد نقل الخوئي هذه الرواية عن منتخب الكنز العمال مجلد 2 صفحة 48.

وروى الطواني، وابن عساكر عن الشعبي قال (جمع القآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ستة من الأنصار: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جلية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة - منتخب الكنز مجلد 2 صفحة 52 وروى قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القآن على عهد النبي؟ قال:

أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد - صحيح البخاري باب القواء من أصحاب النبي مجلد 6 صفحة 202

وروى مسروق (ذكر عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود فقال: لا زال أحبه، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: خنوا القآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب - المرجع السابق. وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال (جمعت القآن فوأت به كل ليلة، فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: إقواه في شهر - الإقتان، النوع 20 مجلد 1 صفحة 124.

ويضيف الإمام الخوئي قائلا: ولعل قائلا يقول: أن المواد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصور لا التتوين،

ولا يخفى أن هذا القول دعوى لا شاهد عليها، أضف إلى ذلك أنك ستعرف أن حفاظ القرآن الكريم على عهد (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من أن تحصي أسمؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟ وأن المتصفح لأحوال الصحابة وأحوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحصل له اليقين بأن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله، وأن عدد الجامعين له لا يستهان به.

وأما ما روى البخاري بإسناده عن أنس قال: مات النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، فمطروح لأنه معروض للروايات المتقدمة، حتى لما رواه البخاري بنفسه، ويضاف إلى ذلك أنه غير قابل للتصديق، وكيف يمكن أن يحيط الولي بجميع أوفاد المسلمين حين وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، على كثرتهم، وتوقفهم في البلاد، ويستعلم أحوالهم ليتمكن أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة؟ وهذه الدعوى تخرس بغير علم.

وصفة القول: أنه مع هذه الروايات كيف يمكن أن يصدق أن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بعد خلافته؟ وإذا سلمنا بذلك فلماذا أمر زيدا وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبد الله ومعاذ وابن أبي، وقد كانوا عند الجمع أحياء، وقد أمروا بأخذ القرآن منهم ومن سالم؟ نعم إن سالما قد قتل في حرب اليمامة فلم يمكن الأخذ منه، على أن زيدا نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة إلى التخصص والسؤال من غيره، بعد أن كان شابا عاقلا غير متهم، كما يقول أبو بكر.

الصفحة 39

أضف إلى ذلك أن أخبار الثقلين المتضاورة تدلنا على أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما سنشير إليه.

تعرض روايات الجمع مع الكتاب: إن هذه الروايات معارضة بالكتاب، فإن كثوا من آيات الكتاب الكريمة دالة على أن سور القرآن كانت متمزة في الخرج بعضها عن بعض، وأن السور كانت منتشرة بين الناس، حتى المشركين وأهل الكتاب، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تحدى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور من مثله مفتريات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا أن سور القرآن كانت في متناول أيديهم.

وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من الآيات، وفي قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني ترك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) وفي هذا دلالة صريحة على أنه كان مكتوبا مجموعا لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف والعسب، والأكتاف، إلا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فإن لفظ الكتاب ظاهر في ما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزءا غير مجتمع، فضلا عما إذا لم يكتب وإنما كان محفوظا في الصدور فقط.

مخالفة أحاديث الجمع مع حكم العقل: إن هذه الروايات مخالفة لحكم العقل، فإن عظمة القرآن في نفسه، واهتمام النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) لحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي (صلى الله عليه وآله)، وما يستوجب ذلك من الثواب، كل ذلك ينافي جمع القوان على النحو المذكور في تلك الروايات، فإن في القوان جهات عديدة كل واحدة منها تكفي لأن يكون القوان موضعا لعناية المسلمين وسببا لاشتهاره حتى بين الأطفال والنساء منهم، فضلا عن الرجال، وهذه الجهات هي:

1 - بلاغة القوان: فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البليغ، ولذلك فهم يحفظون أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف بالقوان الذي تحدى ببلاغته كل بليغ، وأخرس بفصاحته كل خطيب لسن، وقد كانت العرب بأجمعهم متوجهين إليه سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن يحفظه لإيمانه، والكافر يتحفظ به لأنه يتمنى معارضته وإبطال حجته.

الصفحة 40

2 - إظهار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رغبته بحفظ القوان، والاحتفاظ به، وكانت السيطرة والسلطة له خاصة، والعادة تقضي بأن الرعي إذا أظهر رغبته بحفظ كتاب أو بقراءته، فإن ذلك الكتاب يكون رائجا بين جميع الرعية الذين يطلبون رضاه لدين أو دنيا.

3 - إن حفظ القوان سبب لارتفاع شأن الحافظ بين الناس وتعظيمه عندهم، فقد علم كل مطلع على التاريخ ما للقواء والحفاظ من المثولة الكبيرة، والمقام الرفيع بين الناس، وهذا أقوى سبب لاهتمام الناس بحفظ القوان جملة، أو بحفظ القدر الميسور منه.

4 - الأجر والثواب الذي يستحقه القارئ والحافظ بقراءة القوان وحفظه.

هذه أهم العوامل التي تبعث على حفظ القوان والاحتفاظ به، وقد كان المسلمون يهتمون بشأن القوان، ويحتفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم وبما يهمهم من مال وأولاد.

وقد ورد أن بعض النساء جمعت القوان كله، أخرج بن سعد في الطبقات:

أنبأنا الفضل بن دكين، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع قال: حدثني جدي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحرث، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يزورها ويسميها الشهيذة، وكانت قد جمعت القوان - أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين عوا بوا قالت له: أتأذن لي فأخرج معك، أدلوي جرحاكم، وأموض مواضاكم، لعل الله أن يهدي لي شهادة؟ قال:

إن الله مهد لك شهادة - الإتيان، النوع 20 مجلد 1 صفحة 125.

وإذا كان هذا حال النساء فكيف يكون حال الرجال، وقد عد من حفاظ القوان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غفيرا؟ قال القوطي (قتل يوم اليمامة سبعون من القواء، وقتل في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بئر معونة مثل هذا العدد) الإتيان مجلد 20 صفحة 122، وراجع تفسير القوطي مجلد 1 صفحة 50، وقد تقدم في الرواية العاشرة أنه قتل من القواء يوم اليمامة 400 رجلا، وقد كان للنبي كتاب عديون، ولا سيما أن القوان قول نجوما في مدة 23 سنة.

كل هذا يورث لنا القطع بأن النبي كان قد أمر بكتابة القرآن على عهد، روى زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الوقاع. (قال الحاكم: هذا حديث

الصفحة 41

صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وفيه الدليل الواضح على أن القرآن إنما جمع على عهد رسول الله) المستترك للحاكم مجلد 2 صفحة 611 ، أما حفظ بعض سور القرآن، أو بعض السورة، فقد كان منتشرًا جدًا، وشذ أن يخلو من ذلك رجل أو امرأة من المسلمين.

روى عبادة بن الصامت قال (وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن) مسند أحمد مجلد 5 صفحة 324 وروى كليب قال (كنت مع علي (عليه السلام) فسمع ضجتهم في المسجد يؤأون القرآن فقال: طوبى لهؤلاء) كنز العمال مجلد 2 صفحة 185

وعن عبادة بن الصامت قال (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع من مسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن حتى أوهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا) مناهل العرفان صفحة 324.

نعم إن حفظ القرآن ولو بعضه كان رائجا بين الرجال والنساء من المسلمين، حتى أن المسلمة قد تجعل مهوها تعلم سورة من القرآن أو أكثر رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي، التاج مجلد 2 صفحة 332 ومع هذا الاهتمام كله كيف يمكن أن يقال: إن جمع القرآن قد تأخر إلى زمن خلافة أبي بكر، وإن أبا بكر احتاج في جمع القرآن إلى شاهدين يشهدان أنهما سمعا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

2 - شجرة اجتثت ما لها من قار

نكرر نحن أهل السنة بلا كل ولا ملل، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد انتقل إلى جوار ربه، ولم يبين من هو الخليفة من بعده، ولا بين كيفية محددة لاختيار خليفته، ولا كيف ينتقل منصب الخليفة، ونتيجة عدم البيان هذا، ضاع الناس سياسيا، وأوشكت أن تحدث فتنة لولا أن قبض الله لهذه الأمة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وسنا سنة ولولاية

الصفحة 42

العهد، فاستوت الأمور سياسيا، فأصبحت ولاية العهد هي الطريقة المتبعة لتتصيب الخليفة وإضفاء طابع المؤسسة على النظام السياسي الإسلامي.

كذلك نكرر نحن أهل السنة بلا كل ولا ملل بأن رسول الله أيضا لم يجمع القرآن في كتاب واحد، بل تركه متفوقا مبعوثا في صدور الرجال، والأكتاف، والألواح المتفوقة بين المسلمين، وأترك الصديق والفاروق رضي الله عنهما أنهما إن تركا

القوآن الكريم نون جمع كما تركه رسول الله فإن الدين سيضيع تماما وسيندثر القوآن الكريم وهو معزة النبي، وقانون الدولة الإسلامية، لذلك نهذا لهذه المهمة التليخية، وقاما بجمع القوآن! وسوه المصحف!

هذه النظرية هي في حقيقتها كشجرة اجنتت من فوق الأرض ما لها من قار، وهي لا تثبت لا بحكم العقل، ولا بحكم الشوع، وهي في ميزان الحق والحقيقة لا تقدم ولا تؤخر، وما هي إلا وسيلة من وسائل إواز فضل الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، وقد أغنى الله هؤلاء الخلفاء عن الفضل الذي سينسب إليهم على حساب القوآن الكريم، وعلى حساب النبي العظيم.

ومع أن هذه النظرية لا تستقيم بأي مقياس موضوعي، ولا تقدم ولا تؤخر إلا أنها وبسبب نسيجها الواهي فتحت على القوآن الكريم أبواب الشائعات، والشائعات لا تؤثر على الحقيقة، إلا أنها قد تبلبل أفكار العامة، وتفتح شبهة ظنون أعداء الإسلام، وتغذي ظنونهم المويضة عن الإسلام.

3 - شائعات بنقص سور من القوآن الكريم

جاء في صحيح مسلم مجلد 3 صفحة 100 باب لو كان لابن آدم واديين كتاب الزكاة - أن أبا موسى الأشعوي بعث إلى قواء البصوة وكانوا ثلاثمائة رجل فقال من جملة ما قال: وإن كنا نقوآ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة بواءة فأنسيتها غير أني حفظت (لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى ودايا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التواب).

الصفحة 43

وكنا نقوآ سورة فأنسيتها غير أني حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة).

وجاء في الإتقان في علوم القوآن مجلد 2 صفحة 25، والدر المنثور صفحة 105

عن أبي موسى الأشعوي قوله إنها تزلت سورة شديدة نحو واءة في الشدة، ثم رفعت وحفظت منها (إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم) ونوه في مجلد 6 صفحة 378 من الدر المنثور.

4 - شائعات بنقص آية أو زيادة آية في القوآن الكريم

وهذه الشائعات منتشرة في كتب حديث أهل السنة كلها، ولا تجد صحيحا من صحاح أهل السنة يخلو منها، وكلها تذهب إلى الؤعم بوجود نقص في القوآن، أو زيادة في القوآن الكريم، ولم نر حاجة لإواد هذه النصوص والأحاديث، لأنها رأينا بنيت على افتراض أن رسول الله انتقل إلى جوار ربه ولم يجمع القوآن ولم يكتبه، فجاء الخلفاء فجمعوا هذا القوآن، فجاءت تلك الأحاديث ثرة طبيعية من ثرات هذه المقولة التي تسند جمع القوآن للخلفاء الثلاثة، وحتى لا يتصور متصور أننا ننقول القول نقولا عليهم فسنذكر بعض كتب الحديث التي وثقت هذه الشائعات.

كتب الحديث وثقت شائعات علماء الدولة: صحيح بخري مجلد 4 صفحة 120 باب رجم الحبلى من كتاب الحدود، وصحيح مسلم مجلد 5 صفحة 116، وسنن أبي داود مجلد 2 صفحة 229 في الوجم من كتاب الحدود، والتومذي مجلد 6 صفحة 204

باب ما جاء في تحقيق الرجم من كتاب الحدود، وسنن ابن ماجة الحديث 2553، والدرمي مجلد 2 صفحة 179 كتاب الحدود،
والموطأ مجلد 3 صفحة 42 كتاب الحدود وصحيح مسلم مجلد 4 صفحة 167 كتاب الرضاع، وأبو داود مجلد 1 صفحة
279، والنسائي مجلد 2 صفحة 82 كتاب النكاح، وابن ماجة مجلد 1 صفحة 626 كتاب النكاح الحديث 1944، وموطأ مالك
مجلد 2 صفحة 118 كتاب الرضاع، والدرمي مجلد 1 صفحة 157 كتاب النكاح، وصحيح مسلم مجلد 3 صفحة 100 كتاب
الزكاة،

الصفحة 44

الإتقان في علوم القرآن مجلد 3 صفحة 25، وروح المعاني للآلوسي مجلد 1 صفحة 25، والدر المنثور مجلد 2 صفحة
298 ومجلد 1 صفحة 106، وكنز العمال مجلد 2 صفحة 568، ومسند الإمام أحمد مجلد 2 صفحة 42، والمصنف في
الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة مجلد 2 صفحة 504... إلخ.

ولو أردنا أن نتتبع الأحاديث التي تقول بزيادة في القرآن أو نقص فيه، لما اتسع لتلك الأحاديث هذا المجلد، ويمكن لمن أراد
أن يقف على موعدها أن يقرأ كتاب آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي من 185 - 248، وقد عرضنا عن ذكر
هذه الأحاديث لعدم إنتاجيتها، ولأنها مبنية على فرض أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك القرآن وهو معجزته
الكبرى دون جمع، مما اضطر الخلفاء لتلاشي ما تركه الرسول، وهذا غير وارد بكل المقاييس العقلية والشوعية.
لقد رأينا كيف ترنحت نظرية السنة وتداعت واعتزها الخور وانهلرت أمام هذا التحليل الرائع العلمي والعقلي لأحد مراجع
الشيعة وسليل شجرة النوبة المبركة السيد أبو القاسم الخوئي، وتوجب علينا بعد ذلك وحتما مقضيا أن نبسط الخطوط العريضة
لنظرية المعارضة أو شيعة أهل البيت الكرام في موضوع جمع القرآن الكريم.

* *

الصفحة 45

الفصل الخامس

نظرية أهل البيت وشيعتهم في جمع القرآن

1 - تمسك الإمامية بالقرآن

إن الإمامية أشد تمسكا بالقرآن الكريم، ومحافظة عليه وتعظيما له، ومنه يستقون عقيدتهم وأحكامهم، وبه يدفعون شبهات
المبطلين، وأقوال المتحذلقين، فهو عندهم المعجزة الكبرى، والمقياس الصحيح للحق والهداية، فقد روي أن أنتمهم أمرهم أن
يعوضوا ما ينقل عنهم على القرآن، فإن خالفه فهو كذب وافتراف، وزخرف وباطل، يجب ضوبه في عرض الجدار. آراء

علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي صفحة 150، وراجع الشيعة في الميزان صفحة 314

قال تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) المصدر السابق صفحة 150 وعلماء الشيعة الإمامية يستدلون بهذه الآيات لنفي الزيادة والنقصان. المصدر السابق صفحة 150

الصفحة 46

2 - عقيدة جمع القرآن الكريم على عهد النبي

قال الإمام شرف الدين العاملي (وكان القرآن مجموعاً أيام النبي (صلى الله عليه وآله) على ما هو عليه الآن من الترتيب والتنسيق، في آياته وسوره وسائر كلماته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير، ولا تبديل ولا تغيير، إن القرآن كان عند الشيعة مجموعاً على عهد النبي والوحي، مؤتلفاً على ما هو عليه الآن، وقد كان القرآن زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلق عليه الكتاب قال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وهذا يشعر بأنه كان مجموعاً ومكتوباً، فإن ألفاظ القرآن إذا كانت محفوظة ولم تكن مكتوبة لا تسمى كتاباً، وإنما تسمى بذلك بعد الكتابة كما لا يخفى...
ورأي المحققين من علماء الشيعة هو أن القرآن العظيم إنما هو ما بين الدفتين الموجود في أيدي الناس، والباحثون من أهل السنة يعلمون ذلك، والمنصفون منهم يصحون به.

والمعروف عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بين أيدينا هو جميع القرآن المتول على النبي الأعظم، وقد صرح بذلك كثير من الأعلام منهم: العالم الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره آلاء الرحمن، والشيخ المفيد، والشيخ البهائي... والمشهور بين علماء الشيعة الإمامية ومحققهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف (لا يوجد في القرآن الكريم زيادة ولا نقصان). رآه علماء المسلمين صفحة 151 - 152 للسيد مرتضى العسكري صفحة 157 - 158

قال الشيخ الصدوق في كتابه (الإعتقاد) اعتقادنا أن القرآن الذي أتته الله على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره مائة وأربع عشرة سورة. وعندنا أن الضحى وألم نشرح لك صدرك سورة واحدة، ولإيلاف قريش وألم تر كيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا أننا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب. كتاب الإعتقاد صفحة 63 طبع طهران.

وقال الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (أقول بسلامة القرآن الكريم). وأائل المقالات في المذاهب المختلرات صفحة 95 طبع طهران.

الصفحة 47

وقال الشريف المرتضى (إن القرآن الكريم على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مجموعاً مؤتلفاً على ما هو عليه الآن، فإن القرآن كان يحفظ ويدرس جميعه في ذلك الزمان، حتى عيب على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان

يعرض على النبي (صلى الله عليه وآله)، وإن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغورهما ختموا القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتبا غير منشور ولا ميثوث. راجع آراء علماء المسلمين صفحة 161 - 162 ، وقد نقله عن بحر الفوائد في شرح الفوائد صفحة 99 طبع طهران. وقال الشيخ الطوسي (اعلم أن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي (عليه السلام) بل هو أكبر المعجزات وأشهرها... إلى أن قال: وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضا، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان فيه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح... وإذا كان الموجود بيننا مجمعا على صحته ينبغي أن نتشغل بنفسه وبين معانيه وترك ما سواه. تفسير التبيان مجلد 1 صفحة 3

إلى أن قال: والعلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت، والنوع يثوبت على نقله وحواسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، وقد عرفوا كل شيء اختلف فيه من إجابته وقواعده وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغرورا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟ إلخ. مجمع البيان مجلد 1 صفحة 15 وصفحة 165 من آراء علماء المسلمين.

وقال الفيض الكاشاني (قال تعالى: وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقال إنا نحن قولنا الذكر وإنا له لحافظون) فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير؟ وقال الشيخ العلامة جعفر الجناحي النجفي: لا زيادة فيه من سورة ولا آية من بسملة وغورها، ولا كلمة ولا حرف، وجميع ما في الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى

الصفحة 48

بالضرورة من المذهب، بل الدين، وإجماع المسلمين، وأخبار النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).. وقال: ولا ريب في أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان، كما دل عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأمان، ولا عوة بالنادر. وقال الشيخ آل كاشف الغطاء (إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أقره الله للإعجاز والتحدي وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم). أصل الشيعة وأصولها صفحة 133 وصفحة 172 من آراء علماء المسلمين.

وقال السيد الشريف شرف الدين (والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) إنما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا، ولا يتبدل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواترا قطعيا إلى عهد الوحي والنبوة، وقد كان مجموعا على ذلك العهد الأقدس مؤلفا على ما هو عليه الآن، وكان جويل (عليه السلام) يعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرآن في كل عام، وقد عرضه به عام وفاته

موتين والصحابة كانوا يعرضونه ويتلونه على النبي (صلى الله عليه وآله) حتى ختموه عليه مرارا عديدة، وهذا كله من الأمور المعلومة الضرورية لدى المحققين من علماء الإمامية. الفصول المهمة في تأليف الأمة صفحة 162 و صفحة 169 من آراء علماء المسلمين.

وروى روح بن عبد الرحيم، عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: سألته عن ثراء المصاحف وبيعها فقال: إنما كان يوضع الورق عند المنبر وكان ما بين المنبر والحائط قدر ما تمر الشاة أو رجل منحرف قال: فكان الرجل يأتي ويكتب من ذلك، ثم إنهم اشتروا قلت: فما ترى إن أعطي على كتابته أجرة؟ قال: لا بأس ولكن هكذا كانوا يصنعون.

وروى سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمير المؤمنين (عليه السلام): إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله (صلى الله عليه وآله) غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنتم تخالفونهم فيها، ووعمون أن

الصفحة 49

ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدين، ويفسرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل علي فقال: قد سألت فافهم الجواب، إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحوج أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كذاب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورآه وسمع منه فأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخوه الله عن المنافقين بما أخوه ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ثم بقوا بعده فتفرقوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه وهم فيه، ولم يتعمد كذبا فهو في يده، يقول به ويعمل به ويروي به فيقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه. ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، شيئا أمر به ثم نهى عنه هو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر الرابع لم يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله (صلى الله

عليه وآله)، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي (صلى الله عليه وآله) مثل القوان ناسخ ومنسوخ (وخاص وعام) ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكلام له وجهان: كلام عام، وكلام خاص، مثل القوان وقال الله

الصفحة 50

عز وجل في كتابه: ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا فيشتبه على من لم يعرف ولم يدرك ما عنى الله به ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطرقي فيسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يسموا. وقد كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيدخلني فيها أورد معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غوي، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منزله أخلاقي وأقام عني نسائه، فلا يبقى عنده غوي، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت عنه وفنيت مسألتي ابتدأني، فما تزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القوان إلا قوانيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسوها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئا علمه الله من حلال وحرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب متول على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمني وحفظته، فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده على صوري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونورا، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل.

3 - تهمة والود عليها

قال الإمام شرف الدين العاملي: نسب إلى الشيعة القول بتحريف القوان بإسقاط كلمات وآيات... إلخ. فأقول: نعوذ بالله من هذا القول، ونوؤ إلى الله تعالى من هذا الجهل، وكل من نسب هذا الرأى إلينا جاهل بمذهبنا، أو مفتر علينا، فإن القوان العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرفنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته

الصفحة 51

وسكناته تواتر قطعيا، من أئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام)، لا يرتاب في ذلك إلا معتوه، وأئمة أهل البيت كلهم أجمعون رفعوه إلى جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى، وهذا أيضا مما لا ريب فيه. وظواهر القوان الحكيم - فضلا عن نصوصه - أبلغ حجج الله تعالى، وأقوى أدلة أهل الحق بحكم الضرورة الأولية من مذهب الإمامية، وصحاحهم في ذلك متواتر من طريق العزة الطاهرة، وبذلك زاهم يضربون بظواهر الصحاح المخالفة للقوان عوض الجدار، ولا

يأبهون بها عملا بأوامر أئمتهم (عليهم السلام). أجوبة مسائل جار الله صفحة 33 ط صيدا عام 1372 هـ ، وراجع صفحة 169 - 170 من آراء علماء المسلمين لموتضى العسكري.

4 - الغاية من التوسع في بسط نظرية شيعة أهل البيت

لقد أبرزت التقاطيع الأساسية لنظرية شيعة أهل البيت في موضوع جمع الوان، ونقلت حرفيا لكثير من أقوال علمائهم في هذا المجال، بسبب أن الأكتورية الساحقة من علمائنا نحن أهل السنة يجهلون جهلا مطبقا وجهة نظر شيعة أهل البيت في مختلف الأمور.

ولهذا مازالوا يرددون نفس المقولات التي قيلت عن الشيعة قبل 1200 عام، ويتصورون أن هذه المقولات هي بعينها وجهة نظر أهل الشيعة، مع أن هذه المقولات قالها أعداء شيعة أهل البيت، فكان أعداء الشيعة هم الخصم، وهم الشهود، وهم الحكم بنفس الوقت، والضحية في النتيجة الشيعة والعدالة.

والعدالة مقصود شعوي، حتى ولو كان أطراف القضية من أهل الكتاب أو المشركين.

وقد تتدهش إذا علمت أن أساتذة جامعات يدرسون الشيعة الإسلامية ومع هذا لا يفهمون معنى التشيع، ولا يفهمون معنى أهل البيت، ويعتقدون أن للشيعة وأنا غير قاننا نحن أهل السنة، وأنهم يقولون بوجود نبي غير نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل ويشككون بإسلام الشيعة مع أن الشيعة تعلموا الإسلام عن طريق أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهروا، والذين ورثوا علم النوبة، وواكوا

الصفحة 52

دعوة الإسلام، ودولة النوبة، منذ اللحظة التي أشرفت فيها شمس الهداية الإلهية إلى اللحظة التي انتقل فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الوفيق الأعلى.
هؤلاء هم أساتذة شيعة أهل البيت.

أما أساتذتنا نحن أهل السنة فهم عمليا معاوية، وابنه يزيد، وخلفاء بني أمية، لأن التنوين وخاصة كتابة الحديث وروايته انتشر في عهدهم، ومن المعروف أن بني أمية طلقوا أسلموا يوم الفتح، ومعرفتهم بالدين محدودة، وأنهم حلوا النبي والإسلام واحدا وعشرين عاما حتى أحيط بهم، فاضطروا للإسلام لأن كل الأبواب قد أغلقت في وجوههم إلا باب الإسلام!
فأئمة أهل البيت مدرسة علمية، وطلاب هذه المدرسة هم شيعة أهل البيت.

وخلفاء بني أمية ومن والاهم كأبي هريرة مدرسة، وطلاب هذه المدرسة هم أهل السنة. فما الداعي للتفريق بين طلاب مدرستين إسلاميتين!!

هذا إذا اعتبرنا أن أمية كهاشم، وأن المهاجر تماما كالطليق، وأن من قاتل تحت لواء الإسلام هو تماما مثل الذي قاتل

الإسلام.

على الأقل لنعامل طلاب المدرستين بروح المساواة والأخوة، وليكن هدف أتباع المدرستين الوقوف على الحقائق الشوعية

الفصل السادس

موقع بيان النبي من المنظومة الحقوقية

1 - الركزة الثانية من المنظومة الحقوقية الإلهية

وهي نبي الله المرسل، بذاته، وقوله، وفعله، وتقوره، ولو لا (المماحكة) والتقليد الأعمى، وأحابيل السياسة ومكروها، فإن محمدا خاتم الأنبياء غني عن التعريف بذاته وقوله وفعله وتقوره، وللأسباب التي ذكرناها لا بد من أن نفود أبوابا أربعة، للذات، وللقول، وللفعل، وللتقوير.

2 - ذات النبي عند الحكام وشيعتهم

إنها أحسن ذات عرفتها الخليقة، فهو المؤمن على الوحي الإلهي وهو المكلف بتبليغ آخر رسالة إلهية لبني البشر، وهي رسالة الإسلام بصيغتها النهائية، وهو خوة الله من خلقه (شجرته خير الشجر، وعترته خير العتر) فهو الأسوة والقوة، طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، واتباعه محبة لله، وطريق المغفرة، والإيمان به إيمان بالله، والكفر به كفر بالله، صادق مصدق في كل شيء، لا ينطق عن الهوى، فما يقوله حق لا ريب فيه، (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) سورة النجم آية 3 ، (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الأحزاب آية 21، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) سورة آل عمران آية 31 ، (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه) سورة الأعراف آية 158.

وجاء في سنن الدارمي مجلد 1 صفحة 125 باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وسنن أبي داود مجلد 2 صفحة 126 باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216 ، ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد 1 صفحة 85 ، قال عبد الله بن عمرو بن العاص (كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنهتني قريش وقالوا: أنتكتب كل شيء سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأولمأ بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب، هو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق).

فكلما قاله الرسول حق، لأنه المبين للقرآن البيان القائم على الحزم واليقين، وهو قائد الأمة إلى الصراط المستقيم بتفويض

من ربه، ووعاية وعناية إلهية تسدده في كل خطوة من خطواته، بلغ القآن حرفيا، فهو صادق، وكفى بالله شهيدا، وبين القآن بيانا كاملا فهو صادق في بيانه وكفى بالله شهيدا، وقاد الأمة حتى وضعها على الصراط المستقيم، وهو موفق بقيادته وكفى بالله شهيدا، فالفصل بين النبي وبين القآن مرفوض لأن من شك في النبي فقد شك في القآن، ومن آمن بالقآن ولم يؤمن بالنبي فهو كافر، ومن آمن بالنبي ولم يؤمن بالقآن فهو كافر، فالقآن والنبي جملة كاملة تسلي الإسلام، والهدى لا يطلب إلا بالاتبين معاً، القآن والنبي، والتمسك بأحدهما دون الآخر ضلالة ستقود صاحبها إلى النار حتماً، فالنبي بالضرورة هو الإنسان الكامل وكماله الإنساني ضرورة من ضرورات تبليغ رسالة الكمال الإلهية، فلو لم تتوفر فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصية الكمال الإنساني، لما كان مؤتمنا على تبليغ رسالة الكمال الإلهية.

ولا عجب في ذلك، فقد تنتشر الأمراض بين أود شعوب، فنقوم بولة ذلك الشعب باختراع مصل وتقوم بتطعيم عاياها ضد هذا المرض، فينجو الذين تطعموا ولا يصيبهم هذا المرض ولا يؤثر فيهم، والأطباء بشر، والأمصال من صنع البشر فهل نستكثر على رب البشر أن يطعم أنبياءه ورسله ضد الخطأ!!

الصفحة 55

3 - ذات النبي عند قادة التلخي الإسلامي وشيعتهم

روي البخري ومسلم في كتاب الدعوات باب قول النبي من آذيته، وروي مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي، فقالا - البخري ومسلم إن رسول الله كان يغضب، فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعى الله أن يجعلها لمن بورت منه إليه زكاة وطهرا! تمنع بهذا الحديث، ثم أتى قول الله تعالى في نبيه (وانك لعلى خلق عظيم) سورة القلم آية 2، فالشخص العادي، الذي لا تتوفر فيه صفات النوة يرفع عن لعن وسب من لا يستحق اللعنة والمسبة، فكيف بالنبي ذي الخلق العظيم، السمح، اللين، الذي لا يعرف الفضاضة إطلاقا، صاحب الصدر الواسع؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، إذا كانت الأمور على هذه الشاكلة، فمن مصلحة كل مسلم أن يثير غضب النبي، حتى يسبه النبي ويشتمه، ويحصل على الزكاة والطهر!!!. إن هذا لأمر عجاب!!

4 - وظيفة هذا الحديث

جاء في السورة الحلبية مجلد 2 صفحة 234 طبعة مصر (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صار يقول: اللهم العن فلانا وفلانا.

وأخرج البخري عن يحيى بن عبد الله السلمي، أخبرنا معمر، عن الوهري، حدثني سالم، عن أبيه أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، فأقول الله (ليس لك من الأمر شيء) إلى قوله (فإنهم ظالمون).

وقال السيوطي وأخو أحمد، والبخري، والتومذي، والنسائي، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد: (اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو
واللهم العن صفوان بن أمية).

ثم قال السيوطي، وأخرج الترمذي، وصححه وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: كان النبي (صلى الله عليه
وسلم) يدعو على أربعة نفر وكان يقول في صلاة الفجر: اللهم العن

الصفحة 56

فلانا وفلانا، راجع الدر المنثور في التفسير المأثور مجلد 2 صفحة 71 . ورأى علماء المسلمين للسيد مرتضى الوضي
صفحة 73 - 76

وأخرج نصر بن مزاحم المنقوي، عن عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت، عن الواء بن عزب قال: أقبل أبو سفيان
ومعه معاوية فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اللهم العن التابع والمتوع، اللهم عليك بالأفيعس، فقال ابن الواء لأبيه،
من الأفيعس؟ قال: معاوية.

وأخرج نصر عن علي بن الأقرم في آخر حديثه قال: فنظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي سفيان وهو راكب،
ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: اللهم العن القائد والسائق
والراكب، قلنا: أنت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟!!

قال: نعم وإلا صمت أذناي كما عميت عيناي. راجع وقعة صفين صفحة 217 تحقيق وشوح عبد السلام محمد هارون،
طبع مصر، و صفحة 220 ، وراجع النهاية في غريب الحديث والأثر مجلد 4 صفحة 87 و 88 و صفحة 75 من رأء علماء
المسلمين.

ولا يملري أحد بأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعن الحكم بن العاص، ولعن ما في صلبه، وطوده من المدينة ونفاه
إلى منطقة ووج، وحرّم عليه دخول المدينة، ولما انتقل رسول الله إلى جوار ربه راجع عثمان أبا بكر ليدخل الحكم بن العاص
إلى المدينة فوفض الصديق ذلك، ولما توفي الصديق راجع عثمان الفاروق ليدخله المدينة فوفض الفاروق ذلك، ولما آلت
الأمر إلى عثمان أدخل الحكم بن العاص معززا مكرما، وأعطاه مائة ألف توهم دفعة واحدة! ولا أحد من أهل الملة ينكر هذه
الوقائع.

5 - أبو سفيان

قاد الشرك في حربه مع النبي واحدا وعشرين سنة هو وولاده وبنو أمية، واشتوك في حصار بني هاشم، وحاول أن يقتل
النبي، وفشلت المحاولة، وقاد الأخراب، وبانهيار أبي سفيان وولاده انهلت جبهة الشرك، واستمرت عدوة أبي سفيان وولاده
لرسول الله ولآله وللإسلام 21 عاما بلا انقطاع، فهل يستغوب عاقل أن يلعن رسول الله من كان هذا حالهم؟!!

الصفحة 57

6 - الحكم بن العاص

لقد كثر إيذاء الحكم لرسول الله، كما هو معروف، ومن أجل هذا نفاه الرسول ورفض صاحبه إعادته، بالرغم من إلحاح عثمان. خاطبت أم المؤمنين مروان بن الحكم بن العاص قائلة: كذبت والله ما هو به، ولكن رسول الله لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله عز وجل! والفضض القطعة. راجع تزيخ ابن الأثير مجلد 3 صفحة 199 وراجع فتح الباري مجلد 10 صفحة 197 وصفحة 198 ، وأخرج القصة بتفصيلها أبو الفوج في الأغاني مجلد 1 صفحة 90 - 91، وراجع ترجمة الحكم بن العاص من الإستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة، والإصابة، ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 181، وتزيخ ابن كثير مجلد 8 صفحة 89 ، والإجابة في ما استركته عائشة على الصحابة، في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر، من تزيخ دمشق لابن عساكر... إلخ.

ومرة أخرى فهل كثير على رسول الله أن يلعن الحكم بن العاص وما في صلبه بعد إيذاء له من جانبهم دام 21 عاما!!!؟

7 - أعداء الرسول تولوا الحكم وأوليؤه أصبحوا مملوكين

21 عاما وأبو سفيان ونريته ومن والاهم يكيون لرسول الله ويحربونه بكل وسائل الحرب، حتى نصر الله رسوله ودخل مكة عاصمة الشرك فاتحا، فأغلقت الأبواب أمام أبي سفيان ومن والاه ولم يبق أمامه إلا باب الإسلام مفتوحا، وعندما وجد نفسه وسط جزوة الشرك حفرة، وقد أحيط به أسلم، فأصبح أبو سفيان ومن والاه طلقاء ومن المؤلفة قلوبهم، فصحب الرسول سنتين، واستغل الخلاف الذي نشأ بين الصديق والفروق من جهة وبين الإمام علي من جهة أخرى، فحسن وضعه، وولى الصديق ابنه علي الشام وألحق به معاوية، وبموت شقيق معاوية أصبح معاوية هو حاكم الشام، واستتوت الأمور لبني أمية في إمرة عثمان، وفجأة، وبدون مقدمات،

الصفحة 58

و ضد الطبيعة، ومنطق الأشياء، وبالقوة، آلت الأمور إلى معاوية، فأصبح هو سيد المسلمين يتأمر على الذين قاتلوه وأباه على الإسلام، ثم أوصى بالحكم من بعده لابنه يزيد، الذي لرتكب مجزرة كربلاء. ثم آلت الأمور إلى مروان بن الحكم بن العاص، ومن سلالة الحكم وصلبه انحدر كل خلفاء بني أمية.

8 - الحقائق الثابتة

الحقيقة الأولى: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعن الحكم بن العاص، ولعن ما في صلبه، ولعن أبا سفيان، ولعن ابنه.

والحقيقة الثانية: أن عداء أبي سفيان ومن والاه للنبي لم يتوقف طوال 21 عاما، وأن إيذاء الحكم بن العاص للنبي لم يتوقف أيضا طوال هذه المدة.

والحقيقة الثالثة: أن أبناء أبي سفيان سادوا المسلمين بالقوة، كذلك فإن أبناء الحكم بن العاص سادوا المسلمين بالقوة. والثابت

أن تنوين الحديث النووي تم رسميا في العهد الأموي.

هنا ينثور التساؤل الموير، كيف يحكم أمة محمد أولئك الذين لعنهم محمد!!؟

9 - الحديث يحل الإشكال

لعنة النبي لهاتين الأسرتين، وأمثالهما كان في لحظة غضب، فقد لعنهم الرسول وسبهم وهم لا يستحقون اللعنة والمسبة، وأدرك الرسول ذلك فدعا أن تتحول لعنة هاتين الأسرتين وأمثالهما إلى زكاة وطهور لهم. وتلك قوة بالتنفصيل لم يشهد العقل البشوي لها مثيلا.

فأهل البيت الذين انحدروا من صلب النبي أذهب الله عنهم الرجس وطهورهم تطهرا، والذين عادوا النبي طوال سني البعثة طهورهم الله أيضا تطهرا!! إن هذا لأمر عجاب!!



10 - النبي أولى بالخدش من الحكام الغالبيين

شخصية النبي الباهوة طاهرة مطهورة، تسامى الله بها وهي بأدق الموزين العلمية لا تخدش ولا تعاب، ولكن إذا كان الناس أمام خيلين: إما أن يخدشوا النبي الراحل ويطعنوا في شخصيته، وإما أن يخدشوا الخليفة الحي ويطعنوا في شخصيته، فالحل هو الطعن في شخصية النبي! وهكذا صوروه كرجل يفقد السيطرة على نفسه في الغضب، فيلعن، ويسب، ويؤذي من لا يستحق اللعن، والسب، والإيذاء، وهكذا خدشوا نبيهم، وأضفوا الكمال والزكاة والطهر على غالبيهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! اللهم إن هذا منكر لا ترضى به، اللهم إن هذه مصيبة، فأذن لنا أن نردد ما أموتنا بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

11 - رسول ونبي لا يعرف أنه رسول

روى البخاري في مجلد 1 صفحة 3 باب بدء الوحي وتفسير سورة إقأ، وروى مسلم في كتاب الإيمان - باب بدء الوحي الحديث 252 ، وروى أحمد في مسنده مجلد 6 صفحة 223 و 233 : أن رسول الله لما جاءه جبريل بآيات (إقأ باسم ربك الذي خلق) إلى قوله تعالى (علم بالقلم) رجع إلى بيته تجف بواوه، وقال لخديجة: إني خشيت على نفسي، فقالت له خديجة: أبشر، كلا والله لا يخزيك الله أبدا، وانطلقت به إلى ورقة بن نوفل - وكان امرأ نصرانيا - فأخوه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر مارآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أتول على موسى...
فورقة هنا أوى بالوحي وجبريل من رسول الله الذي خوطب بالوحي، ونتيجة ما قاله ورقة اطمان الرسول لمصوه، وقبل ذلك كان النبي يريد أن يلقي بنفسه من حالق جبل كما يروي ابن سعد في طبقاته مجلد 1 صفحة 129 - 130 ، وكما يروي الطوي في خبر البعثة.
فأنت تلاحظ أن السيدة خديجة وهي امرأة عوفت ما لم يعرفه النبي، وأن ورقة وهو نصراني هو الذي طمان النبي بأنه نبي، وقبل ذلك لم يكن النبي يعرف أنه نبي موصل!!!

إن هذا لأمر عجاب، وتلك والله مصيبة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول العلامة مرتضى العسكري: لست أوري كيف لم يكن الرسول يعرف نفسه وعلى كتفه خاتم النبوة التي يعرفه بها كل من رآه من أهل الكتاب؟.

12 - خلفاء أتقى من نبي

روى البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي - باب مقدم النبي وأصحابه المدينة، وفي كتاب العيدين - باب سنة العيدين لأهل الإسلام، وروى مسلم في صحيحه كتاب صلاة العيدين - باب الوخصة في لعب يوم العيد: أن رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) استمع إلى غناء حوار من الأنصار فنوهن أبو بكر.

وروى مسلم في كتاب صلاة العيدين بأن الوخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد الحديث 18 و 19 و 20 و 21 و 22 : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رفع عائشة على منكبيه لتتظر إلى الحبشة الذين يلعبون في المسجد، فنوهم عمر. وروى الترمذي في أبواب المناقب باب مناقب عمر: إذ اطلع عمر فانفض الناس، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (عليهم السلام) إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر! فشياطين الجن والإنس لا تفر من النبي، ولكنها ما إن ترى الخليفة عمر حتى تفر منه، وهو مجرد صحابي جليل ومسلم، والناس يلعبون أمام النبي ولا ينكر عليهم لعبهم، ثم يأتي أبو بكر وعمر فينها الجميع.

ومثل هذا النصوص التي رواها الترمذي، باب المناقب عن عمر، ومسنند أحمد مجلد 5 صفحة 353 حيث يقعد الشيطان
أما مطمئنا مع النبي حتى إذا دخل عمر فر الشيطان!!

13 - نبي يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله

روى البخاري في كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده، وفي كتاب الطب - باب هل يستخرج السحر، وكتاب الأدب - باب أن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات - باب تكريم الدعاء، وروى مسلم في صحيحه - باب السحر: أن بعض اليهود سحروا رسول الله حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله!

الصفحة 61

14 - نبي يسقط آية من القرآن فيذكره بها قارئ

روى البخاري في باب قول الله (وصل عليهم) وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى ونكاحه، وروى مسلم في كتاب فضائل القرآن - باب الأمر بتعهد القرآن، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي سمع رجلا يقرأ في المسجد، فقال: رحمه الله اذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا!
فأنت ترى أنه لو لا هذا القارئ لما تذكر النبي الآية التي أسقطها من سورة كذا!
ونتوك لك الحكم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

15 - ابن عم خليفة يعلم النبي ويرفض طعامه

روى البخاري في صحيحه - كتاب الذبائح - باب ما ذبح على النصب والألام مجلد 2 صفحة 207 ، وروى أحمد في مسنده مجلد 2 صفحة 19 و 86 ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يتول عليه الوحي قدم إلى زيد بن عمرو بن نفيل سفة فيها لحم فأبى زيد أن يأكل منها، ثم قال زيد للنبي: إني لا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وزيد هذا هو ابن عم الخليفة عمر بن الخطاب!

فانظر كيف احتاطزيد حتى قبل أن يدخل في الإسلام، وكيف رفض أن يأكل من طعام النبي، النبي الذي رباه الله، وصنعه على عينه. راجع نهج البلاغة، الخطبة في وصف النبي (صلى الله عليه وآله) صفحة 44 - شوح صبحي الصالح.

16 - نتيجة المقدمة

بعد كل هذا فلا ينبغي أن تتدهش إذ ارفع مقام الخلافة على مقام النبوة، فقد خطب الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل الكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة، فقال: إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية!!! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله! راجع شوح النهج لابن

الصفحة 62

أبي الحديد مجلد 5 صفحة 242 ، وراجع الكامل للمورد صفحة 222 طبعة النهضة بمصر، وراجع معالم المدرستين مجلد 1 صفحة 45.

17 - النبي يتحول بقوة قادر إلى مجرد مجتهد

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في مقام الاعتذار عن تخلف الخليفين - أبي بكر وعمر - عن جيش أسامة: إنه (أي الرسول) كان يبعث السوايا عن اجتهاد لا عن وحي يحرم مخالفته! ثم أطل الحديث عن اجتهاد الرسول في هذه القضية، راجع شوح النهج لابن أبي الحديد مجلد 4 صفحة 172 - 178 ... وسنعالج الموضوع في باب الاختلاف. إن شاء الله تعالى.

18 - النبي حاشا له يهجر

1 - روى البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب الجوائز مجلد 4 صفحة 21 ط. دار الفكر وروى مسلم في صحيحه - كتاب الوصية - باب ترك الوصية مجلد 2 صفحة 16 ط عيسى الحلبي، وفي مجلد 11 صفحة 89 - 94 ط مصر بشوح النووي، وروى الإمام أحمد في مسنده مجلد 1 صفحة 222 ط الميمنية ومجلد 3 صفحة 286 الحديث 1935 بسند صحيح، ومجلد 5 صفحة 45 الحديث 3111

عن ابن عباس: أن النبي اشتد به وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنزلوا، ولا ينبغي عند نبي تنزل، فقالوا: هجر رسول الله، قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزوة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجزه، ونسيت الثالثة.

2 - روى مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ترك الوصية مجلد 2 صفحة 16 ومجلد 11 صفحة 94 - 95 بشوح النووي، وروى الإمام أحمد في مسنده مجلد 1 صفحة 355 ، والطوي في تزيخه مجلد 3 صفحة 193 ، وابن الأثير في

الكامل

الصفحة 63

مجلد 2 صفحة 320 عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إئتوني بالكنف والنواة، أو اللوح والنواة، أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقلوا: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يهجر.

3 - روى البخاري في صحيحه كتاب النبي إلى كسرى وقيصر - باب مرض النبي ووفاته مجلد 5 صفحة 137، والطوي في تزيخه مجلد 3 صفحة 192 - 193 عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجعه فقال:

إئتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنزلوا، ولا ينبغي عند نبي تنزل، فقلوا عن النبي ما شأنه أهجر؟ استقهموه، فذهبوا يرددون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجزم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها.

4 - وروى البخاري في صحيحه كتاب الجزية - باب إخراج اليهود من جزيرة العرب مجلد 4 صفحة 65 - 66 أنه قال (صلى الله عليه وسلم) إئتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، فتنزلوا ولا ينبغي عند نبي تنزل، فقلوا: ما له؟! أهجر؟ استقهموه...

5 - وذكر السبط بن الجوزي الحنفي في كتابه تذكرة الخواص صفحة 62 المطبعة الحيدرية، وجاء في كتاب سر العالمين، وكشف ما في الدرر لأبي حامد الغوالي صفحة 21 مطبعة النعمان: أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: إن النبي ليهجر.

إذا حالوا بينه، وبين كتابة ما أراد، مع أن الوصية حق لكل مسلم، ولم يكتفوا بذلك إنما صرحوا علنا، وصدموها خاطر النبي الشريف، وزعموا أنه هجر، يهجر، ليهجر، حاشا له مع أن الصديق (رضي الله عنه) اشتد به المرض أكثر مما اشتد برسول الله المرض، وأملى جزءا من وصيته، ثم فرق وعيه، وبعد أن استرد وعيه أكمل وصيته، ولم يقل أحد عل الإطلاق أن الصديق يهجر، ولم يحل بين الصديق وبين كتابة ما أراد حائل،

الصفحة 64

ونفذت بدقة تعليمات الصديق ووصيته، ولم ينقسم الحاضرون عنده إلى قسمين، بل كانوا كتلة واحدة خلفه وفي حضوته كأنهم بنيان موصوص، لا يعلو على صوت الصديق صوت، إمعانا باحترامه، وإجلالا له!!! مع أن الصديق ليس أكثر من صحابي جليل، ومن حاكم عادل، ولم يصل إلى درجة النبوة، ولا قال أحد أنه قد وصل إلى هذه الدرجة!!

كذلك فإن المرض قد اشتد بعمر (رضي الله عنه) أكثر مما اشتد برسول الله مرضه، وتكلم عمر وأصغى له المسلمون بإجلال ولم ينقسموا بين يديه، ونفنوا كلامه، وأوصى، ونفنوا وصيته، وتحدث أثناء مرضه ما شاء أن يتحدث، ولم يحل بينه وبين أن يقول ما يشاء حائل، ولم يقل له أحد قط إن الفاروق (رضي الله عنه) هجر أو يهجر، مع أن الفاروق ليس أبدا أكثر

19 - القآن وحده يكفي ولا حاجة لوصية النبي وقوله

هذه التصورات الممهوزة عن ذات النبي جمحت بالمسلمين، فجنحت بهم عن الطريق، فوكوها، وأرخوا لها العنان، فأدخلتهم بليل الغموض والنتيه، وآفاق الهوى، فتصوروا أن بإمكانهم أن يوكروا الوشد بدون نبي وبالقآن وحده، وتصوروا أن بإمكانهم أن يهتوا، وأن لا يضلوا إذا تمسكوا بالقآن وحده، بمعنى أن دور النبي محدود، وثاوي جدا. كانت هذه التصورات وسلوس خفية في الصدور، وأفصحت عن ذاتها في موض النبي، وبرزت ساؤة وبدون ستر، وتبين أن لهذه التصورات أنصرا وأعوانا، وأخروا واجه أصحاب هذه التصورات النبي نفسه، وانتصروا، وانتصرت تصوراتهم. وآية ذلك ووهانه:

1 - جاء في صحيح البخري كتاب المرضى - باب قول المريض: قوموا عني مجلد 7 صفحة 9 دار الفكر، وجاء في صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد 5

الصفحة 65

صفحة 75 مطبعة المكتبة التجرية، ومجلد 11 صفحة 95 من صحيح مسلم بشوح النووي مطبعة مصر، ومسند الإمام أحمد مجلد 4 صفحة 356 الحديث 2992

بسند صحيح دار المعرف بمصر عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي قد غلب الوجع، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قوموا يكتب لكم رسول الله كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول! القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول الله: قوموا عني.

وأنت تلاحظ أن الفويق الذي كان يعرض كتابة الكتاب كان بقيادة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

2 - وجاء في شوح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد 6 صفحة 51 - مطبعة مصر بتحقيق محمد أبو الفضل - عن ابن عباس: لما حضت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله: إئتوني بواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، قال ابن عباس: فقال عمر كلمة معناها: أن الوجع قد غلب على رسول الله، قال: عندنا القآن، حسبنا كتاب الله...

3 - وجاء في صحيح البخري كتاب العلم - باب كتابة العلم مجلد 1 صفحة 37 دار الفكر، عن ابن عباس: لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلوا، وأكثروا اللغط، قال النبي: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التلوع....

4 - وجاء في صحيح البخري - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة - باب كراهية الخلاف مجلد 8 صفحة 161 دار الفكر

عن ابن عباس قال: لما حضر النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) غلبه الوجع وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قروا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر....

الصفحة 66

- 5 - روى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 3 أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال.... إلى أن قال: فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله...
6 - وروى ابن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع البيان مجلد 2 صفحة 147 ، والذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 4 و 5 قول عمر بن الخطاب.... إنكم تأتون أهل قرية لهم نوي بالقرآن كنوي النحل فلا تصوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم....

20 - ذات الخليفة أهم من ذات النبي!

روى الزبير بن بكار في الموفقيات صفحة 575 - 576 ، وروى علامة المعتولة بن أبي الحديد في شرح النهج مجلد 2 صفحة 176 عن المطرف بن مغيرة بن شعبة قال:

دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه ويتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما روى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتة مغتما، فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي رآك مغتما منذ الليلة، فقال: يا بني جئت من أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذلك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا، وبسطت خرا فإنك قد كوت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت لرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن في ذلك مما يبقى لك ذكروه وثوابه؟ فقال: هيهات، هيهات، أي ذكر لرجو بقاءه، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكوه إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكوه إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة (يعني النبي) ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمدا رسول الله) فأبي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا؟

لا والله إلا دفنا دفنا. إنتهى النص كما ورد في المرجعين السابقين، وكما نقله العلامة السيد مرتضى العسكري في مجلد 2 صفحة 356 - 357 من معالم المرستين.

الصفحة 67

وطمعا يرفع مقام الخلفاء ويوأم ذكروهم، انتشر الحديث الموضوع، لرفع مقام الخلافة، فكما فرض الله طاعة رسوله (أطيعوا الله والرسول) فوضت تلك الأحاديث الموضوع طاعة الخليفة مهما فعل، وحرمت الخروج عليه مهما فعل، فعندما رأوا هدم الكعبة لمحاصرة أعداء الخليفة، قالوا: إن هدم الكعبة حرمة، وطاعة الخليفة واجبة، فغلبت طاعة الخليفة محرم الله،

وكان شمر بن ذي الجوشن يقعد حتى يصبح، ثم يصلي ويقول في دعائه (اللهم اغفر لي) فقيل له: كيف يغفر الله لك وقد خرجت إلى ابن بنت رسول الله فأعنت على قتله؟ قال: ويحك فكيف نصنع، إن أروا لنا هؤلاء أمرونا، فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شوا من هذه الحمر). راجع تزيخ الإسلام للذهبي مجلد 3 صفحة 18 - 19.

وكان كعب بن جابر ممن حضر قتال الحسين في كربلاء يقول في مناجاته (يارب إنا قد وفينا فلا تجعلنا يارب كمن غدر) يقصد بمن غدر من خالف الخليفة وعصى أمره.

ودنا عمر بن الحجاج يوم عاشوراء من أصحاب الحسين، ونادى وقال: يا أهل الكوفة اؤموا طاعتكم وجماعتكم، ولا توتأوا في قتل من موق من الدين وخالف الإمام.

وقد قال مسلم بن عقبة الذي استباح المدينة، وختم أعناق الصحابة، وأذلهم وقتل يوم الحرة أحد عشر ألف مسلم، قال عن عمله هذا: اللهم إني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (أي بعد الإسلام) أحب إلي من قتل أهل المدينة (أي مدينة الرسول) ولا أرجى عندي في الآخرة، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي فإن هذا تدين بحب الخلفاء، وطاعتهم فريد من نوعه.

وثورة لهذا كله تعاضم مقام الخليفة، حتى بلغ عند شيعة الخلفاء مرتبة لم يبلغها النبي نفسه، فقد كتب مروان بن محمد - وكان واليا على رمنية - إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق: يبيلك له خلافة الله على عباده. راجع تزيخ بن كثير مجلد 10 صفحة 4 ، وهذا الوليد هو الذي سعى أخوه سلمان في قتله، وقال أشهد أنه كان

الصفحة 68

شروبا للخمر ماجنا فاسقا، ولقد رأدني على نفسي، ورأد الوليد أن يشرب الخمر فوق الكعبة، ولما قيل عنه في مجلس المهدي: إنه كان زنديقا، قال المهدي: خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق. راجع تزيخ ابن كثير مجلد 10 صفحة 7

21 - التصريح يغني عن التلميح

روى أبو داود في سننه مجلد 4 صفحة 210 الحديث 4645 باب في الخلفاء، عن سليمان بن الأعمش قال: جمعت مع الحجاج فخطب... قال فيها: إسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان!
وروى أبو داود في سننه مجلد 4 صفحة 209 الحديث 4642 ، والمسعودي في موجه - ذكر طرف من أخبار الحجاج مجلد 3 صفحة 147 - وابن عدي في العقد الفريد مجلد 5 صفحة 52 ، واللفظ لأبي داود قال: عن الربيع بن خالد العنبي قال:

سمعت الحجاج يخطب، فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله!
وفي العقد الفريد مجلد 5 صفحة 51 أنه - أي الحجاج - كتب إلى عبد الملك يعظم فيه أمر الخلافة، وزعم أن السموات

والأرض ما قامت إلا بها، وأن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ذلك أن الله خلق آدم بيده وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، ثم أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلا إليه، فأعجب عبد الملك بذلك وقال: لوددت أن بعض الخوارج عندي فأخاصمه بهذا الكتاب... إلخ!

ثم أتول من قدر الخليفة وجعله مساويا للرسول، فقال في خطبة له - كما في سنن أبي داود والعقد الفريد: إن مثل عثمان عند الله كمثلي عيسى بن مريم، ثم قرأ الآية: إذ قال الله يا عيسى بن مريم إنني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة). راجع سنن أبي داود مجلد 4 صفحة 209 ، والعقد الفريد مجلد 5

صفحة 51

الصفحة 69

وفي العقد الفريد كما في حوادث سنة 89 مجلد 5 صفحة 61 من تزيخ الطوري وابن الأثير مجلد 4 صفحة 205، وابن كثير مجلد 9 صفحة 76 وفي العقد الفريد بعد (من الذين كفروا) أنه أشار بيده إلى أهل الشام أي أنهم الذين اتبعوا الخليفة فجعلهم الله فوق الذين كفروا، وهم أهل العراق.

وأمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبد الله فحفر بؤا بمكة فجاءت عذبة الماء طيبة، وكان يستقي منها الناس، فقال خالد في خطبته على منبر مكة: أيها الناس أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة! إلا أن إواهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا أجاجا، واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فواتا!! بؤا حوها الوليد بن عبد الملك بالثنتين ثنية طوى وثنية حجون، فكان ينقل مؤها فيوضع في حوض من أدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم، قال الولوي: ثم غرت البئر، فذهبت فلا يرى أين هي اليوم.

هكذا بلغت متولة الخليفة خاصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فصار من الشروط على الخليفة الجديد بعدهما أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الصديق والفروق، كما هو ثابت بدون توثيق.

وخطب الحجاج يوما على منبر الكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله فقال:

تبا لهم يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ألا يعلمون أن خليفة الرجل خير

من رسوله!!!

وهكذا ارتقت مرتبة الخلافة فوق مرتبة النبوة وبلغ الإسفاف بشيعتها حدا يخجل الإنسان من وصفه.

وفي هذا المناخ التروبي كتبت أحاديث رسول الله بعد 95 سنة من منعها وحصلها!!

* *

الصفحة 70

الصفحة 71

الفصل السابع

بيان النبي عند شيعة أهل البيت وشيعتهم

1 - النبي المعصوم، ومعنى العصمة

وأبي محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد، والسيد الشريف محمد بن الحسين الوضي الموسوي، كما جاء في الصفحة 150 من أوائل المقالات في المذاهب المختلرات:

أن العصمة في أصل اللغة هي ما اعتصم به الإنسان من الشيء، كأنه امتنع به عن الوقوع في ما يكره. وليست جنس من أجناس الفعل، ومنه قولهم: اعتصم فلان بالجبل إذا امتنع به، ومنه سميت العصم وهي وعر الجبال لامتناعها بها. والعصمة من الله تعالى هي التوفيق الذي يسلم به الإنسان مما يكره إذا أتى بالطاعة. وذلك مثل إعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً ليثبت به فيسلم، فإذا هو أمسكه واعتصم به، سمي ذلك الشيء عصمة له، لما تثبت به فسلم من الغرق، وإن لم يعتصم به لم يسم عصمة، وكذلك سبيل اللطف أن الإنسان إذا أطاع سمي توفيقاً وعصمة، وإن لم يطع لم يسم توفيقاً ولا عصمة، وقد بين الله تعالى ذكر هذا المعنى في كتابه بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً) سورة آل عمران 103، وحبل الله هو دينه، ألا ترى أنهم بامتنال أمره يسلمون من الوقوع في عقابه، فصار تمسكهم بأمره اعتصاماً، وصار لطف الله لهم في الطاعة عصمة، فجميع المؤمنين من الملائكة والنبیین والأئمة معصومون لأنهم متمسكون بطاعة الله.

الصفحة 72

وهذا جملة من القول في العصمة، ما أظن أحداً يخالف في حقيقتها، وإنما الخلاف في حكمها، وكيف تجب، وعلى أي وجه تقع. راجع أوائل المقالات.

يقول الطوسي صفحة 152 من النافع يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر، وراجع عقيدة الشيعة الإمامية في الإمام الصادق وسائر الأئمة للسيد حسين يوسف مكي العاملي صفحة 12 و 23، وفي أعيان الشيعة للمجتهد الأكبر محسن الأمين مجلد 1 صفحة 2 و 6 و 7: إن من يخلف رسول الله معصوم من الله تعالى، والعصمة لا يطلع عليها إلا الله تعالى، وعصمة الإمام ضرورية، لأنه لو كان غير ذلك لم يؤمن من اتباع الهوى، خاصة وأنه معلم الأمة ما يجهلونه من أحكام الشروع، وصدور الذنب منه يؤدي لعدم الوثوق بأقواله، وذلك ينافي الغرض المطلوب من إمامته، فالدليل الدال على عصمة الرسول دال على عصمة خليفته المنصوص عليه شوعاً، لأنه القائم مقام الرسول في حفظ الشروع وتأديته إلى الأمة، وقد أمد الله الأئمة بفيض من القابليات والاستعدادات والكمالات النفسية... راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة 23 - 24

2 - النبي لا ينطق عن الهوى

قال محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (رحمه الله) في كتابه أوائل المقالات صفحة 69 ما يلي وبالعرف: إن نبينا

محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعص الله عز وجل منذ خلقه الله عز وجل إلى أن قبضه، ولا تعمد له خلافاً، ولا أذنب ذنباً، على التعمد ولا النسيان وبذلك نطق القرآن، وتواتر الخبر عن آل محمد، وهو مذهب جمهور الإمامية، والمعقولة بأسرها على خلافه.

وأما ما يتعلق به أهل الخلاف من قوله تعالى (ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وأشباه ذلك في القرآن الكريم، ويعتمونه في الحجة على خلاف ما ذكرناه، فإنه تأويل بحد ما توهموه، والوهان يعضده إلى البيان، وقد نطق القرآن الكريم بما قد وصفناه فقال جل اسمه (والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى) فنفى بذلك عنه كل معصية ونسيان.

الصفحة 73

وقال في الصفحة 126 من شرح عقائد الصديق أو تصحيح الاعتقاد: والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أن يتمسك بعصمته، والإعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القوة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة إليه، بل هي الشئ الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصية له، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفة والأخيار، قال تعالى (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى) الأنبياء آية 101 وقال سبحانه: (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) سورة ص آية 47

والأنبياء والأئمة من بعده معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر والصغائر، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مفترض لأن نبينا (صلى الله عليه وآله) والأئمة: من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترض قبل إمامتهم وبعدها.

وفي الصفحة 235 - 237 من المرجع السابق قال الشيخ المفيد: فأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم، فإن المقطوع به كما لهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججا لله على خلقه، منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، وقد جاء في الخبر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة: من نريته كانوا حججا لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص وجهل، فإنهم يجرون مجرى عيسى ويحيى (عليهما السلام) في العلم والعصمة في أحوال النبوة والإمامة، ونتوقف قبل ذلك، وهل كانت أحوال نبوة وإمامة أم لا؟ ونقطع على أن العصمة لإمامة منذ أكمل الله عقولهم إلى أن قبضهم....

3 - آباء النبي كانوا موحدين

قال الشيخ المفيد: إن آباء النبي (صلى الله عليه وآله) من آدم (عليه السلام) كانوا موحدين على الإيمان بالله حسب ما ذكره أبو جعفر (رحمه الله)، وعليه إجماع عصابة الحق، قال تعالى (الذي واك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) سورة الشعراء

218 - 219 ، يريد به تنقله في أصلاب الطاهرين

الصفحة 74

إلى رُحام المطهوات، وقد قال نبينا (صلى الله عليه وآله): ما زلت أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى رُحام المطهوات حتى أخرجني الله في عالمكم هذا)، فدل على أن آباءه كلهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافرا لما استحق الوصف بالطهارة لقوله تعالى (إنما المشركون نجس) سورة التوبة آية 28 ، فحكم على الكافر بالنجاسة، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطهارة آباءه كلهم ووصفهم بذلك دل على أنهم كانوا مؤمنين.

* *

الصفحة 75

الفصل الثامن

قضية كتابة الحديث النبوي

1 - أهمية الحديث النبوي

قلنا إن المنظومة الحقوقية الإلهية تتكون من مقطعين: كتاب الله المقول. ونبى الله المرسل بذاته، وقوله، وفعله وتقواه، وأن الصلة عضوية بين هذين المقطعين.

وقد تناولنا مواقف المسلمين من ذات النبى، وبيننا أن هذه المواقف محصورة في مجموعتين: موقف الحكام وشيعتهم وهم أهل السنة. وموقف أهل البيت الكرام وشيعتهم، وهم أهل الشيعة. وسنتناول في هذا الفصل موقف المسلمين من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونلاحظ أن المسلمين قد انقسموا حتى في هذه الناحية إلى قسمين:

1 - الحكام وشيعتهم، وهم أهل السنة.

2 - أهل البيت الكرام وشيعتهم.

2 - كتابة حديث رسول الله

يستحيل أن تفهم المقصود الشرعي من كتاب الله دون بيان رسول الله لهذا الكتاب، وهذا البيان له أربعة وجوه: ذات النبى، وقول النبى، وفعل النبى، وتقدير النبى. وهذه حلقات متصلة يتعذر منطقيا وشوعيا الفصل بينها.

الصفحة 76

3 - حكم النبى في كتابة حديثه

جاء في صحيح البخاري - باب كتابة العلم: أن رجلا من أهل اليمن سمع حديث رسول الله فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبى فلان، راجع صحيح البخاري مجلد 1 صفحة 22 ، والترمذي مجلد 1 صفحة 135 ، (وأبو فلان) هو أبو شاه. وروى أن رجلا من الأنصار كان يجلس إلى النبى، فيسمع منه الحديث، فيعجبه، ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

الله عليه وسلم) فقال له رسول الله: إستعن بيمينك وأوماً بيده أي خط. راجع سنن الترمذي، كتاب العلم - باب ما جاء في

الرخصة فيه مجلد 10 صفحة 134

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الوضا

والغضب؟ قال: نعم، فإني لا أقول إلا حقا، وفي رواية: إني أسمع منك أشياء، فأكتبها؟ قال: نعم. راجع مسند أحمد مجلد 2

صفحة 27.

وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شئ أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لريد حفظه، فنهتني قريش

وقالوا: تكتب كل شئ سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والوضا! فأمسكت عن

الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: أكتب فالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق. راجع ترجمة عبد

الله بن عمرو في أسد الغابة مجلد 3 صفحة 56، وتهذيب التهذيب مجلد 5 صفحة 237، ومعالم المرستين مجلد 2 صفحة 42

وفي رواية أخرى: أنه أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: إني أروي من حديثك، فلدت أن أستعين بكتاب يدي

مع قلبي إن رأيت ذلك، فقال (صلى الله عليه وسلم): إن كان حديثي، ثم استعن بيدك مع قلبك.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال: بلى

فاكتبوها. راجع مسند الإمام أحمد مجلد 2 صفحة 215

قال رسول الله في حجة الوداع: نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم

الصفحة 77

يسمعها، فكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه. راجع سنن ابن ماجة المقدمة - باب 18 الحديث 23، 231، 236، وسنن

أبي داود الحديث 3660 باب 10، والترمذي - كتاب العلم - باب 7 ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وسنن الدرمي مجلد

1 صفحة 74 - 76 المقدمة باب 24، ومسند أحمد مجلد 3 صفحة 325 ومجلد 4 صفحة 80 و 82 ومجلد 5 صفحة 173

وفي حديث آخر: فوب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. راجع صحيح البخاري مجلد 1 صفحة

24 كتاب العلم - باب قول النبي، وراجع كنز العمال الحديث 1126، وسنن ابن ماجة مجلد 1 صفحة 85 الحديث 233

وبحار الأتوار مجلد 2 صفحة 152 الحديث 42

4 - حكم النبي عين المنطق والصواب

إذا كانت أولى مهام النبي بيان القوان الكريم، وإذا كانت أنوات البيان النبوي شوعا وعقلا هي القول والفعل والتقوير، فمن

الطبيعي جدا أن يأمر النبي بتوثيق هذا البيان، وأن ينقله السامع إلى غوره، وكما سمعه، وأن يحث أتباعه على أن ينقلوا بيان

القوان حيثما نقلوا القوان نفسه، وهذا أمر من البداهة بحيث أنه لا يحتاج إلى وهان، لولا التقليد الأعمى، وفطرة بعض

المسلمين على إطاعة من غلب طاعة عمياء. فلو قلنا بغير ذلك وألقينا جميع مصادر السنة النبوية في البحر، فماذا يبقى من

شوائع الإسلام!!؟

5 - موقف قادة التاريخ السياسي من كتابة أحاديث النبي

شروع الله حكمه المبرك في السياسة، والأشخاص، والأشياء، وكانت مهمة النبي أن يبين حكم الله في كل شئ على الإطلاق، وأن ينقل قواعد التشريع الإلهي من النظر إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة عبر دعوة، وبوسيلة من وسائل ثلاثة وهن: القول، والفعل، والتقريب، أو بهذه الوسائل مجتمعة، وقد بين رسول الله حكم الشروع في كل شئ، وأكمل الله دينه وأتم نعمته، ثم انتقل رسول الله إلى الوفيق الأعلى.

الصفحة 78

ولسوء الحظ فإن الذين أسسوا دولة الخلافة التلريخية اقتنعوا أن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والوضا، وأن كلام الرسول وهو في حالة غضب قد يمس أشخاصا معينين، أو يبين حكم الله في أمور معينة وهذا المس، وذلك البيان قد يؤذيان هؤلاء الأشخاص، فينفرون من الإسلام، ويقع الخلاف بعد ائتلاف، لذلك وكراهية من هؤلاء القادة للخلاف، وحرصا على مصلحة الإسلام فوضوا رقابة صلومة على أحاديث الرسول، وروايتها بعد وفاته، ومن هنا فقد قسموا أقواله إلى قسمين:

- 1 - قسم من أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) صدر منه وهو في حالة رضا، ولا يمس أشخاصا معينين، ولا يتعرض مع سياسة الدولة، فهو مقبول ونافذ ولا اعتراض عليه.
- 2 - قسم من أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) صدر منه وهو في حالة غضب، وهذه الأقوال قد تمس الأشخاص، أو تتعرض مع سياسة الدولة، أو تؤدي للخلاف، هذه الأقوال هي موضوع المعرضة.

6 - الأدلة على ذلك

الدليل الأول: جاء في سنن الدلمي مجلد 1 صفحة 125 باب من رخص بالكتابة من المقدمة، وسنن أبي داود مجلد 2 صفحة 126 باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216 ، ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106 ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الحديث 2 صفحة 85 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شئ أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنهتني قريش، وقالوا تكتب كل شئ سمعته من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والوضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: اكتب فالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق.

الصفحة 79

فمن هي قريش التي نهت ابن العاص عن كتابة أحاديث الرسول؟ وما هي مصلحتها بهذا النهي؟ ومتى اجتمعت قريش دفعة واحدة؟ وسيتبين لك أن قريش تلك هم قادة التاريخ السياسي الإسلامي، وشيعة هؤلاء القادة الكرام!

الدليل الثاني: جاء في صحيح البخاري كتاب الدعوات - باب قول النبي: من آذيته، وجاء في صحيح مسلم - كتاب البر

والصلة - باب من لعنه النبي... وكفى ببخري ومسلم دليلا عند شيعة قادة التريخ، وجاءت الرواية فيهما كما يلي وبالعرف:

أن رسول الله كان يغضب، فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن يجعلها لمن بورت منه زكاة وطهرا.

ومع عميق الاحترام، فإن هذه الأقوال لا تستقيم لا بمعيار العقل ولا بمعيار الشوع، ولا بالمعيار الواقعي لصاحب الخلق

العظيم، وقد حاولنا أن نحلل ذلك فيما مضى، وما يعيننا الآن هو أن قادة التريخ السياسي قسموا حديث رسول الله إلى قسمين:

قسم صدر منه في حالة الوضا، وقسم صدر منه في حالة الغضب.

الدليل الثالث: وهو ما سماه ابن عباس بيوم الرزية، حيث روى البخري وقائع هذا اليوم الأسود بست روايات في مجلد 7

صفحة 9 دار الفكر، ومسلم في مجلد 5 صفحة 75 المكتبة التجرية، ومجلد 11 صفحة 95 صحيح مسلم بشوح النووي،

فضلا عن عشرات المراجع سنذكرها في حينها.

وملخص ما جرى في هذا اليوم الأسود أن رسول الله قال لمن حوله: قروا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فانقسم

الحاضرون إلى قسمين: قادة التريخ السياسي الذين قالوا: إن الرسول قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله، وأحيانا قالوا: إن

الرسول قد هجر، ما له إنه يهجر؟ استفهموه إنه يهجر؟ حاشا له.

وأما القسم الآخر فقالوا: قروا يكتب لكم رسول الله. وتمكن القسم الأول من أن يفرض وجهة نظره تماما، وحال هذا القسم

بين الرسول وبين كتابة ما أراد. هذا القسم

الصفحة 80

هو الذي قاد التريخ السياسي، وبالمناسبة فإننا نتحدى أولئك الذين عبوا التقليد أن ينفوا هذه الحادثة، أو يعتذروا عنها!!

يستحيل على قادة التريخ السياسي أن يعرفوا سلفا مضمون الحديث النووي، وهل قاله النبي في حالة غضب، أو في حالة

رضا، فإذا فسر الحديث على أنه صدر في حالة غضب فإنه سيؤدي لمفسدة يصعب تدركها، وبنفس الوقت يكون الحديث قد

قيل وانتشر، وبورت معه بنور الخلاف، وبهذه الحالة لا بد من وضع حل جنوي لتجنب الأحاديث التي صرت من الرسول

وهو في حالة غضب، والتي ستؤدي حتما إلى الخلاف وزعوجة أمن دولة الخلافة، وحيث أنه يستحيل معرفة مضمون الحديث

سلفا، فلا بد من وضع حل جنوي لسد هذه النافذة، وحصر رواية الحديث بشيعة القادة السياسيين، وبالقدر الذي لا يؤدي إلى

الخلاف.

وهكذا منعا للخلاف والاختلاف، وطلبا للانسجام، والمحافظة على وحدة الدولة، ووحدة الأمة في ظلها، فقد ابتدع قادة

التريخ السياسي الإسلامي حلا يتمثل في:

1 - منع كتابة أحاديث الرسول.

2 - حرق الأحاديث المكتوبة عن الرسول.

3 - منع رواية أحاديث الرسول.

وبهذا الحل العبوي قصروا المنظومة الحقوقية الإلهية على القآن وحده، وحذفوا بيان هذا القآن، وتولوا بأنفسهم بيان

جاء في طبقات ابن سعد مجلد 5 صفحة 140 بتؤجمة محمد بن أبي بكر: أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأئشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها! وحرقت فعلا.

روى الذهبي في تذكرة الحفاظ بتؤجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 3 أن أبا بكر (رضي الله عنه) جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها،

الصفحة 81

والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله،

وحرموا حرامه!

وأخرج بن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع البيان العلم - باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث مجلد 2 صفحة 147 روى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 4 - 5 عن قوضة بن كعب قال: لما سبرنا عمر بن الخطاب إلى العواق مشى معنا عمر إلى حرة ثم قال: أترون لم شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمنا، قال: مع ذلك لحاجة، إنكم تأتون أهل قوية لهم نوي بالقوان كنوي النحل، فلا تصوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم، قال قوضة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله.

وفي رواية أخرى: فلما قدم قوضة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر!

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله، فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذيفة، وأبا الرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر فقال ما هذه الأحاديث التي أفسيتم عن رسول الله في الآفاق. قالوا أئتهانا؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفلقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم ونود عليكم، فما فرقه حتى مات! راجع

الحديث 4865 من الكنز مجلد 5 صفحة 239 ومنتخبه مجلد 4 صفحة 61

وروى الذهبي أن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الرداء، وأبا مسعود الأنصلي، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله!

راجع تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 7 تؤجمة عمر.

وكان يقول للصحابة: ألقوا الرواية عن رسول الله إلا في ما يعمل به!

وجاء عثمان بن عفان فصعد المنبر ثم قال: لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر!

راجع منتخب الكنز بهامش مسند أحمد مجلد 4 صفحة 64

الصفحة 82

وروى الدرهمي: أن أبا ذر كان جالسا عند الجورة الوسطى، وقد اجتمع الناس يستفتونه فأتاه رجل، فوقف عليه ثم قال: ألم

تنته عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال:

لرقيب أنت علي؟! لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعت من رسول الله قبل أن

تحيزوا علي لأنفذته. راجع سنن الدلمي مجلد 1 صفحة 132 ، وطبقات ابن سعد مجلد 2 صفحة 354 بترجمة أبي ذر، واختره البخاري، وأورده في باب العلم في صحيحه مجلد 1 صفحة 161.

وروى الطوي في حوادث سنة 51 مجلد 2 صفحة 112 - 113 ومجلد 2 صفحة 38 ، وابن الأثير في مجلد 3 صفحة 103 : أن معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة 41 ، ثم دعاه وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تتركها اعتمادا على بصوك، ولست تتركها إيصاءك بخصلة، لا تتوك شتم علي وذمه، والتوحم على عثمان، والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي، والإقصاء لهم، والإطراء لشعبة عثمان، والإنداء لهم!

وروى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن بوئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي قباب وأهل بيته! برواية ابن أبي الحديد في شوح النهج، راجع معالم المدرستين صفحة 48 وما قبلها.

ولعدم توجه السلطة هذا، رويت أحاديث عن رسول الله رواها مسلم، والدلمي، وأحمد، مفادها أن رسول الله أمر المسلمين أن لا يكتبوا عنه، ومن كتب شيئا فليمحاه، لأنه لا يريد كتابا مع كتاب الله! راجع صحيح مسلم مجلد 4 صفحة 97 وسنن الدلمي مجلد 1 صفحة 119 ومسنند أحمد مجلد 3 صفحة 12 و 39 و 56 ولكن، إذا كان الرسول منع كتابة حديثه، فلماذا كتب المسلمون حديثه!!؟

الجواب جاهز: لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الزمان!! ومن الذي يملك صلاحية تغيير الحكم الإلهي!!؟ ومن الذي أعطاه هذه الصلاحية!!؟ ومتى أعطيت؟

الصفحة 83

7 - سويان قار محاصرة أقوال النبي لمدة قرون من الزمان!

ظل حديث النبي لا يكتب ولا يدون طوال عهد الصحابة، وصووا كبارا من عهد التابعين، إلى أن حدث التنوين في آخر عهد التابعين حين خيف الدروس وأسوع في العلماء الموت! عندئذ أمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر الخومي... وقال مالك في الموطأ: إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم: أن انظر ما كان من أحاديث رسول الله أو سنته، فاكتبه لي، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء... وكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، فجاء يزيد بن عبد الملك فعزل أبا بكر، وتوقفت حركة التنوين إلى أن تولى هشام بن عبد الملك سنة 105 هـ فجد في هذا الأمر ابن شهاب الزهري، بل قالوا إنه أكرهه على تنوين الحديث، لأنهم كانوا يكرهون كتابته، ولكن لم تلبث هذه الكراهية أن صلت رضا، حيث كانوا يتحرجون من كتابة الحديث بعد أن مضت سنة من كان قبلهم من الصحابة على عدم تنوينه. راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة 258 - 261 بتصريف، وراجع معالم المدرستين مجلد 2 صفحة 44

السلطة هي التي منعت كتابة أحاديث رسول الله حتى مضت مدة 95 سنة على وفاة الرسول، ثم بدى لهذه السلطة أن تسمح بكتابة أحاديث رسول الله، عن الزهري قال: كنا نكوه كتابة العلم حتى أكوها عليه هؤلاء الأعراب، فأينا أن لا نمنعه أحدا من

المسلمين. راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة 262

8 - لولا قادة التزيخ السياسي وشيعتهم

لو أن أبا بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم لم يفوضوا تلك الوقاية الصلومة على كتابة أحاديث رسول الله وتداولها، كما أثبتنا ذلك، ولم يمنعوا الناس من كتابة تلك الأحاديث، كما وثقنا، ولم يمنعوا رواية تلك الأحاديث، كما أوضحنا، ولم يبألغوا برفع شعار حسينا كتاب الله كما هو ثابت ومعلوم علم اليقين، ولو لا تفريقهم بين ما صدر عن الرسول وهو في حالة غضب، وما صدر عنه وهو في حالة رضا، وتلك أمور

الصفحة 84

اعتبروها من لولم الحفاظ على النولة وعلى وحدة الأمة... لولا ذلك لاختلقت الصورة تماما، وكان بيان النبي كاملا

بجانب اللوآن!

(لو أن أحاديث الرسول كانت قد كتبت عندما كان ينطق بها، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى على الأقل، وحفظ ما كتب على وجه الدهر منها، لتلقاها الناس كما تلقوا كتاب الله بغير بحث في صحتها، ولا تنقيب عن حقيقتها، ولكن عدم تنوينها في عهد صاحب الرسالة وأصحابه، وإثباتها من ناحية الرواية قد أؤم العلماء أن يبحثوا في أمرها، لكي يعرفوا الصحيح، والموضوع منها). راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة 273 لمحمود أبو رية.

طوال 95 عاما وأحاديث النبي محاصوة رسميا، لا تكتب، ولا تروى ولا تداول...

طوال هذه المدة، وشعار (حسبنا كتاب الله) يتوسخ ويتوطد، حتى ألقى في روع الناس، أن كتاب الله وحده يكفي، وبمعنى أن بيان النبي للوآن أمر ثانوي، حتى تحول هذا التوجه إلى سنة توسخت في النفوس، فصلرت تأبى سواها، إلا من رحم ربي! وعندما آلت الأمور إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، أرك خطورة ما جرى وما يجري من إهمال البيان المحمدي، فكلف واليه على المدينة أبا بكر الحزمي بأن ينظر ما كان من سنة أو حديث فيكتبه لأنه وبتعبوه (فإني خفت دروس العلم، وذهاب أهله) كما ذكر مالك في الموطأ، وعندما آلت الأمور إلى يزيد بن عبد الملك عزل الحزمي، وفتوت فكرة الكتابة، حتى جاء هشام بن عبد الملك فأحياها. فقبلوا مكهين!

9 - المناخ الذي جرى فيه تنوين الحديث

أحاديث مضى على محاصوتها 85 عاما، وصورت عن صاحب الرسالة من مدة 85 عاما، وطوال هذه المدة وهي محظورة رسميا، وفجأة خطر ببال السلطة الإسلامية أن تنون هذه الأحاديث تنوينا، يحفظ تلك الأحاديث ولا يمس بأولئك الذين حاصروها، ولا بشيعتهم وأوليائهم، ولا ينال من هيبية السلطة القائمة، ولا يؤثر على أمنها، ولا يقوي شوكة معرضيها، أو الطاعنين بشوعيتها.



وهنا تنثور أكبر المشكلات وهي: كيف يمكن تذكر أقوال صدرت من صاحب الرسالة قبل 95 عاما!!؟ كيف يمكن نقل هذه الأقوال باللفظ والمعنى معا!!؟ يتعذر عمليا ذلك!! بل ويستحيل، لكن حملة التذكّر والتتوين تدعمها السلطة نفسها، ومن المستحيل أن تتوقف، لأن قرار السلطة بالتتوين قد صدر، وتغلب الناس على سنة المنع التي دامت 95 عاما.

10 - كيف سد قادة التريخ السياسي الفواغ الحقوقي

من المسلمات أن المنظومة الحقوقية الإلهية تتكون من مقطعين: كتاب الله المتول.

ونبي الله المرسل بذاته وقوله وفعله وتقوره.

وهنا يثور سؤال كبيرة: كيف أمكن تطبيق الشوع الإسلامي بشقيه هذين في غياب أحاديث النبي؟ ألم يشعر الخلفاء بالفواغ القانوني؟ كيف أمكنهم وضع قواعد حقوقية بدلا من القواعد القولية النبوية؟ خاصة مع حالة الإبعاد التي فوضها على آل محمد، فغاب الآل الكرام عن مسوح الحياة السياسية عمليا.

ولكن التعجب يزول، وحدة التسؤلات تخف إذا أركنا أن الخليفة هو القائم مقام النبي من الناحية الفعلية، فما يقوله الخليفة نافذ سياسيا وحقوقيا! إن ولاية العهد شوعت ووضع موضوع التنفيذ رسميا وأصبحت شوعية بفعل أبي بكر وعمر، فالسلطة طوال التريخ أنكرت أن رسول الله قد عهد لأحد، ولكن الذي جعل ولاية العهد مشروعة هو فعل أبي بكر عندما عهد لعمر، وفعل عمر عندما عهد عمليا لعثمان، ثم أصبح العهد عملا شوعيا بسبب فعل هذين الخليفين!

قال ابن خلدون في مقدمته صفحة 177 : إن الإمام الخليفة ينظر للناس في حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمرهم... إلخ. لكن ابن خلدون لا يبين لنا لماذا لم ينظر رسول الله للناس بعد وفاته، ولم يقيم لهم من يتولى أمرهم!!!

ولقد أركت السلطة وشيعتها خطورة مثل هذه التسؤلات فدعمت فعل الخلفاء بما سمي إجماعا. وعهد أبو بكر لعمر أمام الصحابة ولم يعترض عليه أحد، بمعنى أن فعل أبي بكر يسنده الإجماع، علاوة على حقه الثابت بأن يقيم للناس من يتولى أمره، فمن يشك بهذا الحق فإن الإجماع يدخله اليقين، وقول الرسول حق: لا تجتمع أممي على ضلالة ويد الله مع الجماعة... إلخ.

وسوى أن بإمكان الخليفة أن يبين القوان، وأن يضع هذا البيان موضع التطبيق بغض النظر عن كون هذا البيان قائما على الظن والتخمين أو الجزم واليقين، بل وبإمكانه أن يعمل عكس ما عمل الرسول، فإذا زرع الرسول بين الناس بالتسوي، فبإمكان الخليفة أن يعطي الناس حسب منزلهم لا بالتسوي، وإذا حدد القوان وجهه صوف الصدقات فبإمكان الخليفة أن يلغي وجهها من هذه الوجه، كما فعل الفاروق حيث ألغى نهائيا سهم المؤلفلة قلوبهم، بحجة أن الله أعز دينه ولا حاجة لتأليف القلوب

بالمال... إلخ. فمن هذه الناحية وأمام قوة الخليفة على التصرف والإبداع، فلن يكون هنالك فراغ حقوقي أو قانوني. ولكن مع ذلك وبالضرورة ستحدث تصرفات، أو أفعال، أو حالات تحتاج للحكم الشرعي، فإذا عرف أولو الأمر الحكم الشرعي حكموا به، وإن لم يعرفوا فإن الأحداث لن تتوقف حتى يعرفوا الحكم الشرعي، فبالضرورة أيضا لا بد من حكم يتصدى لهذه الحادثة أو تلك، فيصبح لزاما على أولي الأمر وشيعتهم أن يجنوا حكما ما، وطالما أنهم لم يهتوا إلى الحكم الشرعي الإلهي، فلا بديل أمامهم من خيلين:

1 - إما أن يرجعوا إلى علي بن أبي طالب بوصفه (مدينة العلم اللدني) وبوصفه (وليهم وولي كل مؤمن ومؤمنة) ورجوعهم إليه لمعرفة الحكم الشرعي تأكيد لحقه بالولاية، وهز من الأعماق لنظام النولة وهذا ما لا يقبله حاكم عاقل ولا يرضاه لأمره، لأنه لو فعل ذلك لسحب بساط الشرعية من تحت أقدامه!

الصفحة 87

2 - أو أن يعملوا بالوأي حسب مبلغهم من العلم بروح الشريعة. وقد سموا العمل بالوأي تأويلا، ثم سموه اجتهادا، وبقوة قادر صار العمل بالوأي مصورا من مصادر الشريعة!

11 - اثنان من علماء الأردن

الأستاذ فتحي الريني عالم جليل، كتب سلسلة من المقالات انتهى فيها إلى أن الاجتهاد فوض تكافلي، فتصدت بمقال نشرته جريدة اللواء الأردنية بعددها رقم 1018 بعنوان (مداخلة في ما أسماه الريني بفض الاجتهاد) وانتظرت، وطال انتظري، فأحجم فضيلته عن الرد.

وبعد طول انتظار كتب معالي الأستاذ رائف نجم مقالا عن الاجتهاد لم يخرج فيه عن ما ذكره الريني، والأستاذ النجم وزير أوقاف أردني سابق، ومن المحسوبيين على علماء الإسلام، فتصدت لمعاليه وكتبت مقالا نشرته جريدة اللواء الأردنية بعددها رقم 1026 ، وطال انتظرنا ولم يرد معاليه، وفسونا أن سكوتهم في معوض الحاجة إلى البيان، بيان وزيادة في الفائدة، وتكملة للموضوع أضع بين يدي عشاق الحقيقة النص الحرفي لمقالينا. بعد ذلك سيعرف طالوا الحقائق أية أو هام يتمسك بها علماء شيعة السلطة، ويتضح كيف أمكن سد الفراغ القانوني بالوأي.

12 - المقال الأول مداخلة في ما أسماه الريني بفض الاجتهاد

إن لم تخني الذاكرة فالأستاذ الفاضل الدكتور محمد الريني أحد أساتذتي ومشايخي الكرام، فقد تتلمذت على يديه قبل أكثر من عشرين عاما في جامعة دمشق، وحديثا على صفحات جريدة اللواء الغراء وأت له الكثير من حلقات بحوثه المتعمقة، والتي يتابعها بإصوار.

الصفحة 88

والتي تناولت ما أسماه بـفرض الاجتهاد، ومع عميق تقديري لمنهجية الأستاذ بالبحث، وترتيب الأفكار، مع كرم الجمل إلا أن لي ملاحظات جوهرية غالبتي فغلبتني، ولو اهتديت لعنوانه لهاتفته، ووضعت تلك الملاحظات بين يديه لعله يستفيد منها إذا ما لاح له على بصيص نورها أن يعدل من رؤيته حول هذا الموضوع.

وقد جمعت - بتشديد الميم - هذه الملاحظات على عجل من مؤلفات علماء منسرة أهل البيت الكرام، ومن علماء منسرة الخلفاء. وها أنا أضعها بين يديك وتحت تصرف اللواء الكرام لغايات محددة وهي الوقوف على المقصود الشرعي.

معنى الاجتهاد لغة

قال ابن الأثير تحت مادة جهد: الإجتهد بذل الجهد في طلب لأمر، وهو افتعال من الجهد لطاقة، وقال أبو حامد الغوالي: الإجتهد هو عبلة عن بذل جهد، واستواغ الوسع في فعل من الأفعال، ولا يستعمل إلا في ما له كلفة وجهد. راجع المستصفي من أصول الفقه مجلد 2 صفحة 101، والأحكام للآمدي مجلد 4 صفحة 141.

معنى الاجتهاد في الشوع الحنيف

معنى الاجتهاد شوعاً هو عين المعنى اللغوي فقد ورد عن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله... (أما السجود فاجتهدوا بالدعاء الجامع) صحيح مسلم كتاب الصلاة مجلد 207، ومسند أحمد مجلد 1 صفحة 219 وقوله (صلوا علي واجتهدوا بالدعاء). راجع سنن النسائي مجلد 1 صفحة 190 باب الأمر بالصلاة على النبي، ومسند أحمد صفحة 199 وقوله (فضل العالم على المجتهد ماءة تروجة). راجع سنن الدرمي مجلد 1 صفحة 100... إلخ.

خلاصة معنى الاجتهاد في اللغة والشريعة

يلاحظ أستاذي الكريم أنه طوال عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بل وحتى بعد وفاته، وامتداداً حتى آخر القون الأول الهجري كان الاجتهاد يعني بذل الجهد عموماً واستواغه، ولا

الصفحة 89

يخفى على مثلكم أن عهد النبي الواهر هو عهد التشريع فإذا كان الأمر كذلك، فمن الذي جعل الاجتهاد فريضة؟ ولو تركنا التقليد جانباً لوجدنا أن الاجتهاد في اصطلاح المسلمين هو الذي فوض الاجتهاد، حيث صار لفظ الاجتهاد في عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجتهد وسعة في طلب العلم بأحكام الشريعة، كما ذكر أبو حامد الغوالي في المستصفي، والآمدي في الأحكام مجلد 4 صفحة 141، وقد شاع هذا الاصطلاح لدى علماء منسرة أهل البيت الكرام بعد القون الخامس، كما ورد في كتاب مبادئ الأصول للعلامة الحلي.

انعدام الحاجة إلى الاجتهاد

مثل أستاذه الكريم يعلم علم اليقين أن الله تبارك وتعالى قد أتول القوان تبياناً لكل شيء على الإطلاق، وإذا كنا لم نلمس ذلك فلأن تغطية القوان بالبيان لكل شيء عملية فنية تماماً، فبالرغم من تحرك في علوم معينة إلا أنك لا تستطيع أن تجري جراحة للعين، ومن هنا اقتضت حكمته تعالى وجود (عبد) ليبين للناس ما أتول إليهم من ربهم، ولينقل الكتاب من الكلمة إلى الحركة، ومن النظر إلى التطبيق، نقلاً قائماً على الجزم واليقين لا على الفرض والتخمين.

وبالفعل قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه العملية عبر دعوة قادها بنفسه، ومن خلال دولة وأسها بنفسه. وبعد أن تم ذلك أعلن الله كمال الدين وتمام النعمة، ولأن عملية البيان مستورة إلى يوم القيامة عين الله موجعية فودية، وموجعية جماعية تساعد الموجعية الفودية، وأمر الناس باتباع الموجعية الفودية المختصة بالبيان، وأمر الموجعية الجماعية بمساعدة الموجعية الفودية، ثم انتقل إلى الوفيق الأعلى.

ومن هنا يتبين لأستاذه الفاضل أن الإسلام يتلخص شكلاً ومضموناً بكلمتين كتاب الله المقول، وبيان النبي لهذا الكتاب. والقياس الموضوعي لمعرفة المتقيدين بالإسلام هو الموالاتة، فلوزع مزاعم أنه مؤمن بالقوان، ومتبع لبيان النبي، ولكنه لا يريد أن يوالي النبي في عمه مردود عليه.

الصفحة 90

والخلاصة

أن عهد النبي عهد جزم و يقين، لا فرض وتخمين. وإن كتاب الله، وبيان رسوله غطيا ساحة كل شيء، والرسول نفسه لا ينطق عن الهوى، وقد عصمه الله. بينما الاجتهاد قائم على الفرض والتخمين، والمجتهد يخطئ ويصيب، وهذا غير وارد في حقه (صلى الله عليه وآله وسلم).

أسباب ظهور الاجتهاد

والنبي على فاش الموت أراد أن يلخص الموقف لأصحابه، وأن يؤمنهم ضد الضلالة تأميناً شاملاً فاجتهد بعض الصحابة، وقالوا: إن القوان وحده يكفيهم، وأنهم ليسوا بحاجة لهذا التأمين. وهكذا فصل الكتاب عن البيان، ولو كان هذا الفصل منتجاً لما كان هنالك داع لابتعاث الوسل، ولسد مسدهم نسخ من الكتب السماوية توصل بطريقة ما إلى المكلفين، هذا الفصل استدعى وجود مؤسسة للبيان فكان الاجتهاد، والحاكم هو الذي ينظر، فيختار منها ما يريد، والحاكم على الغالب كان هو الغالب بغض النظر عن دينه، أو علمه، أو سابقته!

وحادثة الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد من الوضوح، والثبات، والتواتر بحيث لا يقوى أستاذه الفاضل على إنكلها، فضلا عن الاعتذار عنها، وقد رواها أصحاب الصحاح.

تعميق مؤسسة الاجتهاد

وتعمقت مؤسسة الاجتهاد يوم أن أعلن رسمياً منع الحديث عن الرسول، وأن القرآن وحده يكفي. فقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ بت ترجمة أبي بكر (رضي الله عنه) مجلد 1 صفحة 2 - 3 أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه!

الصفحة 91

وسار الفاروق (رضي الله عنه) على هذه السياسة، فقد روى ابن سعد في طبقاته أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأشد الناس أن يأثوه بها، فلما أئوه بها أمر بتفريقها. راجع مجلد 5 صفحة 140 من طبقات ابن سعد بت ترجمة القاسم بن محمد بين أبي بكر، وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 7 ترجمة عمر أن عمر (رضي الله عنه) حبس ثلاثة لأنهم أكثروا الحديث عن رسول الله.

ويجدر بالذكر أن قوينا كانت تنهى عن كتابة أحاديث رسول الله حتى وهو حي، كما روى عبد الله بن عمرو بن العاص، وجاء عثمان (رضي الله عنه) فسلك نفس النهج حيث سعد على المنبر وقال: لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر، راجع منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد 4 صفحة 64 ولا يخفى على أستاذي الفاضل بأن أول من دون الحديث رسمياً، هو ابن شهاب الزهري بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز. التأويل هو الغطاء الذي أضفى على الاجتهاد ثم اختفى التأويل، وورثه الاجتهاد وحتى لا يطول بنا المقام أتمنى على أستاذي الكريم أن يقرأ في لسان العرب مادة أول، ومادة أول في الصحاح، ومادة أول في نهاية اللغة لابن الأثير، وأن راجع صحيح البخاري كتاب الآداب - باب من أكفر أخاه من غير تأويل، على هامش فتح البلي مجلد 13 صفحة 129 - 130 وأن يطلع على شرح باب ما جاء في المتأولين من فتح البلي، عندهما سيقن أستاذي الكريم أن التأويل سابق بوجوده للاجتهاد، وسيلاحظ القاعدة التي وضعها، قال العلماء: كل متأول معنور بتأويله وليس بآثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم.

النتائج المذهلة للاجتهاد

القاتل في الجنة، والمقتول في الجنة كلاهما على حق! قال ابن حزم في الفصل مجلد 4 صفحة 161 عمار بن ياسر قتله أبو الفادية، فأبو الفادية الذي قتل عملاً متأول مجتهد مأجور أجراً واحداً!

الصفحة 92

وقال ابن حجر في الإصابة مجلد 4 صفحة 151 في ترجمة أبي الفادية: قاتل عمار والظن بالصحابه في كل تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر!

وقال ابن حزم في المحلى وابن الترمذاني في الجوهر النقي: ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم

قاتل الإمام علي لم يقتل عليا إلا متؤلاً مجتهداً! مع أن ابن ملجم هذا ليس من الصحابة، ووفق هذا الخريج فإن قاتل الإمام علي مأجور أجزوا واحدا!

وفي هامش الصواعق المحرقة صفحة 206 قال الشيخ عبد اللطيف: المقاتل مع علي، أو عليه، أو المعقول لا يخرج بما وقع منه عن العدالة!

وقال ابن كثير في تزيخه مجلد 8 صفحة 228 ما ملخصه: أن يزيد تأول فأخطأ! مع أن يزيد هذا هدم الكعبة المشرفة، وأباد النزية المبركة!

وقال ابن تيمية عن معاوية: إنه كعلي بن أبي طالب في ذلك، أي مجتهد! راجع منهاج السنة مجلد 3 صفحة 261 و 275 و 366 و 284 و 286 و 290

وقال ابن كثير: معاوية مجتهد مأجور إن شاء الله! راجع تزيخ ابن كثير مجلد 7 صفحة 279... إلخ. وغوها من مئات الاجتهاد التي تضيق بها المجلدات.

معالم على طريق البحث

لا يخفى على أستاذي الكريم أنه كان في تزيخ هذه لأمة حكم وحكام قد تغلوا، وطالت لزمان غلبتهم، وأصبحت الغلبة هي السند الشعري لوجودهم، بحكم الاجتهاد، فشايعتهم أكثرية الأمة، وابتغت موضاتهم رغبة أو رهبة، فبررت فعلهم بحكم الغلبة والتبعية، وبحكم الاجتهاد، ونتيجة ذلك كله: تكونت رؤى وتأويلات واجتهادات استقرت بحكم التكرار، وزينة الإعلام، وضغط الحادثات التلخيصية، ولاحت تلك الرؤى والتأويلات كأنها جزء من المنظومة الحقوقية الإلهية، وقد سخر الحكام ومن شايعهم كل وسائل الإعلام الرسمية لتوسيعها وإثباتها، فنقبلناها بعد مئات السنين بقبول حسن، لأنها من توكة الغالب الذي قهر كل خصومة!

الصفحة 93

وواكب ذلك بالضرورة وجود معارضة لهذا التيار الهادر بغض النظر عن قلتها أو كثورتها، وكانت محجمة بالضرورة، لأن زورقها يجري ضد التيار العام والتلميح عن ذلك يغني أستاذي الفاضل عن التصريح وأخطر ما يتعرض له الباحث عن الحقيقة هو الوكون التام لأحد هذين الموردين، فلا بد من أخذ وجهة نظر كل منهما بحذر، وعناية، ودقة، وموضوعية تامة في كل مسألة من المسائل، تمهيدا لتكوين رؤية علمية عامة، ودقيقة، ومتكاملة. وبعد ذلك وزنهما بميزان الشوع الحنيف بمعناه الدقيق تمهيدا لاستجلاء كليات وتفاصيل تغطية البيان الإلهي لكل شئ وعلى الإطلاق.

ما لا بد منه

حتى لا نبحت عن الحلقة في صواء، أو عن النجم في سماء، لا بد من البحث عن المرجعية لأنها توفر بتوجيهاتها عناء البحث عن هذه الحلقة، وتؤشد مسوة العقل البشوي، وتدلنا على أقصر الطرق للوقوف على الحقيقة المجردة، وتقدم لنا كل

ذلك أجوبة قائمة على الجزم واليقين، ويكفي مؤسسة المراجعة شرفاً أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هو المرجعية الأولى في الإسلام، وقد لا يخفى على أستاذي الكريم أن أسباب فرقة الأمة تكمن في تعدد الموجهيات، وتعدد اجتهاداتها القائمة على الفرض والتخمين. وهذا موضوع لطول غوبته يتصوره العلماء العرب مع خطورته كأنه ضوب من الأوهام.

استنفار

وأستاذي الكريم بحكم تعدد شهاداته العلمية، وبحكم توغره للبحث والرواسة والتريس، وبحكم إصوره على ذلك، ومتابعته له مؤهل لبحث هذا الموضوع تفصيلاً بسلسلة من الحلقات يحدد إطلها العام، وتأخذ شكل المداخلات مع حوار متحضر منتظم يستفيد منه العامة والخاصة، واللواء برئاستها الجليلة المتبصرة لن تضيق بذلك بل ستفتح صوها الوحيب له، وتوضعه من أئدائها الدرّة، وتحشد لإنجاحه صفة العلماء.

الصفحة 94

وبالختام أعبر عن عاطر تقديوي، وأخفض جناحي لأستاذي الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على النبي وآله.

13 - المقال الثاني الاجتهاد بين الاختلاف والائتلاف

الاجتهاد عند الدريني ونجم قبل أسابيع قأت في جريدة اللواء الغواء مقالا للأستاذ فتحي الدريني رأى فيه أن الاجتهاد فرض وضرورة فتح أبواب الفوج والائتلاف على المسلمين، ورددت عليه بمقال قلت له فيه قولاً لنا، لعله يبين لنا كيف أصبح الاجتهاد فوضاً، ومن الذي فوضه، ومتى فوض، وقدمنا بين يديه معنى الاجتهاد لغة، ومعناه اصطلاحاً، ولمحنا له بأن المنظومة الحقوقية الإلهية غطت ببيانها مساحة كل شئ، تبياناً لكل شئ، ووثقنا المعنيين بالمراجع اللغوية التي تثبت صحة ما ذهبنا إليه. ولم أكتف بذلك، إنما سقت من النصوص الشوعية ما يؤكد وحدة المعنيين اللغوي والاصطلاح، وأثبت أن اصطلاح الاجتهاد بالمعنى المتعارف عليه بين علماء المسلمين لا سند له ولا أساس له في الشوع الحنيف، وبالتالي فإن الاجتهاد هو بعينه الذي فرض اصطلاح الاجتهاد.

وبعد جريدة اللواء الغواء الصادر بتريخ 12 / 23 / 1992 وعلى الصفحة الرابعة منها قأت مقال معالي الأستاذ رائف نجم حول الاجتهاد، ومعاليه أشهر من أن يعرف، فقد استوزر أكثر من مرة، وكان في إحدى العوات وزوا للأوقاف، تلك الوزارة التي أخذت على عاتقها - وبدون تفويض قانوني - مهمة قيادة الفكر الإسلامي وتوشيده، ثم أصبحت هذه المهمة حقا مكتسبا لها من دون الناس.

وأخلص إلى القول أن رأي الأستاذ نجم يمثل بالمولين الرسمية أعلى مراتب الفكر الإسلامي في الأردن، مما يجعل للحوار معه نكهة خاصة ذات معنى وفائدة وشمولية، وهو يدعو إلى سعة الصدر والاتساع بالرأي المخالف، ووى أن الاجتهاد ضرورة لتقرب الحركات الإسلامية... إلخ.

أمنية قد لا تتحقق

تمنيت على الأستاذ الربيني لو فتح لنا مغاليق علمه ينتفع الناس بهذا العلم، وليقودهم كما يفعل قادة الفكر، إلى الحقائق الشرعية المجردة، ولكن الربيني أطال الله بقاءه صمت، وطال صمته، حتى سلورتنا الظنون على صحته الغالية، وقد تأكدنا أنها بالكمال والتمام، فلاح لنا أنه يبحث ويدقق ويحقق بالمراجع التي أشرنا إليها...
ورجو أن لا يطول صمته وأن يخرج علينا، ويضع النقاط على الحروف، فيتحرك مع معالي الأستاذ النجم الذي أعلن الحاجة إلى بحث هذا الموضوع والحوار فيه... إلخ.

حجة معاليه حول شوعية الاجتهاد

يقول الأستاذ النجم بالحرف: وإنني أورد الحقائق التالية التي تثبت ضرورة الاجتهاد... ثم أورد الحديث عن معاذ بن جبل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما بعثه إلى اليمن...
ونسب فيه إلى النبي أنه سأله كيف تقضي قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال معاذ: أجتهد وأبي، قال النبي: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله...
نسي الأستاذ النجم أن يكرر (رسول) مرة ثانية ثم ذكر الآية الكريمة: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنزلتم في شئ فودعه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ثم أورد تأكيدات أصحاب المذاهب الأربعة بأن العروة كتاب الله وسنة رسوله وأنهم بشر، وهذا مبلغهم من العلم، وأنهم نهوا عن التقليد... إلخ.
هذه الأمور وأي معاليه تشكل مستندا شوعيا للاجتهاد، وأتمنى لو يتذكر معاليه أية مستندات شوعية أخرى حتى يكون ردي شاملا.

نسف الحديث

في الإحكام لابن خزم مجلد 5 صفحة 763 - 775 مطبعة العاصمة بالقاهرة ناقش ابن خزم موضوع الاجتهاد ثم قال:
وأما خبر معاذ، أي الحديث الذي احتج به معالي

النجم، فإنه لا يحل الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنه لم يرو قط إلا من طريق الحلث بن عمرو، والحلث هذا مجهول لم يرو أحد من هو، وقال البخاري في تزيخه الأوسط:
ولا يعرف الحلث إلا بهذا الحديث ولا يصح، ثم إن الحلث هذا روى عن رجال من أهل حمص لا يبري من هم، ثم إنه

لم يعرف قط في عصر الصحابة ولا ذكره أحد منهم، ثم إنه لم يعرف في عصر التابعين حتى أدخله أبو عون وحده فيمن لا يبري من هو، فلما وجده أصحاب الرأي عند شعبة طاروا به كل مطار وأشاعوه في الدنيا وهو باطل لا أصل له. وقال ابن حزم: ووهان وضع هذا الخبر وبطلانه هو أن من الباطل الممتنع أن يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله، وهو يسمع قول ربه تعالى (واتبعوا أحسن ما أوتى إليكم من ربكم) وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) مع الثابت عنه عليه السلام من تحريم القول بالرأي في الدين... إنتهى كلام ابن حزم.

وأضيف على ما قاله ابن حزم: ومن الممتنع عقلاً أن يصدر هذا عن رسول الله وهو يسمع قوله تعالى (وتولنا عليك الكتاب تبييناً لكل شئ) 89 النحل، ويسمع قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الجاثية آية 18.

وبالرغم من أن رواية هذا الحديث نكوات، ولا وجود لهم على الإطلاق، وبالرغم من أن الحديث موضوع، وباطل ومخالف لكتاب الله وسنة رسوله، لكنه يدرس في المدارس والجامعات الأردنية والعربية، لأنه يخدم ما تهوى الأنفس.

والآية لا تتجد معاليه

والآية الكريمة التي استشهد بها معالي الأستاذ لا علاقة لها بالاجتهاد لا من قريب ولا من بعيد، فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنزلتكم في شئ فربوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم

الآخر

الصفحة 97

ذلك خير وأحسن تأويلاً) هذه الآية الكريمة لا علاقة لها بالاجتهاد لا من قريب ولا من بعيد، بل وتفيد عدم ضرورته وعدم جنواه، فعندما يقع التنوع ورجع المتلوعون للحكم الشوعي المبين في كتاب الله الذي أوجد حكماً لكل شئ على الإطلاق، وتولى الرسول بيان هذا الكتاب، ونقله من النظر إلى التطبيق ومن الكلمة إلى الحركة.

فالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وهي المنهج الفود لحل الخلافات وسيادة الشوعية أو ما يسمى بمبدأ سيادة القانون.

اشتباه على معاليه

ربما تصور الأستاذ الكريم أن أولي الأمر هم المجتهون، وأنهم هم أهل الذكر، وهذا تصور لا يسعفه إلا الاجتهاد، فأولو الأمر هم أهل البيت الكرام وإن كنت في شك مما ذكرنا فيمكنك الرجوع إلى تفسير هذه الآية في ينابيع المودة للقنذري الحنفي صفحة 134 و 137 المطبعة الحيدرية و صفحة 114 و 117 مطبعة إسلامبول وشواهد التنزيل للحاكم الحنفي مجلد 1 صفحة 148 حديث 202، 203، 204 وتفسير الرزي مجلد 3 صفحة 357 وإحقاق الحق للتستوي مجلد 2 صفحة 424 وفوائد السمطين مجلد 1 صفحة 314 مجلد 25 وهذا كله على سبيل المثال، وإن أردت الزيادة زدناك بسخاء.

أما أهل الذكر فهم أهل البيت الكرام أيضا وليتأكد معاليكم يمكن التلطف براجعة شواهد التترييل للحاكم الحنفي مجلد 1 حديث 459 و 460 و 464 و 465 و 466 وينابيع المودة للقننوزي الحنفي صفحة 51 و 140 المطبعة الحيدرية و صفحة 46 و 119 مطبعة إسلامبول وتفسير القوطبي مجلد 11 صفحة 272 وتفسير الطوي مجلد 14 صفحة 109 وتفسير ابن كثير مجلد 2 صفحة 570 وروح المعاني للآلوسي مجلد 14 صفحة 134 وإحقاق الحق للتسوي مجلد 2 صفحة 482... هذا على سبيل المثال أيضا.

وما يؤكد أنهم أولو الأمر، وأهل الذكر أن الهداية لا تترك بعد النبي إلا بالقآن وبهم معا، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالقآن وبهم معا، فهم أحد الثقلين بالنص، وإن كنت في شك من ذلك فرجع مشكورا إلى صحيح التومذي مجلد 5 صفحة 328

الصفحة 98

حديث 3874 وجامع الأصول لابن الأثير مجلد 1 صفحة 187 حديث 65 والمعجم الكبير للطواني صفحة 137 ومشكاة المصابيح مجلد 2 صفحة 258 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة 114 والفتح الكبير للنبهاني مجلد 1 صفحة 503 ومجلد 3 صفحة 385 والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 147 و 226 والمعجم الصغير للطواني مجلد 1 صفحة 135 ومقتل الحسين للخرارزمي مجلد 1 صفحة 104 والطبقات الكرى لابن سعد مجلد 2 صفحة 194، وخصائص النسائي صفحة 21

ومجمع الزوائد للهيتمي مجلد 5 صفحة 195 ... ولولا الرغبة بالاختصار لذكرت لك 192 مرجعا.

لا ضرورة للاجتهاد في الإسلام

فالثابت يقينا أن الله قد أتول الكتاب تبيانا لكل شئ بدليل قوله مخاطبا نبيه (وتولنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) والمقصود بكل شئ كل شئ على الإطلاق، والثابت يقينا أن الله قد أكمل الدين وأتم النعمة على المسلمين، والثابت يقينا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وبين القآن كله ونقله من النظر إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة بالتصوير الفئي البطئ صوتا وصورة وحركة عبر دعوة قادها بنفسه ومن خلال دولة تأسها بنفسه، فبيان القآن هو المهمة الأولى للنبي.

وباختصار فإنه لا خلاف بيني وبينك بأنه لا ضرورة للاجتهاد في عصر النوبة لأن الإسلام - والله المثل الأعلى - بمثابة صيدلية كرى، تحوي نواء لكل داء على الإطلاق، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القائم علينا، فهو بفضل الله عليه يشخص تشخيصا يقينا كل داء ويصف وصفا دقيقا قائما على الجزم واليقين كل نواء، أو إن شئت فقل: المنظومة الحقوقية الإلهية، غطت بالكامل مساحة كل شئ، الأهداف العامة والخاصة، ووسائل بلوغ هذه الأهداف وأحاطت بالماضي وتمكنت من الحاضر ورسمت صورة يقينية للمستقبل، فهي كاملة وشاملة ولا تقصير فيها أبدا.

الصفحة 99

وآية ذلك أن مجموعة التشريعات النافذة في الأردن تغطي بالكامل حاجة الأردن كمجتمع وكدولة من الأحكام، فما من قضية على الإطلاق تعرض في محاكم الأردن إلا ولها حكم قانوني، وما من تصرف يقوم به الشخص سواء أكان طبيعياً أو اعتبارياً إلا وله حكم في القانون، وكذلك الأمر في كل الدول العربية، ودول العالم الثالث، والدول الكوى، وأي دولة في العالم كله على الإطلاق، مع أن هذه التشريعات وضعية ومن صنع البشر، والقضاة والحكام لا يحتاجون للاجتهاد إلى ملكات خاصة وقوة فنية معينة، فهل معنى ذلك أن التشريعات الوضعية أكثر شمولية وكمالاً من التشريع الإلهي؟

كيف نشأ الاجتهاد

كانت مهمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منحصرة ببيان الوآن، وتكوين قيادة سياسية مثلى وأمة مثلى تضع تحت تصرف الجنس البشري نموذجاً أمثل للحكم الإلهي، وتسعى هذه القيادة ومن ورائها الأمة لتعميم هذا النموذج على الجنس البشري كله، وعبر دعوة دامت 13 عاماً قادها النبي بنفسه، تمخضت عن دولة ترأسها النبي بنفسه ودامت عشرة سنوات ونقل الإسلام من الكلمة إلى الحركة.

وانتهت مهمة النبي بعد أن بين كتاب الله، ووضع تحت تصرف الجنس المنظومة الحقوقية الإلهية كاملة غير منقوصة، وهي تتكون من مقطعين: نبي الله بذاته، وقوله، وفعله وتقوره. وكتاب الله المتول عليه. وكل شئ على الإطلاق مبين، ومضبوط، ومحدد تحديداً دقيقاً، وهذه المنظومة هي بمثابة القوانين النافذة في المجتمع، ولأن عملية بيان الوآن واستخراج الأحكام وتطبيقها عمليات فنية واختصاص، فقد عين النبي بأمر من ربه هذه الجهة المختصة بالبيان واستخراج الأحكام وتطبيقها، وقدمها للأمة على أنها الأفضل، والأعلم، والأفهم بالمقاصد الشرعية والأخلص لدين الله، والأرف بخلق الله، وتلك أمور خفية لا يعلمها إلا الله، وحتى لا يساور العباد شك، فقد جعل الصلاة على هذه الفئة جزءاً من الصلاة المفروضة، فلا تقبل صلاة مسلم

الصفحة 100

على الإطلاق ما لم يصل على هذه الفئة في كل صلاة، ونعني بهم آل البيت الكرام:.

فبيان آل البيت، واستخراجهم للأحكام، وتطبيقهم لها قائم على الجرم واليقين.

ولكن هذا الضبط والتحديد والاختصاص يتعرض بالكامل مع الصيغة السياسية الجاهلية التي سكنت واستوت في النفس العربية قبل الإسلام، والقائمة أصلاً على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل، فإذا كانت النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه، فلا ينبغي أن تكون القيادة الهاشمية والموجعية الهاشمية للأمة بعد النبي قرواً أيضاً، ونتيجة هذا التأثير والتفكير تم استبدال هذه الموجعية الشرعية بديلة تتوفر فيها كل صفات التقوى والفلاح ولكنها باختصار غير مختصة.

وإن كان معاليكم بشك من هذا يمكنه مشكورا مراجعة الكامل في التريخ لابن الأثير مجلد 3 صفحة 24 وشرح النهج لعلامة

المعتولة ابن أبي الحديد مجلد 3 صفحة 107

وقد أخرجه الإمام أحمد أبو الفضل ابن أبي الطاهر في تريخ بغداد ومجلد 2 صفحة 67 من شرح النهج ومجلد 2 صفحة

253 - 254 من مروج الذهب للمسعودي وكتابتنا المرجعية السياسية في الإسلام طبعة بيروت صفحة 278 - 279... إلخ.

وكان هذا التبديل أول ثورات الاجتهاد. ودار الزمان ثورته وانتقل الأتقياء إلى جوار ربهم فألت القيادة والمرجعية للغالب!

فالغالب هو الذي يبين الدين ويستخرج الأحكام ويطبّقها وينظر باجتهادات المجتهدين فيعتمد ما شاء منها.

فالغالب هو المروج بغض النظر عن دينه أو علمه أو تقواه أو فسوقه. وإن كنت في شك من هذا فاقوا - مشكورا - على

سبيل المثال الأحكام السلطانية صفحة 7 - 11

لقاضي القضاة أبو يعلى حيث تجد فيه بالحرف: من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، لا يحل لأحد

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يببّيت، ولا يراه إماما ولا كان أم فاجرا...

وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم:

تكون الجمعة مع من غلب.

الصفحة 101

وقال النووي في مجلد 12 صفحة 229 في شوحه على مسلم وسنن البيهقي مجلد 8 صفحة 158 - 159: قال جماهير

أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزول الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحدود ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل

تجب طاعته،... والخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كان فسقة ظالمين، انتهى قول النووي والبيهقي.

هذه ثروة من ثورات الاجتهاد مع وجود النص، لأن هذا الغالب لا يعرف النص أو لا يتلاءم النص مع ما تهوى نفسه، لذلك

فإنه يلجأ إلى القول بالوأي أو الاجتهاد.

أول اجتهاد في التاريخ الإسلامي في بيت النبي والنبي الكريم في بيته مريضا يجلس على فاش الموت، وجبريل الأمين لا

ينقطع عن زيارته، والنبي على علم بمستقبل هذه الأمة، وقد أدى دوره كاملا وبلغ رسالات ربه، وبين للمسلمين كل شيء على

الإطلاق وهو على علم تام بما يجوي حوله، وممرك أنه السكون الذي يسبق العاصفة، والصمت الذي يسبق الانفجار، فإذا

ثلثت العاصفة، وحدث الانفجار ستنتسف الشرعية السياسية، ونسفها سيحرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي

للدعوة والنولة معا، ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة ولا يسكت حتى يحدث الانفجار، ولا يقعه شيء عن متابعة

إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة، وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة والبيان الإلهي الشامل لكل شيء تحتاجه إلا

أنه أراد أن يلخص الموقف لأمتة حتى تهتدي بعده ولا تضل، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت

النبي لتفتح أشداقها، لتعكر صفو الإسلام، وتعيق حركته وتغير مساره.

بيت النبي يغص بعواده من أكابر الصحابة، فاعتنم النبي الفرصة ورأد أن يلخص الموقف لأمتة، فقال (قروا أكتب لكم

كتابا لن تضلوا بعده أبدا).

ما هو الخطأ بهذا العرض النووي؟ من يرفض التأمين ضد الضلالة؟ ولماذا ولمصلحة من؟

الصفحة 102

ثم إن من حق كل مسلم أن يوصي، ومن حق كل مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته، والذين يسمعون أقواله أحوار في ما بعد بإعمال هذا القول أو إهماله.

هذا على افتراض أن النبي مجرد مسلم ومواطن عادي وليس نبيا وقائدا للأمة، وهذا افتراض مرفوض أصلا.

الجواب على العرض النووي

فاختصم الحاضرون، واختلفوا، قسم يقول قروا يكتب لكم رسول الله، والقسم الآخر يقول: الرسول قد اشتد به الوجد حسبنا كتاب الله، فصدموه خاطره الشريف بعبارة هجر، يهجر، وقال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي تتلوع، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه... فواجه النبي نفسه وخلص بنتيجة أن القوان وحده يكفي، ولا حاجة لأي شيء آخر حتى من النبي نفسه! وهذا أول اجتهاد في التلويح الإسلامي.

وقد سمي ابن عباس هذا اليوم بيوم الرزية، وقد أشار لهذه الحادثة البخاري في صحيحه كتاب الموضي - باب قول المريض قوموا عني مجلد 7 صفحة 9 وصحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد 5 صفحة 75 الإمام أحمد مجلد 4 صفحة 256 وشوح النهج لابن أبي الحديد مجلد 6 صفحة 51 وصحيح بخري مجلد 4 صفحة 31 وصحيح مسلم مجلد 2 صفحة 16 ومسند أحمد مجلد 1 صفحة 355 وتزيخ الطوي مجلد 3 صفحة 193 والكامل لابن الأثير مجلد 2 صفحة 220 ومجلد 4 صفحة 65 - 66 ومجلد 8 صفحة 161 وتذكرة الخواص للسبط ابن الجزي الحنفي صفحة 62، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغوالي صفحة 21، وشوح النهج لعلامة المعتولة ابن أبي الحديد مجلد 3 صفحة 114 سطر 27 الطبعة الأولى مصر وبيروت ومجلد 12 صفحة 79 سطر 3 بتحقيق محمد أبو الفضل ومجلد 3 صفحة 803 دار مكتبة الحياة ومجلد 3 صفحة 167 دار الفكر وراجع كتابنا المرجعية السياسية في الإسلام صفحة 287، وما فوق... إلخ.

الصفحة 103

إعتذار وتحد

فهل يتفضل صاحب المعالي وكل علماء الأردن، وأساتذة الجامعات فيها، وقائدة الفئات الإسلامية فينوا كلمة واحدة مما ذكرت، أو ينكروا موجعا واحدا من المراجع التي إليها أشرت، أو يعتنروا بأي عذر مقبول عن هذه الحادثة، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا بإذن الله فأعطوا المقادة إذا لمن أعطاه الله المقادة، وتوقفوا عن التقليد الأعمى، وعن الاجتهاد بالرغم من وجود النص، وعن اختراع الموجعيات البديلة بالرغم من وجود المرجعية الشرعية.

كيف تطور الاجتهاد، وفوض سلطانه على الحياة الإسلامية بعد وفاة النبي، حتى صوح المجتهون علنا بأن النبي نفسه

مجتهد؟

هذا ما سأكشفه لمعاليتكم ولعلماء الأردن وأساتذة الجامعات في الحلقات القادمة، وأتمنى على صاحب المعالي إذا كان جادا

بدعوته لنبذ التقليد أن يستعين بمن شاء من علمائنا وقادة فئاتنا الدينية عند الود علينا تركوا للفائدة وتعميما لها.

اللهم لا نعلم إلا ما علمتنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على النبي وآله.

14 - التأسيس الأموي لرواية الأحاديث وكتابتها

رفعت السلطة حصلها عن كتابة ورواية أحاديث رسول الله، وأذنت بالكتابة والرواية بعد حصار دام 85 عاماً! وبدأ

الناس يروون أحاديث رسول الله ويكتبونها بعد مرور 85 عاماً على صدورها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ما هو سبب محنة الحديث؟

يقول الإمام علي (عليه السلام) من خطبة له في المجلد الثالث - منشورات دار مكتبة الحياة - من شرح النهج لابن أبي

الحديد برقم 203 صفحة 591 ما يلي وبالعرف:

وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع

الصفحة 104

بالإسلام لا يتأثم ولا يتحوج أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كذاب، لم

يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورآه وسمع منه فأخنوا عنه وهم لا

يعرفون حاله، وقد أخوه الله عن المنافقين بما أخوه ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا

تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ثَمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقْوُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالِدَعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْبَهْتَانِ فَوَلَوْهُمْ الْأَعْمَالُ وَحَمَلَوْهُمْ عَلَى

رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً فهو في يده، يقول به ويعمل به ويرويه

فيقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، شيئاً أمر به ثم نهى عنه هو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم

أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولم علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه

منسوخ لرفضوه.

وآخر الرابع لم يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله (صلى الله

عليه وآله)، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ،

فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي (صلى الله عليه وآله) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ (وخاص وعام) ومحكم

ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكلام له وجهان: كلام عام، وكلام خاص، مثل القرآن وقال الله

عز وجل في كتابه: ما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله

(صلى الله عليه وآله)، وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله

ولا يستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والظري فيسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يسمعا. وقد

كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة... أودع معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول

الصفحة 105

الله (صلى الله عليه وآله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غوي، فربما كان في بيتي يأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منزله أخلاقي وأقام عني نسائه، فلا يبقى عنده غوي، وإذا أتاني للخولة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكنت عنه وفنيت مسائلي ابتدائي، فما تولت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا قأنيتها وأملأها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب متول علي أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمني وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده علي صوري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل. إنتهى كلام الإمام علي.

وقد وضع الإمام النتيجة المنطقية لكل ذلك في مستهل حديثه، وبين أن الأوراق قد اختلطت تماماً، فقال: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكمات ومتشابهات، وحفظاً ووهماً، ولقد كذب علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيباً فقال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار... وعندما شب الصواع بين الواقع الذي تسوسه السلطة، وبين الشوعية التي يدافع عنها أهل البيت الكرام ومن والاهم، واستعملت السلطة سلاح الحديث وروايته، لتثبت أنها على الحق وأن مناويها على الباطل، فأخذ أعوان السلطة يضعون الحديث لحسابها، وللتشيع بمعلضيها.

الصفحة 106

15 - الإمام يصف الأمور

قال الإمام الباقر لبعض أصحابه كما يروي ابن أبي الحديد في شوح النهج مجلد 2 صفحة 595 (يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهروا علينا، وما لقي شيعتنا ومحبوينا من الناس؟ إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض وقد أخبر أننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجت على الأنصار بحقنا وحقنا، ثم تداولتها قريش واحداً بعد واحد، حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق، حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكوه، وعولجت خلاخيل أمهات ولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين (عليه السلام) من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعتته في أعناقهم وقتلوه.

ثم لم قول أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا... إلى أن قال: ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء، وعمال السوء في كل بلدة، فحدثهم بالأحاديث الموضوعة المكنوبة، ورووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله، ليغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكثوره من معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام)، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكل من يذكر بحبنا والانتطاع إلينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت دره. ثم لم يزل البلاء يشتد ويؤداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام).

ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير

الصفحة 107

ولعله يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئا منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع. إنتهى كلام الإمام الباقر في هذا المجال، وهو وصف دقيق لما جرى. راجع المجلد الثالث صفحة 595 في معوض شوح كلام الإمام علي (عليه السلام) الولد في الخطبة 203 من شوح النهج لابن أبي الحديد المعولي.

16 - خليفة المسلمين معاوية وعى الرواية والرواة

قال ابن أبي الحديد في شوح النهج مجلد 3 صفحة 595 روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي زاب (يعني الإمام علي) وأهل بيته. (يعني أهل بيت النبوة الكوام) فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا، ويبرؤون منه، ويقعون فيه، وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام)، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو علف لأنه كان منهم أيام علي (عليه السلام)، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جفوع النخل، وطودهم وشودهم عن العواق، فلم يبق بها معروف منهم.

17 - موسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية

ويضيف المدائني بالحرف: وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة! وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم، وأكرمهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

الصفحة 108

ففعّلوا ذلك حتّى أكثرّوا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلّات والكساء والحباء والقطن، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنزل والدنيا، فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقوبه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

18 - مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية

كتب معاوية إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوليين، ولا تتركوا خراباً يرويه أحد من المسلمين في أبي تآب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تآب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله! فوثقت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجوي هذا المعوى، حتّى أشلوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتّى علموا بناتهم، ونساءهم، وخدمهم، وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. راجع المجلد 3 صفحة 595 - 596 من شوح النهج لعلامة المعولة، كما نقله عن المدائني.

19 - مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية

ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه! وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به، واهدموا دله، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالواق ولا سيما الكوفة، حتّى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، فيلقي إليه سهو، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان

منتشر،



ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القواء العراون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عندولاتهم، ويقبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنزل، حتى انتقلت تلك الأخبار، والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها، ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فرداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض. راجع المجلد الثالث شوح النهج لعلامة المعتولة ابن أبي الحديد صفحة 596 وقد نقله عن المدائني.

20 - تفاقم الأمر

ويضيف بن أبي الحديد نقلا عن المدائني: ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين وولي عبد الملك بن مروان، فاشتد البلاء على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي! وموالاته أعدائه، وموالاته من يدعي من الناس أنهم أيضا من أعدائه، فأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغض من علي، وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له حتى أن إنسانا وقف للحجاج - ويقال أنه جد الأصمعي، عبد الملك بن قريب - فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني عليا، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توصلت به قد ولينتك كذا! راجع المجلد 3 صفحة 596 من شوح النهج، وقد نقل ذلك عن المدائني.

وتابع ابن أبي الحديد قائلا: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تزيخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم وغمون به أنوف بني هاشم. راجع المجلد 3 صفحة 597 من شوح النهج.

هذا هو المناخ الذي جرت فيه رواية حديث رسول الله وكتابته.

21 - نتيجة تدوين السلطة لأحاديث الرسول

بعد أن حاصرت السلطة أحاديث الرسول وفوضت عليها رقابة صلومة طوال 95 عاما، بدى لها أن ترفع الحصار، وقد بذلوا في هذا السبيل ما بذلوا لكنهم لم يصلوا إلى الغرض المرجو منه، ولا بلغوا مستقر اليقين الذي تسكن إليه النفس، وتطمئن القلوب إلى أنه نفس ما نطق به رسول الله بحيث لا يدنو منه شك أو يعروه شبهة، ومن أجل ذلك جمعت كتبهم بين ما هو صحيح في نظر الرواة، وما هو موضوع لا أصل له، ولا يخلو من ذلك كتاب.

ومن أجل ذلك كثرت كتب الحديث وتوعدت في الأربعين سنة الأخوة من عهد بني أمية وكانت موادها وأصولها كتب المتقربين إلى السلطة والوضاعين في مناقبها، مناقب قادة التزيخ السياسي. وعندما جاء العباسيون بقيت أصول الحديث ومصاوه للمؤلفين نفسها مع إضافة مناقب جديدة للعباسيين، ومنها ألف أصحاب الكتب التي اشتهرت باسم الصحاح الست

- 1 - صحيح البخاري لمؤلفه محمد بن إسماعيل المتوفى سنة 256 هـ .
 - 2 - صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة 261 هـ .
 - 3 - سنن بن ماجه لمؤلفه محمد بن يزيد القرويني المتوفى سنة 273 هـ .
 - 4 - سنن أبي داود لمؤلفه سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة 275 هـ .
 - 5 - سنن الترمذي لمؤلفه محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة 279 هـ .
 - 6 - سنن النسائي لمؤلفه أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة 203 هـ .
- ومنهم من يقدم سنن الدرهم لمؤلفه عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة 255 هـ على سنن النسائي.
وقام علماء السلطة بتقليد هؤلاء السنة في تقييم أحاديث رسول الله، وأوصوا باب البحث.

22 - عمالقة علماء السلطة

- وفي محولات السلطة والعلماء الذين يعيشون في أحوالها، جرت محولات حثيثة لسد الفراغ الحقوقي ومواجهة فقه أهل البيت الكوام، فبرز أربعة علماء وكون كل واحد منهم لنفسه مذهباً، وانقسمت شيعة السلطة إلى أربع فرق، كل فرقة تتبع أحد هؤلاء العلماء، وأخذت شيعة السلطة تقلدهم، وتتعبد على أي مذهب من مذاهبهم شاءت، وهؤلاء العلماء هم:
- 1 - أبو حنيفة عتيق بن زوطي المعروف بالنعمان بن ثابت المتوفى سنة 150 هـ .
 - 2 - مالك بن أنس المتوفى سنة 279 هـ .
 - 3 - محمد بن إرييس الشافعي المتوفى سنة 204 هـ .
 - 4 - أحمد بن حنبل المتوفى سنة 241 هـ .
- وتفرع عن الحنابلة أتباع أحمد بن عبد الحلیم المتوفى سنة 726 هـ وعرفت هذه الفرقة بالسلفية.
وتفرعت عن السلفية فرقة الوهابية نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة 1206 هـ .

23 - التقليد والاجتهاد

صلت كتب الصحاح الستة هي عنوان الكمال، وهي المقياس الأمثل لمعرفة الأحاديث التي يطمئن القلب بنسبتها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وتوقف باب البحث العلمي في هذه الناحية. أو إن شئت فقل إن البحث بقي ضمن الأطر التي وضعها أصحاب الصحاح.

كما دعت السلطة جميع المسلمين ليتمذهبوا بأي مذهب شأوا من المذاهب الأربعة، وبدأت شيعة السلطة تدخل في هذه المذاهب أفرجا أفرجا، ويتعبدون إلى الله وفق مناهج هذه المذاهب ويجتهدون أو يعملون بالوأي وفق نواميس هذه المذاهب.

ثم جمحت بهم الاجتهادات جموحا لم ترض به السلطة فصدر قرار عن الظاهر ببيوس بإغلاق باب الاجتهاد، فانصاعت شيعة الدولة لهذا القرار وأغلقت باب الاجتهاد، وانطوت على نفسها تجتر علم هؤلاء العمالقة، وتقلدهم وهم أموات، وتسير على هدى ما كتبوا، وتقيس على اجتهاداتهم وتصوراتهم حتى الآن!!
والله غالب على أمره.

* *

الفصل التاسع

دربان مختلفان

1 - التصورات الخاطئة أثرت اعتقادات خاطئة

لو أننا تركنا التقليد الأعمى جانبا، وتوقفنا عن التسلق وحب الظهور واقتناص السلطة على حساب الدين، وأقولنا النبي الكريم بالمتولة التي أتله الله إياها، وأخذنا بعين الاعتبار أن دين الإسلام هو آخر الأديان، وأن رسول الله هو خاتم الرسل، ولو تيقنا حقا أن رسول الله كما وصفه ربه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ولو نحينا جانبا الأعياب السياسية ومكر الحكام طوال التزيخ السياسي، ولو فهمنا حقا أن الإسلام رحمة للجنس البشري كله، وأن مهمة نبي الإسلام هي إنقاذ الجنس البشري وليس إنقاذ العرب فقط.

لو عرفنا الصحيح من ذلك حق المعرفة، لأركنا بالشروع والعقل والضرورة، أنه من المحال عقلا وشوعا أن يتوك الله فإنه دون بيان، أو أن لا يبين من هو المسؤول عن بيان هذا القرآن بعد وفاة رسول الله! وأكثر إستحالة بالعقل والشروع أن يؤتى إلى البيان النووي المتمثل بحديث الرسول فيأمر الله أو رسوله بمحاورة هذا الحديث، ومنع كتابته وروايته إلا بحجم حاجة الحكام لذلك، في الوقت الذي تباح فيه كتابة كل شيء، ورواية كل شيء باستثناء

حديث رسول الله، وهو المبين لما أتول الله!

هذه التصورات الخاطئة قادت السلطة وقادت شيعتها إلى نتائج خاطئة ومدمورة، أو شكت أن تعصف بالدين نفسه، ولولا رحمة الله تعالى، ولو لا أن قيض الله لهذا الدين أهل البيت الكرام يدافعون عنه، ويوضحون أحكامه، و يوفدون الناس ببيانه رغم كل المعوقات.

أجمعت العرب كلها على مقاطعة بني هاشم عندما أشرقت شمس الهداية الإلهية، وكان هدف العرب أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وصمد الهاشميون ثلاث سنين في شعب أبي طالب، وتحملوا حصار العرب. وأجمعت العرب بعد فشل الحصار وقبيل الهوة أن تشترك بقتل النبي حتى يضيع دمه بين القبائل، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، ولم ينفذ الهاشميون من حول النبي، ولا تخلوا عن حمايته وحماية دينه، بل وقفوا وقفه رجل واحد خلف عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب، يدافعون عن النبي وعن دين الإسلام، حتى أظهر الله دينه. وتلك مزية وفضيلة لم تتلها على الإطلاق فئة من العالمين إلا آل محمد.

وكما اجتمعت العرب ضد محمد وضد عشيرته، اجتمعت ثانية، أو جمعت لتقف ضد علي وضد أهل البيت الكرام بدعى أن الهاشميين قد أخنوا النوبة، ولا ينبغي أن يجمعوا مع النوبة الخلافة فيذهبوا بالشرف كله. راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد 2 صفحة 24 ، وراجع شرح النهج لعلمة المعتزلة مجلد 2 صفحة 107 ، وأخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تليخ بغداد، وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والرجعية السياسية في الإسلام صفحة 276 وما فوق. وفي سبيل تثبيت هذه المقولة وإضفاء الشوعية عليها، وخلق القناعة بها، ركبت

الصفحة 115

السلطة كل مركب وتجاهلت الآل الكرام تجاهلا تاما، وتجاهلت الأحاديث النبوية ولجأت إلى الاجتهاد مع وجود النص، وقلبت الأمور على هدى رأيها، وأوشكت أن تنقض الدين من أساسه، وأن تطمس أحكام الإسلام من بعد ما بانته، ومرة أخرى يتصدى الهاشميون بقيادة علي بن أبي طالب لهذا الانقلاب وضمن إمكاناتهم، ويدافعون عن أحكام هذا الدين ومستقبله، ويتحملون شأن العرب، وتكاليف غضب السلطة، دفاعا عن الإسلام وأحكامه، وتلك فضيلة ثانية لم تتلها فئة من العالمين غوهم. راجع كتابنا نظرية عدالة الصحاب والرجعية السياسية في الإسلام - الباب الثالث.

3 - رفعت السلطة شعار العمل بالوأي ورفع أهل البيت شعار العمل بالنص

والنبي الكريم على فاش الموت، كشر الوأي بمواجهة النبي نفسه عن أنيابه، وحال أصحابه بين الرسول وبين كتابة ما أراد، بحجة أن الرسول قد اشتد به الوجد، وأن القآن وحده يكفي، ولا حاجة لكتابة ما أراد الرسول كتابته، وتصدى أهل البيت الكرام ودافعوا عن الشوعية، وأن الرسول لا ينطق عن الهوى، فتمادى أصحاب الوأي وقالوا: إن الرسول قد هجر! ولو استمر أهل البيت وشيعتهم في مواجهتهم لتشبث أهل الوأي بالهجر، ولتفاقت وقاحة أهل الوأي وهزوا الدين من أساسه، فأشار النبي لأهل البيت وشيعتهم بأن يقدموا الأهم على المهم، وطلب من الجميع الخروج من الحجرة النبوية المقدسة، وكان هذا أول انتصار للوأي بمواجهة مكشوفة مع الشوعية! ولا يقوى أحد على إنكار هذه الحادثة.

وعندما تأسست السلطة لأول مرة بعد وفاة النبي، كانت حصيلة الوأي أن الهاشميين قد أخنوا النوبة، ولا ينبغي أن يجمعوا مع النوبة الخلافة فيجحفوا على قومهم، والحل الأمثل الذي اخذوه الوأي هو أن تبقى النوبة للهاشميين، وأن تختص قريش بالخلافة تتداولها في ما بينها، وعلرض أهل البيت الكرام، وأوضوا حكم الشوع،

ومضى أصحاب الرأي قدما بعد أن وطوا الأمور لأنفسهم، ومرة ثانية قدم أهل البيت الكرام الأهم على المهم فعرضوا برفق إشفاقا على الملة.

وفي ظلال السلطة وأمام معارضة أهل البيت: وتمسكهم بالشوعية، فقدت السلطة ثقتها بهم، فقدمت اللاحق على السابق، وقدمت الطليق على المهاجر، والأبعد على الأقرب، فقويت شوكة السلطة، والتف المنتفون بها حولها، وبنفس الحجم والمقدار ضعف أهل البيت وانفض الناس من حولهم، وساعد على ذلك أن الله تعالى قد أذهب الرجس عن أهل البيت، فهم لا يطلبون النصر بالجور، ولا يطمعون بالحكم إلا بالشروع وبوسائله.

ما حال بين رسول الله وكتابة ما أراد هو الغلبة، وما نحى أهل البيت عن حقهم بقيادة الأمة إلا الغلبة، وما قدم الأبعد على الأقرب والطليق على المهاجر إلا بحكم الغلبة، لكنها غلبة غير مكشوفة، وغلبة منظمة حتى كثرت الغلبة عن أنيابها وظهرت على حقيقتها، وأترك معاوية بن أبي سفيان أن الأمر لمن غلب.

وأتركت الأمة أو الأثرية الساحقة من الأمة أن مصلحتها تتحقق بوقوفها مع الغالب، فوفقت مع الدنيا المقبلة العاجلة، وتركت الآخرة المدوة الآجلة.

ومن ذلك التزيخ ومنذ انتصار القوة على الشوعية، أطاعت الأمة من غلب، وتوسخ انتصار الرأي واندحار الشوعية، فالسلطة رفعت دائما شعار الرأي الذي سمي بالاجتهاد في ما بعد، ورفعت شعار الشوعية بالقدر الذي يؤين رأيها ويضفي عليه الشوعية، أو يساهم بخلق القناعة فيه، وذلك محافظة منها على السلطة ووحدة السلطة، لاقتناعها أن وحدة السلطة هي التعبير الحقيقي عن وحدة الأمة.

ومن هنا وعلى ضوءه تجد التفسير الحقيقي والمنطقي لكل تصوف قامت به السلطة السياسية طوال التزيخ. راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والرجعية السياسية في الإسلام - الباب الثاني.
أما أهل البيت الكرام فالشوعية مطلبهم، والشوعية المطلقة غايتهم.

4 - تزيخ السلطة السياسية

من قوا التزيخ السياسي الإسلامي من بعد وفاة النبي وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، يتبين له بكل جلاء ووضوح أن السلطة التي قادت ذلك التزيخ السياسي وصنعتة قد تأسست أصلا وفي حقيقتها وجوهرها على أساس العمل بالرأي أو ما سمي اجتهادا، وأن هذه السلطة ساست رعاياها بالرأي أو الاجتهاد، وأنها قد أخذت طابع المؤسسة على أساس الرأي أو الاجتهاد، وأنها نمت خارج إطار الشوعية واكتسبت قوتها ورضي الناس بها بحكم الغلبة، ونتيجة سيطرتها التامة على مقاليد الأمور، ويوصفها الممثلة الواقعية لوحدة المسلمين.

ولو تصفحت التزيخ السياسي الإسلامي، وأمعتت فيه نواصة وتحليلا فإنك لا تجد نصا شوعيا واحدا، سواء من الكتاب أو

السنة، يؤهل وجود السلطة التي قادت التريخ السياسي، بل تجد أن كافة القواعد التي أدلت ظاهرة السلطة هي من ثرة العمل بالوأي أو الاجتهاد.

وقد تنبه إلى ذلك أولئك الذين تشيعوا للسلطة فقالوا: إن ولاية العهد أصبحت شوعية بفعل أبي بكر لعمر، وبعهد عمر لعثمان عمليا أو للسته نظريا. فقبل لهم: إن الشوع يعني كتاب الله وسنة رسوله، وعمل الصديق والفاروق لا يدخل في مفهوم الشوع! عندئذ قالوا بالإجماع كسند شوعي لما جرى في التريخ السياسي الإسلامي، فنظروا إلى الأمر على أساس أن أبا بكر عهد بالخلافة لعمر أمام الصحابة فأقروا عهده، وإقرهم لعهد هو بمثابة الإجماع، فأصبح الإجماع هو السند الشوعي لكل تصرفات الحكام طوال التريخ السياسي، وهو حمال أنقاله كلها.

ولأن أهل البيت الكرام قد عرضوا ضمن إطار الإسلام ترك النصوص، والوكون إلى العمل بالوأي مع وجود النص، فقد نظر الحكام لأهل البيت طوال التريخ نظرة شك وحذر، وزادت شكوكهم عمقا لاقتناعهم بأن أهل البيت يعتقدون بأنهم هم

الصفحة 118

القادة الشوعيون للأمة، وأن قيادة الأمة حق إلهي خالص لهم بوصفهم الأعم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، والأصلح بنص الشوع من بين أتباعها، وأن الحكام غصبوا أهل البيت هذا الحق، ورد الحكام على ذلك بتحجيم أهل البيت، وتصغير عظيم مقلتهم، ومحاصرتهم، وتفجير الناس منهم، فكان مقولا طوال التريخ ومفهوما أن تعمل ما شئت، وأن تقتنع بما شئت، ولكن ليس مفهوما على الإطلاق أن تتشيع لأهل بيت محمد! لأن التشيع لهم يعني وجود جماعة تقول بوناسة أهل البيت، ووجودها يعني تعويض السلطة للخطر!

5 - السلاح الجبار

كان سلاح السلطة طوال التريخ هو القوة والغلبة والسيطرة على مقاليد الأمور، وعلى الصعيد القانوني كان سلاحها هو العمل بالوأي، وإعمال رأي الخليفة وإطاعته بوصفه الممثل لوحدة المسلمين.

وكان سلاح أهل البيت الكرام هو الائتام بالشوعية التي غطت بالكامل كل شئ وبينت كل شئ.

وكانت السلطة تملك السيطرة الكاملة على وسائل الإعلام، تلك الوسائل القادرة بدعم السلطة لها أن تجعل الأبيض أسود، والأسود أبيض.

وكان أهل البيت الكرام يملكون علم النبوة، والقوة على بيان الشوع، بيانا قائما على الجزم واليقين.

سلت السلطة في ربها تعمق العلم بالوأي، وتوطد لسلطانها، وسار أهل البيت الكرام في دربهم يعمقون الشوعية ويبينون الدين بيانا قائما على الجزم واليقين، في ظروف كانت بالكامل لمصلحة السلطة، وفي حالة انعدام تكافؤ الفوص بين السلطة وبين أهل البيت، السلطة تعالج يومها وتسوس دنياها، وأهل البيت يعالجون يومهم وغدهم ويوطنون لأخوتهم، ويبلغون الدين

على الأصول المستوة التي تعلموها من عميدهم ونببيهم وأبيهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

الصفحة 119

6 - لماذا ترسخ العمل بالرأي وشاع؟

الحاكم الإسلامي طوال التاريخ، من بعد وفاة النبي وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، هو من غلب، هذا الحاكم الغالب لم يعد إعدادا ريانيا ليكون خليفة للنبي، وهو بالتالي ليس مؤهلا ليقوم بوظائف النبي من بعد وفاته، وأبرز هذه الوظائف البيان (لتبين للناس ما أوتى إليهم من ربهم) أي يبين حكم الله في ما يجد من الوقائع والأحداث والتصرفات.

وبما أن الحاكم الإسلامي لا يعرف الحكم الشوعي، وبما أنه لا بد من وجود حكم لما يقع ويواجه الدولة، اضطر الحكام للعمل وأيهم، وحيث أن المحكوم مفطور على تقليد من غلبه، أصبحت آراء الحكام مع التكرار سنة يصعب مخالفتها، أو عرفا يشعر المحكومون بأنه مؤتم لهم!

ومن هنا شاع العمل بالرأي وترسخ، خاصة مع المقولة التي روج لها بإحكام، وهي أن الاجتهاد أو العمل بالرأي هو العمل بروح الشريعة العامة، هذه المقولة خلعت على العمل بالرأي ثوب الشوعية.

7 - موقف الناس

وجد المسلمون أنفسهم أمام سلطة حقيقية تملك وسائل السيطرة على الأجساد والأزواق، تأمر فتطاع، وتنادي فتجاب، وتشوع رأيا فينفذ تشريعها، ومعها الدنيا كلها، ولا ننكر الآخرة! ووجدوا بالمقابل أهل البيت وقد عزلوا غولا تاما، ليس معهم إلا علم النبوة، وذكريات الكفاح المرير من أجل انتصار الإسلام، ليس معهم من الدنيا شيء ولا مطمع لهم إلا بالآخرة، وهم موضع شك الحكام، ومن يواليهم يفقد امتيازاته واعتباره، ويفقد عطاءه، ولا تقبل شهادته، وقد مر حين من الدهر، كانت فيه مسبة الإمام وردا يوميا وحتما مقضيا على الرعية.

الصفحة 120

فاختار المسلمون جانب الحكام، وتكونت بفعل التكرار سنة الشك بأهل بيت محمد، والتشنيع على شيعتهم، والشك بكل ما يصدر منهم.

فلو نسج القصاصون قصة عن يزيد لصدقها الناس إن كانت خوا دون مناقشة!

ولو ذكر الرواة حديثا عن علي أو الحسن أو الحسين أو زين العابدين لناقشوه ألف مرة قبل أن يأخنوا به!

ولو ذكر الكلبي رأيا، وذكر الإمام جعفر الصادق رأيا آخر، لاختار المسلمون رأي الكلبي بلا تردد!

لماذا؟ لأنها تكونت تحت ظلال السلطة بفرقة الشك بأهل بيت محمد، وأصبحت مع الأيام سنة يصعب مخالفتها، لكثرة

تودادها ودعم السلطة لها!

والله غالب على أمره.

* *

الفصل العاشر

كتابة الحديث النبوي عند أهل البيت

1 - إعداد أهل البيت لبيان الأحكام

قبل أن ينتقل الرسول إلى جوار ربه قال لأصحابه (أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب) وقال لهم مرة (أنا دار الحكمة وعلي بابها) وقال لهم ثالثة (أنا مدينة الحكمة وعلي بابها) وقال لهم رابعة (علي باب علمي، ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به، حبه إيمان وبغضه نفاق) وقال لعلي أمام أصحابه (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي) وقال يوماً لأصحابه (كفي وكف علي في العدل سواء) تلك حقائق لا يقوى مكابر على إنكارها، وقد وصلت إلينا بفضل الله بالرغم من أن مسبة الإمام علي كانت واجبا دينيا مفروضا على رعية الدولة الإسلامية، وقد وثقنا هذه النصوص بعشرات المراجع، ذكرناها على الصفحة 233 - 234 من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والوجعية السياسية في الإسلام، وحرصنا كل الحرص على أن تكون مراجعنا من مؤلفات شيعة الدولة أو أهل السنة.

هذه النصوص تبين لنا أن الله ورسوله لم يتركا الأمر سدى، إنما حددا وبيننا من هو المختص ببيان الأحكام من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متيقنا أنه ميت لا محالة، وعميد أهل البيت النبوة متيقن ومبلغ أنه المخول بالبيان من بعد النبي، ولو قصد العميد أن ينتفع شخصيا بعلمه لما كان هنالك

الصفحة 122

حاجة لأن يكتب، لأن رسول الله قد دعا له بأن يحفظوا لينا شينا، لكن هم النبي وهم العميد هو استعورية بيان الأحكام، وفي كل شئ، وحتى قيام الساعة، بحيث يتوهم المبدأ القائل بأن (القوان تبين لكل شئ) لذلك شوع العميد بتوجيه خاص من رسول الله بكتابة كل ما تحتاجه الأمة على الإطلاق، بحيث لا تجد حادثة ولا تحدث حادثة، إلا ولها حكم شوعي مفصل تفصيلا ومبين بيانا لا يختلف فيه اثنان.

وهكذا تكون النقلة طبيعية بعد وفاة النبي، ويكون بين أيدي الناس منظومة حقوقية كاملة ومتكاملة: قوان كريم، وبيان لهذا القوان مسجل لا يحتمل التأويل، فتستقيم الأمور، ويصلح الراعي وتصلح الرعية ويعم العدل، وتنهأ البشرية في ظلال المنظومة الحقوقية الإلهية، فتتصب غاية الجميع على حسن التطبيق.

2 - انعدام الحاجة إلى العمل بالرأي

طالما أن الحكم الشوعي لكل شئ على الإطلاق، مبين ومفصل ومحدد بالقوان وبالبيان، فما الداعي لإهمال الحكم الشوعي واستبعاده، وما الداعي للعمل بالرأي وترك الحكم الشوعي؟ فالمبين هو نفسه الحاكم، والمطلوب العدل، والعدل لا يتحقق إلا

بالحكم الإلهي القائم على الجرم واليقين، وهو بين أيدي الناس، فما هو الداعي لتوك الجرم واليقين، واللهت وراء الرأي

وأحكامه القائمة على الظن والتخمين؟

لا حاجة عند عمادة أهل البيت للرأي أبداً، فقد جاء في الجزء الأول صفحة 85 من أصول الكافي لمحمد بن يعقوب

الوري المتوفى 328 هـ (أن رجلاً سأل الإمام جعفر الصادق عن مسألة فأجابها فيها، فقال الرجل: رأيت إن كان كذا وكذا ما

يكون القول فيها؟ فقال له الإمام جعفر: مه، ما أجبتك فيه من شيء فهو من رسول الله، لسنا من (رأيت) في شيء!

إنه لا مجال إطلاقاً للرأي عند بيان الحكم الشرعي، فالأئمة الكرام يعرفون الحكم الشرعي معرفة قائمة على الجرم واليقين،

فما الداعي للخوض بالرأي القائم على الفرض والتخمين!

الصفحة 123

وجاء على الصفحة 201 من بصائر الوجدات تأليف محمد بن الحسن الصفار ت 290 هـ قول الإمام (مه ما أجبتك بشيء

فهو من رسول الله، لسنا نقول وأينا في شيء).

وعلى الصفحة 299 مجلد 2 من بصائر الوجدات عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

أنة قال (لو أنا حدثنا وأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكننا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه فبينها لنا).

وفيه أيضاً عن الإمام جعفر الصادق أنه قال (بينة من ربنا بينها لنبيه (صلى الله عليه وآله) فبينها نبيه لنا، فولا ذلك كنا

ك هؤلاء الناس). راجع مجلد 4 صفحة 201 من بصائر الوجدات.

وفي مجلد 9 صفحة 201 من البصائر عن سماعة عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: قلت له كل شيء تقول به في كتاب

الله وسنة نبيه أو تقولون فيه وأيكم؟ قال (بل كل شيء نقوله في كتاب الله وسنة نبيه).

وفي البصائر الوجدات صفحة 299 عن أبي داود بن يزيد عن الإمام الصادق قال:

سمعتة يقول (إنا لو كنا نفتي الناس وأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنها آثار من رسول الله وأصل علم نوراها كابر عن

كابر، نكتوها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم).

وفيه عن جابر صفحة 299 مجلد 9 من البصائر و صفحة 300 مجلد 4 و 6 بثلاثة أسانيد قال أبو جعفر الإمام الباقر (يا

جابر، والله لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم وأينا لكنا من الهالكين، ولكننا نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله نوراها كابر عن

كابر، نكزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم).

3 - كيف انتقل علم النبوة إلى الأئمة

انتقل علم النبوة بواسطة علي (عليه السلام)، علي هو والد الأئمة، فنرية النبي من صلب علي لقوله (صلى الله عليه وآله

وسلم) (إن الله جعل نورية كل نبي من صلبه وجعل نوري من صلب علي). راجع مجلد 6 صفحة 152 الحديث 5210 من

كنز العمال، وهذا معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (كل بني أنثى ينتمون إلى عصبته، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم، وأنا

عصبته، وأنا أوهم)! أخرجه

الطواني وهو الحديث 22 من الأحاديث التي أوردها ابن حجر في النص من صواعقه صفحة 112 ، وراجع مجلد 3 صفحة 164 من المسترك، وقال إنه حديث صحيح.

فكان من الطبيعي جدا أن ينتقل علم الوالد لأولاده على الأقل، وأن يتوارث الأولاد علم أبيهم، خاصة وأن النبي وعلياً ولأولادهم كانوا يسكنون في بيت واحد طوال حياتهم المبكرة، وأن الإمام علي مخول بأمر النبي أن يبين للناس ما اختلفوا فيه من بعد وفاة نبيهم، وأنه من النبي بمقالة هارون من موسى. تلك حقائق أشونا إليها ووثقناها توثيقاً كاملاً في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، ونتحدى أي مكابر أن ينقض توثيقنا.

4 - طبيعة علم علي

عن سماعة بن مهران عن الإمام الصادق قال (إن الله علم رسوله الحلال والحرام والتأويل، وعلم رسول الله علمه كله علياً). راجع بصائر الدرجات صفحة 290 باب في أمير المؤمنين أن النبي علمه العلم، وراجع الوسائل مجلد 3 صفحة 391 ومسترك الوسائل مجلد 3 صفحة 192 عن تفسير العياشي. وفي بصائر الدرجات صفحة 290 - 291 مجلد 3 و 9 عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله قال (إن الله تعالى علم رسوله القرآن، وعلمه شيئاً سوى ذلك، فما علم الله رسوله فقد علم رسوله علياً). وعن سليم بن قيس أن أمير المؤمنين علياً قال (كنت إذا سألت رسول الله أجبني، وإن فنيت مسألتي ابتدأني، فما تولت عليه آية في ليل ولا نهار، ولا سماء ولا أرض، ولا دنيا ولا آخرة، ولا جنة ولا نار، ولا سهل ولا جبل، ولا ضياء ولا ظلمة، إلا أوأنبها وأملأها علي وكتبتها بيدي، وعلمي تأويلها وتفسرها، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، وكيف تولت، وأين تولت، وفيمن تولت إلى يوم القيامة، ودعا الله أن يعطيني فهما وحفظاً). راجع بصائر الدرجات صفحة 292 مجلد 12.

5 - الجامعة أعظم كتب البيان

يبدو واضحاً أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أملى على الإمام علي كثيراً من علم النبوة، وركز تركيزاً خاصاً على الأحكام الشرعية، أو بيان القرآن كما بينه رسول الله، لتكون هذه الأحكام بمثابة القانون النافذ مع القرآن الكريم، ويبدو أن هذه المجموعة هي بحق من كتب الأولين، وهي شاملة للبيان النبوي في مجال الأحكام، وقد عرفت هذه المجموعة باسم (الجامعة) وقد أملاها رسول الله وكتبها الإمام علي بخط يده، وتداولها الأئمة الكرام، كل إمام يسلمها لمن يأتي بعده. ويمكن الوقوف على حجم هذه المجموعة القانونية وعلى مضمونها، من الأحاديث المتواترة التي وردت عن أئمة أهل البيت الكرام، منها ما ورد في بصائر الدرجات صفحة 144 عن جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر الباقر (إن عندي لصحيفة فيها

تسعة عشر صحيفة قد حباها رسول الله).

وجاء على الصفحة 147 من بصائر الدرجات عن الفضل بن يسار قال قال أبو جعفر (يا فضيل عندنا كتاب علي مائة وتسعة وأربعون نواعا، ما على الأرض شئ يحتاج إليه إلا وهو فيه حتى رأس الخدش، ثم خط بيده على إبهامه) ومقصوده من رأس الخدش دية الحواجات، وخط على إبهامه ليدل على رأس الخدش ولو كان صغوا.

وعلى الصفحة 143 من البصائر عن حمران بن أعين عن أبي جعفر أشار إلى بيت كبير وقال (يا حمران إن في هذا البيت صحيفة طولها سبعون نواعا بخط علي وإملاء رسول الله، ولو ولينا الناس لحكمنا بما أتول الله، لم نعد ما في هذه الصحيفة).

وعلى الصفحة 143 عن محمد بن مسلم قال قال أبو جعفر (إن عندنا صحيفة من كتب علي طولها سبعون نواعا، فنحن نتبع ما فيها لا نعوها). وسألته عن موث العلم ما بلغ؟ أجاب من العلم أم فيه تفسير كل شئ من هذه الأمور التي تتكلم فيها الناس مثل الكلاله والفوائض؟ فقال (إن عليا كتب العلم كله، القضاء والفوائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن شئ إلا فيه، نمضيها).

الصفحة 126

وفي رواية أخرى (فلو ظهر أمرنا فلم يكن شئ إلا وفيه سنة نمضيها) البصائر 164
وعلى الصفحة 146 من البصائر عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر والإمام الصادق (إن عندنا لصحيفة من كتاب علي، أو مصحف علي، طولها سبعون نواعا، فنحن نتبع ما فيها فلا نعوها).
وعن عبد الله بن ميمون عن جعفر عن أبيه قال (في كتاب علي كل شئ يحتاج إليه، حتى الخدش والأرش والهوش)
البصائر صفحة 164 و 148 . والهوش بسكون الواو الاشتداد، وبكسوها سوء الخلق، راجع صفحة 308 مجلد 2 من معالم المرستين.

وفي البصائر صفحة 147 عن مروان قال: سمعت أبا عبد الله يقول (عندنا كتاب علي سبعون نواعا).
وفي رواية أخرى صفحة 148 قال (ما ترك علي شيئا إلا كتبه، حتى رأس الخدش).
وفي البصائر صفحة 145 عن أبي عبد الله قال (والله إن عندنا لصحيفة طولها سبعون نواعا، فيها جميع ما يحتاج إليه الناس حتى رأس الخدش، أملاها رسول الله وكتبها علي بيده).
وفي البصائر صفحة 143 و 147 عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال سمعت يقول (إن عندنا جلدا سبعون نواعا، أملاها رسول الله وخطه علي بيده، وإن فيها جميع ما يحتاج إليه حتى رأس الخدش).
وفي صفحة 148 و 159 من البصائر عن عثمان بن زياد قال دخلت على أبي عبد الله فقال لي: إجلس، فجلست، فضرب يده بإصبعه على ظهر كفي فمسحها عليه، ثم قال: عندنا رأس هذا فما نونه.

وفي صفحة 144 من البصائر عن منصور بن حازم وعبد الله بن أبي يعقوب قال أبو عبد الله (إن عندي صحيفة طولها سبعون نواعا، فيها ما تحتاج إليه، حتى أن فيها رأس الخدش).

وفي صحيفة 145 من البصائر عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول (إن في البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً، ما خلق الله من حلال أو حرام إلا وهو فيها، حتى رُش الخدش).

وفي صفحة 144 عن محمد بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبد الله نحوا من ستين رجلاً، قال فسمعته يقول (عندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعاً، ما خلق الله من حلال أو حرام إلا وهو فيها، حتى أن فيها رُش الخدش).

وفي صفحة 144 عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله يقول (إن عندنا لصحيفة سبعين ذراعاً، أملاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي بيده، ما من حلال ولا حرام إلا وهو فيها، حتى رُش الخدش).

وفي صفحة 148 من البصائر ومجلد 1 صفحة 59 من أصول الكافي وصفحة 61 منه عن حماد قال: سمعت أبا عبد الله يقول (ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدار، وإن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وإن عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعاً، وما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا فيها، فما كان من الطويق فمن الطويق، وما كان من الدور فمن الدور، حتى رُش الخدش والجلدة ونصف الجلدة).

وفي البصائر صفحة 166 عن عبد الله بن أيوب قال: سمعت أبا عبد الله يقول (ما ترك علي شيعته وهم يحتاجون إلى أحد في الحلال والحرام، حتى أنا وجدنا في كتابه رُش الخدش. قال ثم قال: أما إنك إن رأيت كتابه لعلمت أنه من كتب الأولين).

وعن محمد بن حكيم عن أبي الحسن قال (إنما هلك من كان قبلكم بالقياس، وإن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه حتى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه، فجاءكم بما تحتاجون إليه في حياته، وتستغيثون به وبأهل بيته بعد موته، وإنها لصحيفة عند أهل بيته حتى أن فيها رُش الخدش، ثم قال: إن أبا حنيفة ممن يقول: قال علي وقلت أنا!

وفي البصائر صفحة 149 وصفحة 154 وفي الكافي مجلد 1 صفحة 241 والوافي مجلد 2 صفحة 135 عن بكر بن كروب الصيرفي قال سمعت أبا عبد الله يقول (ما لهم ولكم، وما يريدون وما يعييونكم، يقولون الراضة! نعم والله رفضتم الكذب، واتبعتم الحق، أما والله إن عندنا ما لا نحتاج إلى أحد، والناس يحتاجون إلينا، إن عندنا الكتاب بإملاء رسول الله وخط علي بيده، صحيفة طولها سبعون ذراعاً، فيها كل حلال وحرام).

وفي مجلد 1 صفحة 57 من أصول الكافي، وبصائر الدرجات صفحة 146 و 149، والوافي مجلد 1 صفحة 58.... قول الإمام أبي عبد الله (ضلع علم ابن شومة عند الجامعة، إملاء رسول الله وخط علي بيده، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً، فيها علم الحلال والحرام، وإن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدوا إلا بعداً، إن دين الله لا يصاب بالقياس).

6 - الجفر ومصحف فاطمة

يبدو من كثير الأحاديث أنه لدى الأئمة كتابان آخوان عن أبيهم الإمام علي، أحدهما يسمى بمصحف فاطمة فيه أنباء عن الحوادث الكائنة، وكذلك الجفر، وفيه أيضاً أنباء عن الحوادث الكائنة، راجع البصائر صفحة 160 و 156، ومعالم المدرستين

7 - أبسط واجبات النبي

رسول الله متيقن أنه ميت لا محالة، وموقن من حاجة أمته إلى بيان قائم على الجزم واليقين لكافة أحكام الشريعة، وهو بيانه بالذات، ولأن علياً هو المخول بالبيان بعد وفاة الرسول، ولأنه منه بمنزلة هارون من موسى باعتراف معلوية نفسه، ولأن علياً هو ابن عمه ووالد سبطيه، ومقيم معه بنفس البيت الذي يقيم فيه، ولأن علياً عالم من أعظم علماء الأمة بإقرار كافة الخلفاء واعترافهم، وقلئ في أمة من الأميين كان ينذر فيها القلئ، ولأنه باب مدينة العلم، وباب مدينة الحكمة...

الصفحة 129

لهذا قام النبي بإملاء الحكم الشرعي لكل شئ على علي، وطلب من علي أن يكتب كل ذلك في كتاب، ليكون مرجعاً للأمة في بيان القرآن بعد وفاة النبي، وطلب من علي أن يحتفظ به، وأن يسلمه لأولاده الأئمة يتولثونه، ويبينونه للأمة من بعد وفاة النبي.

وهذه أبسط واجبات النبي أن يوثق بيانه، فيتروك القرآن مجموعاً، ويتروك بيانه لهذا القرآن مجموعاً أيضاً، فيكون القرآن والبيان هما القانون النافذ في مجتمع الأمة، ودولة الأمة.

فما هو وجه العجب في ذلك؟! خاصة وأن الإمام علياً هو مولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن ليس علي هوله فهو ليس بمؤمن، كما هو ورد بالنص الشرعي، وكما وثقنا في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - الباب الثالث، وفي كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

8 - الدنيا تقوم ولا تقعد

يجن جنون الحكام فيحتجون، وتحتج شيعتهم، ويقولون هذا غير صحيح، لماذا لم يكلف خليفة بهذا المشروع الفخم؟ لماذا كلف علي بالذات؟

يا ويحكم! لماذا اختار الله محمداً، ولم يختار أبا سفيان للنهضة؟ أنتم تقسمون رحمة الله!!

هذا البخلي جمع ما اعتقد أنها أحاديث لرسول الله وسمى مؤلفه باسمه (صحيح البخلي) ومثله فعل مسلم، وابن ماجه، والتومذي، والدارمي... إلخ. ومع هذا بقيت الدنيا على حالها، فلماذا تقيمون الدنيا ولا تقعدونها عندما سمعتم بكتاب الإمام

علي!!!

أنتم تلاحقون أبا هوية الذي لم ترد صحبته للنبي عن سنة وستة شهور، وتطلبون منه أن يتوضأ كما كان رسول الله يتوضأ، وأن يصلي كما كان رسول الله يصلي، وتتعامون عن أهل بيت النهوة الذين شاهوا النبي كل يوم يتوضأ ويصلي،

طوال سني البعثة ال 23 عاماً!!!

الصفحة 130

أنتم تطلبون من معاوية أن يبين لكم القرآن الكريم، وطوال 21 عاما كان معاوية في حرب مع النبي! ومع هذا تترفعون عن سؤال أهل البيت الذين وقفوا معه 23 عاما، وعرفوا كل شئ عن شريعته!!!

أهذا هو المنطق في عرفنا؟ أهذا هو الحق الذي أمونا باتباعه؟!

هل هذا هو خراء إحصان بني هاشم يوم حوصروا ثلاث سنين في شعاب أبي طالب؟!!

هل هذا هو خروهم يوم حموا النبي وحموا الإسلام قبل الهجرة؟!

هل هذه هي المودة في القربى؟!

أهكذا يعامل الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهروهم تطهرا؟!!

أهكذا تفعلون بسفينة النجا، ونجوم الهدى؟ بالنص.

والله لو كان الخلفاء أحياء يحكمونكم لما لامكم أحد!!

أما بعد موت الخلفاء، ودمار الأمة، فهنا موقع اللوم!!!

والله لا نقول إلا ما أمونا الله أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فتلك والله أعظم المصائب!

9 - ضربة معلم

لو أجاز الخلفاء رسميا كتابة أحاديث رسول الله وتداولها لظهور هذه الكتب الثلاثة، ولاستطاع الإمام أن يثبت أنها بإملاء رسول الله وخط علي، ولانتشرت هذه المجموعة الحقوقية انتشرا واسعا، وبما أنها بخط الإمام، وبما أنها ستكون جزءا من القوانين النافذة، ولا غنى عن الإمام عند تطبيقها، فهنا يتحجم الخليفة، ويبرز دور الإمام كعنصر من عناصر تطبيق الشريعة، وبهذه الحالة وضمنا يثبت حقه برئاسة الأمة وولايتها، ويسحب بساط الشرعية من تحت أقدام الخلفاء، ويفقد هم هيبته أمام الولاية!

الصفحة 131

ومن هنا جاءت محاصرة أحاديث الرسول، ومنع كتابتها وروايتها، والقول بأن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لأي شئ

آخر!

كانت هذه المقولات والإجراءات ضربات معلم حقيقية، حيدت الإمام عليا، وحيدت علمه، وحيدت الشرعية علميا، وفتحت كل الأبواب أمام الوأي أو العمل بالوأي، أو ما سمي في ما بعد بالاجتهاد، وهكذا عطلوا دور أهل بيت النبوة في بيان الأحكام بيانا قائما على الحزم واليقين، واستبدلوا ذلك بالحكام وبرائهم القائمة على الفوض والتخمين.

فالحكم الناتج عن الوأي أو الاجتهاد هو حكم ظني بأحسن صورته، فقد يصيب وقد يخطئ، بينما الحكم الإلهي الذي وثقه

أهل البيت ودونوا بيانه، حكم قائم على الحزم واليقين. وشتان ما بين الفوض والتخمين، وما بين الحزم واليقين.

إنها سنة الشك التي غوسها الحكام بآل محمد، وألهموها لرعاياهم يوما بعد يوم، حتى أصبحت سنة يصعب مقاومتها، وعرفا

10 - أأبار عن الالال والالال عند شلعة الالال

أورد ابن الطلقل - ت 709 - فف كتابه الفلؤل فف الآلاب السللانية ملال 3 صفة 123 - 124 : أن المأمون أألبر أوال البللن العباسف والعلول فلم فر فلهما أصلل، ولا أفضل، ولا أروع، ولا أالن، من الإمام على بن موسف الرضا، فعهل إله، وأزم الرضا بلك، فامللل الرضا ثم أال، وولل خطه فف ظاهر كتاب المأمون بما معناه:
إنف قل أألل امللال للامر، وإن كان الالال والالال الالان على الال ذلك.

قال المفر سلل على بن ملال بن على الالنا الالنا (ت 816) فف شول موالل القاضف الإللف (ت 756) عن الال والالال: هما كتابان للإمام على (رضف الله عنه) قل ذكر فلهما - على طرفة علم الالوف - الالال الال الالال إلى انوال العالم، وكانل الأة من أولاه يعرفونها ولللون بها، وفف كتاب قبول العهل الال الال بن موسف الرضا (رضف الله عنه) إلى المأمون (إنك قل عرفل من اللولنا ما لم يعرفه أبؤك، فقلل

الصفة 132

ملك عهلل، إلا أن الالال والالال الالان على أنه لا فتم...). رالل صفة 276 من المقلل الالنا.

11 - وذل الالال والالال

الشلل كمال الالن أبو سالل ابن طللل الشاللف (ت 652) قال فف كتاب الالال والالال والنور اللالل اللل نقل كشلل الظنون: ملال صللر أوله: اللل الله الال الال من الالنا... إلل. وذل فله أن الأة من أولال الالل يعرفون الالال. رالل ملال 2 صفة 420 - 421 من مصبال السعالة، وكشلل الظنون ملال 3 صفة 521.

12 - وذل الالال ابن الللون

فف مللله ملال 1 صفة 600 - 602 الال الالنا الللنا الللنا: وولل للال وأماله من أهل اللل كألر من ذلك مسلللهم فله - والله أعلم - الكشلل بما كانوا علىه من الالاة، وإلا كان ملله لا فلكر من الال من الأولفاء فف نولهم وأعقالهم، وقل قال (صلل الله علىه وسلم): إن فلكم مللللن، فهم أولل الناس بهذه الال الشرفة، والوالال الموهوبة (المقللة لابن الللون ملال 1 صفة 565 - 566 الفصل الالل فف ابتلاء الال والأمل، وفف الكلال على الملالل والكشلل عن مسمى الال).

وقال بعله ما مللصه: إن هارون بن سعفل العلل رأس الالفة كان له كتاب بلولل عن الال الصالل، وفله علم ما سفلل لأهل اللل على العموم، ولبلل الأشخاص منهم على الللصول، وقل ذلك للال وللنظاره من رالالالهم على طرف الكوالمة، والكشلل الال لللهم من الأولفاء، وكان مكلوبا عند الال فف الال الال صللر... إلى قولل: وكان فله نلسفر

الوآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق... إلى قوله: ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه، أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم. وقد حذر يحيى بن عمه زيد من مصوعه، وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجانة، كما هو معروف. وإذا كانت الكرامة تقع لغوهم فما

الصفحة 133

ظنك بهم علما، ودينا، وآثرا من النوة، وعناية من الله بالأصل الكريم، تشهد لغروعه الطيبة، وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب لأحد.

راجع المقدمة مجلد 1 صفحة 600 - 601 دار الكتاب اللبناني.

13 - ابن خلدون يناقض نفسه

قال ابن خلدون في مقدمته في الفصل الذي عقده لعلم الفقه، بعد ذكر مذاهب أهل السنة، ما هذا نصه: وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، وفقه تفردوا به، بنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية...

وكان أهل البيت أهل كرامات عنده كما أسلفنا، ثم تحولوا بقوة قادر إلى مبتدعة وشذاذ، وأصحاب أصول واهية!! لست أري هل نصدق قوله الأول في أهل البيت، أم نصدق قوله الثاني!!؟

وإذا صدقنا قوله الثاني فهل نسخت آية التطهير!!! وهل ألغي فرض مودتهم؟

وهل زال الواجب ولايتهم!!! وهل أوجد الله سفنا للنجاة بدلا منهم، ونجوما للهداية غوهم، وأمانا للأمة سواهم!! رجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، فقد وثقنا ذلك وتحدينا كل مكابر.

ليكن... فالناس أحرار إما أن يصدقوا النصوص الشرعية القاطعة التي لا تقبل التأويل، وإما أن يصدقوا مقولة ابن خلدون

الثانية بأن أهل البيت شذاذ ومبتدعة وأصولهم واهية. راجع النص والاجتهاد صفحة 541 وما فوقه لشرف الدين الموسوي.

14 - أبو العلاء الموي وجعفر الأئمة

يقول أبو العلاء:

لقد عجبوا لأهل البيت لما * أتاهم علمهم في مسك جفر

ومرأة المنجم وهي صغوى * لته كل عامرة وقفر.



15 - رواية عن الجامعة

جاء في كتاب الكافي مجلد 7 صفحة 40 ، وكتاب من لا يحضوه الفقيه مجلد 4 صفحة 151 ، ومعاني الأخبار صفحة 217 ، والتهذيب للشيخ الطوسي مجلد 9 صفحة 211 ، والوسائل مجلد 12 صفحة 450 : إن أول من روى عن كتاب الإمام علي مباشرة هو الإمام علي بن الحسين، وروى من بعده الإمام الباقر كما في الخصال صفحة 124 ، وثواب الأعمال وعقاب الأعمال صفحة 261 ، وكلاهما للشيخ الصدوق، والوسائل مجلد 16 صفحة 119 إلخ. راجع معالم المدرستين مجلد 2 صفحة 335 وما فوق.

16 - من رأى كتاب علي من أصحاب الأئمة

رأى كتاب علي جمع من أصحاب الأئمة يمتنع عقلا اجتماعهم على الكذب. راجع الإستبصار مجلد 2 صفحة 283، والتهذيب مجلد 8 صفحة 81 - 82 ، والوسائل مجلد 5 صفحة 375 ، وموآث الفرض الكافي مجلد 7 صفحة 136 ، ومن لا يحضوه الفقيه مجلد 4 صفحة 225 ، والوسائل مجلد 9 صفحة 82 ، وبصائر الدرجات صفحة 144 و 165 و 162 و 145 ، والكافي مجلد 7 صفحة 142 والتهذيب مجلد 9 صفحة 308 ... إلخ.، ومعالم المدرستين مجلد 2 صفحة 335 وما فوق.

17 - أهل البيت عند رفع الحصار عن الحديث

بيننا أن الحكام قد فوضوا الحصار على أحاديث رسول الله، ومنعوا كتابتها وتدولها، واستمر هذا الحصار 95 عاما ثم صدر قرار حكومي عن الخليفة عمر بن عبد العزيز برفع الحصار وكتابة وتداول أحاديث الرسول، فتقبل الناس القوار مكوهين، وبدؤوا يستذكرون أحاديث رسول الله بعد مقاطعة دامت 95 عاما، وبعد 95 عاما من صدورها عن الرسول كان بإمكانهم أن وجعوا لأهل البيت، وأن يتلقوا علما يقينيا منهم، ولكن لم يفعلوا، لأن سياسة الدولة تمنع ذلك، لأسباب أردنا بعضها.

انطلقت الدولة وأعطت إشارة البدء بتدوين أحاديث الرسول، وكتابتها، وروايتها بعد حصار دام 95 عاما، وانطلق علماء الدولة يروون أحاديث رسول الله عن كل عابر سبيل، وركزوا تركيزا خاصا على ما بقي من الصحابة الكرام، أي صحابي رأى الرسول، أو رآه الرسول، أو أي شخص مستقر الحال على حد تعبيرهم، وقد أخذ العلماء من كل الناس باستثناء أئمة أهل البيت الكرام، لمجموعة من الأسباب، منها حذر الدولة منهم، ومنها سنة الشك التي أوجدها الحكام بهم. وتمخضت تلك الإنطلاقة عن الصحاح الستة التي أوردنا ذكرها. وبالرغم من الحصار العرير الذي فوضه الحكام على أهل البيت الكرام عامة، وعلى أئمة أهل البيت خاصة، فإن الأئمة

الكوام لم يتوقفوا لحظة واحدة عن بيان سنة جدهم ونبيهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا تركوا وسيلة يتسرب منها البيان إلا وسلكوها، وعندما شرعت الدولة برفع الحصار عن كتابة أحاديث الرسول وروايتها اغتتم الأئمة الكوام هذه الفوصة، وشوعوا ببيان سنة جدهم لسببين:

الأول: تنقيف شيعة أهل البيت بأحكام دينهم (القوان وبيان هذا القوان المتمثل بقول الرسول وفعله وتقرره).

والسبب الثاني: لتكون انطلاقتهم العلمية نبعا يستقي منه من يشاء علماء الدولة، وعلى هذا الصعيد تخرج على يد الإمام جعفر الصادق أربعة آلاف فقيه ومحدث، وتتملذ على يديه مباشرة أو بالواسطة أئمة المذاهب الرسمية المعتمدة في الدولة الإسلامية!

ومزة علوم أئمة أهل البيت أنها قائمة على الحزم واليقين، إذ نونت هذه العلوم على عهد رسول الله، بخط علي وإملاء الرسول نفسه، وتناقلها الأئمة كارا عن كابر، بعيدة عن التحريف، والزيادة والنقص، بسبب وثاقة التنوين.

18 - ثروة انطلاقة الأئمة الكوام

لم تصل إلينا ثوات انطلاقة الأئمة الكوام من أهل البيت كلها، فقد استفانوا وحثوا تلاميذهم على الاستفادة من قار الدولة برفع الحصار عن تنوين الحديث، ودون

الصفحة 136

أصحاب الأئمة كتبهم التي كانت تسمى (الأصول) وقد بلغت المآت، ولم يصل إلينا من أصول القون الأول والثاني إلا القليل. وأهم موسوعات الحديث عن أهل البيت الكوام هي:

1 - الكافي، للشيخ الكليني (ت 329 هـ) أول من ألف من شيعة الأئمة موسوعة حديث عامة، جمع فيها أكثر من 16 ألف حديث.

2 - مدينة العلم، للشيخ الصدوق (ت 381 هـ) ويقال إنه أضعاف كتاب الكافي، ونسخته مفقودة على أثر حرق كتب أتباع الأئمة الكوام ومكتباتهم، ومطردهم وتشريدهم.

3 - بحار الأنوار، للمجلسي (ت 1111 هـ)، والعالم للبحراني من تلامذة المجلسي، وهما من الموسوعات الكبيرة المتأخرة كل منهما نحو مائة مجلد.

كما اهتم أتباع الأئمة بأحاديث الأحكام، وكان الشيخ الصدوق (ت 381 هـ) أول من ألف موسوعة فقهية من الحديث سماها (من لا يحضوه الفقيه) وتلاه الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) وألف الإستبصار والتهديب. ثم مجموعة وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للشيخ الحر العاملي (ت 1104 هـ) ثم جامع أحاديث الشيعة للسيد حسين البروجردي (ت 1380 هـ).

وقد نقلنا هذه الخلاصة عن معالم المرستين مجلد 2 صفحة 278 للعلامة السيد مرتضى العسكري.

19 - قل هل أنبؤكم بخير من ذلكم؟

الأمة الإسلامية شخص اعتلري مريض حقيقة، والمريض بفطرته يبحث عن ما يشفيه من مرضه، وقد تداولت الأمة بالدكتاتورية، وبالشيوعية، وبالديمقراطية، ولكنها بقيت على حالها تعاني من أوجاعها، فما الذي يمنع أهل السنة من أن يسألوا عن علم أهل بيت محمد؟ وعن جامعة علي!! وعن أقوال أئمة أهل البيت؟ فما يريهم لعل العلاج موجود عند أهل بيت النبوة!!

الصفحة 137

إنكم لم تشعروا بأي حوج، ولا أبديتم أية تحفظات عندما تداولتم بالشيوعية والديمقراطية وهي بضاعة أجنبية، فلماذا تشعرون بالحوج، وتبدون التحفظات عندما نفتح أمامكم صيدلية أهل بيت محمد؟

هل الشيوعية والديمقراطية أقرب إليكم من علم أهل البيت!!!

لو كان معاوية حيا لما لامكم أحد، لكن معاوية ميت ولا علاقة له الآن بأزاقكم واعتلركم!!!

ثم ما هي العدوة بيننا وبين أهل البيت الكوام؟ ما الذي فعله الهاشميون بهذه الأمة حتى تنفر منهم هذا النفور العجيب!!!

إننا نقبل بكلينتنا على كتب ابن تيمية وعلى مذهبه، وعلى مذهب محمد بن عبد الوهاب، ولا نجد حرجا في ذلك، لماذا

نتحرج عندما يطرح أمامنا قول من أقوال أئمة أهل البيت الكوام؟

هل ابن تيمية، وابن عبد الوهاب رفع متولة في قلوبكم من أئمة أهل البيت!!!

إننا نقول بصوت واحد نحن لا نكوه الأئمة الكوام ولكننا نكوه الشيعة، ليس فضلا لكم أن لا تكوهوا الأئمة، فنحن لا نكوه

حتى الحيوانات، أما كوهنا لشيعة أهل البيت ففيه العجب، لماذا نكوههم؟ لماذا لا نسمع وجهة نظرهم؟

نحن من الحضرة بحيث نسمع وجهة الإنكليز والأمريكان وحتى اليهود، فهل هؤلاء كلهم أحب إليكم من الشيعة؟ ولكم ولهم

كتاب واحد، ونبي واحد، وتتوجهون لكعبة واحدة، هل هذه أخوة الإسلام!!! هل هذا هو عصر الانفتاح!!!

إسمع وجهة نظري بتجرد، ولأسمع وجهة نظرك بصبر وتجرد، ثم نتحاكم إلى الإسلام، فهو دين الله، وهو الحكم، ولتكن

غايبتنا هي الوقوف على الحقائق الشوعية المجردة.

* *

الصفحة 138

الصفحة 139

الفصل الحادي عشر

الركن الثالث للوحدة: الأمة

القيادة السياسية والمرجعية في الأمة هي بمثابة القلب من الإنسان، والأمة هي بمثابة أعضاء البدن في الإنسان، والمنظومة الحقوقية هي بمثابة النظام، أو القانون الذي يحكم فيه القلب أعضاء الإنسان، فإذا فقد ركن من هذه الأركان تعطلت المعادلة كلها، فيصبح القلب أو القيادة السياسية والمرجعية بمثابة ملك لا حاشية له ولا رعية، وتتحول المنظومة الحقوقية إلى مجرد كتاب قانوني لا يقدم ولا يؤخر، وتتحول الأمة إلى مجموعات متناثرة من الأفراد كحبات السبحة التي انقطع نظامها، فأصبحت كل حبة في واد، وكل مشاهد منها في بلاد.

2 - معنى الأمة ومكوناتها

الأمة هي عبارة عن شخص اعتباري له ذمة مالية مستقلة تماما عن ذمة القيادة والمرجعية، ولهذه الأمة وجود واقعي وقانوني مستقل تماما عن وجود القيادة والمرجعية، فهي شئ والقيادة والمرجعية شئ آخر، صحيح أن القيادة والمرجعية هي بالضرورة جزء من الأمة، ولكن لكل واحد من هذين الكيانين ذاتية مستقلة تماما عن ذاتية الآخر، ووجود مادي مستقل عن الآخر، وحقوق قائمة بذاتها ومستقلة عن حقوق الطرف الآخر، بالرغم من التكامل والتكافل المفروض عليهما. وتتكون الأمة الإسلامية حسب منظومة المادة الأولى من الدستور النووي الذي وضعه

الصفحة 140

رسول الله عند قومه للمدينة المنورة من (المؤمنين والمسلمين، ومن تبعهم من غير المؤمنين ومن غير المسلمين، ومن لحق بهم، ومن جاهد معهم) هذه الوثيقة الدستورية ذكرها ابن هشام في مجلد 1 صفحة 501، ومحمد حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية صفحة 15، وظافر القاسمي في صفحة 21 من كتابه نظام الحكم في الشريعة والتاريخ. فالأمة تتكون إذا من المؤمنين الذين دخل الإيمان في قلوبهم، ومن المسلمين الذين نطقوا بالشهادتين وأعلنوا إسلامهم، ومن أبناء الملل الأخرى الذين يعيشون في ظلال الدولة الإسلامية وعلى إقليمها، ويقبلون بقيادتها، ويرتضون بمواطنتهم فيها، والملتزمين ضمنا بقبول قوانينها وتشريعاتها، وبتنفيذ قراراتها القضائية، وأحكامها. هؤلاء جميعا أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى، لها قيادة ومرجعية واحدة، وهي رئاسة الدولة الإسلامية الشوعية، ولها منظومة حقوقية أو قانون نافذ، وهو المنظومة الإلهية، ويعيشون جميعا على إقليم واحد، وهو تلك البقعة التي تخضع لسلطان الدولة الإسلامية، ويحملون جميعا جنسية هذه الدولة، ويشكلون جميعا نمودجا لإمكانية التعايش الإنساني في ظلال الحكم الإلهي.

فالمرجعية والقيادة هي بمثابة النموذج الشخصي المتحرك للمؤمنين والمسلمين معا، ولمن لحق بهم، والعلاقات المتحركة للعناصر غير المسلمة. والعلاقات بين أفراد الدولة المسلمة هي بمثابة نموذج متحرك لأبناء الأمم الأخرى، في منهج التعايش السلمي بين أبناء العائلة البشرية ككل، على مختلف مللهم ونحلهم.

3 - نور الأمة في تنصيب إمامها وأمرائها

الأمة المؤمنة حقا، تبحث عن الأعم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية ليقودها، لأن هذه المنظومة هي القانون النافذ الذي سيطبق عليها.

والأمة المؤمنة حقا، تبحث عن الأتقى والأخلص ليكون إماما لها، ووفدها إلى الله الذي من عليها، ووضع تحت تصرفها منظومته الحقوقية الإلهية.

والأمة المؤمنة حقا، تبحث عن أفضل مؤمن من أفراده ليقودها، وليكون قنوة

الصفحة 141

لها بعد وفاة نبيها، وليكون أهلا للجلوس في مقام النبوة المقدسة، وللقيام بوظائفها الملخصة، بالبيان، والقيادة، والموجعية. والأمة المؤمنة حقا، تبحث عن أنسب فرد من أفراده الموجودين ليقوم بهذه المهام.

4 - الغاية فوق الطاقة، وفوق القدرة

لا أحد في الدنيا ولا في الآخرة، لا في الأرض ولا في السماء يعرف على وجه الجرم واليقين الشخص الذي تبحث عنه الأمة ليكون إماما لها، لا أحد يعرفه يقينيا إلا الله.

لأن صفات الأعم، والأفهم، والأتقى، والأخلص، والأفضل، والأنسب من بين الموجودين، كلها صفات خفية لا يعلمها علما يقينيا إلا الله، العالم بالسر وأخفى.

ومن هنا، فإن محاولة الأمة لتحديد المتصف بهذه الصفات فوق طاقتها، وتتجاوز قدرتها، حتى ولو اجتمعت على قلب رجل واحد، أو انفودت واحدا واحدا، لأن الشخص طبيعيا كالإنسان، أو اعتباريا كالأمة لا يملك إلا طاقته، وتجاوز حدود الطاقة دخول في أبواب التهلكة، ويؤدي لنتائج عكسية ومدمرة.

يحسن بمن أراد الوقوف على دقائق هذا الموضوع أن يؤأ كتابنا (نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام) فقد خصصنا هذا الكتاب كله لهذه الناحية، وأقمنا الدليل العقلي والشوعي على صحة ما قلناه.

5 - الرحمة الإلهية والمبايعة

حبا من الله لأمة محمد، وحرصا منه على دين الإسلام وحسن نظامه، ورفعنا منه للخلاف والاختلاف، اختص الله هذه الأمة، ودلها على المتصف بهذه الصفات ليكون قائدها السياسي، ومرجعها، أو ليكون إمامها وقنوتها.

وبعد أن تجلت الرحمة الإلهية، وحددت تحديدا يقينيا الشخص المتصف بصفات الإمامة، أو القيادة والموجعية، تبادر الأمة على الفور بمبايعة هذا الشخص ليكون قائدا سياسيا ومرجعا لها معا، لأنها بعد التحديد قد عثرت على الحكم الشوعي، تماما كما يعثر القاضي على النص القانوني المفصل تفصيلا دقيقا على الواقعة المعروضة عليه،

الصفحة 142

فينطق بالحكم، كذلك فإن الأمة تبادر إلى البيعة تنفيذا للحكم الإلهي في هذه الواقعة.

6 - البيعتان

لأنه يتعذر على الأمة أن تجتمع على صعيد واحد وفي مكان واحد فتأخذ البيعة شكلين أو مرحلتين:

1 - المرحلة الأولى وهي البيعة الخاصة ببايعها الخواص، وهم: أهل البيت الكوام، وأفاضل الصحابة، أو وجهاء العاصمة ومن لحق بهم، ولا يتوقف نور هؤلاء الخاصة على البيعة الخاصة، بل أوجب الشوع عليهم أن يساعدوا الأمة لتبايع إمامها ولتتعرف عليه.

2 - البيعة العامة، بعد تمام البيعة الخاصة للإمام، حيث يتحرك خاصة الأمة الموجودون في العاصمة، وفي الأقاليم، ليتمكنوا الأمة كلها من مبايعة إمامها.

وبمبايعة الإمام يبدأ عهد جديد، ويتكون عقد جديد طرفه الأول الإمام، وطرفه الآخر الأمة التي قبلت بالإمام كقيادة سياسية وموجعية معا.

راجع كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) صفحة 76 وما فوق من الطبعة الخامسة، تجد أننا قد بينا بالتفصيل أولئك الخاصة الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة.

7 - الإمام يعين مساعديه

بتمام البيعة يصبح الإمام هو المرجع، وهو القائد السياسي، وهو رأس الأمة الشوعي، ينظر في كافة أمور دينها ودنياها بالكيفية المفصلة بالمنظومة الإلهية، ولتحقيق المقصود الإلهي من مؤسسة الإمامة، له أن يعين من الأمة كافة مساعديه لإدارة وسياسية الأمة، وأقاليمها، وتطبيق الشريعة، وتحقيق مقاصدها.

ومساعدو الإمام من الأمة يعينهم الإمام على ضوء ملكاته، وقابلياته الممزة، وعلى ضوء واقع نفسه الشريفة الممزة، وبالكيفية التي تحقق رضى العامة والخاصة

الصفحة 143

ضمن الأطر الشوعية.

مساعدو الإمام هم:

- 1 - هم ولي العهد، أو الشخص الذي يخلف الإمام ويحل محله إن شغل منصبه، وهو محدد بالضرورة بالمعنى اللغوي.
- 2 - مجلس الوزراء، بالمعنى اللغوي، أو حكومة الإمام.
- 3 - أهل الشورى.
- 4 - ولاة الأقاليم، أو أمراء الأقاليم.
- 5 - القاضي أو القضاة.
- 6 - أية وظائف أو مناصب وى الإمام أنها ضرورية لتحقيق المقاصد الشوعية، ولتطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية.

راجع كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) صفحة 197 وما فوق، و صفحة 76 تجد تفصيل ذلك.

وغني عن البيان أن الذي يملك سلطة وصلاحيه التعيين، يملك سلطة وصلاحيه العزل، والضمانة لعدم التعسف هو سمو شخصية الإمام والإشواف الإلهي على اختياره.

ولا حوج في اختيار الإمام، فإن الولايات المتحدة كدولة ديموقراطية تختار رئيسها، ويعطيه القانون الأمريكي نفس الصلاحيات التي يعطيها الشوع الحنيف للإمام، ولا يخشى من الرئيس الأمريكي جيرا ولا تعسفا في العزل والتعيين، مع أنه لا يتصف بصفات الإمام الشوعية، ولم تبايعه الأمة الأمريكية كلها، فتلت الأمريكيين على الأقل دعم غوه، وتمنى نجاح غوه، فالثقة بالإمام أولى من الثقة بالرئيس الأمريكي من كل النواحي الموضوعية، وإعطاء الرئيس الأمريكي صلاحية تعيين وزرائه، ومساعديه، وغزلهم، لا يخدم ديموقراطية النظام الأمريكي بكل المعايير الديموقراطية.

8 - بين الشوعية والوقائع المادية

بمجرد تحديد الشخص المتصف شوعا بصفات الإمامة، يتوجب على الأمة خاصتها وعامتها أن تبايع الإمام فورا بعد أن دلها الله تعالى عليه، لأن مقصودها الشوعي

الصفحة 144

(العثور على الأعلم، والأفهم، والأتقى، والأخلص، والأفضل، والأنسب لقيادتها) هو عين المقصود الإلهي في هذه الناحية، وحيث أن الله تعالى قد دلهم على بغيتهم وما يحقق مقصودهم، فمن الطبيعي أن تحقق الوحدة بين المقصدين - مقصد الأمة ومقصد الله تعالى - ولا إشكال في هذه الحالة.

لكن يصدف أن بعض أفواد جماعات الأمة رغبة أو رهبة أو هوى، تكوه هذا الشخص المتصف شوعا بصفات الإمامة، أو أنها لا تويده إماما لأنه صغير السن، أو به دعابة، أو لأنه من بني هاشم، أو لأنه قتل كثرا من العوب في سبيل الإسلام، أو لأنه من أقرب النبي، وليس من العدل أن يكون النبي والإمام من قبيلة واحدة، فتذهب هذه القبيلة بالشوف كله، ولا تتوك شيئا لبقية القبائل، فعندما يعلن الإمام الشوعي القائم ولي عهده يتعذر على هؤلاء الأفواد والجماعات أن يجاهروا باحتجاجاتهم، ولذا يبذرون بالتخطيط سوا، والتكثل ويعملون بكل استطاعتهم في حياته لكي لا يسد عليهم الطريق، حتى إذا مات الإمام الشوعي القائم، وانشغلت الأمة بفجيعتها، تحرك هؤلاء الأفواد وتلك الجماعات في غفلة من الأمة، وقدمت واحدا منها على أنه إمام.

ومن الطبيعي أن الناس ليسوا ملائكة، وأنهم يبحثون عن المصالح بجهد أكبر من بحثهم عن المبادئ، وأنهم بالنص الشوعي يحبون الدنيا العاجلة، وينرون الآخرة، فيسلوع أمثال هؤلاء إلى مبايعة المتقدم، ويفاجئ الإمام الشوعي بهذه الوقائع، ويقوم بالحجة على الحاكم الفعلي، ولكن الحاكم الفعلي لا يأبه بالإمام الشوعي، ويجد الإمام الشوعي نفسه بمواجهة نولة حقيقية، فيطلب النصر من فئات الأمة المختلفة، فمنهم من بايع ويعز عليه نقض البيعة، ومنهم من لا يرغب أن يدخل في صواع خاسر ومعروف النتائج حسب تحليله، فهذه نولة والإمام الشوعي فود، فيقل ناصر الإمام فيسلم، ويصبح الغالب هو الإمام، أو

ال خليفة، أو أمير المؤمنين الفعلي، والإمام الشوعي لا حول بيده ولا قوة.

وحيث أن هذا الغالب هو القابض فعليا على مقاليد الأمور، فإنه يصبح الأمر والناهي، ويصبح هو الإمام بحكم الواقع والغلبة لا بحكم الشوع.

ومع الأيام والتكرار ينبذ الإمام الشوعي بعد أن تعذر عليه ممارسة وظائف الإمامة، لأنه أصبح وحيدا ومجردا من السلطات الواقعية، والإمكانيات التي تمكنه من ممارسة دوره كإمام شوعي، وحيث أن الأمة وقفت مع غوره، وحيث أن هذا الغير هو الغالب، يتحجم نور الإمام الشوعي وينبذ، باعتباره عدو الغالب، ومنافسه، وطريد السلطة، وتتحول هذه الآلية إلى سنة فعلية، تدعها القوة والغلبة. وتتحول الأمة إلى مجرد مطية يركبها أي غالب، وتتدحر الشرعية، والمشروعية تماما، فتسود مقولة عبد الله بن عمر بن الخطاب (نحن مع من غلب) تلك المقولة التي تحولت إلى نص، كأنه مقول من عند الله! راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى صفحة 6 - 15، وراجع صفحة 424 من الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني.

وبعد أن تستتب الأمور لهذا الغالب يقلد النبي، فيعهد إلى أي شخص يريده، وتستمر ولاية العهد بهذه الطريقة حتى يبرز من بين صفوف الأمة غالب جديد، فيغلب الخليفة القائم، ويستولي على الملك لنفسه، أو لأسوته، ويبدأ بسلسلة ولاية العهد، حتى يتقدم الصفوف غالب جديد!

والأمة رغبة أو رهبة مؤمنة بمبايعة كل غالب، وهكذا نواليك طوال التاريخ السياسي الإسلامي! وإذا تحوأ الإمام الشوعي بمثل هذه الظروف أن يذكر الأمة بالشوعية، وبحقه الشوعي بالإمامة، قيل: إنه طالب إمرة، وطالب الإمرة لا يؤمر، وقيل: إنه يريد أن يفوق الأمة بعد اجتماعها، وأن يشق عصا الطاعة، ويفوق الجماعة، ويبغي الفتنة. ووسائل إعلام الدولة تدق طبولها بالعشي والإبكار، وترسخ الواقع وتباعد بين الأمة وبين الشوعية السياسية الحقيقية. ولقد عالجتنا هذا الموضوع في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) بإيجاز يكفي للإحاطة بهذا التوجه، فليرجع إليه من شاء الوقوف على بعض التفاصيل.

وعندما يطول العهد وتتكون معالم السنة الفعلية التي رسمها الغالب، يتصور

اللاحقون أن الشوع ظن، وأن الخروج على الشوعية هو بعينه الشوعية واليقين. وبهذه الحالة تقاوم الأمة أو الأكثرية الساحقة من الأمة بعناد، أي محاولة للعودة إلى الشوعية، وتعتبر هذه المحاولة خروجاً على شوعية السنة التي أوجدها الغالب. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

* * *

الباب الثاني

الإختلاف بعد الوحدة والائتلاف

الفصل الأول: طبيعة الاختلاف ومخاطره

الفصل الثاني: فتح أبواب التنوع والاختلاف

الفصل الثالث: ثمار الترتيبات الوضعية

الفصل الرابع: تحول الترتيبات الوضعية إلى فئات

الصفحة 148

الصفحة 149

الفصل الأول

طبيعة الاختلاف ومخاطره

1 - جريمة الفوق

إذا كانت وحدة الأمة الإسلامية فوضا، فإن تفريق وفوقة الأمة الإسلامية جريمة كوى ومفسدة عظمى، تترتب عليها مئات المفاسد، فهي تعطل الأمة كشخص اعتباري عن القيام بكل أنورها وواجباتها، وتؤدي إلى التنوع والفشل وذهاب الريح والهيبة، وتعميق كل ذلك وترسيخه، فيتفوق المسلمون بعد وحدة، ويختلفون بعد انسجام، ويتحولون إلى شيع متباعدة متباغضة، وأحزاب متنافرة، ينتهى كل حزب بما لديه، وتعم كل فئة أنها على الحق المبين، وأن غيرها على الباطل، مع أنه لا يوجد إلا حق واحد، وباطل واحد، ولو كانوا جميعا على الحق لاتحوا تحت راية الحق الواحدة، ولكن لأنهم أحوا الباطل وكوها ما أتول الله، اختلفوا ودخلوا أبواب الهوى كما دخل المشركون من قبلهم قال تعالى (لا تنزعوا فتشولوا وتذهب ربحكم) الأنفال آية 45 ، وقال جل جلاله (لا تكونوا من المشركين، من الذين فوقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فوحون) آية 21 - 22 من سورة الروم، وقال أيضا (إن الذين فوقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ) آية 159 من سورة الأنعام، والخطاب في هذه الآية موجه للنبي.

الصفحة 150

2 - سبب الفوق والخلاف

يكمن سبب خلاف المسلمين واختلافهم، وتوق كلمتهم، وإخفاقهم في تحقيق وحدتهم في أمر واحد لا شأن له، وهو بإيجاز عدم إعمالهم للترتيبات الإلهية مجتمعة.

فقد أخذوا من هذه الترتيبات الإلهية أمورا، وتركوا منها أمورا أخرى.

وهذا الذي تركوه من الترتيبات الإلهية أحدث فواغا هائلا وفجوة، فسدوا هذا الفواغ وتلك الفجوة بترتيبات بديلة، وضعوها على عجل وحسب رأيهم ومبلغهم من العلم، وأشيع في ما بعد أن هذه الترتيبات البديلة هي جزء لا يتجزأ من الترتيبات الإلهية، تؤا معها، وتنفذ كما تنفذ الترتيبات الإلهية تماما.

3 - الربط المتكرر

تولى قادة التلريخ السياسي الإسلامي عمليات ترك بعض الترتيبات الإلهية، وعمليات وضع ترتيبات بديلة، لسد الفواغ الحاصل، ثم عمليات الربط بين ما تبقى من الترتيبات الإلهية وبين الترتيبات البديلة التي وضعوها، وكوس هؤلاء القادة كل جهودهم وإمكانات الدولة الإسلامية لتبدو هذه العمليات وكأنها لمصلحة المسلمين، ولمصلحة الإسلام، وشايعتهم الأكتوية الساحقة من الأمة على ذلك رغبة في ما عند هؤلاء القادة، أورهبة منهم.

4 - الإشاعة تتحول إلى قناعة

ثم أخذت وسائل الدولة الرسمية لهؤلاء القادة تروج لشوع هذه الإشاعة، وتشد بفضائل وحكمة واضعيها، ومع التكرار صلت كل هذه العمليات أعوفا مؤمة، وحالات واقعة، وسنة متمكنة في الحياة، وقناعات ضلرية الجنور، واعتقد اللاحقون أن الوحدة بين ما تبقى من الترتيبات الإلهية وبين الترتيبات البديلة التي

الصفحة 151

وضعها قادة التلريخ، اعتنقوا أنها وحدة شوعية وحقيقية، وأن كافة الترتيبات التي بين أيديهم هي من صنع الله تعالى وحده، فتقبلوها على هذا الأساس، ودافعوا عنها على هذا الأساس، وأقاموا سورا بين العقل البشري وبين الولوج إلى حرمة هذه القناعات، مع أنها في أصلها وحقيقتها شائعات. ومن هذا الاعتقاد تكون نسيج عقيدتهم، وشاعت خلاصة نظرتهم.

5 - اختلاط الدين بالأشخاص

من المسلمات أن ذات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي جزء من الدين، فيجب أن يتيقن المؤمن أن محمدا بالذات - وليس غيره - هو نبي الله ورسوله، وأن طاعته هي طاعة الله، ومعصيته هي معصية الله، فالقناعة بذلك هي جزء لا يتجزأ من دين الله، وتؤا هذه القناعة مع الدين، وهي منبئة في كل نصوصه.

ونتيجة لتترك بعض الترتيبات الإلهية، ووضع ترتيبات بديلة، لتسد محلها، أشيع في ما بعد أن الذين وضعوها هذه الترتيبات البديلة هم أيضا جزء من الدين، ويؤا هذا الجزء مع الدين نفسه، وحجتهم في ذلك أن القول بغير ذلك سوء ظن بأولئك الذين قالوا التلريخ السياسي بعد وفاة النبي، وصنعوا وحققوا الانتصارات والأمجاد، وفتحوا الممالك والبلدان بفترة زمنية قصيرة، معتقدين أن سر العظمة لهؤلاء القادة، لا بدين الإسلام وحده، وكيف لا وقد صحوا النبي، وكانوا خلفاءه والقائمين مقامه، وقد

وحوا الأمة طوعا وكرها، ونقلوا لنا الدين نفسه، وبلغونا أحكامه، فهم عدول، لا يجوز عليهم تعمد الشر، ومن الواجب الاقتداء بهم، فعملهم سنة، ولكل واحد منهم سنة قولية وفعلية وتقديرية عند عدم وجود النص، راجع الباب الأول من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام تجد توثيق ذلك.

وهكذا اختلط الدين بالأشخاص اختلاطا كاملا، وقلت الفارق بين ما وصفه الخالق، وما ابتدعه المخلوق، وحشر الاثنان على صعيد واحد، وقءا معا!

الصفحة 152

وساعد على توسيح هذه القناعة المتولدة أصلا عن الإشاعة رسوخ فكرة أن الغالب مهما كانت وسائل غلبته بطل، وأن البطولة والغلبة محط هوى النفس البشرية، فقبول الناس هذه الترتيبات البديلة لأنها في جانب منها من صنع الأبطال الذين غلبوا، والغالب على حق، فلو لم يكن على حق لما انتصر - حسب رأيهم - فأخونا بظاهر من القول: إن الله يؤتي ملكه من يشاء.

6 - تقديس الغلبة وتمجيد الغالب

في هذا المناخ تقدست الغلبة، وأصبحت سببا شوعيا للخلافة، وتمجد الغالب وأحيط بهالة حقيقية من التقدير وبفيض من الطاعات، كأنه خليفة وإمام شوعي معين بالنص أو العهد، فاخترع ترتيب بديل مفاده: أنه لو خرج على الخليفة أو الإمام الشوعي خرج أي خرج على الإطلاق - فوقف مع الخليفة الشوعي فريق، ومع هذا الخراج فريق، وشب الصواع بين الفريقين، ثم أسفر عن انتصار هذا الخراج وسيطوته على مقاليد الأمور، فيجب التكر عمليا للخليفة الشوعي المغلوب، وإطاعة هذا الخراج الغالب، وتتويجه خليفة شوعيا مكان السابق فقط لأنه غالب، فإذا غلب وجلس في مقام الخلافة، فيتوجب طاعته، والانتقاد له، وتقديم واجبات الولاء له كائنا من كان، ولماذا لا؟ فهو خليفة رسول الله وأمير المؤمنين رسميا، وإن كنت في شك من ذلك فاقرا مشكورا الأحكام السلطانية صفحة 5 - 11.

ولهذا الغالب أن يتمتع بكافة الحقوق والصلاحيات والامتيازات التي كان يتمتع بها الخليفة الشوعي المغلوب عندما كان غالبا، فهو خليفة حقيقي الآن، بل وبإمكان هذا الخليفة الغالب أن يعهد لمن يقود الأمة من بعده، فهو موضع ثقة نظر المسلمين حال حياته، وتبعا لذلك أن ينظر لهم حال موته، وإن كنت في شك من ذلك فاقرا صفحة 177 من مقدمة ابن خلدون تجد هذا الترتيب البديل.

وزيادة في الأمان والاطمئنان على هذا الغالب فإنه يحرم قتاله، ويحرم الخروج عليه، ويحرم عزله، وله على الأمة حق الطاعة حتى ولو كان فاسقا ظالما، وإن كنت

الصفحة 153

في شك من هذا فلرجع مشكورا على سبيل المثال إلى صحيح مسلم مجلد 6 صفحة 20 - 22 باب الأمر بلزوم الجماعة،

ومجلد 2 صفحة 229 من شرح النووي على صحيح مسلم، ومجلد 8 صفحة 158 - 159 من سنن البيهقي... إلخ.

أما لماذا هذه المبالغات بالطاعة والاحتياجات؟ ذلك لأنه خليفة رسول الله والقائم مقامه، والمتمتع بصلاحياته في القيادة! وقد توطد مركز الخلافة في ظلال هذه القناعات، حتى أعلن الحجاج بكل وضوح كما أسلفنا أن الخليفة أهم من الرسول نفسه، ومقامه أعظم من مقام النبوة نفسها!

وساعد على ترسيخ مكانة الخلافة مكانة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في النفوس، فصلرت سيرتهما جزءا من المنظومة الحقوقية الإلهية توأ معها، فلا يكفي أن يتعهد الخليفة الجديد بالحكم بكتاب الله وسنة رسوله، بل يجب أن يتعهد أيضا بالعمل بسيرة الشيخين، وتلك مكانة لا مثيل لها، والشواهد على ذلك كثرة، راجع على سبيل المثال مجلد 5 صفحة 15 من أنساب الأثواف للبلانوي، ومجلد 1 صفحة 26 من الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري.

وما قاله الشيخان، وما فعلاه، وما أقواه يوقأ مع المنظومة الحقوقية الإلهية وكأنه جزء منها.

ولاية العهد لا سند شعوي لها من الناحية الرسمية إلا فعل أبي بكر وعمر، حيث عهد أبو بكر لعمر، وعهد عمر للمستة نظريا ولعثمان عمليا، راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب الأول صفحة 147، ونظام الحكم للقاسمي، ومجلد 2 صفحة 428 من تزيخ الطوي، و صفحة 37 من سيرة عمر لابن الجوزي، و صفحة 85 مجلد 2 من تزيخ ابن خلدون، و صفحة 11 من الإمامة والسياسة لابن قتيبة، و صفحة 177 من المقدمة لابن خلدون.

وإذا غلب غالب جديد يسوي هذا القانون لصالحه.

الصفحة 154

7 - ما هو السند الشعوي لترتيب الغلبة البديل للترتيب الإلهي؟

السند الشعوي لهذا الترتيب (نحن مع من غلب) ليس آية قرآنية، أو سنة نبوية كما يخطر على البال، إنما هو مجرد قول صدر عن الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب يوم فتكت جيوش الخليفة يزيد بأهل المدينة المنورة، وروعتهم، ونكلت بهم، وأذلت أصحاب النبي، وختمت أعناق وأيدي من تبقى منهم على أنهم عبيد ليزيد، إمعانا بإذلالهم، وقتلت ما لا يقل عن عشرة آلاف مسلم! واستقرت الأمور لصالح يزيد بن معاوية، عندئذ قال عبد الله بن عمر (نحن مع من غلب) فتحولت مقولته إلى قاعدة دستورية شعوية توأ تماما مع المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي أشهر من نار على علم، لأنها السند الوحيد للخلافة التاريخية، راجع مشكورا صفحة 5 - 11 من الأحكام السلطانية، وتأكد من صحة ما ذكرناه، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، تجد توثيق وتفصيل ذلك.

8 - طريق الخلاف ومفتاح الدمار

الضرر المدمر يأتي من أولئك الذين أعلنوا أن هذه الترتيبات إلهية، وأنهم يؤمنون بذلك، ولكنهم يخشون من أعمال هذه الترتيبات بحجة أنها غير مناسبة، أو أنها بالمآل ضرة بمصلحة المسلمين.

اليهود أنفسهم الذين طلبوا من نبيهم تعيين قائد لهم، فلما دلهم الله على هذا القائد اعترضوا، وقالوا: إنه غير مناسب للقيادة بحجة أن طالوت لم يؤت سعة من المال، وبصعوبة، وبعد أن جاءتهم البيئات اضطروا لقبول قيادة طالوت، وتجد تفاصيل ذلك في سورة البقرة من القرآن الكريم.

وبعض الصحابة الكرام رفضوا ولاية علي بن أبي طالب بحجة أنه صغير السن، وأن مشيخة قومه أولى بالولاية منه، وبحجة أنه هاشمي، وأن الهاشميين قد أخنوا

الصفحة 155

النوّة، فلا ينبغي أن يجمع الهاشميون النوّة والخلافة معاً، فيجحفوا على قريش، ويذهبوا بالشرف كله. نظرة الإمام علي مع أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم على سبيل المثال في الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 5 وما فوق من الجزء الأول، وراجع قول أبي عبيدة للإمام بأنه صغير السن صفحة 15 ، وراجع أقوال عمر (رضي الله عنه) حول عدم أحقية الهاشميين بجمع الخلافة مع النوّة في مجلد 2 صفحة 21 من الكامل في التاريخ لابن الأثير، وراجع شوح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد 2 صفحة 107، ومجلد 2 صفحة 87 ، وراجع كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) باب المرجعية، وباب القيادة السياسية.

وكما اعترض الكثير من الصحابة الكرام على ولاية علي اعترضت زعامة قريش على نوّة النبي، فتمنت لو أن القرآن قد أتول على رجل من القوشيين عظيم، وهو عين اعتراض فوعن على نوّة موسى، بحجة أن موسى مهين ولا يكاد يبين.

9 - نقطة الاعتراض على الترتيبات الإلهية

عادة ينصب اعتراض المعتضين على شخص القائد السياسي والمرجع، فإن نجحوا باعترضهم يستبدلون، ويعطلون كافة النصوص الشرعية المتعلقة بشخص القائد السياسي والمرجع، أو يؤولونها تأويلاً يخرجها عن الغاية من وجودها، وقد يتمادى المعتضون إذا نجحوا، فيقومون بدور المرجع الشوعي، ويتجاوزون حدودهم، فيفتكون بالمنظومة الحقوقية الإلهية، فيعطلون ما شاعوا من النصوص، ويؤولون البعض الآخر منها، ويبدلون بعضها، ويعملون ببعضها مما لا يتعارض مع ما تهوى الأنفس.

عندئذ تضيق الأمة، وتتعلت الترتيبات الإلهية ويفسد أمر الناس، ويختلط الحابل بالنابل، والحق بالباطل، وتبدأ البنية العامة للأمة بالتآكل حتى تنهار نهائياً. فإذا انهلت، يستجد سبب جديد للوقفة، ويتعذر توحيد الأمة دون تشكيكها بشوعية سنة الغالب، تمهيدا لإبطالها، ثم إبطال سحر هذه السنة. والله غالب على أمره.

الصفحة 156

10 - الترتيبات الإلهية معادلة رياضية

وحدة الأمة الإسلامية تتحقق عندما تطبق الشرعية الإلهية، وتنفذ الترتيبات الإلهية بركانها الثلاثة المؤلفة من:

1 - قيادة سياسية وموجعية تكون بالضرورة هي الأعم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وهي الأفضل، والأبقى، من بين أتباعها، وهي الأصلح والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع. وتلك صفات خفية لا يعملها علم اليقين إلا الله تعالى، ومن هنا فقد اختص وحده بتحديد هذه المرجعية، وبيان الشخص المتصف يقينياً بهذه الصفات، فهو تعالى الذي أعلن أن هذه الصفات متوفرة بالوسل الكوام كل في زمانه، فقد توفرت بموسى، وفي داود، وفي سليمان.

.. إلخ. وتوفرت في طالوت، وتوفرت هذه الصفات في محمد، وبختم النبوة، والرسالات الإلهية لبني البشر توفرت بعلي وبالأئمة الكوام. وقد عالجت هذا الموضوع علاجاً علمياً في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام وأقمت الأدلة القاطعة على ذلك.

2 - المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي بمثابة القانون النافذ للأمة وللجماعة الإسلامية، وقد غطت هذه المنظومة من خلال فهم القائد السياسي والمرجع كل شئ يحتاجه الجنس البشري، وعلى كل صعيد.

11 - ثروة المعادلة

إذا أعملت هذه الترتيبات الإلهية، ونفذت استقام أمر الأمة تماماً، وتحققت وحدتها، وأمكنها أن تتابع أهدافها المتمثلة: بإنقاذ الجنس البشري، وإقامة النولة العالمية الواحدة، وتعمير الأرض، وتوزيع ثرواتها توزيعاً عادلاً على أبناء الجنس البشري، عندئذ يسود الحكم الإلهي، وتتحقق في ظلاله الحرية الحقيقية، والعدل الحقيقي، والمسئولة الحقيقية أمام القانون، وفي مستوى المعيشة والتكاليف، لا فرق

الصفحة 157

بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود وأصفر، الكل أعضاء في جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهكذا يتحقق الائتلاف، وتتحقق وحدة الأمة الإسلامية، ومن خلالها وحدة الجنس البشري في ظلال الحكم الإلهي.

12 - المعادلة السلبية

أما إذا عطلت هذه الترتيبات الإلهية، أو تهدم ركن منها، أو عدلت هذه الأركان، أو عدل بعضها، أو عطلت أجزاء منها، عندئذ تنهدم الشوعية الإلهية عاجلاً أم آجلاً، وتدخل الأمة والعالم في ليل بهيم إذا أخرجت يدك لم تكذواها، وتنمو أسباب الشقاق والاختلاف، وتنهدم وحدة الأمة، وتموت عملياً روحها العامة، ويتوقع كل فرد من أفرادها على ذاته، لأننا نكون في هذه الحالة أمام حكم وضعي وترتيبات وضعية، ونكون قد أبطلنا بأيدينا مفعول العلاج الإلهي الذي وصفه تعالى لشفائنا، وبهذه الحالة تبدأ عمليات التآكل، ومن الطبيعي أن تافقها عمليات محولات الإصلاح، لكن هذه المحولات بمثابة مخدر، لأنها قاصورة، ولأنه لا يوقف الدمار في العالم ولا يضع حداً له إلا عودة الأمة الإسلامية إلى الترتيبات الإلهية، وإعمال هذه الترتيبات كاملة غير منقوصة.

13 - خطورة الترتيبات الإلهية

الترتيبات الإلهية من حيث الظاهر تشكل خطرا على الطبقة التي كانت تتعم وتسود على حساب السواد الأعظم قبل أن تشرق شمس تلك الترتيبات الإلهية، لذلك فإن هذه الطبقة تسعى جاهدة لإجهاض الترتيبات الإلهية، وللتشكيك بنسبة هذه الترتيبات لله سبحانه وتعالى، وتحاول ما وسعها الجهد أن تستخف أولئك المستفيدين من الترتيبات الوضعية، وأن توحد جهودها مع جهودهم، وتشكل جبهة لمواجهة خطر تلك الترتيبات الإلهية.

الصفحة 158

14 - موضع الاعتراض في الترتيبات الإلهية

الطبقة التي تنتعم على حساب السواد الأعظم لا تجد في المنظومة الحقوقية الإلهية ما يخالف العقل، وما تأباه الفطرة السليمة، أو ما يتعرض مع مصلحة الإنسان، لذلك فإنها لا تجعل الاعتراض على المنظومة موضوعا رئيسيا في صواعها مع المشروع النهضوي الإلهي، ومن هنا فإنها تقصر موضوع الصواع على نقطتين:

- 1 - الحيلولة بين الناس وبين الإصغاء لصوت النبوة، حتى تقلل التابع، وتتمكن من حصر من اتبع.
- 2 - الطعن بشخص القائد أو الموجه والتوكيز على عدم أهليته، وعدم استحقاقه ليكون نبيا، أو رسولا، أو قائدا، أو مرجعا، لأنه مجرد فرد من الناس، أو لأنه من العامة (فهو مهين ولا يكاد يبين) كما قال فوعون عن موسى، ولأنه ليس عظيما وفق معايير المجتمع المراد تغييره (ولا أتول هذا القوان على رجل من القويتين عظيم) كما قال مشوكوا العوب عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لأنه فقير لم يؤت سعة من المال كما قال الإسرائيليون عن طالوت، أو لأنه صغير السن، أو به دعابة، أو لأنه من بني هاشم، وقد أخذ الهاشميون النبوة فلا ينبغي أن يجمعوا الخلافة مع النبوة، كما اجتهد بعض الصحابة الكرام في عدم قبولهم لولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام).... إلخ. هذه الاعتراضات.

15 - نشوء الصواع وفتح أبواب الاختلاف

نتيجة لإعلان المشروع النهضوي الإلهي بركانه الثلاثة، ولموقف الطبقة التي تفقد المجتمع المراد تغييره من المشروع الإلهي ومقاومتها له، ينشأ الصواع المرير بين داعية المشروع الإلهي ومن والاه، وبين الطبقة المتحكمة في المجتمع المراد تغييره ومن والاه، وقد تتمكن هذه الطبقة من إجهاض المشروع الإلهي، ومن هزيمة الداعية ومن والاه، عندئذ وغالبا ما تتدخل العناية الإلهية، فتسلط على هذه الطبقة عذابا، وتقطع داوها.

الصفحة 159

وأحيانا تتجح دعوة الإيمان وتتحول إلى نولة بقيادة النبي الداعية كما حدث لسليمان، ولداود، ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتستتب الأمور، ويوالي المجتمع نولة الإيمان لسبيين:

1 - وضوح الحجّة، وقيام الدليل على صدق الدعوة، ونسبتها إلى الله تعالى.

2 - ولأنّ نولة الإيمان هي التي غلبت، فجمعت بين الاقتناع بشروعيتها وبين حماية هذا الاقتناع بقوتها.

وهناك صواع ينشأ بين أتباع الداعية الإلهي وغالبا بعد موته، فيأخذ الصواع شكل فتنة داخلية، ومن الطبيعي أن هذا الصواع سيكون بين فويقين أحدهما على الحق بالضرورة، والآخر على الباطل بالضرورة، بغض النظر عن قلة أو كثرة ناصوي كل فريق، ونفس القانون يجري على هذا الصواع، فقد يهزم المحق وينتصر المبطل بمولزين النصر التي يألفها العامة، كما حدث للأكثوية الساحقة من الوسل الكوام، عندئذ تقتص العناية الإلهية من الأمة التي آزت المبطل، وخذلت المحق، فتذيق بعضها بأس بعض، وتسلط الظالمين عليها يسومونها سوء العذاب. وأحيانا قد ينتصر المحق.

16 - نفس الأطر ونفس موضوع الخلاف

عندما ينشأ الصواع بين أتباع الداعية الإلهي بعد موته، ينصب اعتراض المعترضين على شخصية القائد السياسي والمرجع، لأنه وأي وحسب اجتهاد هؤلاء المعترضين ليس أهلا للقيادة والمرجعية، أو لأنه من عشوة النبي، أو لأنه صغير السن، أو لأنه فقير، أو لأنه أثخن في العوب... إلخ. فيغدو من المناسب حسب رأيهم واجتهادهم أن يتولى القيادة والمرجعية شخص آخر أكثر أهلية منه، فذلك أفضل لمصلحة الإسلام ولمصلحة المسلمين، وذلك أقرب لوحدة الكلمة، وأجدر بتحقيق الوفاق والاتتلاف... إلخ.

الصفحة 160

17 - نقض الترتيبات الإلهية

قد تبدو هذه الحجج مقبولة من حيث الظاهر ويبدو الإشفاق واضحا من أصحابها، ولكنها في حقيقتها وجوها تشكل نقضا للترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة والمرجعية وتغيروا لطبيعة هذه الترتيبات، ومبررا لإيجاد ترتيبات بديلة، وهي في الحقيقة تهز هوا عنيفا المنظومة الحقوقية الإلهية خاصة القواعد المتعلقة بالقيادة والمرجعية، وبالتالي تستبدل الترتيبات الإلهية الدائمة والواضحة بترتيبات بشرية وضعية وغامضة.

18 - الحرب خدعة والاجتهاد فن ووطن

إن تكافأت الفوصة بين المعترضين والقائد والموجع الشوعي على سواء، وكانت الشوعية هي الحكم، فإن القائد والموجع الشوعي مؤهل إلهيا ليفوز، وليقيم الحجّة على المعترضين، ويسلك بهم وبالأمّة جادة الصواب، ويقودهم ضمن إطار الشوعية حتى يحقق للجميع السعادة في الدارين. لكن المعترضين أذكى من أن يتحركوا في فوصة متكافئة مع القيادة والمرجعية، وهم أعقل من أن يقبلوا بأقل من النصر على قائدهم ومرجعهم، وعلى الشوعية نفسها.

إن الحل الأمثل لهزيمة القائد والمرجع الشوعي والشوعية معا يتمثل في ترتيب الأمور لما فيه مصلحة المسلمين في غياب القائد والمرجع الشوعي، بحيث يواجه القائد بأمر واقع لا قوة له على دفعه، وإن حاول دفعه يقع المحذور، ويفوق الجماعة، بعد خروجه على الطاعة، ويثير الفتنة بعد أن نعمت العامة بالعافية، ولا يكون أمام العاقل من سبيل إلا طلب السلامة، وابتغاء رضى الغالب الذي دانت له الأمور، واستقامت لسلطته!!

وستوى أن هذا هو الذي حدث في مواجهة الترتيبات الإلهية لقيادة الأمة في مواجهة النبي وعند وفاته.

* *

الفصل الثاني

فتح أبواب التمزق والاختلاف

1 - الائتلاف

لقد نجح النبي الأعظم نجاحا ساحقا بتحويل الدعوة إلى دولة، وحدث في ظلال حكمه الأرشد للعرب لأول مرة في التاريخ، وبكلفة بشرية لم تتجاوز 389 قتيلا من أعوانه ومن أعدائه معا، وأرسى قواعد الائتلاف والشوعية، فكانت ولايته المباركة هي الرمز الأول لوحدة العرب المسلمين، وكانت معجزته القوان، وبيانه اليقيني لهذا القوان هو القانون النافذ لدولة الإيمان، وكان تمسك المخلصين بالقيادة المباركة، وبالقانون اليقيني هو الضمانة المؤكدة لسيادة الشوعية، ودوام هذا الائتلاف. وكان بديهيا أن أي خلل أو تقاعس بتفهم هذه الأركان وفعاليتها سيؤدي حتما إلى نتائج مدمرة، قد يفوت عقد المعادلة كلها، وقد تقوض الشوعية من أركانها، خاصة وأن هذه الائتلاف قد قام بفترة زمنية محدودة لا تتجاوز العشر سنوات، وهي مدة رئاسته (صلى الله عليه وآله وسلم) لدولة الإسلام، ومن جهة ثانية فإن الذين انضوا تحت راية هذه الدولة تفاوتوا تفاوتا كبيرا بفهمهم للشوعية، وقناعاتهم بأركانها، وتوعدت أسباب دخولهم في هذه الائتلاف، فبعضهم - كأبي سفيان وولده معاوية وشيعتهما من بني أمية ومن والاهم - حلوا هذه الشوعية بكل وسائل الحرب وطوال مدة 21 عاما، ثم أحيط بهم وهزموا هزيمة ساحقة، ولم يبق أمامهم إلا أحد طريقتين:

1 - إما أن يستمروا بمقاومة الشوعية الإسلامية وحربها، وهذا انتحار بكل المولزين العقلية.

* *



2 - وإما أن يدخلوا في ائتلاف شرعية الإسلام، فينجون، وقد يحدث لهم هذا الدخول ذكراً، خاصة وأن النبي المبرك لا يفوض نفسه على مواطنهم، إنما يكل هذه المواطن إلى الله.

2 - نذر العاصفة

النبي مبرك أنه هو النظام المتين (الخيطة) الذي يربط حبات سبحة هذا الائتلاف، وأنه إذا ترك الساحة ستميد الأرض من تحت أقدام المؤمنين حقاً، وسيهتز الائتلاف كله هزة قد تلقي به خراج داوة الشوعية.

صحيح أن قانون الدولة بقوانه، وبيان النبي لهذا القوان، لكن ما قيمة البيان إذا لم يتم الائتلاف به؟ وكيف يتسنى هذا الائتلاف بغير قيادة وولاية شوعية تقوم بغيابه بدور النظام الذي يربط حبات هذا الائتلاف؟

ومن هنا فقد تركز اهتمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر أيامه المبركة - خاصة في حجة الوداع - على تلخيص الشوعية بنقطتين لا ثالث لهما كطريق فود لمواجهة مرحلة ما بعد وفاة النبي، ولمواجهة العاصفة، فأكد أن طريق الهداية لا يمكن أن تترك إلا بالتمسك بالثقلين وهما:

1 - القوان الكريم كقانون نافذ.

2 - العوة المبركة أو أهل بيته، كقيادة تعلم بيقين بيان النبي لهذا القوان.

هذا ملخص الدين كله، وهذا هو المصل المبرك الذي إذا تطعمت به تبقى في داوة الهداية، وتبتعد عن ولوج أبواب الضلالة، فتمر العاصفة من جانبها بسلام فتتجو الأمة، وتتجو الشوعية، وينجح الائتلاف.

ولقد ركز على هذين الركنين في مناسبات متعددة، فكل الأنصار بذلك، وكلم المهاجرين، وكلم الأعواب، وتحدث للخاصة والعامّة، وأعلن ذلك في حجة الوداع وفي غدير خم أمام تجمع يزيد عن مائة ألف مسلم، وقّج الولي من بعده أمام هذا

التجمع، وقد فصلت هذا الموضوع تفصيلاً كاملاً في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - باب القيادة السياسية، فلوجع إليه من شاء، يجد التوثيق.

وقد عرفت الأمة حديث الثقلين هذا وتناقضته نصاً ومعنى، تناقلاً متواتراً لا يشك به عاقل.

3 - إثبات حديث الثقلين كطريق فود لتجنب العاصفة

توفروا لجهدي ووقتي، وخدمة لطالبي الحقيقة وتحقيقاً للسياق المنهجي أثبت بأدناه عشر صيغ لحديث الثقلين أوردتها في مقال نشوته جريدة اللواء الأردنية بعددها رقم 1043 الصاورة بتاريخ 28 - 4 - 1993 ميلادية في معوض حوار المؤلف مع وزير الأوقاف الأردني السابق الشيخ عبد العزيز الخياط.

حديث مع الشيخ عبد العزيز الخياط حول حديث الثقلين (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل

إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما).

كيف نصدق يا صاحب السماحة أن الله أتى آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم، ونتعجب - لا أراك الله عجا - من أن يؤتى آل محمد مثلما أوتي آل إبراهيم مع أن آل محمد قطعاً أفضل من آل إبراهيم، ومع أن محمداً بالنص الشوعي أفضل من إبراهيم، عليهم جميعاً الصلاة وأتم التسليم.

إنني أسألك هل حاصرت العرب مجتمعة آل إبراهيم في شعاب أبي طالب ثلاث سنين، واضطوتهم أن يأكلوا أوراق الشجر من الجوع؟ هل نكل بآل إبراهيم وعلقوا على أعواد المشانق، أو قتلوا بالسهم طوال التريخ كما نكل بآل محمد، وكما علقوا وقتلوا؟ وهل فرض الحكام مسبة آل إبراهيم، وحاصروهم وجوعوهم وعروهم وروعوهم، كما فعلوا بآل محمد؟

الصفحة 164

عفا يا صاحب السماحة لقد روى حديث الثقلين مجلد 1 ومجلد 2، وهؤلاء الرواة هم:

عبارات الأتوار حديث الثقلين مجلد 1 ومجلد 2، وهؤلاء الرواة هم:

1 - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

3 - سلمان الفلسي

4 - أبو ذر الغفري

5 - ابن عباس

6 - أبو سعيد الخوري

7 - جابر بن عبد الله الأنصلي

8 - أبو الهيثم بن التيهان

9 - أبو رافع

10 - حذيفة بن اليمان

11 - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين

12 - زيد بن ثابت

13 - زيد بن رُقْم

14 - أبو هوية

15 - عبد الله بن حنطب

16 - جبير بن مطعم

17 - الواء بن عزب

18 - أنس بن مالك

- 19 - طلحة بن عبد الله التيمي
 20 - عبد الرحمن بن عوف
 21 - سعد بن أبي وقاص
 22 - عمرو بن العاص
 23 - سهيل بن سعد الأنصاري
 24 - عدي بن حاتم
 25 - أبو أيوب الأنصاري
 26 - أبو شريح الخراعي
 27 - عقبة بن عامر
 28 - أبو قدامة الأنصاري
 29 - أبو ليلى الأنصاري
 30 - ضرة الأسلمي
 31 - عامر بن ليلى بن ضرة
 32 - أم سلمة زوج الرسول
 33 - أم هاني أخت أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
 34 - فاطمة الزهراء التي شهد النبي بأنها سيدة نساء العالمين.

الصفحة 165

صيغ ومراجع حديث الثقلين

الصيغة الأولى ومراجعها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله، وعتوتي أهل بيتي).
 راجع هذا الحديث في صحيح الترمذي مجلد 5 صفحة 328 مجلد 4 صفحة 387 مطبعة دار الفكر، وراجع درر السمطين
 للزرندي الحنفي صفحة 232 مطبعة القضاء في النجف، وينابيع المودة للفتنوزي الحنفي 33 و 45 و 445 المطبعة الحيدرية،
 وكنز العمال صفحة 135 مجلد 2 وتفسير ابن كثير مجلد 4 صفحة 113 مطبعة دار إحياء الكتب، ومصابيح السنة للبغوي
 صفحة 206 مطبعة القاهرة، وجامع الأصول لابن الأثير مجلد 1 صفحة 187 مجلد 65 مطبعة مصر، والمعجم الكبير
 للطواني صفحة 137 ومشكاة المصابيح مجلد 3 صفحة 258 طبعة دمشق، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة
 114 مطبعة الحلبي، والفتح الكبير للنبهاني مجلد 1 صفحة 503 ومجلد 3 صفحة 385 مطبعة دار الكتب مصر، والشرق

المؤيد للنبهاني صفحة 18 طبعة مصر، وعبقات الأنوار، قسم حديث الثقلين مجلد 1 صفحة 94 و 112 و 114 و 151 و 182 و 217 و 237 ، ورفع الشبهات للإبريسي صفحة 11 و صفحة 15 طبعة مصر... إلخ.
وإن طلبت المزيد يا صاحب السامحة زدناك.

الصيغة الثانية ومراجعتها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني ترك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعتوتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).
راجع صحيح الترمذي مجلد 5 صفحة 329 حديث 3876 طبعة دار الفكر، وراجع درر السمطين للزرندي الحنفي صفحة 231 ، وراجع الدر المنثور للسيوطي مجلد 6 صفحة 7 و 306 ، وذخائر العقبي للطوي صفحة 16 ، والصواعق المحرقة صفحة 147 و 226 المطبعة المحمدية، وراجع ينابيع المودة للفنوزي الحنفي صفحة 33 و 40 و 226 و 355 المطبعة الحيدرية،

الصفحة 166

وراجع المعجم الصغير للطواني مجلد 1 صفحة 135 ، وراجع أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير مجلد 2 صفحة 12 ، وراجع تفسير ابن الأثير مجلد 4 صفحة 113 ، وعبقات الأنوار من حديث الثقلين صفحة 25 ومجلد 1 صفحة 36 و 93 و 113 و 135 و 173 و 193 و 215 و 237 و 241 و 253 و 271 طبعة قم، وراجع كنز العمال مجلد 1 صفحة 154، وراجع الفتح الكبير للنبهاني مجلد 1 صفحة 451 ، وراجع تفسير الخزن مجلد 1 صفحة 4 ، ومصابيح السنة للبخاري صفحة 206 ، والجمع بين الصحاح للعبوي، وجامع الأصول لابن الأثير مجلد 1 صفحة 187 ، وعلم الكتاب للسيد خواجه الحنفي صفحة 264 ، وراجع منتخب تزيخ ابن عساكر مجلد 5 صفحة 436 ، ومشكاة المصابيح للعبوي مجلد 3 صفحة 258، وتيسير الوصول لابن الربيع مجلد 1 صفحة 16 ، والتاج الجامع للأصول مجلد 3 صفحة 208 ، وأرجح المطالب للشيخ عبد الله الحنفي صفحة 336.. إلخ. وإن طلبت المزيد زدناك يا سيدي.

الصيغة الثالثة ومراجعتها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني ترك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعتوتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). راجع الدر المنثور للسيوطي مجلد 2 صفحة 60، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف بحب الأشراف صفحة 116 ، ويناابيع المودة للفنوزي الحنفي صفحة 38 و 183، ومجمع الزوائد للهيثمى مجلد 9 صفحة 162 ، وعبقات الأنوار مجلد 1 من حديث الثقلين صفحة 16 ، وكنز العمال للمتقي الهندي مجلد 1 صفحة 154 حديث 873 و 948 والجامع الصغير للسيوطي مجلد 1 صفحة 353 ، والفتح الكبير مجلد 1 صفحة 451 ... إلخ. وطالبنا بالمزيد إن شئت.

الصيغة الرابعة ومراجعتها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني ترك فيكم الثقلين كتاب الله، وأهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).
راجع مناقب علي لابن المغزلي الشافعي صفحة 234 حديث 281

الصفحة 167

راجع المناقب للخوارزمي الحنفي صفحة 223 ، وفوائد السمطين للحموي الشافعي مجلد 2 صفحة 143 باب 33، وفيه بعد عترتي أهل بيتي: ألا وهما الخليفتان من بعدي)، وراجع عباة الأتوار قسم حديث الثقلين مجلد 1 صفحة 131... إلخ.

الصيغة الخامسة ومراجعتها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني ترك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود... إلخ). راجع كنز العمال مجلد 1 صفحة 165 حديث 945 ، ومناقب علي لابن المغزلي الشافعي صفحة 235 حديث 283 ، والصواعق المحرقة صفحة 148 وفيها: لم يفترقا، والصحيح لن يفترقا كما في الطبعة الأولى صفحة 89، وراجع إسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار صفحة 108 ، وراجع ينابيع المودة للقنوزي الحنفي صفحة 35 و 40 و 226 و 355 ، وراجع السورة النبوية لزين دحلان بهامش السورة الحلبية مجلد 3 صفحة 231 ، والمعجم الصغير للطراياني مجلد 1 صفحة 131 ، ومقتل الحسين للخوارزمي مجلد 1 صفحة 104 ، ومجمع الزوائد مجلد 9 صفحة 163 وإحياء الميت بهامش الإتحاف صفحة 111 ، والطبقات الكبرى لابن سعد مجلد 2 صفحة 194 ، وجامع الأصول لابن الأثير مجلد 1 صفحة 187 ، والأتوار المحمدية للنبهاني صفحة 435 ... إلخ. وطالبنا بالمزيد إن شئت.

الصيغة السادسة ومراجعتها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من خطبة له في غدير خم (كأنني دعيت، فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي)... راجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي صفحة 21 ، والمناقب للخوارزمي الحنفي صفحة 93 ، والصواعق المحرقة صفحة 136 ذكر صدر الحديث، وصححه، وينابيع المودة للقنوزي الحنفي صفحة 32، وكنز العمال مجلد 1 صفحة 167.

الصفحة 168

الصيغة السابعة ومراجعتها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه (أست أولى بكم من أنفسكم؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنني سألتكم عن اثنين الوآن وعترتي). راجع مجمع الزوائد مجلد 5 صفحة 195 وأسد الغابة لابن الأثير مجلد 3 صفحة 147، وإحياء الميت صفحة 115... إلخ.

الصيغة الثامنة ومراجعتها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سويعا، فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معزوة إليكم. ألا إني مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل، وعترتي أهل بيتي - ثم أخذ بيد علي، فرفعها - فقال: هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يودا علي الحوض)... إلخ. راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة 124 المطبعة المحمدية بمصر و صفحة 75 المطبعة الميمنية، و راجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي صفحة 285 ، وعبقات الأنوار حديث الثقلين مجلد 1 صفحة 277

قال بن حجر الشافعي: أعلم أن لحديث الثقلين طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا - صفحة 148

الصيغة التاسعة ومراجعتها

عن زيد بن رُقم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الله فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ، وذكر، ثم قال (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا ترك فيكم الثقلين أو لهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه - ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي). راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل، فضائل علي مجلد 2 صفحة 362 ومجلد 15 صفحة 179 - 180 ، صحيح مسلم بشروح النووي. يوجد لدينا 23 مرجعا لهذا الحديث لم نذكرها، وسنذكرها عند الطلب.

الصفحة 169

الصيغة العاشرة ومراجعتها

عن زيد بن رُقم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (ألا وإني ترك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل إلى أن قال الروي عن زيد، فقلنا: من أهل بيته نسؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فتجع إلى أبيها)... إلخ.

راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل مجلد 2 صفحة 362 ، ومجلد 15 صفحة 181 من صحيح مسلم بشروح النووي، والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 148 ، وفوائد السمطين مجلد 2 صفحة 250 حديث 520 ، وعبقات الأنوار حديث الثقلين مجلد 1 صفحة 26 و 104 و 242 و 261 و 267.

4 - آخر محاولات النبي لتجنيب الأمة العاصفة: على فاش الموت

موته (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن مفاجأة، فقد تضمنت المنظومة الحقوقية الإلهية - بؤانها وبيان النبي لهذا - عشوات التلميحات والتصريحات بأن النبي ميت لا محاله، وأنه قد خير فاختار، كما تجمع الأمة على ذلك، وصوح مورا أمام الجوع بأنه يوشك أن يدعى فيجيب داعي الله، وكلما اقترب أجله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلما زداد إشفاقا على هذه الأمة وحرصا على تجنيبها العاصفة التي ستغشاها بعد موته، وموض موضه الذي مات منه، وتيقن بالوحي أنه ميت لا محالة،

فردادت رغبته بتلخيص الموقف لأمتة حبا لها، وإشفاقا عليها، ومن هنا فقد أراد أن يوصي وصيته الأخوة، ويودع هذه الوصية جوامع الحكمة ومواقع الهداية، ويحذر من منابت الضلالة.

5 - هل يجوز للنبي أن يوصي؟

الوصية حق لكل مسلم، ولكل مسلم الحق بأن يقول ما يشاء أثناء صحته وأثناء مرضه، ولا يملك أحد في الدنيا أن يسلبه هذين الحقين، أو أن يمنعه من مملستهما، فلم يصدف في تزيخ المسلمين على الإطلاق أن أهل أو أصدقاء أو أعوان أي مريض حالوا بينه وبين أن يكتب وصيته، أو أن يقول ما يشاء أثناء مرضه، هذا على مستوى الفود

الصفحة 170

العادي، فكيف عندما يكون المريض نبيا ورئيس دولة!!!

فمحمد نبي من أول يوم أعلنت فيه نبوته وحتى جاد بأخر نفس طاهر، ودخل قائمة الخالدين كنبي، وهو رئيس دولة الإسلام، وولي أمر المسلمين، من تزيخ إعلان دولته المبركة حتى فرق هذه الدنيا الفانية بموته، بمعنى أنه لم يرفع اسمه من قائمة الأنبياء، ولم يغزل من رئاسة الدولة، ولم يقل أحد أنه ليس مسلما! فما الذي يمنعه من أن يوصي، أو أن يقول ما يريد؟!!!

ثم ما هي مصلحة المسلمين بالحيلولة بين هذا المسلم، وهذا النبي، وهذا الإمام، وبين كتابة وصيته، أو أن يقول ما يشاء! سوى شيء واحد هو أن هذه الحيلولة بينه وبين كتابة ما أراد ليست إلا نذر العاصفة، ونذر الشؤم على هذه الأمة، وانواط عقد الائتلاف؟

لو أن مريضا عاديا أراد أن يتكلم قبل موته، فجاء أحد ولأده أو أصدقائه فشوش عليه، وحال بينه وبين ما أراد قوله لأثار استنكار جميع الحاضرين، وجر على نفسه مقتهم، ولما رضي بفعلته أحد، هذا لو كان المريض شخصا عاديا، فكيف عندما يكون المريض نبيا وإمام دولة!!!

الإنسان - أي إنسان - بطبعه لا يميل إلى تصديق ذلك، ولا يعتقد نفسيا بإمكانية حدوث ذلك، ولكن ذلك حدث وللأسف، والذين حالوا بين النبي وبين كتابة ما أراد هم الذين ساءوا، ففلقوا النبي واختلوا معه، وأخنوا بالقوان وحده، فاهترت الشوعية من أركانها!!!

6 - التناقض وتهدم أساس الشوعية

بهذا هدموا الشوعية من أساسها، بغض النظر عن حسن النية أو سوءها، لأن القاتل قد يقتل خطأ وقد يقتل عمدا، وانتفاء العمد لا ينفى وقوع حادثة لرهاق الروح.

الذين حالوا بين النبي وبين كتابة ما أراد بحجة أنه - حاشا له - هجر، أو بحجة أنه اشتد به الوجد بأقل الأقوال وأخفها

وطأ على النفس، كيف يحكمون على قول النبي وهم لم يسمعه؟

وما هو وجه الهجر في كلام مازال في صدر صاحبه!!؟

وإذا كانت كلمات النبي وهو مريض هجوا، فلماذا أصبحت كلمات أبي بكر في موضه شوعا وقاعدة دستورية، فهو الذي سن ولاية العهد، وهو الذي عهد لعمر بالخلافة بكلمات صرت منه أثناء مرضه؟
ولماذا أصبحت كلمات عمر شوعا، حيث أوصى للسته وهو مريض مرض الموت!
ومن فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وجدت واستوت مؤسسة ولاية العهد، وأصبحت هي السنة المتبعة طوال التريخ السياسي الإسلامي!!!؟

ثم كيف نوحده بين القول بأن النبي هجر يهجر - حاشا له - وبين التمسك بالقوان الكويم؟ لقد مرض النبي مرات عديدة، فكيف نميز بين ما قاله بهجوه وصحوه - حاشا له -؟!
ثم إذا كان نور النبي ثانويا إلى هذا الحد، فلماذا لم تزرع العناية الإلهية نسخا من هذا القوان على المكلفين؟ وما الداعي لابتعات النبي أو كل الأنبياء، إذا فسخ الكتب السماوية تغني إن صدقت المقولة (حسبنا كتاب الله)؟
ثم من الذي يفهم المقصود من كتاب الله غير النبي؟ وما هي أبرز مهمات النبي غير بيان ما أتول للناس من ربهم؟
ثم ماذا يعني الإيمان بالقوان وحده، وعدم الإصغاء لما يقوله النبي الذي قول هذا القوان على قلبه وبلغه إلى الناس!!؟
يمكنك القول إن الشوعية قد تهدمت فعلا في حوة النبي، ولم تجد محولات الترميم طوال التريخ، ونتيجة محولات الترميم نشأت الشوعية الرسمية، وهي التي حاولت تطويع الدين لخدمة الواقع وإضفاء الشوعية الحقيقية عليه، وقد حكمت وفرضت فهمها على العامة، وتصور العامة أن هذه الشوعية الرسمية هي عينها الشوعية الحقيقية الإلهية، وتحول هذا التصور إلى قناعة راسخة في الأذهان.

وقد فصلت هذه الزرية في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة 180 وما فوق.

7 - الحزب الأول

القسم الذي قال: هجر رسول الله، أو الرسول يهجر - حاشا له - أو أن النبي قد غلبه الوجع، أو أن النبي قد اشتد به الوجع حسبنا كتاب الله، وتحت هذا الشعار العجيب تمكن من الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد كتابته، هذا القسم كان نواة حزب، أو جزءا من حزب قائم ولكنه مستتر، وبموت النبي أعلن عمليا عن وجود هذا الحزب، والمؤسس الأعظم لهذا الحزب هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكبار أعضاء الحزب هم كبار المهاجرين وسادات قريش الذين أسلموا بعد الفتح وقبله، ومن والاهم من الأنصار رغبة أو رهبة، وقد علا شأن هذا الحزب، وعظم أمره حتى تفرد أعضؤه برئاسة الدولة الإسلامية طوال التريخ السياسي الإسلامي، وحتى تمكن هذا الحزب من فوض قناعاته رسميا على العامة والخاصة من المسلمين، وقد أخذ هذا الحزب أسماء مختلفة إلى أن سمي أعضؤه نهائيا بأهل السنة مع أن مقولتهم الأولى للنبي كانت: (حسبنا كتاب الله)!

ويبدو واضحا أن قناعات هذا الحزب كانت تتكون والنبي على قيد الحياة، وأن هذه القناعات كانت تربط أعضاء الحزب، وتوحد بينهم والنبي على قيد الحياة. ولكن بدون إعلام ولا إعلان لغايته الأساسية.

8 - مفارقة النبي، وإعلان التمسك بالقآن وحده بنفس الوقت

والنبي الكريم على فاش الموت حدث الاختلاف الأعظم بين كبار المهاجرين، وتفصيل ذلك: أن النبي الكريم أراد أن يلخص الموقف لأمتة أمام كبار عواده، وأن يؤمن الأمة تأمينا شاملا ضد الضلالة التي تتوهم وتتنتظر موت النبي حتى تفتح أشداقها، فقال لمن حضر (قوموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) فاختلف الحاضرون، وتزلعوا، ولا ينبغي عند نبي تتلوع، وأكثروا اللغظ، وانقسموا إلى قسمين:

1 - قسم يقول قويا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده أبدا، حتى أن النسوة أطلت من وراء الستر، وقالت: قويا يكتب لكم رسول الله.

الصفحة 173

2 - وقسم آخر يقول: استفهموه إنه يهجر، هجر رسول الله - حاشا له - وبأخف الألفاظ وأهونها قالوا: إن الموضع قد اشتد برسول الله، حسبنا كتاب الله، إن النبي قد غلب عليه الوجع، حسبنا كتاب الله!!!
فصدموا خاطره الشريف بهذه الكلمات النابية، هجر، يهجر، وقال لهم (قوموا عني ولا ينبغي عندي التلوع، نروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، نروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه)!!
وانتصر الفريق الثاني، ولم يكتب النبي كتابه.

لقد فصلنا هذه الرزية في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة 287 وما فوق، ووثقناها بالمراجع التي تجعل إنكار هذه الحادثة أو الاعتذار عنها ضوبا من الهوس الغافل. راجع على سبيل المثال: صحيح البخاري مجلد 7 صفحة 9 باب قول المريض قوموا عني ومجلد 4 صفحة 31 ومجلد 1 صفحة 37 ومجلد 5 صفحة 137 ومجلد 2 صفحة 132 ومجلد 4 صفحة 65 - 66 ومجلد 8 صفحة 161 ، وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد 5 صفحة 75 ومجلد 2 صفحة 16 ، وصحيح مسلم بشرح النووي مجلد 11 صفحة 95. ومجلد 11 صفحة 94 - 95 ، ومسند الإمام أحمد مجلد 1 صفحة 2 ومجلد 3 صفحة 286 ومجلد 4 صفحة 256 حديث 2992 ، وتاريخ الطوي مجلد 2 صفحة 193 ومجلد 2 صفحة 192 - 193 ، والكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد 2 صفحة 320 ، وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي وسر العاملين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغوالي صفحة 21 ، وشرح النهج لابن أبي الحديد مجلد 6 صفحة 51 ومجلد 3 صفحة 114 مطر 27 الطبعة الأولى مصر بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل ومجلد 3 صفحة 803 ومجلد 2 صفحة 167.... إلخ.

9 - الإعلان عن نشوء الأحزاب ووجودها والنبي الأعظم بوقد على فاش مرض الموت، مودعا الدنيا، ومتأهبا للقاء الله تعالى أراد أن يلخص الموقف لعواده الذين اجتمعوا في حجرته المبركة، وما أن أفصح

عن رغبته، وقال لمن حضر: قويا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، وقبل أن يبين مضمون هذا الكتاب، وقفت الأكثرية الساحقة الموجودة في الحجرة المبلكة وقفه رجل واحد خلف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقالت: حسبنا كتاب الله هجر النبي، يهجر النبي - حاشا له - فصدمت هذه الأكثرية خاطره الشريف بتلك الكلمات النابية، وذهل الذين لم يروا أي الأكثرية.

10 - الحزب القائد

لقد علا شأن هذا الحزب، وعظم أمره، حتى تفود أعضاؤه برئاسة الدولة الإسلامية طوال الترخ السياسي الإسلامي، فما جلس على سدة رئاسة الدولة الإسلامية خليفة إلا وهو يدين بالولاء لمؤسس الحزب وصاحبه رضي الله عنهما، وقد فوض هذا الحزب قناعاته رسميا على العامة والخاصة، بحكم التكرار، وبضغط وسائل السلطة.

ومع الأيام تكونت لقيادة الحزب ومن والاه، حالة من التقدير والانبهار فاقت كثرا مرتبة النوبة والولاية، فإذا وجد نص شعوي واضح ولا يحتمل التأويل كتشريع الخمس، ووجد عمل لقادة الحزب يتعرض معه، أهمل النص نفسه، واتبعت سنة قادة الحزب على اعتبار أن عملها أولى بالافتداء والإعمال من النص، لأنها هي أفهم الخلق بضرورات إهمال النص أو إعماله، وهي أرى من غوها بمصلحة الإسلام، وبمصلحة المسلمين، وتلك مكانة لم تعط حتى للأنبياء!!

ولقد تمكن هذا الحزب من إيجاد ترتيبات وضعية حلت بالتريخ سياسيا محل الترتيبات الإلهية، ولكثرة الممارسة، والترداد، وبحكم القدم والتقليد، صار العامة يعتقدون أن الترتيبات الوضعية هي عينها الترتيبات الإلهية، ولم يكن ميسورا على أي شخص أن يجتهد وأي يعرض ذلك، فتعطل العقل البشري، وتعطلت الشوعية معا، وبضوبة فنية واحدة!

11 - تسمية هذا الحزب

لقد أخذ هذا الحزب أسماء مختلفة، إلى أن سمي نهائيا بحزب أهل السنة في العهد الأموي، وبالذات في زمن معاوية، حيث سمي العام الذي انتصرت فيه القوة على الشوعية بعام الجماعة، فمن والى معاوية القوي المنتصر فهو من أهل السنة، ومن أهل الجماعة، ومن عرض معاوية القوي المنتصر فهو خرج على السنة، وخرج على جماعة المسلمين، وهو أهل لحمل كل نقیصة، فهو ملق وخرج، وشاق لعصا الطاعة، ورافضي، ومفوق لجماعة المسلمين، وهو قمين بكل عقوبة بما فيها القتل والصلب والدفن حيا، وهدم الدار، والإسقاط من ديوان العطاء... إلخ.

12 - قناعات هذا الحزب

باستواء الترخ السياسي الإسلامي يبدو واضحا، أن قناعات هذا الحزب تكونت والنبي على قيد الحياة، وأنها وليدة مشاعر

بشوية متناقضة، وأن هذه القناعات كانت تربط أعضاء الحزب، وتوحد بينهم والنبي على قيد الحياة، ولكن بدون إعلام، ولا إعلان، والغاية الأساسية لتكون هذا الحزب وتكتله كانت:

- 1 - الإستئثار بالقيادة من بعد النبي بحيث تكون خالصة لبطون قريش كلها باستثناء البطن الهاشمي الذي اختص بالنبوة، والنبوة تكفيه. وبعد أن قبضت قيادة الحزب على رئاسة الدولة، لم تر حرجا ولا غضاضة بأن تكون الوئاسة للأنصار، أو للموالي أو لأي شخص يلتزم بالمبدأ الأساسي للحزب.
- 2 - الحيلولة بين أهل البيت وبين رئاسة الدولة، فأهل البيت لهم المحبة، والاحترام، والعطاء الذي يقوه الحاكم، ولكن لا يجوز لهم أن يقولوا الأمة سياسيا.

13 - أما لماذا؟

فالأمر مختلف، فقائد الحزب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد آمن بأنه الإجحاف بعينه أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معا، ويذهبوا بالشرف كله، ويحرموا بطون قريش من

الصفحة 176

هذا الشرف، فرصا على العدالة ومنعا للإجحاف نذر حياته لتحقيق هذا الهدف، ومنع الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة، وقد شركته بهذا التصور كافة بطون قريش باستثناء بني عبد المطلب، وبني هاشم، ومن عصم الله من تلك البطون. وبعض أعضاء الحزب كالأمويين يحقدون بطبعهم وواقعهم على أهل بيت محمد على الأقل، فمحمد وأهل بيته هم الذين (سلوا) القيادة من بني أمية بعد أن كانت حقا لهم من دون الناس في الجاهلية، وعميد أهل البيت علي بن أبي طالب، وأقربيه هم الذين قتلوا على الإسلام سادات بني أمية، بل وسادات قريش بما فيهم خال عمر بن الخطاب. ومن جهة ثالثة فقد اعتقد قائد الحزب ومن والاه أن إعلان النبي لولاية علي أمام مائة ألف مسلم، وتوكيز النبي على هذه الولاية، وعلى ضرورة التمسك بأهل البيت كقيادة، وكجهة مختصة ببيان القوان - اعتقد أن فعل النبي هذا من قبيل العواطف الشخصية التي جاء بها من تلقاء نفسه، وليست من الله تعالى، فاندفع ليصحح ما يعتقد أنه غير صحيح.

14 - الحزب الثاني حزب أهل الشيعة حزب المعارضة

القسم الذي أيد النبي في الحجة المبركة، وقالوا: قروا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده أبدا، ثم غلبوا على أمرهم بسبب تماسك الحزب الأول، ومعرفة لما يريد، وإصوره العنيد والمسبق على تحقيق ما يريد. هذا القسم أيضا تحول إلى حزب عبر عن وجوده بصور وأشكال مختلفة، حتى في زمن النبي نفسه، وحمل أسماء متعددة، ثم سماهم النبي بالشيعة.

لقد أسس النبي نفسه هذا (الحزب) بصورة علنية ومكشوفة، وكان هو بنفسه أول داعية لهذا (الحزب) بأمر من ربه، وهو الرئيس الأعظم لهذا الحزب، فكان يوطد لرئاسة الإمام علي ولولايته من بعده، وبموته (صلى الله عليه وآله وسلم) آلت رئاسة

تسمية هذا الحزب

وجد هذا الحزب أصلاً علناً لغاية محددة وهي استوار مؤسسة القيادة الشوعية، وحراسة الشوعية، والبقاء دائماً في ظل الشوعية، وتتبع كل شئ لهذه الشوعية بحيث:

- 1 - تتكون أمة إسلامية متحدة بقيادة ومرجعية الإمام المفروض الطاعة، عميد أهل بيت النبوة في كل زمان.
 - 2 - أن تتحاكم هذه الأمة إلى قانون نافذ يتكون من: القوان الكريم، ومن بيان النبي لهذا القوان. وبما أن البيان في كل زمان عملية فنية من كل الوجوه، والبحث عن المقصود الإلهي من النص الشوعي اختصاص، ومن المحال عقلاً أن يتوكله الله للاجتهادات، فلذلك ارتبطت عملية بيان النبي للنص القواني بالقيادة والمرجعية التي اختارها تعالى، وهي قيادة أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
 - 3 - مساعدة الأمة المسلمة على إرواك الغايات الشوعية، والمقاصد الإلهية، وقيادتها على هذا الأساس، بحيث تبقى الأمة دائماً داخل إطار الشوعية والمشروعية.
 - 4 - مساعدة الجنس البشري بتقديم الخطة المثلى لدولة عالمية تحكم الكرة الأرضية، في ظلال الخطة الإلهية التي تنتظر إلى الجنس البشري كله على أساس أنهم عائلة واحدة، وتهدف إلى نشر العدل والمساواة، وتحقيق الحرية، والانتقال من فوضيات الظن والتخمين في المعرفة إلى واقع الجرم واليقين.
- نعم لقد تكون (حزب الشيعة) في عهد النبي، فعندما قول قوله تعالى (إن الذين آمنوا، وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (يا علي هم أنت وشيعتك). راجع شواهد التتويل للحاكم الحسكاني مجلد 2 صفحة 356 - 366 ، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي صفحة 244 - 246 ، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي صفحة 107 ، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي صفحة 92 ، وتاريخ دمشق لابن عساكر 225 ترجمة الإمام علي مجلد 2 صفحة 442 ، وينايب المودة للقتنوزي الحنفي صفحة 62 ، والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة 96 ، والدر المنثور

للسيوطي مجلد 6 صفحة 279 ، وتفسير الطوي مجلد 20 صفحة 146 ، وتذكرة الخواص للسبط ابن الجزري الحنفي صفحة 18 ، وفتح القدير للشوكاني مجلد 5 صفحة 477 ، وروح المعاني للألوسي مجلد 30 صفحة 207 ، وفضائل الخمسة مجلد 1 صفحة 278 ، وغاية الروام باب 28 من المقصد الثاني صفحة 328... إلخ.

ثم إعلانه لولايته أمام أكثر من مائة ألف، ولا أحد ينكر هذا الإعلان بما فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقد أوا أنه وليهما، وولي كل مؤمن ومؤمنة، ولكن نحن أهل السنة نؤول هذه الولاية تأويلاً يخرجها تماماً من معناها السياسي، فلو قلنا بغير ذلك لتداعى كل شئ وسقط! ولكن هنالك من النصوص القاطعة ما تلوي عنق كل مكابر، وقد سقنا الكثير منها في كتابنا

16 - حزب الشيعة يحمل لواء المعارضة طوال التاريخ

لقد آمنت الشيعة أن الشوعية لن تتحقق إلا بتوافر أمرين:

- 1 - قيادة سياسية ومرجعية محصورة بأهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
- 2 - قانون نافذ يتكون من القرآن الكريم، ومن بيان النبي لهذا القرآن، وهذا البيان لا يفهمه ولا يعرفه على وجه الجرم واليقين إلا المختصون من أهل بيت محمد.

وحيث أن هذا لم يتحقق طوال التاريخ، لذلك عرضت الشيعة الواقع التاريخي، وكثمن لهذه المعارضة طورد أعضاء هذا الحزب ونكل بقياداته وأعضائه، وعلقوا على أعواد المشانق، وقتلوا على الشبهة، ورفعت أسمؤهم من نواوين العطاء، وهدمت بيوتهم، بسبب إيمانهم بهذين الأمرين، بالوقت الذي كانت تملس فيه الساحة حتى مع الكفار. ومع هذا لم يستسلم هذا الحزب، لاعتقاده أنه يمثل صوت الحق، وروح الشوعية ونصوصها، ومضت الشيعة قدما وهم يتكاثرون يوما بعد يوم، ويتفهم وجهة نظرهم كل أولئك الذين يستعملون عقولهم، ويؤداد المتعاطفون مع الشيعة يوما بعد يوم.

* *

الصفحة 179

الفصل الثالث

ثمار الترتيبات الوضعية

1 - النوبة والرسالة مشروع إنقاذ وإصلاح

بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما بعث غيره من الرسل لغاية محددة وهي إنقاذ مجتمع مشرف على الهلاك، أو نقله من حالة الفساد إلى حالة الإصلاح، ولو كان المجتمع معافى أو صالحا، لما كان هنالك حاجة لرسول، ولا لعملية إنقاذ وإصلاح إلهي. بمعنى أن العناية الإلهية تدخلت بعد فشل وسائل الإنقاذ والإصلاح البشري، فكانت النوبة والرسالة بمثابة مشروع إنقاذ إلهي لإنقاذ هذا المجتمع أو ذلك، أو حملة طيبة إلهية لمقاومة وباء يهدد التجمع البشري المريض.

جراثيمة هذا المرض يمكن أن نسميها بالترتيبات الوضعية، هذه الترتيبات التي فرضت سلطانها على حياة هذا المجتمع أو ذلك حتى أوردته إلى تلك الحالة المرضية العامة، لأنها غير مناسبة له، وغير مؤهلة لتوحيد حركة هذا المجتمع وقيادته.

فإذا أمكن القضاء على هذه الترتيبات نكون قد خلصنا المجتمع المريض من مرضه، وأصلحنا آثار فساد هذا المرض، والمجتمع بطبعه متحرك على النوام، والحركة لا بد لها من ترتيبات معينة لتبقيها دائما ضمن إطار مصلحة هذا المجتمع،

والترتيبات بالضرورة تتبع من مصورين:

فإما أن تكون ترتيبات وضعية من صنع الهوى البشوي، فتقود المجتمع عاجلا أو

الصفحة 180

أجلا إلى الدمار والهلاك. أو أن تكون هذه الترتيبات إلهية من صنع الله تعالى الذي خلق المجتمع، وخلق أواده، ولولم بقاءه، فإذا أخذ المجتمع بهذه الترتيبات نجا بحجم التوامه بها، وإن تركها ووضع لنفسه ترتيبات بديلة، فقد سار على طريق الهلاك والموض، وهو هالك لا محالة بمدة تتناسب بمقدار بعد ترتيباته الوضعية، أو قربها من الترتيبات الإلهية.

2 - الرسول الأعظم يبين ماهية نوعي الترتيبات

عبر دعوة قادها النبي بنفسه، تمخضت عن نولة وأسها النبي بنفسه، أثبت بالدليل القاطع فساد الترتيبات الوضعية التي كانت تحكم حركة المجتمعات البشرية قبل بعثته المبركة، ووضع بين يدي الجنس البشوي خلاصة تلك الترتيبات، وأبرز النتائج المدورة لتلك الترتيبات طوال الترخ البشوي، ثم سلط الأضواء على الترتيبات الإلهية، من خلال الدعوة، ومن خلال الدولة، وأثبت بالكلمة والحركة وبالتصوير الفني البطئ أن الترتيبات الإلهية وحدها هي المؤهلة، وهي المناسبة لتوشيد حركة المجتمع البشوي.

وقد جذر هذه الترتيبات ووضعها وفصلها وبينها، ثم أجملها كيلا تضيع، ولخصها بثلاثة أمور يمكن لأي شخص من العامة أن يحفظها، وأن يستوعبها إن كان حقا يريد الشفاء، ويريد السعادة وهي:

- 1 - أهل بيت النوة أو أئمة أهل بيت النوة كقيادة سياسية، وموجعية للذين آمنوا طوال عمر الحياة الدنيا.
- 2 - الوآن الكريم وبيان النبي لهذا الوآن، ولا يعلم أسوار هذا الوآن، وبيانه علم الجرم واليقين إلا الإمام المعين من الله تعالى، لأن عملية البيان اليقيني اختصاص كعلم الطب، وهي أكثر خصوصية منه، فكل إنسان يستطيع أن يفهم الوآن بحجم علمه، لكن هذا الفهم ليس هو عين المقصود الإلهي من النص، وليس هو الفهم القائم على الجرم واليقين، لأن الفهم القائم على الجرم واليقين لا

الصفحة 181

- يعلمه إلا الله والإمام المعصوم عميد أهل البيت، تماما كالحقيقة القانونية الوضعية لا يعلمها علم اليقين إلا غوفة محكمة التمييز، فقوار محكمة التمييز هو عين الحقيقة القانونية، ولا قوار يعلو على قورها.
- 3 - فئة أو مجتمع مؤمن بكل هذه الترتيبات الإلهية، يتعاون مع القيادة السياسية والمرجعية لتطبيق نصوص القانون الإلهي المتكون بالضرورة من الوآن، ومن بيان النبي لهذا الوآن، ومن فهم الإمام لهذا الوآن وهذا البيان.

3 - نجاح المشروع الإلهي

نجح النبي الأعظم نجاحا ساحقا في نقض الترتيبات الوضعية التي كانت توشد حركة المجتمع قبل بعثته، ونجح في إثبات فساده، كما نجح في إثبات فاعلية وقوة الترتيبات الإلهية على مستوى الدعوة والدولة معا، وانتهت مهمته كبشر، وكنبي،

وكرسول، فقد أكمل الله الدين، وأتم النعمة، وبين كل شئ على الإطلاق، إجمالاً، وتفصيلاً ثم إجمالاً، فمن الطبيعي جداً، أن يختار ما عند الله، فإن التزم الذين آمنوا بالترتيبات الإلهية فسيقطعون الثوة: سعادة الدارين، وإن حاولوا عن أعمال الترتيبات الإلهية، فليس بإمكان الطبيب أن يجبر مريضه الذي تعافى على يديه أن يتناول العلاج ليتعافى من مرضه! فما على الطبيب إلا أن يشخص المرض، ويصف العلاج.

فقد شخص النبي علة المجتمعات الجاهلية، وأكد أن العلة تكمن في الترتيبات الوضعية، ووصف العلاج وهو إلغاء الترتيبات الوضعية وإحلال الترتيبات الإلهية محلها.

ثم لخص الترتيبات الإلهية بكلمتين: كتاب الله كقانون نافذ، وعترته كقيادة سياسية، وموجعية معاً، فإذا تخلف أحد هذين الوكنتين انهزلت تماماً الترتيبات الإلهية، ودخلت الأمة المسلمة في ليل مظلم طويل. وبعد أن أحيطت الأمة علماً بذلك، أسلم روحه الطاهرة لله، وتوكل الدنيا.

الصفحة 182

4 - الإعراض وإيجاد ترتيبات بديلة تحولت إلى قناعات دينية خاصة

من المعروف أن أهل البيت الكرام هم من بني هاشم، والرسول محمد من بني هاشم أيضاً، فمعنى ذلك أن القيادة السياسية والموجعية ستبقى لمحمد ولآل محمد، وقد أثرت هذه الترتيبات حفيظة البعض واعتبروها إجحافاً بحق بقية بطون قريش، واعتقدوا أن من العدل والحكمة أن تعدل هذه الترتيبات الإلهية تعديلاً جنوياً، فطالما أن النوبة كانت في بني هاشم، فما الداعي لإعطاء الهاشميين القيادة والموجعية من بعد النبي؟ وما الداعي لحصر النوبة والخلافة والفخر والشرف والوفاة، في محمد وفي آل محمد، وحرمان بقية بطون قريش من هذا كله؟

تستطيع قريش أن تستوعب نوبة محمد، وقيادته مع أنه من بني هاشم! أما قيادة آل محمد من بعده، والقول بأنها ترتيب إلهي، فهذا أمر لا تقبله رجالات قريش، ولا يمكن أن تصدق بأنه ترتيب إلهي، وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء، لأن هذا على حد تعبير عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إجحاف، والله يكوه الإجحاف.

5 - الحل الذي رتبته رجالات قريش

زعامة عمر بن الخطاب وأبي بكر رضي الله عنهما، اقتضت قريش بأن الحل الأمثل والترتيب الأصوب هو أن تكون النوبة في بني هاشم، وقد كانت، وأن تكون الخلافة في بطون قريش تتداولها من بعد وفاة النبي، ولا حرج من أن تتوالى الخلافة لأي مسلم شريطة أن لا يكون من بني هاشم لأن النوبة وحدها كفتهم، ولم يشكروا معهم فيها أحداً! فلذلك لا ينبغي إطلاقاً أن يشرك الهاشميون في الخلافة أبداً.

وقد وثقت هذا الأمر الخطير في كتابي نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام - باب الموجعية.

وليس معنى ذلك أن رجالات قريش تشك بنوبة النبي، فهو نبي، وألا نتيقن بأن الوان من عند الله، فالوآن من عند الله،

لكنها تعتقد أن ترتيب القيادة السياسية من بعد النبي هو من عند محمد كبشر، وبما أنه غير معصوم، وبما أن هذا الترتيب

الصفحة 183

مجحف بحق بطون قريش، وبما أن العناية الإلهية ساقطت رجالات قريش لحماية الإسلام والمسلمين، فإنهم أجروا تعديلات على ترتيبات النبي لتكون متفقة مع الحق والعدل ومصالحة البطون ومصالحة المسلمين. ويعني إجماع تعديلات على ترتيبات النبي بالضرورة: إيجاد ترتيبات بديلة. هذه الترتيبات الوضعية تحولت إلى قناعات ترسخت بفعل العادة، والغلبة، والتكرار، وأصبحت لها قوة القناعات الدينية، ولكن من نوع خاص.

وساعد على ذلك أن حزب أهل السنة هو الذي حكم طوال التاريخ السياسي الإسلامي، ففرض هذه القناعات في بادئ الأمر، ثم أخذ الناس يكررونها وينسجون على موالها، ثم أصبحت عادة، ثم أصبحت ديناً حقيقياً آمن به العامة، ونبؤوا كلما يتعرض معه، وصبوا جام غضبهم وسخطهم وحقدهم على من يعرض هذه العادات، وتأولوا الدين بكافة أحكامه ليتفق مع هذه العادات التي تحولت إلى قناعات، وأعملوا خيالاتهم وأوهامهم حتى اختلط بالحق الباطل، وبالحقيقة الوهم، فظهورها معا، وتعذر ظهور الحق والحقيقة على غير هذه الشاكلة، وكان ذلك ثمرة تطور استمر 1200 عام حتى وصل إلى صورته الراهنة. وإيضاحاً للحق والحقيقة سنتناول هذه العادات التي تحولت إلى قناعات واحداً بعد الآخر، ونترك الحكم على هذه القناعات ومحاولات نقضها للذين يحتومون العقل البشري، لأن من يدقق النظر، ويتوكأ التقليد الأعمى سيكتشف أن هذه العادات التي تحولت إلى قناعات هي وحدها التي فوقت كلمة المسلمين، وعطلت الدور التاريخي لدينهم، وحومت البشوية من الانتفاع بهذا الدين الحنيف، أو إن شئت فقل: إنها هي التي جنرت الخلاف والاختلاف، وجعلتهما لزامتين من لوزم وجود هذه الأمة. ويحمي هذا القناعات حزب ورث اسمه وقناعات بالورثة، وسجن نفسه ضمن هذه القناعات، وهو غير متعجل على تبديلها أو تحويلها أو تعديلها، بالرغم من مرور 1400 عام على وجودها، ونقصد بهذا الحزب حزبنا نحن أهل السنة.

* *

الصفحة 184

الصفحة 185

الفصل الرابع

تحول الترتيبات الوضعية إلى قناعات

1 - محاولة جعل هذه الترتيبات من صميم الدين

تم إيجاد مجموعة من الترتيبات الوضعية، وبفضل العادة، والتكرار، وبالضغوط التي مرستها سلطة دولة الخلافة

التاريخية، تحولت هذه الترتيبات الوضعية إلى قناعات سياسية رشدت حركة المجتمع الإسلامي رسمياً طوال فترة التلرخ السلساسى الإسلامى؁ من بعد وفاة النبى حتى سقوط آخر سلاطىن بنى عثمان؁ وما زالت الأكرثىة الساحة من المسلمىن تنظر إلى هذه القناعات وكأنها من صمىم الدين؁ مع أنها فى حقىقتها وجرورها مجرد ترتيبات وضعية؁ كان القصد من إىجادها إىضفاء الشوعية على مشروع تعديل الترتىبات الإلهىة. وسنتاول هذه القناعات واحدة بعد الأخرى.

2 - القناعة الأولى: حسبنا كتاب الله

بمعنى أن القآن الكرىم وحده ىكفى؁ ولا حاجة لأى شىء آخر من أى كان؁ حتى ولو كان النبى نفسه؁ فالقآن الكرىم ىغنى عن أى شىء!

وأول مسلم على الإطلاق رفع شعار (حسبنا كتاب الله) هو عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)؁ فهو الذى أوجد هذا الترتىب الوضعى ورعاه؁ وحوله إلى قناعة سىاسىة؁ تركت طابعها على الحىاة السىاسىة من بعد وفاة النبى؁ وما زالت للآن.



ويبدو أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان يؤمن بهذا الترتيب تماما، ويدلنا على ذلك ما رواه الذهبي في تذكرة الحفاظ ترجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 3 أن أبا بكر (رضي الله عنه) جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: ... فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله!!

وما يؤكد ذلك أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان في الحجرة المباركة عندما رفع هذا الشعار، وكان مع فويق عمر الذي حال بين النبي وبين كتابة ما أراد تحت شعار (حسبنا كتاب الله).

3 - بمواجهة من طرح شعار: حسبنا كتاب الله

أعلن عمر بن الخطاب عن ولادة هذا الترتيب أمام النبي نفسه، وتفصيل ذلك:

أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يلخص الموقف لأُمَّته تلخيصا نهائيا، فقال لمن حوله - وفيهم عمر بن الخطاب -: قوبوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا.

فتصدى عمر للنبي، وقال موجهها كلامه لمن حضر (حسبنا كتاب الله) أي يكفينا كتاب الله، إن النبي قد غلبه الوجع، أو اشتد به الوجع، أو هجر، أو أن النبي يهجر - حاشا له -

وفجأة انقسم الحاضرون في الحجرة المباركة إلى قسمين: قسم يؤيد عمر وهم الأغلبية، وقسم يؤيد النبي وهم الأقلية، وأكثر الفويقان لغطا واختلافا، فقال لهم النبي: قوموا عني، ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه.

وهكذا فاز فويق عمر فهزا ساحقا، وتمكنوا من أن يحولوا بين النبي وبين كتابة ما أراد! وولد لأول مرة في تزيخ الإسلام ترتيب (حسبنا كتاب الله)، وتحول هذا الترتيب إلى قناعة سياسية آمنت بها الأكثرية الساحقة من الأمة.

وقد وثقت هذه الحادثة المؤلمة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، وحتى لا يكون في صدر الباحث عن الحقيقة حرج فيمكنه مراجعة:

صحيح البخاري مجلد 7 صفحة 9 باب قول المويض قوموا عني، ومجلد 4 صفحة 21

ومجلد 1 صفحة 37 ومجلد 5 صفحة 137، ومجلد 2 صفحة 132، ومجلد 4 صفحة 65 - 66 ومجلد 8 صفحة 161،
وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد 5 صفحة 75 ومجلد 2 صفحة 16 ، وصحيح مسلم بشروح النووي مجلد 11
صفحة 95، ومجلد 11 صفحة 94 - 95 ، ومسنند الإمام أحمد مجلد 1 صفحة 2 ومجلد 3 صفحة 286، ومجلد 4 صفحة
256، ومجلد 2 صفحة 299 ، وتزيخ الطوي مجلد 2 صفحة 193، ومجلد 3 صفحة 192 - 193 ، والكامل في التزيخ
لابن الأثير مجلد 2 صفحة 320 ، وتذكرة الخواص للسبط الجزي الحنفي، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد
الغوالي صفحة 21 ، وشرح النهج لعلامة المعتولة بن أبي الحديد مجلد 6 صفحة 51 ومجلد 3 صفحة 114 سطر 27 الطبعة

4 - التكليف الشرعي لهذه القناعة

قول (حسبنا كتاب الله) أي يكفينا كتاب الله عن سواه، غير معقول، وغير منطقي، فكتاب الله يحتاج إلى بيان، فهو كتاب، والكتاب يحتاج إلى مبين، ومهمة النبي أن يبين هذا الكتاب، وأن يوضح المقاصد الإلهية للعامة والخاصة، ولو كان كتاب الله وحده يحل مشكلة البشوية، لما كان هنالك داع لابتعاث الوسل والأنبياء، ولكان بإمكان الله سبحانه وتعالى أن يرسل نسخا من الكتب السماوية، بطريقة ما إلى كافة المكلفين، ولكن ما صدف على الإطلاق أن أتول كتابا إلا على عبد، وذلك ليبين للناس ما أتول إليهم من ربهم، بيانا قائما على الجرم واليقين لا على الفرض والتخمين.

ومن هنا كان بيان النبي - أي نبي - جزء لا يتجزأ من المنظومة الحقوقية التي جاء بها هذا النبي، ويؤا هذا البيان مع المنظومة الحقوقية الإلهية، على اعتبار أن هذا النبي أو ذلك هو الأعم والأفهم بقواعد تلك المنظومة، وعلى اعتبار أن بيانه لتلك المنظومة هو بالضبط عين المقصود الإلهي.

الصفحة 188

فالكتاب لا يغني عن النبي، والنبي لا يغني عن الكتاب، فكلاهما متمم للآخر، فطاعة النبي هي طاعة الله، ومعصية النبي هي معصية الله تعالى، والله المثل الأعلى، فهما وجهان لعملة واحدة، فوضع قطعة العملة رسميا بين أيدي المتداولين، والاشتراط عليهم أن لا ينظروا إلا لوجهة واحدة من العملة أمر غير منطقي وغير معقول، تماما كما تحب بضيفك وتدعوه ليدخل نصفه في بيتك ويبقى النصف الآخر خرج البيت، هذه الدعوة لا يقبلها عقل ولا يستسيغها منطوق! فعندما تتمسك بكتاب الله وحده، وتنبت الرسول الذي بلغك هذا الكتاب، وتدعي أن الكتاب يغنيك عن الرسول وعن بيان الرسول، فأنت تماما كواضع قطعة العملة في التداول شريطة أن لا ينظر إلا لوجه واحد منها، وأنت تماما كمن يأذن لنصف الضيف بالدخول ويحرم ذلك على نصفه الآخر، وهذا تفويق بين الله ورسوله، وتفويق بين الرسول وبين معجزته، وبين القانون وبين واضعه وبين الجهة المخولة رسميا بتفسير هذا القانون وتطبيقه.

فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي قاد الدعوة 13 عاما وبعد أن تمخضت الدعوة عن دولة تأس الدولة لمدة عشوة أعوام، ومن خلال الدعوة والدولة نقل الدين من الكلمة إلى الحركة، ومن النظرية إلى التطبيق. وطالما أن الدين هو: 1 - كتاب متول 2 - نبي موسل، فبأي منطق نجعل الدين فقط كتابا مؤلا، ونترك النبي المرسل الذي قاد الدعوة والدولة معا مدة 23 عاما؟

فلو أن أعوابيا جاء النبي وقال له: إنني أقبل كتاب الله، وألترم بكل ما جاء في هذا الكتاب، ولكنني أكتفي به، ولا أرغب بأن آخذ منك أي شئ لأن القآن وحده يكفيني! فمن الطبيعي أن النبي سيقول له مشفقا: يا أبا العوب يتعذر عليك أن تفهم القآن ومقاصده الحقيقية دون بيان النبي لهذا القآن ومقاصده.

فإذا أصر الأعوابي على ذلك، واكتفى بإيمانه القآن وحده، فإن النبي لن يقبل ذلك منه!! لأن القآن، وبيان النبي

عماد الدين جاءت إجمالاً في القآن، وتولى النبي بيانها وكيفيتها وصيغتها وأركانها وشروطها... وهكذا الكثير من الأحكام والقواعد.

فالقول (حسبنا كتاب الله) قول غير معقول من كل الوجوه، وهو مقدمة لإيجاد ترتيب وضعي، يهدف إلى كف يد الشوع عن التدخل في رئاسة الدولة بعد النبي واستبدال الحكم الشوعي القائم على الجرم واليقين بالحكم الظني القائم على الفوض والتخمين.

5 - سبب هذه القناعة وتجذورها بقوة الدولة

آلت رئاسة الدولة لأبي بكر (رضي الله عنه) - بالطريقة التي وضعناها في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام - باب القيادة السياسية في الإسلام - ومن أول المشرع التي عملها أبو بكر (رضي الله عنه) أنه جمع الناس، كما روى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 2 - 3 ، وقال بالحرف (إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه) انتهى النص حرفياً، كما أورده الذهبي!

فأبو بكر (رضي الله عنه) بوصفه أول خليفة للنبي، أو أول رئيس دولة بعد النبي يأمر أمراً واضحاً بمنع تحديث أي شيء عن رسول الله! بمعنى أن الحديث عن رسول الله يؤدي إلى الاختلاف!

وغني عن البيان أن رسول الله، وحديثه هماركن الوفاق والائتلاف، ولكن طالما أن رئيس الدولة وهو أعلى سلطة قد أمر بمنع الحديث عن رسول الله، فمن واجب الرعية أن تطيعه، فهو الأمر الحاكم.

وأمر أبي بكر (رضي الله عنه) محاولة صادقة لتثبيت قناعة (حسبنا كتاب الله) أي أن كتاب الله يكفي، بدليل قول أبي بكر في النص السابق (فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله).

6 - الخليفة الثاني يتبع نفس السياسة ويعمقها

والصديق يعاني سكات الموت، وقد اشتد به الوجع، حتى أنه قال: إني قد وليت.... وذهب في غيبوبة من شدة الوجع، فكتب عثمان بقية الوصية (عليكم عمر) ولما أفاق (رضي الله عنه)، وسمع بما كتبه عثمان استحسنته، وقال لعثمان: لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها. بهذا الجو الحزين استخلف أبو بكر عمر ليقود سفينة الإسلام من بعده.

وعمر (رضي الله عنه) رأس الذين حاولوا بين الوسول وبين كتابة ما أراد كتابته، بحجة أن الوسول قد اشتد به الوجع، فلا يجوز أن يسمح له بكتابة وصيته، وحرصاً على مصلحة المسلمين رفع شعار (حسبنا كتاب الله) وبمواجهة النبي نفسه، فمن

الطبيعي جدا بعد أن آلت إليه الأمور أن يسعى وبكل قوته المعهودة لتثبيت وتجدير هذا الشعار، وتحويله إلى قناعة تؤمن بها العامة والخاصة، وجروا عند اللزوم.

يبدو أن الأمر الذي أصوه أبو بكر (رضي الله عنه) لم يتم احترامه تماما، إذ بقي الناس يتداولون أحاديث الرسول، ويكتبون بعضها، فلما آلت الخلافة أو رئاسة الدولة إلى عمر (رضي الله عنه) ناشد الناس أن يأتوه بكل ما كتبوا من أحاديث رسول الله، فلما أتاه الناس بهذه الأحاديث.... أمر بتحريقها.

قال ابن سعد في طبقاته مجلد 5 صفحة 140 بترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر:

إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأناشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها.

وأخرج ابن عبد البر ثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم - باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له مجلد 2 صفحة 147 والذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 4 - 5 ما يلي:

وروي عن قرظة بن كعب أنه قال: لما سيرنا عمر إلى العواق مشى معنا إلى صوار، ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا:

لرأيت أن تشيعنا وتكرمنا، قال: إن مع ذلك

الصفحة 191

لحاجة، إنكم تأتون أهل قوية لهم نوي بالوآن كوي النحل، فلا تصوهم بالأحاديث عن رسول الله، وأنا شويكم. قال

قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله. انتهى النص، وفي رواية أخرى فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا

عمر.

7 - الإقامة الجبرية والحبس!

أخرج المنقي الهندي في مجلد 5 صفحة 239 الحديث رقم 4865 عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: ما مات عمر بن

الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله، فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذيفة، وأبا الرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر،

فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا: أنتهانا؟ قال: لا، أقيعوا عندي، والله لا تفلقوني ما

عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم، ونود عليكم، فما فلقوه حتى مات!!

وروي الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 7 ترجمة عمر: أن عمر حبس ثلاثة:

ابن مسعود، وأبا الرداء، وأبا مسعود الأنصلي، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله.

ويقول ابن الأثير في تزيخه مجلد 8 صفحة 108 إن عمر كان يقول للصحابية: أفلوا الرواية عن رسول الله، إلا في ما

يعمل به.

8 - المنع ليس جديدا!

حتى والرسول الكريم حيا، حاولت مشيخة قريش أن تمنع كتابة حديث رسول الله، فقد روى الدرهمي في سننه مجلد 1

صفحة 125 - باب من رخص في الكتابة، من المقدمة، وفي سنن أبي داود مجلد 2 صفحة 126 - باب كتابة العلم، وفي مسند الإمام أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216 ، ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106 ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد 1 صفحة 85 أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله، فنهتني قريش، وقالوا:

الصفحة 192

تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟
فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق).

والسؤال: فمن من قريش يجرو على نهج صحابي من أن يكتب قول نبي ورسول ورئيس دولة بنفس الوقت؟
من يجرو على ذلك سوى عمر وأبي بكر رضي الله عنهما.
ويبدو أنهما خشيا أن يروى عن رسول الله حديث في حق أناس قال فيهم في حال الرضا أو الغضب قولا ما ينبغي أن يقال، فحرصا منهما على مصلحة الإسلام، اعتقدا أنه ليس من الحكمة كتابة أحاديث الرسول!
هذا والرسول حي يملس النوة والرسالة ورئاسة الدولة!
ويبدو أنه لهذه الغاية حاولوا بينه وبين كتابة وصيته، بحجة أن المرض قد اشتد به، مع أن المرض قد اشتد بهما أكثر مما اشتد برسول الله، ومع هذا كتبا وصيتيهما، ونفذت، وبقيت وصيتاهما أسس نظام الخلافة، ولم يوقلا أو لم يقل أحد إن المرض قد اشتد بهما، (وحسبنا كتاب الله)!!!

ولما انتقل النبي إلى جوار ربه، وآلت رئاسة الدولة إلى أبي بكر ثم عمر (رضي الله عنه)، بذلا جهدهما بالاستغناء عن حديث رسول الله، وبالاكتفاء بكتاب الله، تجسيدا لهذا الشعار (حسبنا كتاب الله) هذا الشعار الذي تحول بفعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى قناعة ضوبت جنورها لأعماق الحياة السياسية الإسلامية بعد وفاة النبي!!

9 - عثمان ينهج نهج صاحبيه

عثمان (رضي الله عنه) كان موضع ثقة أبي بكر، وموضع ثقة عمر رضي الله عنهما، انظر إلى قول أبي بكر لعثمان عندما كتب عهد عمر (والله لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها) أي للخلافة.
راجع سورة عمر لابن الجوزي 1 صفحة 37 ، وتاريخ ابن خلدون مجلد 2 صفحة 58 على سبيل المثال.

الصفحة 193

فقد ترك عثمان أبناء عمومته الهاشميين، وانحاز إلى جانب أبي بكر، فقد كان أول زعيم من زعماء المهاجرين يبايع أبا بكر بعد خروجه من السقيفة. راجع الإمامة والسياسة صفحة 11

وكان موضع ثقة عمر أيضا، فقد كان أبو بكر يقاسي سكرات الموت، فقال لعثمان:

أكتب إنني قد وليت... فأغمي على أبي بكر قبل أن يكمل الجملة، فأكملها عثمان من عنده حيث كتب (عليكم عمر) وعمر غائب، فمعنى ذلك أن عثمان على علم مسبق بأن عمر هو الخليفة التي سيعهد له أبو بكر.

والحقيقة أنه بعد وفاة أبي عبيدة الذي حضر اجتماع سقيفة بني ساعدة، وقع اختيار أبي بكر وعمر على عثمان ليكون الخليفة الثالث بدلا من أبي عبيدة الذي انتقل إلى رحمة الله، ومن هنا كان عثمان يدعي في إمرة عمر بالوديف، والوديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعدز عيمهم.

ومن يدقق في وصية عمر يكتشف بأقل جهد ممكن أنه قد عهد له بالخلافة. راجع صفحة 364 مجلد 3 من الطبقات لابن سعد، وراجع تولية عثمان في الإمامة والسياسية لابن قتيبة. فعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص في شقة واحدة بالضرورة، وعلي والزبير في جانب آخر بالضرورة، وطلحة غائب، وعمر صريح جدا فقد أوصى: إذا كانوا ثلاثة ثلاثة، فاختروا الذي في صف عبد الرحمن بن عوف.

وهذا ما لم يحدث، لأن طلحة كان غائبا، فمحكوم حكما أن يكون ثلاثة ضد اثنين، ولنفترض جدلا أن طلحة كان موجودا، فشكل مع علي ومع الزبير ثلاثة، فإن عثمان سينجح قطعا.... راجع الإمامة والسياسية صفحة 27 وبالإيجاز فإن عثمان في حياة الشيخين أبي بكر وعمر كان كظلهما، وكان من شيعتهما، ومن هنا فإنهم من مؤسدة واحدة، ويبدو واضحا أن عثمان (رضي الله عنه) كان مع الفريق الذي أيد عمر بمواجهة لرسول الله عندما قال (حسبنا كتاب الله) بدليل أنه حتى بعد أن آلت الرئاسة إليه قد بقي على نفس الخط المتعلق بهذه الناحية.

الصفحة 194

فقد اعتلى المنبر يوما وقال (لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر). راجع منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد 4 صفحة 64 فمن الواضح أن عثمان (رضي الله عنه) قد حظر حظوا كاملا رواية أي حديث عن رسول الله لم يرو في زمن صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفعل الخليفة الثالث يصب في النتيجة في غاية صاحبيه، وهي أن الوآن وحده يكفي (حسبنا كتاب الله).

وجاء معاوية فاستعمل المغوة بن شعبة على الكوفة وقال له.... ولست تترك إيصاءك بخصلة: لا تتوك شتم علي وذمه، والتوحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطواء لشبيعة عثمان والإدناء لهم. فقال له المغوة:

قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك فلم يذممني، وستبلو فتحمذ أو تدم، فقال:

بل نحمد إنشاء الله! راجع تزيخ الطوي مجلد 2 صفحة 112 - 113 ومجلد 2 صفحة 28 ، وراجع تزيخ ابن الأثير

مجلد 3 صفحة 102 ، وروى المدائني في كتاب الأحداث.

وقال: كتب معلوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن بئث الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تآب وأهل

بيته.

10 - رفع الحظر

بقي الحظر مفروضاً رسمياً على رواية أحاديث الرسول، وكتابتها حتى زمن عمر بن العبد الغريز، فرفع الحظر، وكتب إلى أهل المدينة: أن انظروا حديث رسول الله فاكثروه، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله. راجع فتح البري باب كتابة العلم مجلد 1 صفحة 218.

وقد قالومه العلماء الذين ترووا على محاصوة أحاديث رسول الله، ثم لانت عريكتهم، وأخذوا يروون أحاديث الرسول، ويكتبونها، ولكن بعد حظر رسمي على روايتها، وكتابتها استمر 95 عاماً.

الصفحة 195

11 - حرية رواية وكتابة كل شيء إلا حديث رسول الله

في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، كان بإمكان أي شخص أن يروي، أو يكتب أي شيء، وفي أي موضوع، بغض النظر عن دين الولوي، أو دين المروي عنه، فيمكنه أن يروي أو يكتب الشعر الجاهلي، أو الأنساب، أو أيام العرب، أو التاريخ، أو المفاخرة، أو القصص، بل ويمكن أن يروي الأحاديث والأساطير الإسرائيكية، كما كان يفعل كعب الأخبار، وتميم الدلي، ولا حوج، فهذا كله مباح، ولا لوم ولا تريب لا على راو ولا على مروي عنه، ولا على كاتب. أما باب التحديث عن رسول الله فقد كان مغلقاً تماماً، وباب كتابة حديث الرسول كان مغلقاً أيضاً. وذلك لتثبيت قناعة (حسبنا كتاب الله) حتى تصبح هذه القناعة عامة وشاملة وعميقة، فيتعود المسلمون على العيش بدون نبي معتمدين على القرآن وحده. فالأسباب الحقيقية لمنع رواية حديث الرسول ومنع كتابته هي:

1 - السبب الأول: تجسيد وتعميق وتوسيح الترتيب الوضعي القائل (حسبنا كتاب الله) أي أن كتاب الله يغني عن أي شيء آخر، ويغني عن قول الرسول نفسه، لأن هذا الشعار رفع لتوير الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد. وفي ذلك ترويض من السلطة للرعية حتى تتعود على فاق الرسول، والاعتماد على كتاب الله وحده.

2 - إغلاق كل الأبواب بوجه الذين يعرضون السلطة، ويقولون إنهم أولى بالحكم من غوهم، لأن رسول الله نص عليهم بأنهم قادة الأمة وموجعيها، فتوك أبواب التحديث عن رسول مفتوحة أمر يوج السلطة، وقد تتمكن المعرضة من إثبات حجتها وحقها بالحكم استناداً لأحاديث رسول الله، وفي ذلك زغرة للاستوار، وهز لكيان الدولة التي يتربص بها أعدؤها الدوائر، وبالتالي تفتيت لوحدة الأمة بذلك الظرف العصيب، فكان إغلاق باب التحديث عن رسول ضربة معلم!

الصفحة 196

وزيادة بالأمان والاطمئنان، فقد حظرت السلطة كتابة أحاديث رسول الله، حتى تبقى هي المتحكمة بمفاتيح الشرعية!

3 - حماية المتعاونين مع السلطة من طعن المعارضة، فيمكن لعلماء المعارضة أن يكشفوا حقيقة بعض المؤلفة قلوبهم ممن جعلوا الولاء للسلطة سترا للطعن بالمعارضة. فمن الثابت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعن الحكم بن العاص، ولعن ما في صلبه، ولعن نفا من قريش، وشاعت الظروف أن يكون مروان هو صهر عثمان وابن عمه، ورئيس وزرائه وحامل أختامه، فإذا كانت هنالك حرية بالتحديث عن رسول الله وبنقل أحاديثه، وكتابتها، فيسهل على عشوات الصحابة الكوام أن يرووا حديث اللعن هذا أمام مروان، وأمام الخليفة، وفي ذلك إجراج ما بعده إجراج للسلطة، ولمقام الخلافة، فيغدو من الأسلم إغلاق باب التحديث وكتابة الحديث عن رسول الله!

12 - أسباب أخرى لمنع رواية حديث الرسول ومنع كتابته

انتشوت إشاعة مفادها أن رسول الله لم يجمع القرآن، بل تركه مفوقا في صدور الرجال، وانتقل إلى رحمة الله والقرآن على هذه الحالة، حتى نهض الخلفاء الثلاثة بتفصيل خاص لجمع القرآن، حتى لا يضيع بقتل حفظته، وتحولت هذه الإشاعة إلى نظرية متكاملة، فصلناها في الباب الأول، ونقضناها، وقد تحولت النظرية إلى قناعة راسخة الآن!

وفي ظلال هذه الإشاعة التي تحولت إلى نظرية، ثم إلى قناعة، قيل أن القصد من منع رواية الحديث وكتابته هو أن حتى لا يختلط القرآن وهو كلام الله بالحديث وهو كلام رسول الله. وهذا السبب لا يستقيم ولا يثبت لعنتين:

1 - العلة الأولى: مع أن النبي هو أفصح العرب، إلا أن الحديث يختلف عن كلام الله، فمحمد مخلوق والله خالقه.

الصفحة 197

2 - العلة الثانية: حسب نظرية أن الخلفاء هم الذين جمعوا القرآن الكريم، فالمفترض أن يرفع الحظر عن رواية أحاديث الرسول، وكتابتها بعد الجمع، ولكن الثابت أن الحظر بقي قائما حتى زمن عمر بن عبد العزيز، الذي استطاع بصعوبة أن يقنع علماء دولته بضرورة كتابة حديث رسول الله!

13 - مستثنيات من حظر رواية وكتابة أحاديث الرسول

بينما أن السلطة فرضت حظا على رواية وكتابة أحاديث رسول الله بعد وفاته مباشرة، واستمر الحظر 95 عاما حتى زمن عمر بن عبد العزيز الذي أصدر مرسوما يرفع الحظر.

إلا أن السلطة طوال مدة الحظر استثنت أمرا معينة أجزت فيها رواية حديث رسول الله وكتابته، ومن أبرز هذه الأمور:

1 - إذا عملت السلطة عملا ما استنادا إلى اجتهادها وروى أو حديثا عن رسول الله يشيد بهذا العمل، أو يضيفي الشوعية عليه، فلا ترى السلطة غضاضة ولا حرجا من رواية هكذا أحاديث أو تداولها.

2 - إذا تمكن خليفة من تحقيق الغلبة والظفر، واستقامت له الأمور، وجاءوا أو رواة فرووا أحاديث في فضله، في هذه الحالة فإن السلطة تحب بالرواة، وبما رروا، ولا ترى ما يمنع من كتابة هذه المرويات، وتداولها، بل تشجعها، وتقرب الرواة، وتغدق عطاياها عليهم.

- إذا سبق الكتاب على أحد أنه من أهل النار، وانتشر ذلك انتشاراً واسعاً، وتؤكد هذا الانتشار بحيث يتعذر إنكاره،

كقضية أبي لهب، تبت يدا أبي لهب وتب، فالكل يعلم أن أبا لهب من أهل النار، والشاهد على ذلك سورة من سور القرآن الكريم. أو كقضية الحكم بن العاص، وولده مروان، فالثابت ثبوتاً قطعياً بالسنة المطهرة أن رسول الله قد لعن الحكم بن

العاص، ولعن مروان وهو في صلبه، بحيث لا يمكن تغطية واقعة دخول أبي لهب في النار، ولا واقعة

الصفحة 198

لعن الحكم بن العاص وابنه. ومن المعروف أن مروان بن الحكم ملعون كأبيه، لكن خدمه الحظ، وزوجة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ابنته، واتخذته رئيساً لوزرائه، وحاملاً لخدمته، ولكن كل المسلمين يعلمون علم اليقين أن رسول الله لعن الحكم، ولعن مروان وهو في صلبه، وبالتالي يستحيل تكذيب واقعة لعن الرسول للحكم وابنه، فهي واقعة ثابتة ثبوتاً يقينياً، وترويتها أمة يمتنع عقلاً اجتماعها على الكذب، وبالرغم من ذلك اصطفاها الخليفة عثمان، لأنه رأى أن أمر المسلمين لا يستقيم تماماً إلا إذا استعان بهذا الذي لعنه رسول الله ولعن أباه، ثم إن عثمان خليفة ومروان هو ابن عمه، وبالتالي فهو وأبيه يصل أحامه!

فما هو المخرج الذي يضيء الشوعية على قرار الخليفة بتعيين مروان رئيساً لوزرائه؟

وكيف يمكن تجنب سخط العامة، وضمان الاستقرار، وضرب المعارضة، والتشكيك بسلامة موقفها، وتسهيل الأضواء على

سوء نيتها الطامعة بالانقضاض على السلطة، وسلب الأمر من أهله، وزعزعة وحدة المسلمين؟

فإذا جاءوا وشكك برسول الله نفسه، بما يخدم هدف السلطة، فإن رواية هذا الولوي تقبل، ولا مانع من تداولها وكتابتها

وانتشرها، وهذا الولوي أو الرواة تفتح أمامهم أبواب الحياة، وينادي منادي السلطة أنهم من المقربين، وبهذه الحالة فالرواية

والكتابة مباحة ولا يشملها الحظر.

جاء في صحيح البخاري كتاب الدعوات - باب قول النبي: من آذيتهم، وجاء في صحيح مسلم كتاب البر والصلة - باب من

لعنه النبي (صلى الله عليه وسلم) وليس لها أهلاً ما يلي:

(أن رسول الله كان يغضب، فيلعن، ويسب، ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن يجعلها لمن برت منه زكاة وطهوراً).

وروي أيضاً في صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطب - باب هل يستخرج السحر،

وباب السحر، وكتاب الأدب - باب أن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، وفي صحيح مسلم - باب السحر ما يلي:

الصفحة 199

(أن بعض اليهود سحر رسول الله، حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما فعله).

بهذه الضربة الفنية تحول مروان بن الحكم رئيس الوزراء، وتحول والده - الذي لعنه رسول الله - من ملعونين مطرودين

من رحمة الله إلى رجلين زاكين مطهرين، ولكن بعد أن ضحوا بخلق النبي (وإنك لعلى خلق عظيم) وضحوا بحلمه، لينجو

مروان ووالد مروان، وقد وثقنا في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام حقيقة لعن النبي للحكم وما

في صلبه.

نعم، مثل هذه الأحاديث لم يشملها الحظر، سواء على صعيد الرواية، أو على صعيد الكتابة، بل إن روايتها وكتابتها تقرب الرواة إلى السلطة زلفى.

وما عدا هذه الاستثناءات، فإن رواية وكتابة أحاديث رسول الله بقيت محظورة وممنوعة رسمياً، حتى زمن عمر بن عبد العزيز.

وغني عن البيان أن عهد علي عهد تنفست فيه الشرعية، ورعى بنفسه حملة كتابة ورواية أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

14 - الفواغ الحقوقي ومحولات سده

يستحيل استحالة مطلقة فهم القوان الكريم، والمقاصد الإلهية من آياته فهما قائما على الجزم واليقين نون بيان النبي لهذا القوان، فبيان النبي ضرورة من ضرورات فهم القوان، وعندما رفعت السلطة شعار (حسبنا كتاب الله) وقررت منع رواية وتداول وكتابة أحاديث رسول الله فإنها بعملها هذا أوجدت فواغا حقوقيا مدمرا، ترك بصماته على مختلف قطاعات الحياة، واستدعى البحث عن بديل لملء هذا الفواغ، فابتدع العمل بالوأي وسمي ألا بالتأويل، ثم سمي نهائيا بالاجتهاد، وامتألت الساحة الإسلامية بالقواعد الحقوقية القائمة على الظن والتخمين، والناجمة عن العمل بالوأي بمختلف صوره، فالمنظومة الحقوقية الإلهية التي أتت على محمد، والتي كانت تتميز بأنها بيان لكل شئ، فإن كل حكم من أحكامها قائم على الجزم واليقين، ونتيجة منع

الصفحة 200

رواية وكتابة أحاديث رسول الله اختلط من الناحية العملية ما أتله الخالق، بما وضعه الحاكم وشيعته وطلاب الدنيا من حوله.

صحيح أن هنالك ضمانات إلهية بحفظ القوان من التعريف والتبديل والتغيير، لكنه عطل عن أداء دوره الكامل في غياب البيان النووي الموثوق لآياته وأحكامه.

التأويل والاجتهاد: السلطة التريخية هي التي ابتدعت مصطلح التأويل بمعناه الواقعي، وهي التي ابتدعت الاجتهاد بمعناه الذي استقر نهائيا عليه، وأعوان السلطة هم الذين وضعوا قواعده وأحكامه، ثم ربطوه بالمنظومة الحقوقية الإلهية، أو على حد تعبيرهم ربطوه (بروح ومقاصد هذه المنظومة) فليس في الدنيا أمر من الأمور إلا وله حكم في الاجتهاد والتأويل، فإذا تبين أن الحاكم عمل عملا يخالف ويختلف مع عمل رسول الله نفسه قالوا: إن الحاكم مجتهد، والرسول الكريم نفسه مجتهد، ولا يؤرم المجتهد باتباع رأي المجتهد الآخر. راجع شوح نهج البلاغة مجلد 4 صفحة 178 مطبعة مصطفى البابي بمصر سنة 1399 هـ، وراجع شوح النهج مجلد 2 صفحة 153 ومجلد 2 صفحة 180، وراجع شوح التجريد للقوشجي صفحة 408، وقد بينا الحكم الشرعي في الاجتهاد، وأثبتنا نصوص بعض المقالات التي كتبناها ردا على وزير الأوقاف الأردني، فلوجع إليها من

شاء في الباب الأول من هذا البحث.

وضع الأحاديث: ونتيجة الإحساس بالفواج، قام بعض الصالحين من المسلمين بوضع أحاديث على رسول الله اختلقوها، وجعلوها حسبة لله زعمهم! فإذا سألهم سائل كيف تكذبون على رسول الله؟ قالوا: نحن نكذب له لا عليه، كما روى ذلك مسلم، ونقله عنه محمود أبوريه في كتابه الرائج أضواء على السنة المحمدية صفحة 138 ونقل عن ابن حجر قوله (وقد اغتر قوم من الجهلة، فوضعوا أحاديث التّوغيّب والتّوهيب، وقالوا: نحن لم نكذب على النبي، بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته) راجع صفحة 138 من المرجع السابق، ونقل أبوريه قال: قال عبد الله النهاوندي قلت لغلام أحمد: من أين لك هذه الأحاديث التي تحدث بها في الرقائق؟ فقال: وضعناها لنوفق

الصفحة 201

بها قلوب العامة، قال ابن الجوزي عن غلام أحمد هذا: إنه كان يؤهد، ويهجر شهوات الدنيا، ويتقوت بالبقاء، وغلقت أسواق بغداد بعد موته!
وكان أحمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة، وأكثرهم مدافعة عنها، ويحقر كل من خالفها، وكان مع ذلك يضع الحديث ويقبله!

وأخرج البخاري في التريخ الأوسط عن عمر بن صبيح أنه قال: أنا وضعت خطبة النبي، وأخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكومة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكومة هذا؟ فقال: إن رأيت الناس قد أعضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقّه أبي حنيفة، ومغزّي ابن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبة! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة 138 - 139.

واغتم أعداء الدين هذا الفواج، وأخذوا يضعون الأحاديث المكنوبة ليهدموا الدين، ولم تكن شيعة الحكام في غزلة من هذا، فكل شيعة من هذه الشيع كانت تضع من الأحاديث ما تحتاجه لتثبيت أوضاعها، أو لدحر أعدائها. ويمكن لمن أراد الوقوف على تفاصيل الوضع أن يقرأ أضواء على السنة المحمدية للسيد محمود أبوريه، وخاصة الصفحات 118 وما فوق.

15 - أبو هريرة يمهد المناخ للوضع

قال الشيخ أبوريه: أخرج الطحوي في المشكل عن أبي هريرة مرفوعاً عن النبي أنه قال: إذا حدثتم عني حديثاً تعرفونه، ولا تتكرونه فصدقوا به قلته أم لم أقله!

فإني أقول ما يعرف ولا ينكر، وإذا حدثتم عني حديثاً تتكرونه، ولا تعرفونه فكذبوا به، فإنني لا أقول ما ينكر ولا يعرف!
ويشبه هذا الحديث حديثاً آخر رواه أحمد أن رسول الله قال: إذا سمعتم الحديث عني، تعرفه قلوبكم، وتلين له أبشركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا وألاكم به،

الصفحة 202

وإذا سمعتم الحديث عني تنكوه قلوبكم، وتتفر منه أشعلكم وأبشلكم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه.

وقال خالد بن يزيد، سمعت محمد بن سعيد الدمشقي يقول: إذا كان كلام حسن لم أر بأساً من أن أجعل له إسناداً!

قال الحافظ ابن حجر: هذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالرسول، إذ بدعة الخوارج كانت في مبدأ الإسلام والصحابة

متوافرون، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم، وهؤلاء استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً، فربما سمع الرجل الشيء فحدث به الذي

يحتج بالمنقطعات، فيحتج به مع كون أصله ما ذكوت! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة 137

16 - لولا شعار، (حسبنا كتاب الله)

لولا شعار (حسبنا كتاب الله) وإيمان دولة الخلافة الأولى بضرورة تسيخ وتعميق هذا الشعار، وما اقتضاه ذلك من المنع

الوسمي لرواية وكتابة أحاديث رسول الله، ومن فوض الحصار التام على الرواية والكتابة، حتى بلغ الأمر حداً أن طلب من

الناس أن يأتوا الخليفة بالأحاديث المكتوبة والمروية عن رسول الله، فلما جاء الناس بتلك الأحاديث وجمعت، أمر الخليفة

بحرقها! وكفى بذلك تنفراً من كتابة تلك الأحاديث وروايتها، راجع طبقات ابن سعد مجلد 5 صفحة 140 بترجمة القاسم بن

محمد بن أبي بكر تجد واقعة التحريق، وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 3 تجد واقعة الوبط

بين منع كتابة الحديث وروايته وبين شعار (حسبنا كتاب الله) وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي مجلد 1 صفحة 4 - 5 ، وراجع

جامع بيان العلم - باب ذم الإكثار من الحديث مجلد 2 صفحة 147 ، وراجع الحديث رقم 4865 من الكنز.

لولا هذا الشعار لأحصيت أحاديث رسول الله، وكتبت، فحفظت من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير بعد وفاة الرسول

مباشرة، ولما حرم الناس من بيان النبي

الصفحة 203

لهذا القآن، وبالتالي لما حدث ذلك الفواج الوهيب الذي أفسح المجال للعمل بالوأي مع وجود النص، وأغرق المسلمين في

بحار من الظن والتخمين، ولأمكن توصيل حديث رسول لفظاً ومعنى لكل أبناء الجنس البشري!!

ولكن كيف تسمح قريش بكتابة أحاديث رسول الله بعد وفاته، وهي التي كانت تعرض كتابة تلك الأحاديث حالة حياته

(صلى الله عليه وآله وسلم). راجع سنن الدارمي مجلد 1 صفحة 125 باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وراجع سنن أبي

داود مجلد 2 صفحة 126 باب كتابة العلم، وراجع مسند أحمد مجلد 2 صفحة 62 و 207 و 216 ، وراجع مستترك الحاكم

مجلد 1 صفحة 105 - 106 ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد 1 صفحة 85 . تجد أن قريشا حال حياة النبي

كانت تعرض على عدم كتابة أحاديث رسول الله، بل وتمنعها بدوى أنه بشر يتكلم في الوضا والغضب، وتريد قريش أن

تتأكد أن كلام الرسول مناسب أو غير مناسب، وهل صدر في الوضا أم في الغضب!

ونتيجة قرار الحظر الذي فوضته السلطة، والذي استمر 95 عاماً ضاع حديث رسول الله تحت الأنقاض، وبعد 95 عاماً

بدأت السلطة تبحث عن حديث الرسول بين الأنقاض، فذهب الناس في ذلك طوائق قددا!

وبعد ذلك قل أن تجد حديثاً واحداً لرسول الله مروياً بلفظه ومعناه، وقل أن تجد حديثاً دون أن تجد نقيضاً له.

وليس هذا فحسب بل إن السلطة طردت الذين كتبوا بخط أيديهم وبإملاء رسول الله، وشككت بهم ونفوت الناس منهم، واتهمتهم بالكذب، وأموت بلعنهم على المنابر، وهدمت نور الذين يحبونهم، وأسقطت أسماءهم من ديوان العطاء! كما ذكر ابن أبي الحديد نقلا عن المدائني في كتابه الأحداث، وكما وثقنا سابقا.

وهكذا بدلت السلطة نعمة الله بالرأي، فجرت هذه الأمة إلى مزالق الدمار تحت شعار (حسبنا كتاب الله)

الصفحة 204

صحيح أن الذين وضعوا هذا الشعار قصصوا خوا ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فنتيجة الشعار فتحت أبواب التأويلات لكل نص، ووجدت مئات المعاني لكل نص، وكل صاحب معنى مجتهد ومأجور، وألقى الظن والتخمين أجرانه، وضاع الجرم واليقين، وللسلطة أن تختار ما تشاء وأن تركز لمن تشاء، ولهارأيها أيضا، وما يريك أن الحق معها في غياب البيان النبوي وتغييبه بعد وفاة النبي، وفي غياب الولي المخول بالبيان بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)! والمجتهد مأجور قتل أم قتل، أصاب أم أخطأ، وكل صاحب رأي مجتهد بما فيه الخليفة!

* *

الصفحة 205

الباب الثالث

تخريب المنظومة الحقوقية الإلهية وإبطال مفعولها بعد وفاة النبي

الفصل الأول: المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة الأرشد

الفصل الثاني: تخريب النظام السياسي الإسلامي

الفصل الثالث: تعديل وإلغاء الترتيبات الإلهية

الفصل الرابع: نشأة النظام البديل

الفصل الخامس: إقامة النظام البديل وتكون لركانه

الفصل السادس: الإمام الشوعي يطلب النصوة

الفصل السابع: الآثار السياسية لانتصار النظام البديل

الأثر الأول: إقصاء الرسول عن التأثير على الأحداث

الأثر الثاني: عزل أهل بيت النبوة الكرام

الأثر الثالث: تقديس الخليفة الغالب

الفصل الثامن: تفكيك النظام الإلهي وتعطيل مسيرته المباركة

الفصل التاسع: فك الارتباط بين المنظومة الإلهية وبين أهل البيت

الفصل الأول

المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة الأرشد

1 - توير بواسطة هذا الفصل

لكي نحكم على موقف العهود اللاحقة بعهد النبوة من المنظومة الحقوقية الإلهية، ولكي نعرف حجم التخريب والتدمير الذي ألحقته تلك العهود بالمنظومة الحقوقية الإلهية، لا بد من دراسة سريعة لحالة المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة المحمدية الأرشد، لأن عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المثال الأرفع، وهو عهد الكمال المطلق، ففي عهده بدأت، وفي عهده اكتملت وطبقت تطبيقاً كاملاً ودقيقاً، وتم نقلها من النص إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة، سواء على صعيد الدعوة، أو على صعيد الدولة، أو على صعيد المرحلة التي توسطت تحول الدعوة إلى دولة. وبواسطة عهده المبارك واستيعابه يحصل الباحث على الميزان الحق الذي يزن به كل عهد من العهود اللاحقة بعهد النبوة، وعلى المقياس القويم الذي يقيس به تلك العهود قرباً وبعداً، إصلاحاً وخراباً.

2 - جناح المنظومة الحقوقية في عهد النبوة الأرشد

في عهده المبارك (صلى الله عليه وآله وسلم) حصرت المنظومة الحقوقية الإلهية باثنين لا ثالث لهما هما بمثابة جناحي طير السعد وهما:

1 - قآن كريم متول من عند الله.

2 - بيان الرسول لهذا القآن.

تلك ببساطة مجموعة القواعد الحقوقية المعتمدة أثناء الدعوة المحمدية، وحال قيام دولته الإيمانية المباركة، بعد أن تحولت الدعوة إلى دولة.

وغني عن البيان أن بيان الرسول لهذا القآن يأخذ شكل: القول أو شكل الفعل أو شكل التوير على وجه الحصر، ومهما كان شكل هذا البيان النبوي فهو جزء لا يتجزأ من المنظومة الحقوقية الإلهية، وهو بمثابة جناحها الأيسر، والقآن الكريم هو جناحها الأيمن، ويتعذر على الطائر أن يطير إلا بجناحيه.

3 - يقينية المنظومة الحقوقية الإلهية

القَوَانِ الكريم هو كلام الله الذي لُوحاه إلى نبيه لفظاً ومعنى، تلك حقيقة إيمانية مطلقة قائمة على الجرم واليقين، وهي أساس العقيدة الأول. والنبي الأعظم هو رسول الله المكلف ببيان القَوَانِ بيانا قائماً على الجرم واليقين، بحيث يكون هو نفس المقصود الإلهي حسب أحوال المكلفين وقوة الواقع على التحمل والحركة، وتلك حقيقة مطلقة وهي أساس العقيدة الثاني. والرسول الكريم بالضرورة هو أفهم خلق الله بهذا القَوَانِ، وأعلمهم به، وأكثرهم قوة على بيانه، وهو معد ومهيأ إلهياً ليكون الأفهم والأعلم بالقَوَانِ، والأقدر على بيانه، وهو الأفضل لقيادة المؤمنين بالله تعالى على هدى هذا القَوَانِ، وتوشيد حركة المجتمع على هداية، تلك حقيقة ثالثة قائمة على الجرم واليقين، وهي أيضاً الأسس الثالث للعقيدة. وقد فصلت هذه الحقائق في كتابي نظرية عدالة الصحابة والرجعية السياسية في الإسلام، فليرجع إليه من أراد التفصيل.

4 - الوحدة العضوية بين القَوَانِ والبيان

كما أنه لا غنى للطير عن أحد جناحيه، كذلك لا غنى للمنظومة الحقوقية الإلهية عن أحد جناحيها، فلا غنى للقَوَانِ عن النبي لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المبين لهذا القَوَانِ، ولا غنى

الصفحة 209

للنبي عن هذا القَوَانِ لأنه دليل نبوته، وعنوان الوسالة الإلهية إلى بني البشر، والقَوَانِ حافل بآلاف المعاني والمقاصد بوصفه القانون النهائي للجنس البشري، والنبي وحده هو القادر على معرفة المعنى المحدد للنص المحدد، الذي ينطبق على هذه الواقعة أو تلك.

وباستعراضنا لتاريخ الهدايات الإلهية لم نجد أن الله تعالى قد أرسل رسالة بدون رسول، أو أتول كتاباً إلا على عبد، وهذا يؤكد أن النبوة فن واختصاص بأمور البيان، تماماً كاختصاص الطبيب بالطب والمهندس بالهندسة... إلخ. وتلك أمور لم يغفلها المشوع الوضعي على قصوره، فما من منظومة حقوقية سائدة، إلا وخصص لها فود أو جهاز يتولى بيانها للمكلفين.

5 - الجرم واليقين والظن والتخمين

قد يقول قائل إن القَوَانِ الكريم قد قول بلسان عربي مبين، وأن بإمكان أي قرئ للعربية أن يفهم القَوَانِ، وأن يستوعب الكثير من معانيه، هذا صحيح ولكن الآية الواحدة مشحونة بالمعاني والمفاهيم والمقاصد، وليس المطلوب أي معنى، أو أي فهم، أو أي مقصد، إنما المطلوب عين المعنى والمفهوم والمقصد الذي عناه الله تعالى بهذه الآية، وخصه بالذات ليحكم هذه الحادثة، أو تلك، في هذا الزمن، أو ذلك.

ففهم أي شخص للنص القَوَانِ هو فهم قائم على الظن والتخمين، فهو يتصور حسب مبلغه من العلم أن هذا الفهم هو المطلوب وهو الحاكم لتلك الحادثة، ولكنه لا يجزم أن هذا هو المقصود الإلهي، وإذا جزم فلا وهان على جزمه. أما فهم الرسول أو المكلف إلهياً ليقوم مقامه، فهو فهم قائم على الجرم واليقين بأن هذا المعنى أو ذلك هو عين المقصود

الإلهي المخصص لحكم هذه الحادثة، أو تلك، في هذا الزمن، أو ذلك.

والدليل القاطع على صحة الجرم واليقين أن الله اختاره وهياًه وكلفه بالبيان مباشرة، ثم اختار من بعده الإمام، وهو مكلف بأن يكون مرجع الأمة الأوحد في زمانه، والكاشف الأوحد عن المقاصد الإلهية الوردية في أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية.

الصفحة 210

6 - مخاطر الظن والتخمين

يستقيم أمر العباد ما دام المرجع الذي يبين أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية بيانا قائماً على الجرم واليقين موجوداً، ومتاحة أمامه الفرصة لممارسة مهام البيان والقيادة معاً، فإذا حيل بين هذا المرجع وبين ممارسة مهامه في البيان والقيادة، فإن حبل المنظومة الحقوقية الإلهية يهتز، ويتعذر عليها أن تقوم بدورها على الوجه الأكمل، لسبب بسيط أنها لا تستطيع أن تحلق بجناح واحد، ولأن استبعاد الإمام المختص ببيان الأحكام بيانا قائماً على الجرم واليقين، يعني كسر جناح المنظومة الحقوقية الإلهية، وإجبارها على التحليق بجناح واحد.

عملية استبعاد الإمام المختص إلهياً ببيان الأحكام جريمة، وعملية تعطيل الشريعة الإلهية جريمة أيضاً، فإذا جمعا الجريمتين معاً فإن سعيهم سيكشف، ولا يمكن الدفاع عنه، فاستبعاد الإمام المختص إلهياً عملية يمكن تعطيلها بالقول بأن المصلحة اقتضت ذلك، والمصلحة العامة كلمة مطاطة، ويمكن تعويرها على العامة، وقوة الغالب قاهرة على قمع الخاصة، أما تعطيل الشريعة فعملية مكشوفة تماماً.

ولمعالجة هذه الحالة صار الغالب هو المرجع، وهو المختص ببيان الأحكام، وبما أن الحاكم الغالب غير مؤهل، فإنه يجمع حوله طائفة من العلماء، ويخولهم صلاحية بيان الأحكام، فيخرج كل واحد منهم رأي وفهم، ومعنى، ومقصد، فيختار الحاكم الغالب، الفهم، والمعنى، والمقصد الذي يريد، ويتوغل أصحاب الأفهام في صفوف العامة، وزعم كل صاحب فهم أن فهمه هو الأصوب، ويستقطب كل صاحب فهم طائفة، ثم تتحول الطوائف إلى أحزاب وشيع، كل حزب بما لديهم فحون، وتتفوق الأمة داخلياً، وتشتت، ويذهب ريحها، وتتحول إلى حقل تجرب لعنعات الأحزاب، ومكر قاداتها، وتخرج طائفة من يسر الجرم واليقين إلى عسر الفوض والتخمين، ومن سعة اليقين إلى ضيق الشك، وتتعطل عملياً أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية، وتتصور

الصفحة 211

الأمم الأخرى أن البيان الذي أشاعته المرجعيات البديلة هو عين البيان الإلهي، وبما أن بيان المرجعيات البديلة قائم على الظن والتخمين، تكف الأمم عن بحث الإسلام وعن رواسته.

7 - الإلحاق والتقول

قلنا إن المنظومة الحقوقية الإلهية جناحاً طير واحد، أحد جناحيه القرآن الكريم، وجناحه الآخر بيان النبي لهذا القرآن،

بأشكاله الثلاثة: القول، والفعل، والتقرير.

وقبل أن ينتقل النبي إلى جوار ربه أعلن للملأ الجهة المخولة بالبيان، وهم عتوته أهل بيته، وبالتحديد الأئمة المعصومون من هذه العترة، فعميد أهل البيت المهياً إلهياً هو المخول بالبيان، والقيادة السياسية معاً.

وبسبب نظام التغلب أقصىت عمادة البيت الطاهر رسمياً عن الحكم، والمرجعية، والبيان، وأسندت هذه المهام إلى الغالب ومن والاه، فألحقوا العرف، والإجماع، والقياس، والمصالح الموسلة، بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وتقولوا على الله، بأنها جزء من منظومته، مع أن هذه المنظومة إذا أقوت عرفاً من الأعراف بعد تهذيبه، فإن العرف لا يستمد شوعيته من ذاته، بل يستمد الشوعية والانتماء من المنظومة الحقوقية الإلهية، والإجماع بجوهره عندهم هو إيجاد حكم لحادثة لا حكم لها، وغير وارد أن يكون الإجماع ضد حكم، فكيف نوفق بين هذه التصورات وبين التأكيدات الإلهية بأن الله تعالى قد قول القوان تبياناً لكل شيء؟ (وتولنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) آية 89 النمل (وتولنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) آية 44 النمل (وما أتولنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) آية 64 النمل، بل كيف نوفق بين هذه التصورات، وبين الإعلان عن كمال الدين، وتمام النعمة الإلهية؟ (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي) آية 3 المائدة.

السبب في هذه الإلحاقات والتولات يكمن في إصوار الحاكم الغالب في كل زمان على استبعاد الإمام المخول إلهياً بالبيان،

القائم على الجزم واليقين، وإصوار هذا الغالب



بأنه القائم مقام النبي بالبيان مع أنه غير مخول بذلك، ولا هو معد إلهيا ليقوم مقام النبي بمهمة بيان القرآن!! ولو أتيحت الفرصة للإمام الشوعي المعد إلهيا والمخصص لبيان القرآن، لوجد العباد حكم كل شئ في القرآن الكريم، ولكشف لهم هذا الإمام عن الأحكام الشوعية كشفا قائما على الجزم واليقين، ولكن الغالب نحى الإمام عن مهمته، وحلول أن يقوم مقام الإمام فعجز، ولكنه يخفي عجزه.

8 - تفعيل المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة

بمعنى كيف تعمل المنظومة الحقوقية الإلهية في عهده النبوة؟ كيف تقوم بتوشيد حركة المجتمع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعقائدية، والدولية، وفق أحكامها؟ كيف تتقلها من عالم النص إلى عالم التطبيق سواء في عهد النبوة، أو بعد عهد النبوة؟ هذا عين ما قصدناه بمصطلح التفعيل.

إن المطلوب هو إحلال الترتيبات الإلهية لإدارة وتوشيد حركة المجتمع محل الترتيبات الوضعية، بمعنى أن عقيدة وضعية فاسدة تحكم هذا المجتمع أو ذلك، ونتيجة تحكم هذه العقيدة، ونتيجة لترتيباتها تودت حالة هذا المجتمع أو ذلك، وتعذر تغييرها، وإنقاذ المجتمع بدون إلغاء هذه العقيدة الوضعية الفاسدة وإحلال العقيدة الإلهية محلها، على اعتبار أن العقيدة الإلهية هي خطة الإنقاذ الإلهي للمجتمع.

9 - الترتيبات الإلهية والترتيبات الوضعية

الترتيبات الإلهية خطوط عريضة، وتفصيلية يضعها الله نفسه لإدارة وتوشيد حركة مجتمع الإيمان، وهي ترتيبات قائمة على الجزم واليقين، يشرف على توضيحها وبيانها وتنفيذها رجل مرتبط ارتباطا وثيقا بالله تعالى، بحيث يكون بيانه وتوضيحه للترتيبات الإلهية هو عين المقصود الإلهي لزيادة ولا نقصان، ويكون تنفيذه للخطة الإلهية على العموم وبالتفصيل هو عين المشيئة الإلهية بالتنفيذ لزيادة ولا نقصان،

وهذا يستدعي أن يكون هذا الرجل هو الأفهم والأعلم بالترتيبات الإلهية، وأفضل الموجودين، وأصلحهم للقيادة والموجعية معا، وتلك صفات موضوعية خفية لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن هنا اختص جلت قدرته بتحديد هذا الرجل، وتكليفه بقيادة خطة الإنقاذ الإلهي، أو وضع الترتيبات الإلهية موضع التنفيذ.

بينما الترتيبات الوضعية هي مجرد تصورات ظنية يضعها فرد، أو شلة، أو فئة، ويقدمونها للناس على أساس أنها خطة إنقاذ، أو منهج إدارة وتوشيد لحركة المجتمع، ويفوضونها على المجتمع بالحديد والنار، ويشرف على تنفيذها رجل لا وهان معه، ولا سند له من الشوعية، سوى أنه الغالب. فهو الذي يبين التصورات الظنية، وهو الذي ينفذها، تدعمه فئة تتقاسم وإياه المنفعة، ويتنعمون معا، بينما يشقى السواد الأعظم.

10 - أركان الترتيبات الإلهية

خطة الإصلاح الإلهي، أو المنظومة الحقوقية الإلهية، أو الترتيبات الإلهية لإتقاد هذا المجتمع أو ذلك، تتكون من ثلاثة

أركان:

الوكن الأول: قيادة سياسية ومرجعية معا: وهي تتكون من نبي موصل يتولى بيان الخطة الإلهية، أو توضيح التعليمات الإلهية توضيحا قائما على الجزم واليقين، ونقل هذه التعليمات الإلهية إلى واقع حي، وحركات ملموسة، فهو المرجع اليقيني الأوحد لكل ما يتعلق بالخطة الإلهية، أو مجموعة قواعد المنظومة الحقوقية الإلهية، فلا مرجع سواه، وإن تعددت المراجع بأمره ففعله هو الفصل، فهو المهيمن عليها، وهو الموجه لها، تصدر نهائيا عن حكمه، وتسلم بيقينية هذا الحكم، وبنفس الوقت هو القيادة السياسية، يقود بنفسه، ويستعين بغيره. وقوله وفعله وتوروه هو جزء من المنظومة الحقوقية، يؤأ معها، وتفهم به.

الوكن الثاني: منظومة حقوقية إلهية: وهي كتاب الله المتول من عند الله باللفظ والمعنى، مع ما يستتبعه من تفضل إلهي

بالتوضيح، وهذا الكتاب هو بمثابة خطة إلهية

الصفحة 214

لإتقاد وإصلاح المجتمع، أو بمثابة تعليمات إلهية لنقل المجتمع من حالته الواهنة إلى الحالة التي يريد الله، أو إن شئت فقل: إنها مجموعة القواعد الحقوقية الإلهية التي ترشد حركة الانتقال من المجتمع المتخلف إلى المجتمع المتطور، وهي بذاتها القواعد التي ستحكم حركة المجتمع بعد نقله إلى مستوى التصور اليقيني الولد في نصوص وروح المنظومة الإلهية، ويمكنك القول: إنها مجموعة القوانين الإلهية الجاهزة للتنفيذ.

الوكن الثالث: أمة من الناس: تقبل بالقيادة والمرجعية معا، وتواليها، وبنفس الوقت تقبل بالمنظومة الحقوقية الإلهية كقانون نافذ يحكم الحوادث، والعلاقات والحقوق. فإذا قبلت هذه الأمة بالمنظومة الحقوقية وحدها، ورفضت القيادة والمرجعية، فإنها تكون قد رفضت الترتيبات الإلهية ضمنا، وإذا قبلت الأمة المرجعية والقيادة السياسية ورفضت المنظومة الحقوقية الإلهية، فإنها تكون ضمنا قد رفضت الترتيبات الإلهية.

11 - القبول المقبول

القبول الوحيد المقبول والمنتج هو أن تأخذ الأمة بالاثنتين معا:

1 - توالي المرجعية والقيادة السياسية، ولا تتولى غيرها.

2 - تقبل بالمنظومة الحقوقية الإلهية، كما تفسرها المرجعية والقيادة السياسية المعينة من الله تعالى، والمختصة بالبيان والقيادة.

وبغير ذلك فإن الترتيبات الإلهية ستزول عاجلا أم آجلا، وتوقع البركة والألفة، وينقسم الناس إلى شيع ينوق بعضهم بأس

بعض، ويعود المجتمع إلى الرءاء، ثم يحل به الدمار!

وقبل أن ينتقل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جوار ربه بلغ العامة والخاصة: أن علي بن أبي طالب هو بعينه ولي المؤمنين من بعده، وبين اثني عشر إماما يتولون الإمامة من بعده إماما بعد إمام، كل إمام يعين بنص من سبقه عليه. ويلاحظ أن عميد أهل البيت الكرام في كل

الصفحة 215

زمان هو إمام الأمة، وهذا يفسر ربط القآن وأهل البيت معا، فهما الثقلان، والهداية لا تترك إلا بهما معا، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بهما معا.

12 - الترتيبات الوضعية

لا تختلف من حيث الشكل عن الترتيبات الإلهية فهي تتكون أيضا من ثلاثة أركان:

- 1 - قائد سياسي ومرجع، وهو الغالب، يعين نفسه، أو تعينه الفئة المستفيدة من وجوده.
- 2 - منظومة حقوقية من صنع الغالب وبطانته.
- 3 - أمة مغلوبة على أمرها، أو مدلس عليها، تقبل بالقائد السياسي، والمرجع الغالب وبالمنظومة الحقوقية الوضعية التي يضعها هذا الغالب، بنفسه أو بواسطة غيره، ويبينها ويفسرها وينفذها على الوجه الذي يريد، بنفسه أو بواسطة غيره.

13 - الترتيبات المركبة وأركانها

وهي ثروة الخلط الجوي بين الترتيبات الإلهية والترتيبات الوضعية، وتتم عملية الخلط جوريا بواسطة قوة متغلبة يتعذر عليها أن تتجاهل كل الترتيبات الإلهية، وبنفس الوقت لا تتحقق أهدافها بإعمال كامل الترتيبات الإلهية، أو أنها ترى أن الترتيبات الإلهية لم تعد مناسبة، وأن الأفضل إجراء تعديل جوهري عليها. ومن هنا ابتدعت فكرة الترتيبات المعدلة، أو المركبة، فصلت الترتيبات الجديدة، لا هي إلهية، ولا هي وضعية، إنما هي ترتيبات مركبة.

الركن الأول في الترتيبات المركبة: حسبنا كتاب الله: بمعنى أن التمسك بكتاب الله وحده كمنظومة حقوقية وكقانون نافذ يجزي وحده، ويغني عن سواه، وقد سادت هذه المقولة والنبي على فاش الموت، ثم كتبت لها الغلبة بعد أن انتقل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جوار ربه، وهذه واقعة ثابتة وقد سقنا الأدلة القاطعة على وقوعها في هذا البحث، وفي كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام.

الصفحة 216

الركن الثاني: الأمة هي وحدها المختصة بتعيين القيادة السياسية والمرجعية، وليس الله: بمعنى أن الأمة هي وحدها المخولة باختيار الشخص الذي يتولى المرجعية، أي بيان القآن والقيادة السياسية معا.

ويقول رواد هذه النظرية إن الله تعالى خلى على الناس أمرهم، وتوك هذه الأمور للأمة لتختار وفق مشيئتها، وحسب

قواعد الشورى، من زاه، ولئن سألتهم أين هي قواعد الشورى التي تحكم عملية الاختيار؟ لأجابوك على الفور: تلك قواعد

جاءت من إجماع الأمة، ومن فعل الحكام الصالحين.

والخلاصة: أن عملية اختيار المرجعية والقيادة شأن خاص بالأمة ولا علاقة لأي كان به، بمعنى أن القواعد التي تحكم اختيار الشخص الذي يتولى البيان والمرجعية والقيادة السياسية، هي في أصلها وجوهرها قواعد وضعية، وضعتها الأمة بالاستناد إلى مبدأ الإجماع، وتحت مظلة مبدأ الشورى، وسأقوم بتوثيق ذلك، ويمكن لمن أراد الوقوف على تفصيل ذلك مراجعة مباحث هذا الكتاب، ومراجعة كتابنا النظام السياسي في الإسلام، ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، وكتابنا مركات الفكر السياسي.

الركن الثالث: الغلبة والتغلب والغالب: المنظومة الحقوقية الإلهية لا يمكن تطبيقها بدون مرجعية تتولى مهمة البيان، وبدون قيادة سياسية تعمل على توحيد حركة المجتمع وفق قواعد هذه المنظومة، وقد تعثرت فكرة الشورى حتى في سقيفة بني ساعدة، وتعذر تطبيقها عمليا وسياسيا، فالحل الأمثل بنظر رواد التريخ هو إفساح المجال أمام فرس قري مسلم، يقهر كل خصومه، ويغلبهم، ويجمع الأمة تحت إمرته، ويأخذ باللين، أو بمنتهى الشدة، كل خرج على حكمة، وكل مشكك بشوعية وجوده، باعتبار أن هذا الفرس هو رمز وحدة الأمة، وباعتبار أن الخروج على هذا الفرس والمشكك بشوعية حكمه، خرج على وحدة الأمة، متمرد على القضاء الإلهي، على حد تعبير معلوية بن أبي سفيان. ومن هنا صلت الغلبة سببا شرعيا مكسبا للحكم، وسنوثق ذلك.

الصفحة 217

الركن الرابع: العهد: اكتشف الخلفاء الحكام أن موت الحاكم، وتوك الأمة دون بيان من يخلفه، مفسدة حقيقية، وليس من مصلحة الأمة أن يتوكلها هملا لاراعي لها، فضلا عن ذلك فإن المصلحة بين الفوسان الأقوياء عمل يؤدي لعدم الاستوار، وإلى راقاة الدماء، فمن هنا نشأت فكرة ولاية العهد، فالخليفة الحاكم يعهد لمن يليه، وتستمر عملية العهد حتى يأتي فرس فيغلب الغالب ويحل محله، ثم يعهد لابنه أو أخيه أو صديقه.

والجدير بالذكر أن هنالك إجماعا بين رواد هذه النظرية بأن الرسول لم يعهد لأحد، وأنه ترك أمته ولا راعي لها! فجاه

الخلفاء وتدلروا هذه الناحية، وسوا هذا الواغ!

الركن الخامس: الغالب كائنا من كان: فهو القائم مقام النبي والمتمتع بكامل صلاحياته، إلا أنه لا يوحى إليه. فالغالب هو الذي يبين القآن، أو يعين من بينه، وهو مرجع الأمة، أو يعين لها المرجع الذي يملس أعمال المرجعية تحت إشرافه، وهو قائدها السياسي، ورمز وحدتها، وهو ينظر في أمرها حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لها حال وفاته، فيعين لها من يقوم مقامه بعد وفاته، على حد تعبير ابن خلدون.

وقد هيمنت هذه الترتيبات المركبة، وسادت الحياة السياسية من بعيد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى سقوط آخر

سلاطين بني عثمان، باستثناء قوة محددة لا تتجاوز سنيتها عدد أصابع اليدين.

الفصل الثاني

تخريب النظام السياسي الإسلامي

يتميز النظام السياسي الإسلامي عن غيره من الأنظمة بخمسة عناصر يختص بها:

- 1 - وجود الإمام أو رئيس الدولة وهو القوة.
- 2 - طريقة تعيين وتنصيب هذا الإمام أو الرئيس.
- 3 - طبيعة فهم الإمام للمنظومة الحقوقية الإلهية.
- 4 - قيادة الإمام للدولة المدعومة بدعوة.
- 5 - استورية الدعوة والدولة بعمر الحياة الإنسانية.

1 - الإمام الأمتل ورئيس الدولة الأعظم

الإمام الأمتل والرئيس الأعظم هو خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو المؤمن الأول، والإمام الأول، والرئيس الأول، وهو القوة، والنموذج، وهورائد عملية إصلاح العالم، وانقاذ الجنس البشري، وهو قائد الدعوة الإسلامية الأولى، ورئيس أول دولة إسلامية، وقد أعلن على رؤوس الأشهاد أنه خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، وأنه آخر الوسل، وأن دينه هو آخر الأديان السماوية.

2 - طبيعة الدين الإسلامي خطة

الدين الإسلامي بمجمله: ما هو إلا منظومة حقوقية كاملة، تنظم الحياتين الدنيا والآخرة. وتوشد وتدير حركة الأؤاد، والأسر، والمجتمعات، والدول، والعالم، والكون المسخر لخدمة العالم الإنساني.

وتقريباً للذهن نقول: إن الدين الإسلامي بجوهه وحقيقته ما هو إلا خطة إلهية، لإنقاذ العالم، وانسجام متناقضاته، وهو خطة نهائية، بمعنى أنه لن تأتي خطة إلهية سواها، وهي من صنع الله، بمعنى أنها خطة كاملة ومزهة تماماً عن النقص، وهي بنفس الوقت بسيطة يفهمها العقل البشري، وتستسيغها الفطرة الإنسانية.

3 - لولم نجاح الخطة

إنجاح الخطة الإلهية وفق نواميس الابتلاء الإلهي يحتاج إلى:

منظر ومنفذ لهذه الخطة من جنس المكلفين (بشر).

إلى دعوة للتبشير بالخطة.

إلى دولة لتحمي الدعوة، وتكون النموذج الأمثل لنجاح الخطة.

4 - من يختار المنظر والمنفذ

لو أن الله تعالى استفتانا وهو الغني، وسألنا: من تقترحون منظرا ومنفذا وقائدا للدعوة وللولة؟ لأجابه بتجرد: يا إلهنا عين لنا الأفهم والأعلم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، أو بخطة الإنقاذ الإلهي، وأصلحنا وأفضلنا.

لو أن العناية الإلهية سألت على سبيل المساواة، وإمعانا بإقامة الحجة: فمن تعتقون أنه الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، ومن هو أصلحكم وأفضلكم يا عبادي؟

إذا لم نلتزم بقواعد الأدب وبالموضوعية، فسنتقح عليه آلاف الأشخاص، وننقسم إلى فوق، وكل فريق يقدم صاحبه على أساس أنه الأفضل والأصلح من بيننا، والأفهم والأعلم بالمنظومة الحقوقية، مع أن المطلوب شخص واحد وليس آلاف.

أما إذا التزمنا بالموضوعية وبالآداب والحق والحقيقة فسنجيبه بصوت واحد: ياربنا يا أيها اللطيف، أنت خالقنا، وأنت علام الغيوب، الخطة خطتك، والمنظومة منظومتك، ونحن عبادك، خلقتنا وتعلم حقيقة كل واحد منا، فقدم أنت لنا الأفهم والأعلم والأصلح والأفضل.

الصفحة 221

5 - رئاسة الدولة في الإسلام قدر مشترك

بمعنى أن الله وحده هو الذي يعلم علما يقينيا من هو الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية المراد تبليغها للناس وتطبيقها عليهم، وهو وحده الذي يعلم علما يقينيا من هو الأصلح والأفضل بين هؤلاء الناس، ليكون قائدا لهم، وطالما أن الله وحده هو الذي يعلم ذلك علم اليقين، وحيث أن غاية الأعلم والأفهم والأفضل والأصلح هو غاية المحكومين ومقصدهم، فيعني ذلك أن مقصد المخلوق والخالق قد اتحدا . عندئذ يعلن الله تعالى هذا الشخص الذي توفرت فيه تلك الشرائط، ويكلفه بتنفيذ الخطة الإلهية، ووضع المنظومة الحقوقية موضع التطبيق. فإله سبحانه وتعالى هو الذي دلنا على هذا الشخص، وقدمه لنا، وشهد بأن الصفات المطلوبة متوفرة به، وأنه هو وحده المؤهل بهذه القوة الزمنية أو تلك لتنفيذ الخطة الإلهية، أو وضع المنظومة الحقوقية الإلهية موضع التطبيق.

الله سبحانه وتعالى دل الأمة وأرشدنا إلى الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وإلى الأفضل والأصلح، وتلك هي غاية الأمة، عندئذ تقبل الأمة بالتكليف الإلهي، وتصدق، وتباشر بمبايعة هذا الشخص، والتعاقد معه، على أن يعمل الفويقان - الإمام والأمة - لتنفيذ الخطة الإلهية، وتطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية تحت إشراف، وقيادة، وتوجيه الإمام المعين إلهيا، والمصادق على تعيينه شعبيا.

والإمام إمام لأن الله تعالى كلفه بالإمامة، وخوله تنفيذ الخطة الإلهية، وتطبيق المنظومة الحقوقية، لكن الخطة لا تنفذ وفق قواعد الابتلاء الإلهي إلا ببشر، ولا تطبق المنظومة الإلهية إلا ببشر وعلى بشر، فعندما تمت البيعة تحققت إمكانية التطبيق والتنفيذ، فالإمام وحده بدون فئة بشوية مؤمنة يتعذر عليه تنفيذ الخطة وتطبيق المنظومة، الإمام يد والأمة يد آخر. الأمة المؤمنة جند الله، والإمام هو القائد العام لجند الله في هذه المنطقة أو تلك، لنفترض أن الإمام لم يجد أمة تبايعه، وتتعاون معه،

الصفحة 222

وتسير تحت إمرته، أو أنه لم يتمكن من إقناع أمة بذلك، فمعنى ذلك أن مشروع الإنقاذ الإلهي قد أجهض! والخلاصة أن الإمامة أو رئاسة النولة هي قدر مشتوك بين الله تعالى وبين الأمة، فالله تعالى يعين الأعم والأفهم، والأصلح والأفضل، ويعلن ذلك للأمة، والتعيين والاختيار قد يكون من الله تعالى مباشرة كتعيينه واختياره للنبي، أو غير مباشرة، فيكلف النبي بأن يعين هذا أو ذاك إماما من بعده، ودور الأمة هو القبول والمبايعة كحالة من التعاقد على تنفيذ الخطة الإلهية للإنقاذ، وتطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية.

6 - الثروة والنتيجة

إذا أطاعت الأمة ربها ونبيها، وقبلت بالتعيين الإلهي، وأقبلت على البيعة توجر في الآخرة، وتسود في الدنيا وتسعد، وإن امتنعت الأمة وبايعت غيره تؤثم في الآخرة، وتشقى في الدنيا، وتحول إلى حقل تجرب للغالبيين، ويتحكم بها الغالب كائنا من كان، وتنقسم إلى شيع وأخواب ينوق بعضها بأس بعض، وتبقى في شقاء دائم حتى تعود للترتيبات الإلهية.

7 - من هو الإمام بعد النبي

لقد قاد النبي الأعظم الدعوة الإسلامية وسط ظروف محلية وعالمية بالغة العسر والشدة، ونجح بعد عذاب نجاحا ساحقا، ثم حول الدعوة إلى نولة، ونفذ خطة الإنقاذ الإلهي، وطبق المنظومة الحقوقية الإلهية، وبلغها للناس كاملة غير منقوصة، وأعلن الله جلته كمال الدين وتمام النعمة، وأعلن النبي أنه خير فاختار ما عند الله، وأنه سيموض، وأنه سيقبض في موضه، ولخص الموقف لمن حوله بصيغ في غاية الإيجاز حتى لا ينسوا، وبلغها لهم فإدى ومجتمعين في الإقامة والسفر، وفي الليل وفي النهار، لأنه مشفق وناصح، وعلى علم بما يتربص بهذه الأمة، لهذا حرص أن يبين لهم كل شئ على الإطلاق، عسى أن تنتقل الأمور انتقالا سلميا بعد وفاته، وأن تأخذ طابع الدوام والمؤسسية، فلا يختلف اثنان.

الصفحة 223

لقد تقلب على كرسي الخلافة المئات، ولم يدع أي واحد منهم قبل الجلوس على هذا الكرسي أن الله أو رسوله قد عهدا إليه بالخلافة أو الإمامة أو الوصاية أو الولاية على المؤمنين من بعده، كان المتغلب على هذا الكرسي يدافع عن شوعية جلوسه على الكرسي بأدلة عقلية أهمها أنه الغالب، وأن هذا قضاء الله على حد تعبير معاوية.

الوحيد الذي ادعى أنه ولي المؤمنين من بعد النبي، وإمام المسلمين، ووصي سيد المرسلين، وخليفة الرسول، ووصيه،

والمؤهل الوحيد لقيادة مسورة الإيمان كان هو علي بن طالب (عليه السلام) بصفته الشخصية، وبصفته عميد أهل بيت النبوة. روى الترمذي، ومسلم، والدارمي، وهم من أصحاب الصحاح الستة عند أهل السنة، وأحمد في مسنده، والبيهقي في سننه، والحاكم في مستدركه، والنسائي في خصائصه، وابن سعد في طبقاته، والخطيب في تزيخه، وأبو نعيم في حليته، والهيثمي في مجمعه... إلخ. أن رسول الله قد أبلغ المسلمين قبل رحيله (إني ترك فيكم اثنين ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وعتوتي أهل بيتي) وعلي (عليه السلام) هو عميد أهل البيت الكرام بلا منزع، وباعتزاف القريب والبعيد، وحديث الثقلين من أصح الأحاديث وأكثرها تواترا، نقلته الأمة جيلا بعد جيل.

وفي حوار لي مع وزير الأوقاف الأردني على صفحة جريدة اللواء الأردنية سقت 185 مرجعا من عيون مراجع أهل السنة روت هذا الحديث، وخرجت بصحته وتواتره، منها: الترمذي مجلد 3 صفحة 199، وكنز العمال مجلد 1 صفحة 48، وصحيح مسلم - باب فضائل علي، وسنن الدارمي مجلد 2 صفحة 431، وسنن البيهقي مجلد 2 صفحة 148، ومجلد 7 صفحة 30 من مشكل الآثار للطحاوي، وخصائص النسائي مجلد 3 صفحة 109، وتزيخ بغداد للخطيب مجلد 8 صفحة 442، وحلية الأولياء مجلد 1 صفحة 355، ومجمع الزوائد مجلد 9 صفحة 163 - 164... إلخ. وادعاء الإمام لا ينافي العقل، فهو عميد أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهو فرس الإسلام بغير منزع، وهو زوج البتول الطاهرة،

الصفحة 224

ووالد السبطين، وهو ابن عم النبي، ومن تولى في كنفه وعلى يديه، وهو ابن أبي طالب حامي دعوة الإسلام ونبي الإسلام، وهو ابن عميد الهاشميين الذين حاصرتهم العرب في شعب أبي طالب ثلاث سنين حتى أكلوا ورق الشجر من الجوع، وهو رباني هذه الأمة من بعد النبي، فكل علم بعد النبي دون علمه. وهو الصديق الأكبر، والفروق الأعظم، فما هو العيب في ادعائه أنه الولي والوصي والإمام وأمير المؤمنين والخليفة من بعد النبي؟! نقول: إن الصحابة كلهم عدول لا يجوز عليهم تعمد الكذب، فإن عليا هو سيد الصحابة فلماذا لا نصدقه؟! لم يدع أحد ما ادعاه الإمام علي!! المانع الوحيد من تصديق ما قاله الإمام هو معارضة الواقع، فالواقع دائما هو الشرعية في نظر البعض، وما يعرض هذا باطل صواح!!!

8 - النبي يخلع ألقاب الخليفة على علي

الخليفة هو ولي المؤمنين، وقد أعلن النبي وقال لعلي (أنت ولي كل مؤمن بعدي) مسند الطيالسي مجلد 11 صفحة 360، والرياض النضرة مجلد 2 صفحة 203، وتزيخ بغداد للخطيب مجلد 4 صفحة 239، وكنز العمال مجلد 15 صفحة 114، ومجلد 12 صفحة 221، وصحيح الترمذي مجلد 13 صفحة 165 ومسند أحمد مجلد 4 صفحة 437، ومستدرک الحاكم مجلد 3 صفحة 110، وخصائص النسائي صفحة 16 و 29، وحلية الأولياء مجلد 6 صفحة 294

وأعلن النبي ولاية علي لأفواد ومجموعات، ثم لجمع يزيد على مائة ألف نسمة يوم غدیر خم، وهناك الأصحاب بالولاية

وعلى رأسهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). راجع شواهد التنزيل مجلد 1 صفحة 157 ، ومسند أحمد مجلد 2 صفحة 281 ، وسنن ابن ماجة - باب فضائل علي، والرياض النضرة مجلد 2 صفحة 169

الصفحة 225

وقد صرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن عليا هو الخليفة من بعد النبي، وفي كتابينا: النظام السياسي في الإسلام، ونظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام وثقنا ذلك، فلوجع إليهما من شاء، وحديث الدار من أصح الآثار.

وقد أعلن الرسول: أن الإمام وأمير المؤمنين من بعده هو علي بن أبي طالب، وقد وثقنا ذلك في كتابينا أنفي الذكر، ويمكنك مراجعة تلك التوثيقات أيضا في معالم المدرستين، للعلامة العسكري، والنص والاجتهاد للعلامة شرف الدين العاملي.

وكل الصحابة كانوا يعرفون أن عليا هو وصي النبي. راجع مجمع الزوائد للهيتمي مجلد 9 صفحة 113، ومجلد 8 صفحة 253 ، وكنز العمال حديث 1163 و 1192 ، وحلية الأولياء مجلد 1 صفحة 63 ، وتاريخ ابن عساكر مجلد 2 صفحة 486، وشوح النهج مجلد 1 صفحة 450 ، وتاريخ ابن عساكر مجلد 3 صفحة 5 ، والرياض النضرة مجلد 2 صفحة 178 ، ووقعة صفين صفحة 127 - 128 ، وتاريخ اليعقوبي مجلد 2 صفحة 178، وصفين صفحة 118 - 119 ، ومروج الذهب للمسعودي مجلد 3 صفحة 11 ، ومناقب الخوارزمي صفحة 125 و 123 ، وشوح النهج مجلد 2 صفحة 28 ، وتاريخ اليعقوبي مجلد 2 صفحة 192 ، والمستترك للحاكم مجلد 3 صفحة 172 ، وذخائر العقبى صفحة 138 ، والتنبيه والإشراف للمسعودي صفحة 293 ، وتاريخ ابن الأثير مجلد 5 صفحة 139 ، والموفقيات للزبير بن بكار صفحة 591 - 598 و صفحة 575 ، وشوح النهج مجلد 1 صفحة 13... إلخ.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (ألا ترضى أن تكون مني بمتولة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي). راجع صحيح البخاري مجلد 3 صفحة 58، وصحيح مسلم الحديث 32، ومسند الطيالسي مجلد 1 صفحة 29، وحلية الأولياء مجلد 7 صفحة 195 ، ومسند أحمد مجلد 1 صفحة 173 ، وتاريخ بغداد للخطيب مجلد 11 صفحة 432 ، وخصائص النسائي 85 و 16 ، وطبقات ابن سعد مجلد 3 / 10 / 15

الصفحة 226

والخلاصة: أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتوك أمتة ولا راعي لها كما أشيع، إنما أعلنه خليفة من بعده، وناداه بالخلافة، وأعلنه إماما وناداه بالإمامة، وأعلنه وليا وناداه بالولاية، وأعلنه أموا للمؤمنين وناداه بالإمارة، وأعلنه سيدا للعرب وناداه بالسيادة.

تلك حقائق وثقتها في كتابي نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام، وأثرت لها في كتابي: النظام السياسي في الإسلام، ومرتكوات الفكر السياسي، فلوجع إليها من أراد التفصيل.

9 - النبي يعين اثني عشر إماما

لم يكتف الرسول بذلك، بل بين اثني عشر إماما، وسماهم، وبين أن كل إمام يعلن عنه بنص ممن سبقه، وإلى هذا العدد أشار البخري في صحيحه مجلد 9 صفحة 729

الحديث 2034 ، ومسلم في صحيحه مجلد 3 صفحة 1452 كتاب الإمارة، والترمذي في صحيحه مجلد 4 صفحة 501، وأبو داود في صحيحه مجلد 2 صفحة 207 كتاب المهدي، وأحمد في مسنده مجلد 1 صفحة 398 ، والمتقي الهندي في كزه مجلد 6 صفحة 201

ولا خلاف بين أئمة أهل البيت حول هذا العدد أو حقيقته، والخلاف منحصر في تأويل أهل السنة لهذا العدد، ومحاولتهم غير المجدية لتفصيله على الواقع، بعد أن حاولت بطون قريش منع النبي من إعلانه في حياته وشوشت عليه في خطبته في حجة الوداع وقالوا إنه قال اثني عشر إماما من قريش، ولم يقل من أهل بيتي!

10 - أخذ الرسول البيعة بعدم منلعة الأمر أهله

لأن للأمر والولاية أهلها، فقد روى البخري في كتاب الأحكام، ومسلم في كتاب الإمارة، والنسائي في سننه في كتاب البيعة، وابن ماجه في كتاب الجهاد، وموطأ مالك في كتاب الجهاد، ومسند أحمد مجلد 5 صفحة 314 قول بعض الصحابة أنهم بايعوا رسول الله على السمع والطاعة والعسر واليسر والمنشط والمكوه وأن لا ننزع الأمر أهله.

الصفحة 227

11 - أهل الأمر مثل نفسه

قال تعالى... (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) آية 61 من سورة آل عمران. لما تولت هذه الآية دعا رسول الله عليا، وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي. راجع صحيح مسلم مجلد 4 صفحة 1871 ، وصحيح الترمذي مجلد 5 صفحة 225 ، ومسند أحمد مجلد 1 صفحة 185 والمستترك للحاكم مجلد 3 صفحة 15 ، وتلخيص المستترك مجلد 3 صفحة 150 ، والكشاف للزمخشري مجلد 1 صفحة 193 ، والوري في تفسيره مجلد 8 صفحة 80

12 - شهادة عمر بن الخطاب

قال عمر بن الخطاب في سقيفة بني ساعدة مخاطبا الأنصار: إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النوة فيهم، وأولي الأمر منهم، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين، من ينزل عنا سلطان محمد وموآته ونحن أوليؤه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 6

لقد صدق الفاروق، فأهل محمد أولى بمحمد، وأهل محمد الذين هم مثل نفسه علي، وفاطمة، وحسن، وحسين (عليهم السلام)، ولا يوجد في الدنيا من هو أقرب لمحمد منهم.

13 - أصحاب المذاهب الأربعة تتلمذوا على يد إمام من أئمة أهل البيت

فقد انقطع أبو حنيفة إلى مجلس الإمام الصادق طوال عامين وهو يقول: لولا السنن لهلك النعمان. ويقول ابن طلحة

الشافعي في مطالب السؤل صفحة 218:

واستفاد من الإمام الصادق جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل مالك بن أنس، وأبو

الصفحة 228

حنيفة. وقال ابن حجر المكي في الصواعق المعرقة صفحة 309: وروى عنه الأئمة الكبار كحبيبي بن سعيد، وابن جريح، ومالك، والسفياني، وأبي حنيفة، وقد لقب الإمام بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. كذلك فإن سفيان الثوري حضر مجلس الإمام، واستفاد منه. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشافعي من تلاميذ مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل من تلاميذ الشافعي، فمعنى ذلك أن الإمام الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة التي يتعبد بها أهل السنة.

14 - خصوصية من يخلف الرسول

الخلافة من بعد النبي هي عملية فنية من جميع الوجوه، فالإمام هو المبين للقوان من بعد النبي، ومن المفترض أن يكون الأعلم، والأفهم، والأصلح، والأفضل، والأقدر على بيان القوان بيانا قائما على الجزم واليقين. ومعرفة من تتوفر فيه هذه الصفات أمر يفوق طاقة المجتمع، وهو اختصاص إلهي، والإمامة بهذا المفهوم الذي لا غنى عنه ركن من أركان سلامة الدين. قال الإمام الرضا (عليه السلام) (إن الله عز وجل لم يقبض نبيه حتى أكمل الدين، وأتول القوان فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا، فقال عز وجل (ما فوطنا في الكتاب من شيء) وأتول في حجة الوداع (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض رسول الله حتى بين لأئمة معالم دينهم، وأوضح لهم سبلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم عليا (عليه السلام) علما وإماما، ما ترك لهم شيئا تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر.

وقال أيضا (هل يعرفون قدر الإمامة، ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيلهم؟ إن الإمامة أجل قوا، وأعظم شأنًا، وأعلى

مكانا، وأمنع جانبا، وأبعد غمرا من أن

الصفحة 229

يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماما باختيلهم!)!

(إن الإمامة هي مقولة الأنبياء، وراث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومقام أمير المؤمنين، ومراث الحسن والحسين (عليهما السلام).

إن الإمامة زين الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين.

إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفوعه السامي.

بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وتوفير الفئ والصدقات، وإمضاء الحدود، والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

والإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعة الحسنة والحجة البالغة.

وقال (عليه السلام) (الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله) فمن الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختيله؟

إلى أن قال: رغوا عن اختيار الله، واختيار رسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته إلى اختيلههم والقوان يناديهم. (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخوة) وقال عز وجل (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخوة من أمرهم) فكيف لهم باختيار الإمام؟

والإمام عامل لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول، ونسل المطهورة البتول، لا مغمز فيه بنسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قویش، والنزوة من هاشم، والعرة من الرسول (صلى الله عليه وآله)، والرضا من الله عز وجل، شوف الأثواف، والوع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله....). راجع كتاب التشيع صفحة 248 - 250 للسيد عبد الله الغيفي.

فهل يعقل من كانت هذه صفاته، وأؤه في الدين أن يوكل أمر تعيينه لأهواء الناس، أو أن يهمل، فلا يشار إليه، ولا يستخلفه النبي، مع عظيم أؤه في الدين!!

الصفحة 230

15 - والخالصة

إذا لم يصدق البعض بأن رسول الله قد استخلف شخصا بعينه، وأنه يتوك أمته هملا بغير إمام، لأنهم أولوا النصوص تأويلا أخرجها عن معانيها الحقيقية لتتلاءم مع الواقع التاريخي المفروض، إذا لم يصدقوا ذلك فكيف يكذبون حديث الثقلين، وقد رواه جمع يمتنع عقلا اجتماعهم على الكذب؟ وأي أعمال لحديث الثقلين يجعل أهل بيت النبوة بمثابة هيئة تأسيسية محايدة مهمتها تقديم الإمام الشوعي الذي تتوافر فيه الصفات الموضوعية؟

فإذا رتأروا لهذا التأويل المنطقي فليتنفضل هذا البعض وليدلنا لماذا طورد أهل البيت؟ ولماذا نكل بهم؟ ولماذا أبعدوا عن

الفصل الثالث

تعديل وإلغاء الترتيبات الإلهية

1 - أعمدة الدين وأركانها

قام الدين الإسلامي عقائديا على ثلاثة أعمدة أو أركان:

1 - نبي مرسل لا ينطق عن الهوى، مهمته أن يبين القرآن بيانا قائما على الحزم واليقين، وأن ينفذ الخطة الإلهية للإنقاذ، وأن يتولى تطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية، وهو مرجع الأمة وقائدها السياسي، من لحظة إعلان النوبة إلى اللحظة التي تفرق روحه الطاهرة جسده المبرك.

2 - كتاب الله المتول من عند الله بلفظه ومعناه، وهو بمثابة الخطة الإلهية للإنقاذ، والمنظومة الحقوقية المراد تطبيقها وتعميمها على الجنس البشري.

3 - علاقة (عضوية) بين النبي المرسل والكتاب المتول، وهي علاقة لا تقبل التجزئة أو التقسيم، فالإيمان بأن الكتاب من عند الله، وأن النبي ليس رسول الله كافر، والقول بأن محمدا رسول الله ولكن القرآن ليس من عند الله كافر، ولا يتم الإيمان إلا بالاثنتين معا، ولا يفهم أحدهما إلا بالآخر، فالصلاة وهي عماد الدين جاءت مجملة في القرآن وتولى النبي بيان عددها ومضامين ركعاتها.

2 - هدم العلاقة العضوية بين النبي المرسل والكتاب المتول

مرض النبي الأعظم، ولا عجب فهو بشر، ولا مفاجأة بموضه لأنه قد أعلن أمام ألف حاج أو يزيدون أنه يوشك أن يدعى ويوشك أن يجيب، وأن حجته في ذلك العام هي حجة الوداع، ولكنه بالرغم من موضه مازال نبيا ومازال رسولا وما زال مرجعا ومازال إماما، وحقه الثابت أن يستمر بممارسة واجبات النوبة والوسالة والموجعية والإمامة، ولا يملك أحد على الإطلاق أن يحول بينه وبين ممارسة هذه الصلاحيات.

3 - أبسط حقوق المريض

إن من أبسط حقوق المريض في كل الشوائع البشرية أن يوصي، أن يقول ما يريد قوله، وأن أبسط واجبات عواده أو

الجالسين في بيته أن يسموا بهذا للمريض وأن يسموا أقواله ووصيته، وبعد ذلك لهم الحرية، فإما أن يعملوا بقول هذا المريض أو يهملوه، وينفثوا وصيته أو يتجاهلواها.

4 - سابقة لا مثيل لها في التريخ البشوي

أما أن يتصدى العواد والجالسون في بيت المريض للمريض، ويحولوا بينه وبين أن يقول ما يشاء، ويشوشوا عليه حتى لا يكتب وصيته، ويحولوا بينه وبين الانتفاع ببيته ومملسة حرته ببيته الخاص، فتلك والله سابقة لا مثيل لها في التريخ البشوي، وهذه الحادثة فريدة من نوعها!

5 - هل تعلمون من هو المريض الذي سلب أبسط حقوقه؟

إنه نبي الله ورسوله ومرجع الأمة وقائدها السياسي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتفصيل ذلك أنه أراد أن يلخص الموقف فقال لعوده ومن حضر في مجلسه: قروا

الصفحة 233

أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتصدى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للرسول وقال لا حاجة لنا بكتابة الكتاب، حسبنا كتاب الله، إن العرض قد اشتد برسول!!!
وانقسم الحاضرون إلى قسمين: قسم يقول قروا يكتب لكم رسول الله، والقسم الآخر يقول حسبنا كتاب الله، إن رسول الله قد اشتد به الوجد، أو إن رسول الله - حاشا له - قد هجر أو يهجر، فاختلفوا وتتلعوا، ولا ينبغي عند النبي تنزع، فغضب النبي بعد أن صدموا خاطره الشريف بقولهم هجر أو يهجر، وقال لهم: قوموا عني ما أنا فيه خير مما أنتم فيه.

6 - ثبوت هذه الحادثة

تلك واقعة ثابتة تناقلتها الأمة جيلا بعد جيل، ورواها أصحاب الصحاح في صحاحهم، ولا ينكها أحد، وقد رواها البخاري في سبع صيغ، راجع صحيح بخري في كتاب العرض في باب قول المريض: قوموا عني مجلد 7 صفحة 9 ومجلد 4 صفحة

31

ومجلد 1 صفحة 37 وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد 5 صفحة 75 وصحيح مسلم بشوح النووي مجلد 1 صفحة 95 وصحيح مسلم مجلد 2 صفحة 16 ومجلد 2 صفحة 16 ومجلد 11 صفحة 94 - 95 ومسند الإمام أحمد مجلد 1 صفحة 355 ومجلد 4 صفحة 356 حديث 2992 وشرح النهج لابن أبي الحديد مجلد 6 مجلد 51 وتريخ الطوي مجلد 2 صفحة 193 والكامل لابن الأثير مجلد 2 صفحة 320 وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة 287 وكتابنا النظام السياسي في الإسلام... إلخ.

7 - تساؤل

لست أوري كيف يمكن الاعتذار عن هذه الحادثة؟ وكيف يمكن تروها؟ وهل أن لهذه الحادثة شبيها في التاريخ البشري

كله!

إنه لا بديل أمام عشاق التزيخ سوى الإنكار!! ولكن كيف ينكرون الواضحات؟

الصفحة 234

وما هي مصلحتهم بأن لا يصدقوا، وأن لا يعينوا النظر في فهمهم للأمور التي أوردت هذه الأمة مولد الودى؟

8 - ما هي نواعي هذه الحادثة؟

مببرات الذين حاولوا بين الرسول وبين قول ما يريد، حاولوا بينه وبين كتابة الكتاب الذي أراد: أن المرض قد اشتد برسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم مشفقون أن يجهوه، ولكنهم أجهوه بالجدال والمنزعة بين يديه، والاختلاف بحضورته

أضعاف أضعاف إجهاده في كتابة الكتاب لو قبلوا!

والداعي الظاهري الثاني: أن الرسول قد هجر - حاشا له - ولا ينبغي أن تتاح له الفوصة لتدوين هجره - حاشا له - تلك

هي النواعي الظاهرية للحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد، وهذه نواعي ظاهرية لا تستقيم أمام خطورة الحادثة!

ثم كيف نوفق بين نزاع القوم بأن رسول الله - حاشا له - هجر أو يهجر، وبين التأكيدات الإلهية بأن الرسول لا ينطق

عن الهوى؟!

بل كيف نوفق هذه النزاع وبين تأكيدات الرسول نفسه أن أكثر ما كان يأتيه جويل كان يأتيه وهو مريض، كما أكد ذلك

ابن سعد في طبقاته!!!

9 - حادثة مشابهة مرض أبي بكر

جاء في تزيخ الطوي مجلد 3 صفحة 429، وفي صفحة 176 - 177 من نظام الحكم لظافر القاسمي، و صفحة 37 من

سوة عمر لابن الجوزي، ومجلد 2 صفحة 85 من تزيخ ابن خلدون (أن أبا بكر دعا عثمان خاليا، فقال: أكتب بسم الله

الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، قال ثم أغمي عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان أما بعد: فإني

أستخلف عليكم عمر بن الخطاب، ولم ألكم خوا، ثم أفاق أبو بكر فقال: إؤأ علي، فؤأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: رأك خفت

أن يختلف الناس إن أسلمت نفسي في غشيتي، قال: نعم. قال: خواك الله خوا عن الإسلام وأهله.

وأقوا أبو بكر (رضي الله عنه))!

الصفحة 235

وذكر الطوي قبل ذلك عن عمر، أنه كان جالسا والناس معه، ومعه شديد مولى لأبي بكر، معه الصحيفة التي فيها

استخلاف عمر، وعمر يقول: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، إنه يقول: إني لم ألكم نصحا. راجع تزيخ

10 - تحليل مبسط لهذه الحادثة

رسول الله مرض، وأبو بكر مرض، ورسول الله تكلم وهو مريض، وأبو بكر تكلم وهو مريض أيضاً، وقد اشتد المرض بأبي بكر حتى أغمي عليه وغشي من شدة المرض، وقد اشتد المرض برسول الله ولم يغم عليه ولم يغش عليه من شدة الوجع، وعمر حضر مرض الاثنين، ولكن عندما أراد رسول الله أن يكتب وأن يتكلم قال عمر: حسبنا كتاب الله، إن الوجع قد اشتد برسول الله أو قال: كما قال أبو حامد الغوالي، استفهموه إن رسول الله يهجر!!!
وعندما أراد أبو بكر أن يتكلم وأن يكتب قال عمر: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول: إنني لم آلكم نصحا!

هذا رسول الله نبي، وهذا أبو بكر صحابي، رسول الله هو الإمام وهو رئيس الدولة وأبو بكر أيضاً هو الإمام ورئيس الدولة من بعد النبي!!

كيف يؤذن (بضم الياء) لأبي بكر (رضي الله عنه) بأن يكتب ما يريد وأن يقول ما يريد وهو مريض، ويحال بين النبي وبين كتابة ما أراد أو قول ما أراد من ذات الشخص؟! إن هذا لشئ عجاب!!!
أبو بكر (رضي الله عنه) يكتب ويقابل ما كتبه بكل التقدير والاحترام، وينفذ حرفياً ولا يكسر أحد بخاطره، وتقوم الاعتراضات على رسول الله إذا أراد أن يكتب، مع أن الذي أراد أن يكتبه رسول الله هو تأمين ضد الضلالة!! إن ذلك من كورث التريخ!!!

الصفحة 236

11 - حادثة أخرى مشابهة مرض عمر نفسه

طعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقال طبيبه: لا أرى أن تسمي فما كنت فاعلاً فافعل، قال لابنه عبد الله: نولني الكتف فمحاها، وقال من شدة الوجع: والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلاع، وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله، فقال لابنه: ضع خدي بالأرض. فلم يفعل، فلطمه، وقال له: ضع خدي بالأرض لا أم لك، الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر. راجع الإمامة والسياسية لابن قتيبة صفحة 21 و 22 والطبقات مجلد 2 صفحة 364، وكتابتنا النظام السياسي صفحة 119 وما فوق.

وبالرغم من هذا الوجع الشديد الذي كان يعانيه (رضي الله عنه) فقد أوصى وصيته، ورتب أمر الشورى، واطمأن إلى أن عثمان هو الخليفة من بعده، واطمأن أن لا يتسلط هاشمي على رقاب الناس، وأمر بضرب عنق من خالف هذه التعليمات كما روى البلاذري في مجلد 5 صفحة 18، وكما جاء في مجلد 3 صفحة 247 من الطبقات لابن سعد. تلك حقيقة مسلم بها.

والسؤال: كيف يجوز لعمر (رضي الله عنه) أن يكتب ما يريد، وأن يقول ما يريد، وأن يوصي بما يريد، وهو على فراش

الموت، وقد اشتد به الوجد، وينفذ قوله حرفياً، ولا يعترض عليه أحد، ولا يحول بينه وبين كتابة ما أراد أحد، ويحال بين

الرسول وبين كتابة ما أراد بحجة أن المرض قد اشتد به، وبحجة أن القآن وحده يكفي!!

كيف يكفي القآن والنبي موجود، ولا يكفي القآن والنبي غائب!!

إن هذا لشئ عجاب، يتعذر فهمه!!

ولقد عالجت هذا الأمر بصور متعددة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام - باب القيادة

السياسية، وكذلك في كتاب النظام السياسي في الإسلام.

الصفحة 237

12 - إخراج النبي من دائرة التأثير على الأحداث

بنجاح الذين حاولوا بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين كتابة الكتاب الذي أراد، خرج النبي عملياً من دائرة التأثير

على الأحداث تماماً، فلو أصر النبي على كتابة الكتاب الذي أراد لأصر الذين حاولوا بينه وبين كتابة ما أراد على أنه (صلى الله

عليه وآله وسلم) - حاشا له - هجر أو يهجر، وفي ذلك تهمة تهز العقيدة نفسها من الأعماق، لأن النبي تلقى القآن من ربه

وتلقى المسلمون القآن منه، لهذا السبب عدل الرسول عن كتابة الكتاب الذي أراد، واكتفى بالنصوص الشرعية التي أعلنها

للأمة منفردة ومجتمعة.

كانت لحظات حاسمة، حرمت الأمة من تلخيصه للموقف، وصدموها خاطره الشريف، وواجهوه بكلمة هجر، يهجر - حاشا

له - وبمعصيته انهار أكبر ركن من أركان الشوعية، وعلى أثر هذا الانهيار تهافت واقعا الترتيبات الإلهية، وفقد تأثره على

الأحداث المتلاحقة، ودنت منيته، وفرقت الروح الطاهرة الجسد المبارك، وغرق أهل البيت في أساهم، وانشغلوا في مصابهم،

وانطفأت النجوم، وأظلمت الدنيا!

بهذا المناخ تحرك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقاد زمام المباورة، وقام بنور المؤسس لعهد ما بعد النبوة بعد أن

خرج ظافراً ومنتصراً في مواجهته مع النبي نفسه، حيث تمكن ومن والاه من أن يحولوا بين النبي وبين كتابة ما أراد!!!

وقد فصلت هذه المسألة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام صفحة 281

13 - لم العجلة يا ابن الخطاب

ها هو النبي يموت حقاً، ها هي الملائكة في صعود وهبوط، لتودع الرجل الذي خلع على الحياة إهاباً جديداً، وكشف عن

معانيها الإلهية، ولتلقى نظرة الوداع الأخوة على الجثمان المقدس، خبر الوفاة ينتشر سريعا في طول البلاد وعرضها، النبأ

يصعق



أهل المدينة ويتوكلهم في ذهول مطبق، الآل الكرام والعتوة الطاهرة مشغولة بمصيبتها ذاهلة عن نفسها.
كل شيء رتبته العناية الإلهية، الدين مكتمل، والنعمة تامة، لم العجلة يا سيدي يا بن الخطاب؟ قف بجانب الجثمان الطاهر،
وقدم معذرة أي معذرة، قل بملء فيك:

استغفر لي يا نبي الله، ها هو الكتف، كلنا آذان صاغية، أكتب لنا الكتاب الذي أردت، الكتاب الذي لن نضل بعده أبدا!!
لم العجلة!!! نودع حبيبنا ونبينا وهولانا، ثم نجلس سوية ومعنا الثقلان كتاب الله وعتوة نبيه، ولقد سبقت كلمة الله للذين
أمّنوا أنهم لن يضلوا إن تمسكوا بالثقلين!!!
كل شيء حزين وساكن، لقد ركع الألم كل مسلم، وجمدت كل حركة، إلا ابن الخطاب (رضي الله عنه)، فقد حمل حزنه،
واتبعه من والاه، وبدلوا بوضع الترتيبات الجديدة لعهد ما بعد النوبة.

14 - الإشاعة التي تحولت إلى قناعة

في لحظات الألم الماحق تكثر الشائعات، وتروج التولات، وقد أشيع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك أمته ولا
راعي لها من بعده، وترك دينه، وترك كتاب الله دون مبین، ثم توسعت الإشاعة في ما بعد، فعمت أن رسول الله لم يجمع
حتى القآن وتوكله متوقفا في صدور الرجال!!
وأمام سوعة انتشار شائعة أن رسول الله ترك أمته بغير راع، نهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقادزمام المباشرة،
وقام بدور الهيئة التأسيسية لترتيب عهد ما بعد النوبة، حتى يتدرك إشاعة أن رسول الله ترك أمته بغير راع في هذا الظرف
الدقيق، فكان همه منصبا بالدرجة الأولى والأخوة على تنصيب الراعي الذي وعى الأمة بعد موت النبي، ومع أن القول بأن
رسول الله ترك أمته بدون راع، وترك القآن بدون جمع وبدون مبین، هذا القول مجرد إشاعة، إلا أنه تحول بفعل وسائل
إعلام الدولة إلى قناعة آمنت بها عامة الشعب، وحملت بخيلها ورجلها على من يقول بغوها.

15 - إثبات الإشاعة التي تحولت إلى قناعة

أخرج ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسية مجلد 1 صفحة 15 قول أبي بكر (رضي الله عنه) (إن الله بعث محمدا نبيا
وللمؤمنين وليا، فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له الله ما عنده، فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في
مصلحتهم متفقين لا مختلفين، فاختروني وليا وأمرهم راعيا... إلخ.

فأبو بكر يؤكد أن الرسول خلى على الناس أمرهم، أي ترك أمته من بعده بغير راع، وترك لهم حرية اختيار هذا الراعي
في ما بعد.

أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء مجلد 1 صفحة 44 ، ومسلم في صحيحه، والبخري في صحيحه، والبيهقي في سننه مجلد

8 صفحة 149 ، وابن الجوزي في سوة عمر ، أن ابن عمر قال لأبيه عمر: إن الناس يتحدثون أنك غير مستخلف، ولو كان

لكراعي إبل أوراعي غنم ثم جاء وتوكل رعيته رأيت أن قد فوط. ورعية الناس أشد من رعية الإبل والغنم!! ماذا تقول لله

عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عباده؟

قال ابن عمر: فأصابته كآبة، ثم نكس رأسه طويلا، ثم رفع رأسه وقال - أي عمر -:

وأي ذلك أفعل فقد سن لي، إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، وإن أستخلف فقد استخلف أبو بكر.

وأخرج أبو زرعة في كتاب العلل عن ابن عمر كما في الرياض النظرة مجلد 2 صفحة 74 ، أن ابن عمر قال: لما طعن

عمر قلت: يا أمير المؤمنين لو أجهدت نفسك وأموت عليهم رجلا... إلخ. فقال عمر: والذي نفسي بيده لأردنها للذي دفعها إلي

أول مرة.

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة صفحة 22 : إن عمر لما أحس بالموت قال لابنه عبد الله: إذهب إلى عائشة واقربها

السلام، واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر، فأتاها عبد الله، فأعلمها، فقالت: حبا وكرامة، ثم قالت: يا بني

أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلاراع، استخلف عليهم، ولا تدعهم

الصفحة 240

بعدك هملا، فإني أخشى عليهم الفتنة، فأتى عبد الله، فأعلمه، فقال عمر ومن تأموني أن أستخلف؟ لو أوتكت... إلخ. راجع

أيضا أعلام النساء مجلد 2 صفحة 786

وروى المسعودي في مروج الذهب مجلد 2 صفحة 253 ، أن عبد الله بن عمر دخل على عمر بن الخطاب وهو يجود

بأنفاسه فقال: يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وتوكل إبله أو غنمه لاراعي لها

للمته وقلت له:

كيف توكلت أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟ فأجابه عمر: إن أدع فقد ودع من هو خير مني، وإن

أستخلف فقد استخلف من هو خير مني.

جاء في تزيخ الطوي مجلد 4 صفحة 53 ، وفي العقد الفريد مجلد 2 صفحة 254 أن أبا بكر قال في موضه الذي توفي

منه: وددت أني سألت رسول الله لمن هذا الأمر فلا ينزعه أحد؟ ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟

وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف مجلد 5 صفحة 16 عن ابن عباس قال: قال عمر: لا أوري ما أصنع بأمة محمد -

وذلك قبل أن يطعن - فقلت ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه؟... إلخ.

16 - تكيف إشاعة أن النبي ترك أمته ولم يستخلف

راجت إشاعة أن النبي قد مات ولم يستخلف، إنما خلى على الناس أروهم، ومع الأيام وبفضل وسائل الإعلام التي كانت

تحت سيطرة السلطة الغالبة طوال التاريخ، تحولت هذه الإشاعة إلى قناعة آمنت بها الأكتوية الساحقة من الأمة.

وقدرأينا أن ابن عمر بن الخطاب وصف هذه الإشاعة - أي ترك الأمة نون راع - بأنها تضييع للأمانة، وأنها تفويت،

وأنها محل لوم يترفع عن الوقوع بهاراعي الإبل أوراغي الغنم على حد تعبوه، وأن ترك الأمة بدون راع يعني تركها هملا على حد تعبير أم المؤمنين عائشة، وبالتالي فإن هذا الترك يؤدي للفتنة، كما توقعت أم المؤمنين .
تلك هي خلاصة التكييفات التي خلعتها ابن عمر وخلعتها أم المؤمنين على فكة ترك عمر لأمة محمد دون أن يستخلف عليها من بعده. فهل يعقل أن يكون راعي

الصفحة 241

الإبل أو الغنم أو عبد الله بن عمر أو أم المؤمنين أبعد نظرا من رسول الله، وأترك لعواقب الأمور منه، وهو صفة الجنس البشري؟

وهل يعقل أن يكون ابن عمر وأم المؤمنين أكثر رافة ورحمة من النبي بأمته؟

ثم إن فكة موت النبي دون أن يبين لأمته من يخلفه من بعده، أو يبين على الأقل الطريقة لتعيين خليفته من بعده، فكة تتعرض تماما مع كمال الدين وتمام النعمة، وتتعرض مع العقل، ومع طبيعة الدين الإسلامي، ومع قوة المجتمع الإسلامي الذي لم يمض على تكوينه أكثر من عشر سنوات، وهي فكة ليست عملية وليست معقولة.
ثم إن الفكة منافية تماما لما تعرف عليه البشر طوال التاريخ، ف رئيس الدولة هو مركز التدبير والتخطيط في الأمة، وهو رمز وحدتها، فإذا اختفى مركز التدبير والتخطيط، ولم يتوفر المركز البديل فورا، فإن عقد الأمة سينفط، وسركب كل واحد رأسه، وتسير كل جماعة مع هواها.

وقد ترفع الشلوع الوضعي عن السقوط بمثل هذا الفخ، فلا يوجد في الدساتير المعاصرة، ولا حتى في الأنظمة السياسية البائدة، ما يؤيد فكة أن يموت الرئيس دون بيان شخص من يخلفه، حتى أن التجمعات القبلية أو الأسوية تستهجن مثل هذا العمل وتستعربه، ولها أعراف تنظمه، بحيث تكون النقلة طبيعية بين شيخ القبيلة السابق واللاحق.
ف دستور الدولة أو رئيسها عادة هو الذي يعين سلفا الشخص الذي يتولى الرئاسة في حالة خلو منصب الرئيس لأي سبب، أو عند اللزوم يصف هذا الشخص، سواء أكان شخصا طبيعيا كولي عهده، أو شخصا اعتباريا كمجلس أو هيئة تتكون من عدة أشخاص، لتقوم بإدرة دفة الدولة وتصريف أمورها ريثما ينسب أو يعين رئيس جديد.
تلك حقيقة لا يملك عاقل أن يجادل بها، لأن البديل الآخر هو الشر، وتعريض وحدة الأمة للخطر، ووضع مستقبل الدولة في مهب الريح.

والأهم من ذلك أن المنظومة الحقوقية الإلهية منظومة سماوية، وقد بينت كل شيء، أجمله القآن أو فصله وبينه الرسول وطبقه، وخلق الدين من هذا الأمر الرئيسي والخطير

الصفحة 242

يناقض - كما قلنا - كمال الدين وتمام النعمة خاصة، وأن الرسول قد خير فاختر الموت، ومرض قبل الموت، وأوحى إليه أنه ميت في موضه ذلك، وأن الله قد قذف في قلبه محبة هذه الأمة، وجعله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وأطلعه على مستقبل هذه

الأمة، فهل من الممكن عقلا أن يموت الرسول دون أن يبين للناس من يخلفه من بعده؟!!

هذا أمر غير وارد قطعاً تدحضه النصوص الشرعية القاطعة، وتكذبه!! راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة 35 وما فوق.

وفي الشوائع الوضعية لا علم لي أن دستوراً مكتوباً أو عرفياً لم ينص على من يتولى السلطات في حالة غياب رئيس الدولة أو موته، ولا علم لي على الإطلاق أن رئيساً قد مات دون أن يكون معروفاً من سيخلفه!! راجع صفحة 42 من كتابنا النظام السياسي، وراجع باب القيادة السياسية من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام.

17 - إذا كانت إشاعة التوك صحيحة فهي سنة

إذا كانت إشاعة أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) توك أمته بدون راع، وتوك القوان الذي أقول الله عليه دون جمع ودون ميين، أو بتعبير آخر (إذا كان الرسول قد خلى على الناس أروهم) كما يقال فمعنى ذلك أن فعل الرسول هذا سنة فعلية واجبة الاتباع، لماذا؟ لأن الرسول قوة بالنص الشعري، ولأن طاعته هي طاعة الله، ومعصيته هي معصية الله، ولأنه من جهة أخرى هو الأعلم إطلاقاً والأفهم بالمقاصد الإلهية من تنزيل الرسالة!

18 - من هو الذي اتبع هذه السنة الفعلية؟

لو استعرضنا التريخ السياسي الإسلامي لعهد ما بعد النبوة، ومن اليوم الذي تولى فيه أبو بكر (رضي الله عنه) ولاية المسلمين إلى اليوم الذي سقط فيه آخر سلاطين بني عثمان، لم نجد على الإطلاق أن أي واحد من الخلفاء قد اتبع هذه السنة فتوك الأمة بدون راع أو خلى على الناس أروهم!

الصفحة 243

كان الخليفة طوال التريخ يعين من سيخلفه، وتستمر دورة العهد والتعيين حتى يأتي الفرس الغالب ويجلس على كرسي الخلافة، فما أن يستتب أوره حتى يعلن للناس أن فلانا هو ولي عهده والقائم بالأمر من بعده، وهكذا... حتى يأتي فرس غالب جديد!

بمعنى أن سنة التوك والتخلية هذه لم يتبعها أحد على الإطلاق، وأن الأمة قد أجمعت طوعاً وكرهاً على تجاهل سنة التوك هذه أو التخلية - كما يسمونها - إن كانت هذه الإشاعة صحيحة، وإن كان التوك أو التخلية سنة.

19 - الحاكم الوحيد الذي توك أمته ولا راعي لها من بعده

باستعراض ادعاءات القوم التي تجمع على أن رسول الله توك أمته دون أن يعين لها راعياً من بعده، وتوك دينه دون أن يحدد من هو المخول بالبيان من بعده، وباستعراض وقائع التريخ السياسي الإسلامي لعهد ما بعد النبوة، بدءاً من خلفه أبي بكر وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، لم نجد على الإطلاق أن خليفة من الخلفاء أو حاكماً من حكام الأمة قد مات دون

أن يعين خليفته من بعده، بمعنى أن كل خليفة كان يعين قبل موته الحاكم الذي سيحكم الأمة بعده، والوحيد الذي لم يعين - حسب ادعاءات القوم - هو رسول الله!!

20 - إثبات هذه الواقعة

1 - أول خليفة لرسول الله كان أبو بكر، قبل أن تندو منيته دعا عثمان فقال له: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد: ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب، ولم ألكم خوا، ثم أفاق أبو بكر، فقال: إؤأ علي، فؤأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: رأك خفت أن يختلف الناس. راجع تزيخ الطوي ط أوربا مجلد 1

الصفحة 244

صفحة 2138 ، راجع سورة عمر لابن الجوزي صفحة 37 ، راجع تزيخ ابن خلدون مجلد 2 صفحة 85 . وأخرج الإمام مالك عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

لما احتضر أبو بكر (رضي الله عنه) دعا عمر فقال: إني مستخلفك على أصحاب رسول الله يا عمر، وكتب إلى أهواء الأجناد: وليت عليكم ولم آل نفسي ولا المسلمين إلا خوا. راجع تيسير الوصول مجلد 2 صفحة 48 للحافظ ابن الربيع. وقال مرة لعبد الرحمن بن عوف معاتبا: إني وليت أموركم خورك في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من نونه. إؤأ ذلك في تزيخ الطوي مجلد 4 صفحة 52 ، والعقد الفريد مجلد 2 صفحة 254 . بمعنى أن أول خليفة بعد النبي لم يمت حتى استخلف، ولم يؤمن بسنة التوك أو التولية.

2 - لما طعن عمر بن الخطاب دعا ستة كما يروي البلاوي في مجلد 5 صفحة 16 من أنساب الأشراف، ثم دعا صهيبا، فقال: صل بالناس ثلاثا، فليخل هؤلاء النفر في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم فمن خالفهم فاضربوا عنقه.

وروى في صفحة 19 أن عمر أمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثا، فإذا اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى، فإذا اجتمع أربعة على واحد وأبا واحد، كانوا مع الأربعة، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كان مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف. راجع العقد الفريد مجلد 3 صفحة 74 لابن عبدربه، راجع طبقات ابن سعد مجلد 3 ويلاحظ أن طلحة كان غائبا في الطائف عند ماله.

ويلاحظ أنه حسب الترتيبات العموية فإن عثمان هو الفائز، وهو المعين من قبل عمر فعلا، فعثمان هو أول من بايع أبا بكر من زعماء المهاجرين خراج السقيفة، كما ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسية، وهو أول من شق إجماع بني عبد مناف وبايع أبا بكر، ومن هنا ارتفعت أسهمه عند أبي بكر وعمر، وكان الناس يسمونه في عهد عمر بالوديف - والوديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك

الصفحة 245

للول الذي وجونه بعدز عيمهم. راجع نظام الحكم لظافر القاسمي وقد نقلها عن تريخ الطوي صفحة 197 - 198

ومجلد 5 صفحة 237 ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة 32 - 35

بمعنى أن عمر (رضي الله عنه) رتب الأمور بحيث يكون الخليفة من بعده هو عثمان بن عفان، وهو يعلم أن عثمان هو

الذي سيكون الخليفة من بعده.

وما يؤكد ذلك ما رواه المتقي الهندي في كنز العمال مجلد 3 صفحة 160 أن عمر قال:

بايعوا لمن يبايع له عبد الرحمن بن عوف، فمن أبي فاضلوا عنقه. ومن الواضح أن عبد الرحمن سيختار عثمان، لأن

هذه رغبة الخليفة وتوصيته، أنظر إلى قول أبي بكر لعثمان عندما كتب العهد لعمر: والله لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها.

وجاء في طبقات بن سعد - طبعة أوربا مجلد 5 صفحة 30 - 31 بترجمة سعيد بن العاص ما خلاصته: أن سعيدا طلب

من عمر أيضا ليوسع دله، فذهب معه عمر فإده، قال سعيد: فقلت: زدني يا أمير المؤمنين، فقال عمر: حسبك، فسيلي

الأمر من بعدي من يصل رحمك، ويقضي حاجتك: فألت الأمور إلى عثمان فوصلني، وقضى حاجتي، وأشوكني في أمانته.

بمعنى أن عمر بن الخطاب لم يخل على الناس أروهم، ولم يتوك أمة محمد هملا لاراعي لها من بعده، بل عين عمليا

عثمان، لأنه يخشى الفتنة، ويكوه أن يتوك أمة محمد لاراعي لها، فوضي الله عن عمر.

21 - عثمان بن عفان

قتل عثمان (رحمه الله)، ولو أمد الله في عمره لاستخلف مروان بن الحكم، أو معاوية بن أبي سفيان، أو عبد الله بن سوح،

أو غروهم من وزرائه الناصحين له. ولو أسعفه العمر ما ترك أمة محمد بعده هملا لاراعي لها، على حد تعبير أم المؤمنين.

الصفحة 246

22 - علي بن أبي طالب

آلت الأمور إلى الإمام بعد مقتل عثمان وبايعه أهل المدينة، وجاءته البيعة من جميع الولايات باستثناء ولاية الشام التي

رفضت بيعته تبعا لرفض واليها معاوية.

وقد قتل (عليه السلام) وأوصى بالخلافة من بعده إلى ابنه الحسن، ثم تولى الناس عن الحسن، وهومت الشوعية،

وانتصوت القوة، بمعنى أن الإمام عليا لم يتوك أمة رسول الله بلاراع.

23 - معاوية بن أبي سفيان والدولة الأموية

ومعاوية في عنوان صحته استخلف من بعده ابنه يزيد بن معاوية، وهكذا كل ملوك بني أمية... فما من ملك من ملوكهم إلا

وقد عين الخليفة الذي سيحكم الأمة من بعده، لأنه من غير المعقول أن يتوك الحاكم أمته هملا لاراعي لها من بعده.

واستمرت هذه السنة حتى زال الملك الأموي.

بمعنى أن الأمويين خالفوا سنة الترك والتخلية الزعومة.

24 - ملك بني العباس

تمكن العباسيون من هزيمة الأمويين وإنهاء ملكهم، وشيخوا على أنقاض الملك الأموي ملكا خاصا ببني العباس ومن شايعهم. ولم يصدف أن مات من بني العباس ملك - وكانت له فرصة للوصية - إلا بعد أن قام بتحديد الملك الذي يأتي من بعده، بل عين أكوهم وليا للعهد من أول أيام ملكه، وكان يقال: ولي العهد فلان، وولي عهد فلان، واستمرت الأمور على هذه القاعدة حتى سقط ملك بني العباس.

بمعنى أن العباسيين أيضا خالفوا سنة الترك والتخلية الزعومة.

الصفحة 247

25 - ملك بني عثمان

تمكن العثمانيون من فرض سيطرتهم على العالم الإسلامي، وأقاموا لهم ملكا عظيما على أنقاض ملك بني العباس، ولم يشذ العثمانيون عن قاعدة الاستخلاف، فكل سلطان من سلاطينهم كان يعين قبل موته السلطان الذي يليه، واستمر الأمر على هذه الحال حتى سقط آخر سلاطين بني عثمان، وتهوى نظام الخلافة، وزالت دولة الخلافة التلخيية. فقد خالفوا سنة الترك والتخلية أيضا.

26 - في محراب التقليد وغفوة العقل

بالرغم من هذه الوقائع التلخيية والحقائق العقلية، فما زال الذين سجنوا أنفسهم في محراب التقليد يرددون - دون إعمال للعقل - إشاعة أن رسول الله ترك أمته دون راع لها من بعده، وأنه لم يستخلف، ولم يبين للناس من يكون الخليفة من بعده! ويتمادى بهم التقليد، فيرددون إشاعة أخرى مفادها: أن رسول الله ترك القآن الكريم نفسه دون جمع، فجمعه الخلفاء من بعده!!

وقد عموا هاتين الشائعتين، وأجمعوا على صحة وقوعهما!!

لست أوري ما هي فائدتهم عندما يرددون رسول الله من فضل جمع القآن، ويعطون هذا الفضل للخلفاء؟ فهل الخلفاء أحب إليهم من رسول الله؟ إن هذا لشئ عجاب!!!

27 - توضيح وتسائل

بمعنى أن كل خليفة - وطوال عهد ما بعد النبوة بدءا من خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان - كان يعهد لمن يليه، ويبين الخليفة من بعده، وذلك لغايات نبيلة ومعقولة تدل على بعد نظر، ومن أبرز هذه الغايات:

1 - حتى لا تتوكل أمة محمد هملا ولا راعي لها، وحتى لا يؤدي التوكل إلى الفتنة، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. راجع الإمامة والسياسة صفحة 22

الصفحة 248

2 - حتى يتجنب الخليفة التفریط والتضييع، على حد تعبير ابن عمر لأبيه رضي الله عنهما، كما ذكر مسلم في صحيحه، والبخري في صحيحه، والبيهقي في سننه.

3 - حتى يسد الخليفة باب الاختلاف من بعده، على حد تعبير أبي بكر (رضي الله عنه)، كما ذكر الطوي في تزيخه، وابن الجوزي في سوة عمر، وابن خلون في تزيخه.

4 - من باب الرأفة والرحمة بأمة محمد، حتى لا يتفرقوا من بعد الخليفة، فيختلفوا ويصيروا شيعة بسبب الخلافة. هذه الأسباب التي استندت إليها كل الخلفاء أسباب وجيهة، ومعقولة جدا ومن كل الوجوه، وشوعية، لكن غابت عن الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم)، كيف لاحظها كل الخلفاء بالإجماع فاستخلفوا لتجنب محاذيرها ولم يلاحظها الرسول!!!
الرسول رسول وهو قمة الوعي البشري، ومدعوم إلهيا، والخلفاء ليسوا رسلا ومع هذا وصلوا نونه إلى هذه النتائج

الباهرة!!

إن هذا لشئ عجاب!! وهو على الأقل يشكك بصحة إشاعة أن رسول الله لم يستخلف، أو خلى على الناس أمرهم حسب

صيغة الشائعة!!

28 - ابن خلون يخترع سندا جديدا ومبررا للاستخلاف

في مقدمة ابن خلون صفحة 177 قال (رحمه الله): إن الإمام (الخليفة) ينظر للناس في حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقوم لهم من يتولى أمرهم.

29 - معاوية بن أبي سفيان يبتدع سندا جديدا ومبررا لم يسبق إليه

سألت أم المؤمنين عائشة معاوية عن سبب تعيينه لابنه يزيد خليفة من بعده؟

فأجابها معاوية: إن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخوة من أمرهم.

راجع مجلد 1 صفحة 167 من الإمامة والسياسية لابن قتيبة. وهذا ما أجاب به معاوية عبد الله بن عمر عندما استفسر منه

عن سبب استخلافه لابنه يزيد فقال معاوية: إني أحزرك أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملتهم، وأن تسفك دماءهم،

وإن

الصفحة 249

أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد الخوة من أمرهم. راجع الإمامة والسياسية لابن قتيبة مجلد 1 صفحة 171

طبعة مصر.

30 - امتييزات الخليفة وامتيازات النبي

أجمعوا أن النبي قد مات وترك أمته ولا راعي لها، وأجمعوا أنه ما من خليفة إلا وقد بين للناس من يخلفه، لأن الخليفة مخول من الناس أن ينظر لهم بعد وفاته كما كان ينظر لهم حال حياته - على حد تنظير ابن خلدون - بينما كان الرسول ينظر للناس حال حياته، ولكنه منع من أن ينظر لهم بعد وفاته، بمعنى أن الخليفة كان يتمتع بامتيازات تفوق امتيازات النبي!!!

31 - الإعلان رسمياً بأن الخليفة أعظم من النبي

وقد فصلنا ذلك في الفصل السابع من الباب الأول، وبيننا أن مقام الخليفة تعاضم حتى بلغ عند شيعة الخلفاء مرتبة لم يبلغها النبي نفسه! فقد برك مروان بن محمد للوليد بن يزيد خلافة الله علي عباده. راجع تزيخ ابن كثير مجلد 10 صفحة 7 - 8، ووصف الحجاج عبد الملك بأنه خليفة الله وصفيه، كما جاء في سنن أبي داود مجلد 4 صفحة 210، وروى أبو داود في سننه مجلد 4 صفحة 209 الحديث 4642، والمسعودي في مروجه مجلد 3 صفحة 147، وابن عبدربه في العقد الفريد مجلد 5 صفحة 52، قول الحجاج في خطبة له: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله!!! وفي العقد الفريد مجلد 5 صفحة 51 أنه كتب إلى عبد الملك يعظم أمر الخلافة وزعم أن السموات والأرض ما قامت إلا بها، وأن الخليفة أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين.... إلخ!!! ثم تطفوا وأتوا من قدر الخليفة فجعلوه مساويا للنبي، فقال الحجاج في خطبة له، كما في سنن أبي داود، والعقد الفريد: إن مثل عثمان عند الله كمثل عيسى... إلخ.

راجع مجلد 4 صفحة 209 من سنن أبي داود، والعقد الفريد مجلد 5 صفحة 51، فمن

الصفحة 250

اتبع عثمان فهو مؤمن، ومن خرج عليه فهو كافر. راجع تزيخ الطوي مجلد 5 صفحة 61

حوادث سنة 89، وتزيخ ابن الأثير مجلد 1 صفحة 205، وابن كثير مجلد 9 صفحة 76

وأمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبد الله فحفر بوا فقال خالد في خطبته على منبر مكة المكرمة: أيها الناس أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم، والله لا تعلمون فضل الخلفاء، ألا إن إواهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه الله ملحا أجاجا، واستسقاها الخليفة فسقاه الله عذبا فاتا... إلخ!!

وخطب الحجاج يوما على منبر الكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله فقال:

تبا لهم يطوفون بأعواد ورمة بالية!! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ألا يعلمون أن خليفة الرجل

خير من رسوله!!!...

32 - نور الأمة في تعيين الخليفة

ال خليفة الغالب القائم هو الذي يعين من يخلفه، لأنه مخول من الناس بذلك، كما روى ابن خلدون في مقدمته صفحة 177، فما هي حقيقة قول ابن خلدون هذا؟

عمليا لا علاقة للأمة بما يفعله الخليفة، لأن فعل الخليفة قضاء - على حد تعبير معاوية - وليس للعباد الخوة من أروهم! ملك مستتب، ودولة تفوض سلطانها على رعاياها، والكل يتظاهر بالطاعة أو مطيع فعلا، فإذا شعر الخليفة بدنو أجله، أو تبين له أنه لا ولي لعهد، يدعو كواء تولته إلى وليمة أو جلسة، ويعلن أمامهم أنه قد قرر اختيار فلان وليا لعهد وخليفة من بعده، ويتقبل الكواء هذا الإعلان ويبلكونه، لأنه صادر من الخليفة الغالب الذي دانت له مقاليد الأمور.

ويعلن الكواء هذا الموسوم على الأمة، ودور الأمة مقتصر على القبول والمبايعة، ومن يعرض هذا القوار فإنما يعرض سلطان الدولة المستقر، وأي فود له القوة على معارضة سلطان الدولة!!؟

الصفحة 251

ولنفترض أن هذا الفود أو ذاك أو هذه الجماعة أو تلك عرضت قوار التعيين هذا، فإن الدولة ستسحق معارضتها بغير رحمة، لأنهم شقوا عصا الطاعة، وخرجوا على الجماعة.

أنظر إلى قول معاوية لابن عمر عندما استوضح عن تعيين معاوية لابنه يزيد خليفة من بعد معاوية: إنني أحزنك أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تويق ملتهم، وأن تسفك دماءهم.

هذا الكلام يوجهه معاوية لابن عمر المعروف بكواهيته لأمير المؤمنين علي وموالاته لمعاوية، يوجهه لابن الخليفة، عمر الذي عين معاوية واليا على الشام، فكيف بالشخص العادي الذي يعرض؟

ومن هو أعظم من ولي الله علي؟ فقد هدد بالقتل إن لم يبايع!!

ومن هي أعظم من فاطمة الزهراء؟ فقد هددت بحرق بيتها ولطمت، وأجهضت!!

فالبديل الأسلم بالنسبة للأمة هو قبول قوار الخليفة الغالب، فقوله قضاء، ولا خوة للعباد من أروهم، فالخليفة هو الذي

يعين، ودور الأمة هو مبايعة من يعينه هذا الخليفة الغالب!!!

33 - الخليفة يعين خليفته

قال قاضي القضاة الموردي في الأحكام السلطانية صفحة 6 وما فوق وأبو يعلى (الفا) في الأحكام السلطانية صفحة 7 -

11 : الإمامة تتعقد من وجهين بعهد الإمام من قبل... إلى أن يقول: وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو ما انعقد الإجماع على

جوره، ووقع الاتفاق على صحته، لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يناكروهما وهما:

أن أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر، فأثبت المسلمون إمامته بعهد، والثاني أن عمر عهد بها إلى أهل الشورى... إلى

قوله لم يتوقف على رضا الصحابة، ولأن الإمام أحق بها. الأحكام السلطانية 6 - 7

الصفحة 252

وقال إمام الحرمين الجويني: إعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الجماعة، والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأن في نشر الخبر لمن نأى من الصحابة. راجع الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين الجويني صفحة 424 ط القاهرة.

وقال ابن العربي في شرحه سنن الترمذي مجلد 13 صفحة 229 : لا يؤرم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد!!

وقال القوطي في تفسير (إني جاعلك في الأرض خليفة) فإن عقدها واحد من أهل الحل والعقد فذلك ثابت ويؤرم الغير فعله، وذلك خلافا لبعض الناس حيث قال: لا تتعقد إلا بجماعة، ودليلنا أن عمر عقد البيعة لأبي بكر... إلخ.

قال الإمام أبو المعالي: متى انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لُومت، ولا يجوز خلعه... وإذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد، وجب على الناس كافة مبايعته!

وقال عضد الدين الإيجي في المواقف - المقصد الثالث: إنها تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق بالإجماع... دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر... وقال: إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فإن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يرق عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف... كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان. راجع المواقف في علم الكلام مجلد 8 صفحة 251 - 253

34 - الخلافة تثبت بالقهر والغلبة

وقال قاضي القضاة الماوردي: إن الخلافة تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد، من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا واه إماما، وا كان أو فاحوا، فهو أمير المؤمنين!!!

الصفحة 253

وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك، فيكون مع هذا قوم، ومع هذا قوم:
تكون الجمعة مع من غلب، والدليل على ذلك أن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال يوم الحرة، نحن مع من غلب. راجع الأحكام السلطانية صفحة 7 - 8

ومن الطبيعي أن هذا الغالب يتمتع بحق تعيين خليفته من بعده، لأنه ينظر للناس حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقوم لهم من يتولى أمرهم، كما بين ذلك ابن خلدون في مقدمته صفحة 177

وقد قام تزيخ الخلافة على هذا الأساس، فإذا أخذنا بعين الاعتبار شائعة أن رسول الله ترك أمته ولا راعي لها، أو خلى على الناس أمرهم، نجد أن فعل الخلفاء هو السند الشعري الوحيد في هذه الناحية، وسند الإجماع ما هو إلا للتقوية، فمن يجرؤ على مخالفة الغالب؟ وهل يتحقق الإجماع بالإكراه؟!!

إن الحقيقة الثابتة هو أن الخليفة القائم هو وحده المختص بتعيين الذي يليه، وأنه لا بديل أمام الأمة، فإما الموافقة أو الفتنة،

وأنت تلاحظ أن هذه القواعد وضعية من جميع الوجوه، بمعنى أن الحكام قد وضعوها ولا علاقة للشروع بها. لأن التشريع منحصر بالله ورسوله. ولا يملك أي كان أن يشترك مع الله والرسول بهذه المهمة!

* *

الصفحة 254

الصفحة 255

الفصل الرابع

نشأة النظام البديل

1 - مميزات النظام السياسي الإسلامي

- لا يختلف اثنان بأن نظام دولة النبي هو النظام السياسي الإسلامي الأمثل والمثال، وما يميزه عن غيره من الأنظمة هو:
- 1 - أن رئيس الدولة معين من الله تعالى، وأنه هو وحده المخول ببيان المنظومة الحقوقية، بيانا قائما على الجرم واليقين.
 - 2 - أن التشريع في هذه الدولة اختصاص إلهي، بمعنى أن كافة القوانين النافذة في الدولة هي من صنع الله.
 - 3 - أن مهمة النبي ومن آمن معه هي إقناع الناس بقبول القيادة المعينة من الله، وقبول القوانين التي سنها الله، والتعاون لتطبيق شوع الله تعالى، بدون زيادة ولا نقصان.

2 - النجاح الساحق

نجح النبي بتكوين شعب الدولة، وإقناعه بقبول الشوع الإلهي والقيادة الإلهية للدولة، وتم نزول الشوع كله، وأعلن الله تعالى كمال الدين وتمام النعمة الإلهية، وتكونت الدولة الإسلامية المثلى، وقادها النبي عشر سنين، وألقت بسلطانها على كامل شبه الجزيرة العربية، ووحدتها ولأول مرة في تزيخ العرب وبلادهم.

الصفحة 256

وبعد ذلك أعلن النبي أنه ميت لا حالة، وأن حجته هي حجة الوداع، وأنه سيمرض، وسيموت في موضه، وبنفس المقام أعلن أمام مائة ألف حاج أو يزيدون أنه مولى وولي كل مؤمن، وصدقته الجوع الإسلامية على أنه المولى والولي والأولى من كل مؤمن بنفسه. بعد هذا التصديق أعلن بأمر من ربه (من كنت مولاه فهذا علي بن أبي طالب مولاه، فهو ولي المؤمنين من بعدي، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي، وهو وليكم من بعدي).

وراح الحاضرون بعد هذا الإعلان، وقدموا التهاني لعلي بن أبي طالب، وكان على رأس المهنئين عمر بن الخطاب،

وأبو بكر رضي الله عنهما، حيث قدموا له التهنئة ولايته على المؤمنين من بعد النبي، عندئذ قول قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي).

ومن قبل هذا الموقف المشهود سماه النبي خليفة، وأعلنه خليفة من بعده، وسماه أمير المؤمنين وأعلنه أمير المؤمنين، وسماه سيد العرب وأعلنه سيدا للعرب، وسماه إماما وأعلنه إماما للمجتمع المؤمن.

3 - الترتيبات الإلهية

إعلان خلافة علي، وإمرته للمؤمنين، وإمامته للمسلمين، وولايته عليهم، وسيادته على العرب، لم تكن رأيا شخصيا من النبي، إنما هي ترتيبات إلهية لقيادة موكب الإيمان بعد موت النبي. فعلي بما وهبه الله من ملكات خاصة، وبما زقه النبي من علم خاص، هو المؤهل الوحيد لبيان المنظومة الحقوقية بيانا قائما على الجزم واليقين، فقد تولى في كنف النبي، وعاش وإياه تحت سقف واحد طوال حياة النبي، وصاحبه قبل النبوة وبعدها، وتزوج البتول الطاهرة ورزق منها الحسن والحسين وهما نرية النبي، وهو ابن عبد مناف المكنى بأبي طالب، الذي حمى النبي وحمى دعوته، وربى النبي واحتضن دينه الحنيف، وهو فوق كل ذلك فارس الإسلام الأوحد، فكل شجاعة

الصفحة 257

نون شجاعته، وكل قوة نون قوته، وكل دفاع نون دفاعه، وكل بلاء نون بلائه، وموقعه من النبي كموقع هارون من موسى إلا أن عليا ليس نبيا.

كل هذه الإمكانيات ما هي إلا من قبيل الإعدادات الإلهية لوحدة ما بعد النبوة.

وقد وثقت كل ذلك في باب القيادة السياسية من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، فليرجع إليها من أراد الوقوف على الأدلة.

4 - الإجمال والتفصيل

بنفس الموقف وبنفس المكان دل رسول الله الأمة على: ما إن تمسكت به لن تضل، كتاب الله وعقوته أهل بيته، وبين للحاضرين أن الغريز الحميد أنبأه: بأنهما لن يفتوقا، فالهداية لا تترك إلا بالاثنتين معا، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالاثنتين معا، وبالإجماع فإن علي بن أبي طالب هو عميد أهل البيت، ولا خلاف بين أحد من أهل الملة بأن هذا الحديث الذي يسمى حديث الثقلين، من أصح الآثار، وأثبت السنن المحمدية، وأنه ضرب الجنور بمعناه بنفوس المسلمين، فالصلاة لا تصح نون أن تصلي على النبي وآله، ويتكرر التذكير بذلك خمس أوقات في اليوم فوضا مقضيا.

5 - البساطة والأحكام

الأمة مقتنعة بصواب الترتيبات الإلهية، فعندما ينتقل النبي إلى الرفيق الأعلى تشيعه الأمة مجتمعة بما يليق بجنابه المقدس،

ثم تلتفت إلى إمام أهل البيت، فتقدم له التعزية، وتبايعه خليفة للنبي، وإماما للمسلمين، وأموا للمؤمنين، ومبينا للدين، فتستقيم الأمور ولا يختلف اثنان عليه، فهو عميد أهل البيت، وابن عم النبي وزوج ابنته وهو الفرس الأوحى، وهو رباني هذه الأمة. وهو بما أوتي من علم، قادر أن يتابع مسيرتي الدعوة والدولة من بعد النبي، فيحل ركن مقام ركن، ويحل الهادي محل النبي، ويقود الأمة إلى شاطئ الأمان، ويفتح أمام الجنس البشري أبواب الأمل والعدالة، ويستقر النظام، ويأخذ طابعا مؤسسيا

الصفحة 258

يمكن الدفاع عنه وفق كل المعايير الشرعية والعقلية.

6 - ترك الترتيبات الإلهية وإيجاد ترتيبات وضعية

لم ترق الترتيبات الإلهية لبطن قريش، وكيفتها على أنها ترتيبات مجحفة، لم تأخذ بعين الاعتبار حقوق بطون قريش، وتؤدي بالنتيجة إلى الإجحاف. والسبب بهذا التكيف أن تلك البطون مسكونة بالصيغة السياسية الجاهلية التي سادت مكة المكرمة قبل شروق شمس الإسلام، تلك الصيغة القائمة أصلا على اقتسام مناصب الشرف السياسية، بحيث يختص كل بطن بمنصب من هذه المناصب، وبالكيفية التي تم الاتفاق عليها في حينه، وهي كيفية لا غالب فيها ولا مغلوب. ومع الأيام استقرت هذه الكيفية في الأذهان والقلوب، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من المعتقدات السياسية الجاهلية، بل إنها تحولت إلى قناعة مطلقة مستقرة تماما في العقل الباطني لبطن قريش، ومن هنا فلا ينبغي أن تعجب إذا قلنا أن هذه القناعة هي التي تفسر عناد بطون قريش بمقاومتها للدعوة المحمدية طوال 13 سنة، وهي وحدها التي تقف وراء حروب بطون قريش العنوانية ضد الإسلام ونبي الإسلام، ولم تستسلم تلك البطون إلا بعد 21 عاما من المقاومة الضلعية لدعوة الإسلام ولدولة الإسلام، وبعد أن استوغت جهدها بالكيد، وأحيط بها، وحوصرت في جزرة من الشرك، وأغلقت بوجهها كل الأبواب، ولم يبق أمام هذه البطون إلا بابان: باب الدخول بالإسلام، أو باب الموت، فاخترت الدخول في الإسلام.

7 - تحليل موقف رواد الترتيبات الوضعية

منذ اللحظة الأولى التي زغت فيها شمس الهداية الإلهية، وقفت بطون قريش وقفة رجل واحد ضد نوة ورسالة محمد بن عبد الله، لا حبا بالأصنام، فليس في الأصنام ما يحب، ولا كراهية بتعاليم الإسلام، لأنه ليس في هذه التعاليم ما تنفر منه الفطرة البشرية، أو يعافه العقل السليم، ولكنها كرهت كرها شديدا أن تكون النوة في بني

الصفحة 259

هاشم، فليس مقولا أن يكون النبي من بني هاشم، لأن هذا ترجيح للهاشميين على بقية البطون، ونسف للصيغة السياسية الجاهلية، تلك الصيغة التي أشاعت الأمن والاستقرار بين البطون، وأكسبت كل البطون احترام العرب، وعندما هوجئت تلك البطون بإعلان نوة محمد الهاشمي صعقت وجن جنونها، لأن هذا الإعلان هو نسف للصيغة، أو تعديل لصالح الهاشميين بدون موافقة البطون المشتركة بهذه الصيغة.

8 - المطلب الأساسي، ورفضه، وعاقبة الرفض

اجتمعت بطون قريش وطلبت من الهاشميين أن يسلموها محمداً لتقتله، أو يخلوا بين هذه البطون وبين محمد حتى تقتله، لأن ما يقوله محمد يمس مصالح هذه البطون الحيوية، كان هذا مطلب قريش عندما فشلت وسائلها الأخرى، وعندما أكرمت تصميم النبي على مواصلة الدعوة الإسلامية!

ولأن الهاشميين تاج العرب، وخير بطن بالنص الشعري، رفضوا بإباء وكبرياء هذا المطلب، وأعلنوا أنهم مع محمد، ولن يسموا لأحد من هذه البطون أن يمس شعوة واحدة منه.

عندئذ أجمعت البطون على حصر الهاشميين في شعب أبي طالب، وحاصرتهم ثلاث سنين، وضارقت الدنيا بمارحبت على الهاشميين، حتى اضطروا أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع، واضطر أطفالهم أن يمسوا الرمال من العطش، ولكنهم لم يستسلموا!

وفشل الحصار، واستمرت الدعوة رغم مقاومة هذه البطون الضارية، ثم أجمعت تلك البطون على أن تشترك بقتل النبي، وأن يومية رجالها بقوس واحدة، حتى لا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، فيضيع بين تلك البطون! وعندما حزمت أمها ترك النبي مكة وهاجر إلى المدينة، ونجاه الله من شر تلك البطون ومكوها.

9 - الهاشميون تجاوزوا الحدود بمزان البطون

الصفحة 260

عندما استقر النبي في يثرب ورتب أموره بدأت الحرب المسلحة بين بطون قريش من جهة، وبين محمد والهاشميين ومن والاهم من جهة أخرى، وتآلق نجم علي بن أبي طالب كفلس النبي الأوحى، وتآلق نجم حفصة عم النبي، وخلال المعرك التي نشبت بين الطرفين قتل علي بن أبي طالب سادات هذه البطون، ونسب قتل هؤلاء السادات للهاشميين، فنمت بنور الحقد على بني هاشم، لأنهم قتلوا الأحباب، ومن قبل نمت وتوعت بنور الحسد على بني هاشم، لأنهم اختصوا بالنبوة، وتفوقوا على تلك البطون بالأمجاد، فأجمعت البطون على الحسد لبني هاشم وأضمرت الحقد لهم.

10 - موقف البطون بعد انتصار النبوة

كل الأبواب قد أغلقت أمام بطون قريش إلا باب الإسلام، وكل وسائلها بالكيد والحرب قد تحطمت، ولم يبق إلا الموت أو الدخول في دين الله، فاخترت الدخول في دين الله، ولكن وهي مسكونة بقناعة الصيغة السياسية الجاهلية، ومقتنعة بأن اختيار النبي من بني هاشم وحدهم فيه إجحاف على البطون الأخرى، ولكن لا حيلة لهذه البطون بمقاومة النبوة الهاشمية أو إلغائها، كأن هذه النبوة قدر، فسلمت تلك البطون بنبوة محمد ورسالته، وأقبلت لتتفهم الدين الجديد وهي تحمل حسداً لبني هاشم، وحقداً عليهم، لأنهم قتلوا الأحبة، وعلى الأخص علي بن أبي طالب! وما فعلته هند بحفزة دليل قاطع على عمق هذا الحقد!!

وقد انصب هدف هذه البطون بالدرجة الأولى على تحجيم الدور الهاشمي، وإيجاد صيغة جديدة للتعايش مع الهاشميين في ظلال الدين الجديد.

هذا تفكير الأغلبية الساحقة من منتسبي بطون قريش.

وباختصار، فالذين أسلموا من بطون قريش أسلموا ونفوسهم مسكونة بهذه القناعة، ولئن استطاع الإسلام أن يوهن أركانها في نفوسهم، إلا أنهم لم يمكنوه من أن

الصفحة 261

يجتث جنورها! ومع شوع نبأ النبوّة وصعودها واستقلالها نبتت فكرة الحسد لبني هاشم في نفوس تلك البطون، ونشأت كراهية تفضيل الله تعالى لهم على كل البطون، وتصورت البطون القريشية أنه ليس لهذا التفضيل ما يبرره. لقد كانت هذه التصورات تنمو في قلوب بعض المسلمين في الخفاء، وتربص الفوص للتعبير العلني والتواجد الواقعي كتوجه سياسي.

11 - خطة بطون قريش لمواجهة عصر ما بعد النبوّة

1 - بطون قريش تحلل الواقع في أواخر عهد النبوّة، وتكتشف أن الإسلام قد انتشر انتشرا واسعا، وأن العرب قد توحوا في ظلال دولة لأول مرة في التاريخ، وأن الجزيرة العربية قد دانت تماما لدولة النبي، وأن النبي قد بدأ يعد العدة لمواجهة المسلمون عصر ما بعد النبوّة، وكل الدلائل تشير بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) سيسلم قيادة هذا العصر لابن عمه، وزوج ابنته، وفارس الإسلام الأعظم، علي بن أبي طالب، فما هو يعلنه وليا للمؤمنين مجتمعين في غدير خم، ويعلنه وليا لكل مؤمن ومؤمنة، وما هو النبي يعلنه أمرا للمؤمنين، وخليفة من بعده، ويتوجه بتاج الولاية والإمامة والخلافة أمام جمع يزيد على مائة ألف، ولم يكتف النبي بذلك بل أعلن ابنه الحسن إماما، وأعلن ابنه الحسين إماما، وأعلن أنهما ابناه، وأنهما سيديا شباب أهل الجنة، وريحانته من هذه الأمة، وأن الله جعل نسل كل نبي من صلبه وجعل نسل ونويرة محمد من صلب علي. ومن المنير للانتباه حسب تحليل هذه البطون أن آية المبالغة الواردة في القرآن الكريم، وتطبيقها العملي أمام الصحابة، حصرت الأبناء والنساء والأنفس بمحمد وعلي وفاطمة وحسن وحسين فقط، وتلك إشارة ضوء صرخة تعكس نوايا النبي، وتعكس توجه الترتيبات الإلهية.

والأخطر من ذلك إعلان النبي أن من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله!

الصفحة 262

ليس هذا فحسب، بل إن النبي يعلن بأن البطن الهاشمي هو خير بطون الأرض، وأن بيت عبد المطلب هو خير بيوت بني البشر، ثم يضع الكساء على الأبناء والنساء والأنفس، ويتلو قول الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا) ثم يعلن النبي بعد ذلك أن هؤلاء هم أهل بيته.

والأشد خطورة من الجميع أن النبي قد أعلن بأن الصدقات لا تجوز على آل محمد، وأن لهم حقا معلوما في مورد الدولة، وهو خمس الخمس.

ثم إن القرآن طلب من النبي أن يعلن بأنه لا يسأل الناس أجرا على هدايته لهم وإنقاذهم، إلا المودة في القربى... إلخ. والأنتكى من الجميع أن الصلاة عليهم جزء من الصلاة المفروضة!

12 - الكثرة

أدركت بطون قريش ما يرمي له محمد، وفهمت توجه الترتيبات الإلهية، وأنه صار بحكم المؤكد أن قيادة عصر ما بعد النبوة ستكون في بني هاشم، وبالتحديد في علي الذي قتل الأحبة والسادات، ومن بعد علي ستكون في بنيه، فمن يتقدم عليهم وهم أبناء الرسول، ومن يحاربهم وهم ناصية بني هاشم، ومن يرفض الانقياد لهم وهم أبناء النبي، وإذا تحققت هذه النوايا والتوجهات، فمعنى ذلك أن الهاشميين قد أخذوا النبوة، وأخذوا الخلافة معا، أو جمعوا ما بين النبوة والخلافة، وبين الدين والملك معا، وهذا يعني أنهم قد أخذوا الشرف كله، واختصوا بالفخر كله، وحرموا منهما بطون قريش، وتلك والله كثرته وأبيهم، الموت خير من مواجهتها أو العيش في ظلالها!!!!

13 - وسائل مواجهة الكثرة

أي مواجهة بين بطون قريش وبين محمد مكتوب عليها الفشل النريع، فقد هزمها على صعيد الدولة مجتمعة، واستقطب حوله العرب، ودانت له الجزيرة، فالمواجهة بين البطون وبين محمد بهذه المرحلة كثرته محققة للبطون، فمحمد هو حبيب الجماهير، وهو



بطلها، وهو نبيها، وهو حاكمها، وهو الرجل المدعوم بالعناية الإلهية، ورجالات البطون يستمدون فخرهم وشرفهم من موالاته، فتكروا فكرة المواجهة لأنها فاشلة في هذه المرحلة، وأن طويق المجد والملك الحقيقي هي في موالاته محمد وليس في معاداته. وإذا كانت معاداة محمد قواء، فلتكن معاداة منظمة لا تثير حفيظة الجوع الموالية لمحمد، والتي واه بطلها الأوحده.

14 - الخطة المثلى لمواجهة عصر ما بعد النبوة

تفتقت عقلية بطون قريش عن خطة قبلية سياسية مثلى، تجمع بين الصيغة السياسية الجاهلية وبين نظام الإسلام السياسي، وتقوم على خلط الأوراق، وإعادة ترتيبها من جديد تحت إشراف رجالات البطون المسكونة أنفسهم بمرض الصيغة السياسية الجاهلية، لذلك وضعوا مجموعة من الأوراق لمواجهة الترتيبات الإلهية لعصر ما بعد النبوة والالتفاف عليها.

15 - الورقة الأولى للخلاف العائلي

توصلت رجالات قريش إلى معادلة واقعية مفادها: أن كل البطون القريشية بما فيها البطن الهاشمي ينتمون لقريش، وبما أن محمداً من بني هاشم، وبما أن بني هاشم من قريش فمعنى ذلك أن محمداً من قريش، وأن قبيلة قريش هي عشيرته الوحيدة، والخلاف بين بطون قريش هو خلاف عائلي تماماً.

فالهاشميون أولاً وأخيراً هم بطن قريشي، وطالما أن محمداً من قريش، وطالما أن قريشا هم أهله وعشيرته، فهم أولى بموالاته وبسلطانه (الله أكبر من ينزلنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته، إن العرب تأتي أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم) هذه هي عين الجملة التي استعملها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في سقيفة بني ساعدة. ومن هنا نشأت قاعدة أن الأئمة من قريش، لأن قريش عشيرة النبي، وتوطدت هذه القاعدة حتى نقلتها الأمة بالإجماع.

16 - الورقة الثانية حل الخلاف العائلي

الخلاف بين بطون قريش وبين بني هاشم هو خلاف عائلي، فالرسول محمد (منا ومنكم) على حد تعبير أبي بكر (رضي الله عنه) للعباس بن عبد المطلب، فالرسول من قريش والبطون كلها قريشية، والهاشميون هم أعدل الناس، وأكثرهم بعدا عن الظلم، فيجب حل الخلاف العائلي بين بني هاشم والبطون حلاً عادلاً. فالهاشميون اختصوا بالنبوة من دون بطون قريش، وبالنتيجة فالبطون لا تعترض إطلاقاً على النبوة الهاشمية ولا تطالب بها، وتبترك بالإجماع لبني هاشم هذه النبوة، ولا ترغب تلك البطون بالإجماع بأي مشركة في نبوة بني هاشم، وهذا حق وعدل. لكن أن البطون مثل بني هاشم ينتمون لقريش عشيرة النبي، فيجب أن ينالهم نصيب من تركة النبي، وتركة النبي تتلخص بكلمتين: النبوة والخلافة.

وحيث إن الهاشميين قد أخذوا النبوة وحدهم فيجب أن تنتزع بقية التركة وهي الخلافة على البطون، تتداولها في ما بينها

وحدها، بدون مشركة أي هاشمي.

بمعنى أن النوة لبني هاشم على وجه التفرد والاختصاص، لا يشركهم فيها أحد من البطون. وهي خالصة لهم. وأن الخلافة لبطون قريش تتداولها على وجه التفرد والاختصاص، لا يشركهم فيها أحد من بني هاشم، وهي خالصة لهم.

17 - محاسن حل الخلاف العائلي

حل الخلاف بهذه الطريقة هو الحل الأمثل، لتجنب إحجاف بني هاشم، لأن جمع الهاشميين للخلافة مع النوة يؤدي للإحجاف كما أكد ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهذه القسمة هي الهدى والصواب، كما أكد ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أما الترتيبات الإلهية التي تعطي الهاشميين النوة والخلافة فقد كرهتها قريش، وهي تؤدي لوقفة بطون قريش، كما أكد ذلك سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقد وثقنا ذلك في الفصول السابقة، وسنعيد التوثيق.

الصفحة 265

18 - الورقة الثالث عصب دم البطون

أرواح سادات بطون قريش التي رُهقت أثناء حرب النبي مع البطون، والتي سببت أكبر المعاناة لنوي القتلى، وتوكت في قلوبهم حواجا لا تتدمل، وأحقادا لا تزول، هي أرواح لم يقتلها النبي، إنما يتحمل مسؤوليتها علي بن أبي طالب، فهو الذي قتلهم فعلا بوصفه حامل رايات الرسول في كل المواقع، وبوصفه أقوى فوسان الإسلام على الإطلاق، فقد حصد سادات قريش حصدا، ومن ينسى حزة ومن ينسى عبيد الله بن الحرث فقد قصم الثلاثة معا ظهر بني أمية، وهؤلاء الثلاثة هم من بني

هاشم!

فإذا قبلت بطون قريش زعامة بني هاشم، عندئذ يصبح الخصم وقاتل الأهل والأحبة هو الحكم والحاكم، وفي ذلك إثارة

للأحقاد!

والحل الأمثل هو إبعاد الهاشميين عن مسوح الحدث السياسي، وغزلهم غولا كاملا لغايات عصب دم البطون التي أريقت

في الحروب الإيمانية، ولغايات فتح صفحة جديدة. وأي هذه البطون!!

19 - الورقة الرابعة اخزاق المنظومة الحقوقية الإلهية

المشكلة الحقيقية أن مكانة أهل البيت الكرام، وقيادتهم للأمة، وموجعيتهم موثقة وثابتة بالمنظومة الحقوقية الإلهية - القرآن الكريم والسنة، وإلغاء قيادة أهل البيت من بعد النبي ومكانتهم وموجعيتهم ليس ميسورا، وهذا يستدعي تعديل نصوص المنظومة الحقوقية الإلهية، وهذا خرج عن طاقة البطون، خاصة القرآن الكريم!

والحل الأمثل بالنسبة لهذه البطون هو اخزاق المنظومة الحقوقية الإلهية اخزاقا لا يثير حفيظة!!!!

20 - اختراق القرآن الكريم

إذا كانت النصوص الشرعية التي تؤكد قيادة وموجعية ومكانة أهل البيت الكرام ولادة في القرآن الكريم، فلا يمكن اختراقها بالتبديل أو التغيير، لكن اختراق

الصفحة 266

النصوص يتم عن طريق التأويل والتفسير، وحمل النص على عدة معانٍ، وتضييع المقصود الشرعي من خلال التأويل والتفسير والحمل، ويمكن اعتبار هذه النصوص من قبيل المدح الذي لا يكسب المموح حقاً، ولا يرتب له على الأمة الزاماً. وعند اللزوم يمكن التشكيك بمقاصد النصوص الشرعية، أو تصور عدة مقاصد لها! فإذا ذكر ذاكر أن الله تعالى قد أذهب الوجس عن أهل البيت وطهرهم تطهوا، جاءك الجواب سريعاً، إن أهل البيت هم نساء النبي وخدمته، ومنهم من يتوع بالمباهلة إذا كان أهل البيت غير نساء النبي! وإذا قيل إن النبي لا يسأل أحداً إلا المودة في القوي، قيل: كل قريش قباة النبي، بل كل العالم أقرب النبي، وهو جد النبي ولو كان عبداً حبشياً!

وإذا قيل: هم أهل الذكر، قيل لك: إن العلماء هم أهل الذكر، وهم ورثة الأنبياء! وباختصار فلا تجد نصاً في القرآن الكريم يتعلق بأهل البيت الكرام أو ببني هاشم، إلا وقد حضت له البطون ومن والها عشوات النفسوات والتأويلات لإخواجه عن معناه الخاص بأهل البيت الكرام، ولا تجد فضلاً اختص به أهل البيت الكرام إلا وقد وجدت بطون قريش لوجالاتها فضلاً يعادله عن طريق التفسير والتأويل! ومع سيطرة البطون وإشرافها على وسائل الإعلام، وهيمنتها على الدولة الإسلامية خلطت كافة الأوراق حتى إذا أخرجت يدك لم تجد زواها. ولكن الله الذي حفظ كتابه وتعهده بحفظه، جعل برزخاً بين تأويلاتهم وبين النص، فالنص القواني محتفظ بخصوصيته المطلقة، وهو يحفز بصورة مستوية العقل البشري للعمل والتفكير.

21 - اختراق السنة

القرآن الكريم لا يمكن فهمه فهماً قائماً على الجرم واليقين إلا بواسطة مبيين، فعدد الصلوات وكيفية مثلها بينها النبي، ومن هنا فإن قول النبي وفعله وتقواه نصوص لا بد منها لفهم القرآن وبيانه بياناً قائماً على الجرم واليقين، ولا غنى إطلاقاً

للمسلمين

الصفحة 267

عن سنة النبي بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقوير. ولكن حتى يتم اختراق السنة النبوية والانتفاف على النصوص الشرعية المتعلقة بقيادة الدولة وموجعية الأمة، وحتى تستقيم

أمور الحاكم وتتوحد مرجعيته الواقعية على الأمة، رفع شعار (حسبنا كتاب الله) بمعنى أن الوأن وحده يكفي، ولا حاجة حتى لسنة النبي!!!!

والجدير بالذكر أن هذا الشعار رفع بمواجهة النبي نفسه عندما رُاد أن يكتب وصيته للأمة، والذي رفع هذا في وجه النبي هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)!

وعندما وُج أبو بكر (رضي الله عنه) رفع هذا الشعار رسمياً، وتم حصر ما يمكن حصره من الأحاديث النبوية المكتوبة، وأمر أبو بكر بإحراقها! كما ذكر المتقي الهندي في كنز العمال مجلد 5 صفحة 237 ، وابن كثير في البداية والنهاية، والذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 5 ، ومنعت رسمياً رواية السنة أو كتابتها، لأن كتاب الله وحده يكفي!! ولم يختلف الأمر عندما تولى الخلافة عمر (رضي الله عنه)، فقد خطب يوماً، وطلب من الناس أن يأتوه بالكتب التي فيها أحاديث رسول الله، ولما جاء الناس بهذه الكتب أمر بإحراقها، كما ذكر ابن سعد في مجلد 5 صفحة 188 من طبقاته، والخطيب في باب تقييد العلم!

وكتب إلى الأمصار يأمرهم بمحو أي شيء من أحاديث النبي! كما ذكر ابن عبد البر في جامع بيان العلم. وأمر بإتلاف كتب الفوس ومحوها، ومحو كتب مكتبة الإسكندرية الشهيرة. راجع تريخ ابن خلدون مجلد 1 صفحة 32، وكشف الظنون مجلد 1 صفحة 446 ، وفهرست ابن النديم في صفحة 334 ، لأن هدف الخلفاء نجاح شعار (حسبنا كتاب الله) نجاحاً تاماً.

وقد فصلنا هذه الناحية تفصيلاً كاملاً، ووثقناها توثيقاً مقولاً في الفصل الرابع من هذا الباب، فليرجع إليه من أراد التفصيل. أما ما خرج عن دائرة المنع من السنة النبوية فيمكن تأويله رسمياً تأويلاً يخدم توجهات رجالات بطون قویش، فإذا روى راو قول رسول الله: تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، روى راو آخر: تركت فيكم ما

الصفحة 268

إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي، وإذا قيل: إن علياً مولى كل مؤمن ومؤمنة. قيل: إن هذا من قبيل المدح، والله تعالى مولى الجميع.

وباختصار فمن الناحية الرسمية خرجت سنة النبي عملياً من دائرة الحكم والتأثير والنبي على فاش الموت، عندما رفعوا بوجهه وبمواجهته شعار (حسبنا كتاب الله) وهذه المواجهة من الثبوت بحيث لا يجادل فيها أحد، وقد رواها أصحاب الصحاح، وتناقضتها جوع من المسلمين يمتنع عقلاً اجتماعهم على الكذب، ولم ينكروها أحد.

وهذا دليل قاطع على نجاح البطون باختراق السنة النبوية بفروعها الثلاثة، وتحييد هذه السنة، وقصر الصواع على البطون من جهة، وعلى الهاشميين من جهة أخرى.

22 - الورقة الخامسة: تدمير القاعدة الاقتصادية لبني هاشم وتتبعهم للدولة

لقد حرم الله الصدقة على أهل البيت، وخصص لهم جزءاً ثابتاً من مورد الدولة، وهو خمس الخمس ليضمن لهم الاستقلال

الاقتصادي وعدم التبعية الاقتصادية لأحد، لأنهم قيادة الأمة، وفرض هذا الحق في آية محكمة، ولما آلت الأمور إلى بطون قريش ألغوا هذا الحق تماما، وصار أهل البيت يسألون الحاكم عطاءه كما يسأله عامة الناس، ولم تكف البطون بذلك، إنما وجدت قاعدة (الأنبياء لا يرثون) فحرموا أهل البيت من تركة النبي، حتى أن العطاءات والمنح التي أعطها النبي للمسلمين أو أقطعها لغير أهل البيت بقيت على حالها، أما المنح والعطاءات التي أعطها النبي لأهل البيت، فقد صارتها البطون! وقصة الزهراء وفدك، خير دليل على ذلك.

وهكذا تحطم الهاشميون من الناحية الاقتصادية، وتركوا عالة على الدولة، ورهنا من الناحية الاقتصادية بمشيئة الحاكم، إن شاء وصلهم، وإن شاء قطعهم.

23 - الورقة السادسة: الغالب له صلاحيات النبي

الفائز من البطون والقابض على مقاليد الأمور، أو الحاكم الغالب هو خليفة النبي، يتمتع عرفيا بكامل الصلاحيات التي يتمتع بها النبي، يعطي ويمنع، يخصص ويعمم،

الصفحة 269

يرفع ويضع، تدين له الأمة بالطاعة، والخروج على طاعته خروج على الأمة وعلى شريعتها الإلهية، وله خصوصيات لم يتمتع بها النبي، فهو الذي يعين ولي عهده، مع أن النبي بإشاعة البطون لم يفعل ذلك! ويوصي أثناء مرضه، والنبي لم تتح له هذه الفرصة!

وسوة الخليفة مؤمنة لخلفه يمكنه أن يجتهد بأي أمر حتى ولو كان عكس سنة النبي! فإذا سلى النبي بالعطاء يمكن للخليفة أن يفوق بالعطاء، وإذا أعطى النبي المؤلفة قلوبهم، يمكن للخليفة أن يعطي المؤلفة قلوبهم، أو يمنعهم سهمهم، مع أن هذا السهم ورد في آية محكمة!

لذلك لا ينبغي أن نتعجب إذا وجدنا من شيعة البطون من يقول: إن الخليفة أعظم من النبي، علنا وعلى مسمع من كل المسلمين!!

هذه الأوراق الست هي وجه لخطة محكمة، ساعدت على نجاح قسمة البطون القوشية، بحيث اختصت وحدها بالخلافة تتداولها في ما بينها لا يشركها فيها هاشمي، واختص الهاشميون وبالتحديد أهل البيت بالنوة لا يشركهم فيها أحد من البطون، وأقامت نظاما سياسيا فريدا من نوعه أسقط الدولتين الأعظم، وكون أمة إسلامية كبيرة متميزة.

24 - الإمام علي يحلف بالله

حلف الإمام علي قائلاً (والله ما تتقم منا قريش إلا أن الله اخترنا عليهم، فأدخلهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعبري شربك المحض صابحا * وأكلك بالزبد المقشورة البجرا

ونحن وهبناك العلي ولم تكن * عليا وحطنا حولك الجرد والسوا

25 - نماذج من تفكير منظري البطون

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في حديث طويل دار بينه وبين ابن عباس: يا ابن عباس أنتوي ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيئه، فقلت: إن

الصفحة 270

لم أكن أوي فإن أمير المؤمنين يوي، فقال عمر:

كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحا بجحا، فاختلرت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت.

قال ابن عباس: فقلت: إن تأذن في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت. قال عمر:

تكلم، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختلرت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت، فلو أن قريشا اختلرت لأنفسها من حيث

اختار الله لها، لكان الصواب بيدها غير مرود ولا محسود. وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز

وجل وصف قوما بالكراهة فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما أتول الله فأحبط أعمالهم).

إلى أن قال عمر لابن عباس: بلغني أنك تقول حرفها عنا (أي الخلافة) حسدا وبغيا وظلما؟ قال ابن عباس: فقلت: أما

قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسدا، فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون. فقال عمر:

هيهات، هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا لا يزول.

قال ابن عباس: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهروهم تطهروا! راجع الكامل

في التلخيص لابن الأثير مجلد 3 صفحة 24 آخر سورة عمر من حوادث سنة 23 ، راجع شوح النهج لعلامة المعتولة ابن أبي

الحديد مجلد 2 ، وأورده ابن أبي الحديد في أحوال عمر، وقد أخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تلخيص بغداد بسنده عن ابن

عباس، راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة 141 - 142

26 - نموذج آخر على طريقة منظري البطون

روى المسعودي في كتابه مروج الذهب حديثا جرى بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وبين ابن عباس، فقال: ذكر

عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: يا بن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد

رجوت أن تكون

الصفحة 271

منهم وفي قلبي منك شيء، وأعياني ذلك فمارأيك في العمل؟ قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال

عمر: وما تريد إلا ذلك؟ قال ابن عباس: رأيدته فإن يك شيئا أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت

بريئا من مثله علمت أني لست من أهله فقبلت عملك هنالك، فإني قلمارأيك طلبت شيئا إلا عاجلته.

فقال عمر: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو (يعني موته) وأنت في عملك، فتقول هلم إلبنا ولا هلم إليكم دون غيركم. إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم!

قال ابن عباس: والله قدرأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك؟ قال عمر: والله ما أوري أخلى بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم، أو خشى أن تبايعوا بمقرلتكم منه!...

ولا بد من عتاب وقد فوغت لك من ذلك فمارأيك؟

قال ابن عباس: رى أن لا أعمل لك. قال ولم لا؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها، لم أوح قذى في عينك. قال: فأشر علي. قلت: إني رى أن تستعمل صحيحا منك صحيحا لك.

فأنت ترى أنه من فوط حب عمر لمصلحة المسلمين، ومن فوط كواهيته أن يجمع الهاشميون النوبة مع الخلافة، يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن أحدا لن يدعو لبني هاشم، وبالتالي أنهم لن يحكموا أمة محمد!!! راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة 90 وما فوق.

27 - البطون لم تكن غافلة عن غاياتها أثناء حياة النبي

جاء في سنن الدرمي مجلد 1 صفحة 125 باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وفي سنن أبي داود - باب كتابة العلم مجلد 2 صفحة 126 ، وفي مسند أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216 ، وفي مستدرک الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106 ، وابن

الصفحة 272

عبد البر في جامع بيان العلم وفضله مجلد 1 صفحة 85 قول عبد الله بن عمرو بن العاص:

كنت أكتب كل شئ سمعته من رسول الله فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شئ سمعته من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكوت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب، فالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق).

فمن هي قريش التي تنهى عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث رسول الله!؟

فقريش تتألف من 25 بطنا كما ذكر المسعودي في مروجہ مجلد 2 صفحة 291 فهل يعقل أن أواد البطون القويشية ال 25 هم الذين نهوا عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث الرسول؟

إن الذين نهوا عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث رسول الله هم قادة البطون الذين آمنوا بقسمة (النوبة لبني هاشم والخلافة للبطون) وهم أنفسهم الذين منعوا رواية وكتابة أحاديث رسول الله بعد موته، ولم يكتفوا بذلك، إنما حرقوا ما كان مكتوباً من تلك الأحاديث عندما تولوا قيادة الأمة، وذلك بحجة ظاهرية مفادها أن الرسول بشر، مفطور على التكلم بالغضب والرضا، ويريد قادة البطون أن يرضوا كلام الرسول تحت مجهولهم الخاص، فما قدروا أنه مقبول فلا بأس من كتابته، وما قدروا أنه

غير مقبول، فلا يجوز أن يكتب! وهم أنفسهم الحكام على تقييم صحة وعدم صحة ما يقوله الرسول!!؟

28 - التشكيك بشخصية الرسول وقوله

ذكر البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات - باب قول النبي من آذيته، ومسلم في صحيحه كتاب - البر والصلة - باب من لعنه النبي وليس له أهلا، ما يلي وبالخرف (إن رسول الله كان يغضب فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن يجعلها لمن برت منه إليه زكاة وطهرا)!!

الصفحة 273

بهذه البساطة يحاول قادة البطون ومن شايعهم أن يجروا رسول الله من أعظم صفاته وهي الخلق العظيم، تلك الصفة الثابتة بآيات محكمات، وبنفس الوقت يحاول قادة البطون أن يجروا رسول الله من أعظم لولم رسالته، وهو أنه رسول الله لا يتقول، ولا ينطق عن الهوى!!
فأي إنسان عادي يترفع عن سب وشتم وإيذاء الناس بدون حق، فكيف بنبي!!
!

29 - ما هو القصد من هذه الإشاعة؟

الثابت أن رسول الله لعن مروان بن الحكم بن العاص، ولعن ما في صلبه، لمعصيتهم لله ورسوله، ومروان هذا وما في صلبه هم الذين قالوا بولة الإسلام ردحا طويلا من الزمن لأنهم غلبوا!
كيف يتقبل المسلم العادي أن يكون إمامه ملعونا من نبيه؟ وأن يسمع ويطيع لملعون؟ لذلك حملوا مسؤولية اللعن لرسول الله وأنه قد ارتكب بذلك معصية! فقد سب ولعن وآذى مروان بن الحكم وأبا سفيان ومعاوية وهم لا يستحقون ذلك!!!!
لذلك كفر النبي عن ذنبه وألحق هؤلاء الأوار بدعوة خاصة، ليجعل الله لعنه لهم وسبه إياهم زكاة وطهرا لهم، وخيل للسذج أن الله قد استجاب هذه الدعوة، فركى الله مروان ونوخته وطوهم، وزكى أبا سفيان ومعاوية ونوختهما وطوهم!
والثابت أيضا أن النبي قد لعن من تخلف عن بعث أسامة، وأبو بكر وعمر تخلفا!

30 - امتياز

وهكذا وبقوة قادر انقلب الذين لعنهم رسول الله بمعصيتهم إلى أناس موكين مطهين، ورفعوا فوق متولة أهل البيت الكرام، فأهل البيت أذهب الله عنهم الرجس وطوهم تطهرا، بينما مروان ونوخته وأبا سفيان ومعاوية ونوختهما زكاهم الله وطوهم تطهرا، فامتازوا بالتركية فوق الطهر!!!

الصفحة 274

31 - وحتى لا يكون في صدر العامة حرج

فقد روى البخاري في كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده وكتاب الطب - باب هل يستخرج السحر، وباب السحر وكتاب الأدب - باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات - باب تكرير الدعاء، وروى مسلم في صحيحه باب السحر ما يلي وبالعرف (إن بعض اليهود سحرُوا رسول الله حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله)!!!

وروى البخاري في صحيحه - باب قول الله (وصل عليهم) وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى ونكاحه، وروى مسلم في صحيحه - كتاب فضائل القرآن الكريم - باب الأمر بتعهد القرآن عن عائشة، ما يلي وبالعرف (إن النبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد فقال: رحمه الله أذكرني كذا وكذا، آية أسقطتها من سورة كذا)!!

وروى البخاري في صحيحه - كتاب الذبائح - باب ما ذبح على النصب والأصنام مجلد 3 صفحة 207، وأحمد في مسنده مجلد 2 صفحة 69 و 86 ما يلي وبالعرف (إن رسول الله قبل أن يقول عليه الوحي قدم إلى زيد بن عمرو بن نفيل - ابن عم عمر بن الخطاب - سفة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد للنبي: أنا لا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه.

وروى مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب وجوب امتثال ما قاله شوعا، دون ما ذكره من معاش الناس، وروى ابن ماجة في باب تلقيح النخل ما يلي وبالعرف (أن رسول الله مر بقوم يلقحون النخل فقال: لو لم تلقوها لصلح، فتركوا تلقيحها فخرج سيصا، فقال: أنتم أعلم بشؤون دنياكم!!

لاحظ منهجية صحيح مسلم في إخراج هذا الحديث إذ ذكره تحت عنوان (وجوب امتثال ما قاله الرسول شوعا، دون ما ذكره من معاش الناس) أي ما يتعلق بشؤون الدنيا لا يتوجب الامتثال به!!

الصفحة 275

ف رسول الله كأنه ترك أمر الناس للناس، لأن أحكامه بها ليست صحيحة! كما أشاعوا لذلك أنه خلى على الناس أروهم! وهكذا صوروا الرسول الكريم بمثل هذه الصور المؤذية، وشكروا به وبكل ما قاله، لغاية في نفس يعقوب، وستوى بعد قليل كما رأيت من قبل أنهم تصوروا أن الرسول لا يؤمن حتى على كتابة وصيته!!

من أجل هذا منعوا رواية وكتابة أحاديثه 95 سنة كما أثبتناه، وبعد مضي 95 سنة أباحوا الرواية والكتابة! ولولا أئمة أهل البيت الكرام لاندثرت السنة الطاهرة.

* *

الصفحة 276

الصفحة 277

الفصل الخامس

إقامة النظام البديل وتكون رُكانه

لمحنا أن رجالات بطون قویش كانت تجري استعداداتها بهوء وصمت لإقامة نظام سياسي معدل، يحكم عصر ما بعد

النوبة، ويأخذ بعين الاعتبار مصالح البطون القويشية ووحدتها حول دين الإسلام، وقد استقر رأي قادة هذه البطون على أن تكون النوبة خالصة لبنني هاشم ولآل محمد لا يشركهم فيها أحد من بطون قريش، وأن الخلافة لبطون قريش تتداولها في ما بينها لا يشركها فيها أي واحد من آل محمد، واعتقد قادة هذه البطون أن هذا التقسيم هو الصواب بعينه، والتوفيق بذاته. واستقر قولهم على اعتماد القآن الكريم وحده وبالكيفية التي تتلاءم مع التقاطيع الأساسية للنظام البديل المعدل، وبالفهم الذي راه الحاكم الغالب ومساعدوه، على اعتبار أن هذا الحاكم الغالب هو الخليفة الفعلي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو ومساعدوه أرى بمصلحة المسلمين!

1 - في الحجة المقدسة

كانت أول خطوة علنية وفعلية قام بها قادة البطون للإعلان عن نواياهم وإقامة النظام البديل، في الحجة المقدسة. ويبدو أن عمر (رضي الله عنه) ومن معه قد استعدوا استعدادا كاملا لهذا المقام، وأنهم ذهبوا جميعا لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما دخل عمر ومن معه

الصفحة 278

الحجة المقدسة، وجوها غاصة بعواد النبي الذين هوعوا لزيارته في مرضه، فأراد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يغتتم هذه الفرصة وأن يلخص الموقف نهائيا لأمته، لتتمكن من مواجهة عصر ما بعد النوبة.

2 - رسول الله يتكلم ويشوع بتلخيص الموقف

عيون من في الحجة المبركة شاخصة نحو النبي، الأذان صاغية، وتكلم النبي بصوت مسوع فقال من حوله (هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده). راجع صحيح البخاري مجلد 7 صفحة 9 ، وصحيح مسلم مجلد 5 صفحة 75 ، ومجلد 11 صفحة

95

بشوح النووي.

وفي رواية ثانية أنه قال (إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) راجع صحيح البخاري مجلد 4 صفحة 31، وصحيح مسلم مجلد 2 صفحة 16، ومجلد 11 صفحة 89 - 94 بشوح النووي.

وفي رواية ثالثة أن رسول الله قال (إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لم تضلوا بعده).

راجع صحيح البخاري مجلد 1 صفحة 37

وفي رواية رابعة أنه (صلى الله عليه وسلم) قال (إئتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) صحيح البخاري مجلد 5

صفحة 137 ، وتاريخ الطوي مجلد 1 صفحة 192 - 193

وفي رواية خامسة أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (إئتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا).

راجع صحيح البخاري مجلد 4 صفحة 65 - 66

3 - ما قاله الرسول

الرسول قال جملة واحدة لا ثاني لها، وهي أنه يريد أن يكتب للأمة كتابا لن تضل بعده أبدا، ما هو الخطأ في هذه

الجملة!!!؟

الصفحة 279

بطون قريش تعترض

ما أن سمع عمر بن الخطاب جملة رسول الله هذه، حتى وقف محتجا: لا حاجة لنا بهذا الكتاب، (حسبنا كتاب الله) إن النبي قد غلب عليه الوجع، حسب الرواية الأولى والثالثة والسادسة، وحسب الرواية الثانية فقالوا: هجر رسول الله، وحسب الرواية الرابعة فقالوا: ما شأنه أهرج؟ استفهموه! وحسب الرواية الخامسة فقالوا: ما له أهرج؟ استفهموه.

من الذي قال إن النبي قد هجر - حاشا له -

لا أحد في الدنيا كلها يجروا على مواجهة رسول الله بهذه الكلمة غير عمر، ولكن إشفاقا من الرواة لم يسنوا هذا القول لعمر، ومع هذا فقد ذكر صاحب تذكرة الخواص السبط بن الجوزي في صفحة 64 من تذكروته، وأبو حامد الغوالي في صفحة 21 من كتابه سر العالمين، أن عمر بن الخطاب هو وحده الذي قال: إن النبي يهجر.

4 - وانقسمت الأمة إلى فريقيين

بسبب جملة واحدة قالها رسول الله في بيته، قسم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الحاضرين إلى قسمين: القسم الأول وهم حزبه الذين جاؤا معه، وهم يعرضون بشدة أن يتكلم الرسول، أو أن يسمح له بكتابة أي شيء إطلاقا، وحجتهم أن المرض قد اشتد به أو غلبه الوجع أو أنه يهجر - حاشا له -

وهذا الحزب متضامن بالكامل مع عمر بن الخطاب، ويعوف ما يريد تماما، ويبدو أن بينهم وبين عمر (رضي الله عنه) اتفاقا مسبقا، لأن كلمة عمر إن المرض قد اشتد بالرسول أو غلبه الوجع، أو أنه يهجر، أو (حسبنا كتاب الله) لا تكفي وحدها لخلق قناعة فورية للدخول بمواجهة علنية مع النبي، والأقرب إلى المنطق والعقل أن هنالك إعدادا مسبقا ومحكما لهذه المواجهة، بدليل قولهم: القول ما قال عمر.

الصفحة 280

القسم الثاني: وهم بقية الحاضرين في الحجرة المباركة، فقد ذهبوا من موقف عمر ومن معه، ومن إصراهم على الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد!! خاصة وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل خطأ، وأنه يتكلم في بيته لا في بيت عمر، وأنه مازال رسول الله ونبيه، الذي لا ينطق عن الهوى! ثم إنه مازال رئيسا للدولة، ثم إنه على الأقل مسلم ومن حقه أن يقول ما

5 - تتلوع الفويقين

تتلوع الفويقان، الفويق الأول بقيادة عمر بن الخطاب، والفويق الثاني لا قائد له لأنه تصوف بعفوية تامة، وبدون إعداد مسبق أما فويق عمر فقد كان يعرف ما يريد ويمضي قدما لتحقيق كل ما يريد. وما يعيننا أن الفويقين قد تتلوعوا وأكثروا اللغو والاختلاف واللغط والترديد، فعمر (رضي الله عنه) وحزبه هدفهم الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد، لأن القوان وحده يكفي ولا حاجة لكتاب النبي ولا لوصيته، حيث إن الوجد قد غلبه، أو اشتد به المرض، أو بتعبوهم الأصلي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هجر أو يهجر - حاشا له -.

أما الفويق الآخر فلم يستطع فهم ما يجري من جانب عمر وحزبه، لأن رسول الله لا ينطق عن الهوى، وهو مازال نبيهم ورسولهم ووليهم، ولا يملك لا عمر ولا غيره أن يتأمر على المسلمين والرسول موجود، ولا أن يدعي أنه أعلم بالإسلام وبمصلحة المسلمين من الرسول نفسه!

من هنا تعمقت حدة المنزعة والاختلاف، وتعذر على النبي أن يكتب كتابه الذي أراد!!

6 - النبي يحسم المنزعة

صدم خاطر النبي الشريف من موقف عمر ومن معه، ومن قولهم أن النبي هجر أو يهجر، ومن تفويقه بين الله وكتابه من جهة وبين رسوله من جهة أخرى، ومن قولهم إن كتاب الله يكفي ولا حاجة لكتاب رسول الله، حتى لو كان تأمينا ضد الضلالة

كما

الصفحة 281

وصفه النبي، وأترك أنه لم يعد ما يبرر كتابة هذا الكتاب في هذا المناخ، واكتفى بالنصوص السابقة. وكما أثرت كلمة من كلامه حفيظة عمر وحزبه، فإن جملة كريمة أخرى منه حسمت الموقف فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) (قوموا عني) حسب الرواية الأولى، أو قال حسب الرواية الثانية: (دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه) وحسب الرواية الثالثة أنه قال (قوموا عني ولا ينبغي عندي التلوع) وحسب الرواية الرابعة أنه قال (دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه) وحسب الرواية الخامسة قال (نروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه) وحسب الرواية السادسة أنه قال (قوموا عني) فانتهت المنزعة، لأن فويق عمر حقق ما أراد، وحال بين الرسول وبين كتابة الكتاب الذي أراد، وما تسبوا بحالة اللغط والتلوع إلا لتحقيق ذلك.

أما الفويق الآخر فقد امتثل لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!!

7 - موقفان متخلفان

وأبو بكر على فؤاد الموت، وقد اشتد به الوجع وغلبه، حتى أنه قال لعثمان بن عفان: أكتب، ثم أغمي عليه من شدة الوجع، ومع هذا كتب في هذه الظروف ما أراد، كما يجمع الرواة بل وتجمع الأمة على ذلك!
وعمر (رضي الله عنه) لا يكف عن القول: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، إنه يقول إني لم ألكم نصحا.
كما ذكر الطوي في تزيخه ط. أوربا صفحة 2138

فلم يقل (رضي الله عنه): إن أبا بكر قد اشتد به الوجع أو أنه هجر، ولم يقل ساعتها: حسبنا كتاب الله!!!
لو قلنا موقف عمر هذا من أبي بكر، وموقفه السابق من رسول الله، لها لنا ذلك!
ولما وجدنا تفسيرا مقولا للتوفيق بين هذين الموقفين المختلفين!!!

الصفحة 282

8 - حجر الأساس لنظام عصر ما بعد النبوة

صوح عمر بقناعاته أمام النبي نفسه وأمام كبار الصحابة الذين حضروا، فقال لمن حضر وعلى مسمع من النبي: (حسبنا كتاب الله) ودخل بمواجهة حقيقية مع النبي!
وقال على مسمع من النبي: إنه يهجر أو هجر - حاشا له - ورأى أنه لا ضرورة لأن يكتب النبي كتابه، وأنصله ضجوا من بعده: القول ما قال عمر، وأيقنوا أن عمر سيقودهم إلى النصر، وزادت ثقة عمر بنفسه بعد أن نجح بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد، وأصر على القيام بدور المؤسس لعصر ما بعد النبوة، وبدور المنظر لتعديل النظام الإلهي!!!
وكانت هذه المواجهة هي حجر الأساس الذي وضعه عمر للنظام الذي سيحكم عصر ما بعد النبوة!

9 - لكي نفهم عصر ما بعد النبوة

نتيجة المواجهة التي جرت أمام النبي وفي حضرته:

- 1 - خرج النبي عمليا من دائرة التأثير على الأحداث، فقد كانت المواجهة غير متوقعة بهذه الصورة، حسب المولزين الإيمانية.
- 2 - تلقت الشوعية ضربة ماحقة قصمت ظهرها، فقد أصبح النبي الكريم شيئا، والقآن شيئا آخر، فصار بالإمكان مخالفة النبي الموجود، والإعتصام بشعار (حسبنا كتاب الله) أو بتعبير أدق: حصر الدين بالقآن الكريم وحده، وكما يفهم ذلك المتغلب الذي يقود الأحداث!
- 3 - وضع حجر الأساس عمليا لعصر ما بعد النبوة الذي سيحكمه شعار (حسبنا كتاب الله) فبعد وفاة النبي جمع أبو بكر الناس وقال لهم: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا شيئا عن رسول الله، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله! راجع تذكرة الحفاظ للذهبي بتجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 3

الصفحة 283

وزيادة بالاحتياط فقد أمر أبو بكر بحرق 500 حديث كان قد جمعها أصحابها!

راجع مجلد 5 صفحة 233 من كنز العمال.

كذلك فإن عمر بن الخطاب ناشد الناس أن يأقوه بأحاديث رسول الله المكتوبة، فلما أئوه بها أمر بحرقها! كما ذكر ابن سعد في طبقاته مجلد 5 صفحة 140 بتؤجمة محمد بن أبي بكر.

ويمكنك القول كما أثبتنا، أن السلطة منعت كتابة ورواية أحاديث رسول الله وسنته مدة 95 سنة، واستمر المنع حتى جاء عمر بن عبد العزيز فحاول جهده أن يرفع الحظر عن كتابة ورواية سنة الرسول.

ثم إنك بعد ذلك لن تعجب إذا وجدت معاوية بن أبي سفيان الذي حارب وأباه الإسلام 21 عاما بكل وسائل الحرب يرفع هذا الشعار بمواجهة علي بن أبي طالب، الذي حارب وأهله من أجل الإسلام 23 عاما! فهذا هو معاوية ورهطه يقولون لعلي: بيننا وبينكم كتاب الله!!!

4 - بروز فؤة التغلب، واعتبها سببا للوجهة والمؤسسية، فمن الذي خول عمر (رضي الله عنه) أن يوجه، وأن ينظر، والرسول نفسه موجود!!

ومن الذي قال له إن رأيه هو خير من حكم رسول الله!! أو أنه أعلم بمستقبل هذه الأمة من رسول الله!! أو أنه أفهم بمصلحة الإسلام من رسول الله!!

والأهم من ذلك، فمن الذي أقامه قيما على رسول الله، ليقول أن هذا التصرف من رسول الله مناسب، وذلك غير مناسب!! ومن الذي أعطاه الصلاحية ليتولى أمر القيام بدور المؤسس لعصر ما بعد النبوة!! إن الميرر لكل ذلك هو فؤة التغلب، فالغالب غالب حتى ولو كان عمر!! والمغلوب مغلوب حتى ولو كان النبي نفسه!! أو كانت الشرعية بذاتها!!

وجاء العلماء في ما بعد فأقروا بالغبلة سببا لشرعية الحكم والعرجية، راجع الأحكام السلطانية (للؤا)، والأحكام السلطانية للملوردي تجد صحة هذا السبب عندهم، ثم تصفح وقائع التريخ تجد أن فؤة الغلبه هي التي سادت وقادت التريخ السياسي الإسلامي!!

الصفحة 284

هل تتصور أن هنالك آية في القوان تبيح ذلك!!؟ أو أن هنالك حديثا أو سنة عن الرسول تبيح ذلك؟ لا والله لقد أصبح ذلك مباحا بالاستناد إلى قول عبد الله بن عمر بن الخطاب يوم الحرة (نحن مع من غلب).

5 - تقدم التابع على المتوع وتأمير المفضول على الأفضل، فعمر (رضي الله عنه) تابع بكل الموزين، ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) متوع بكل الموزين، وعمر هو المفضول بكل الموزين، والنبي هو الأفضل بكل الموزين، ومع هذا نفذ قول عمر ورأيه، وتعطل حكم النبي، وخرجت الشوعية عن داؤة الحكم من اللحظة التي حيل فيها بين الرسول وبين كتابة ما أراد. ومن هنا وضعت قاعدة: أن بإمكان العالم أن يتكلم، وعلى الأعلم أن يسكت، ونشأت في ما بعد قاعدة: جواز حكم المفضول

مع وجود الأفضل إن كانت هنالك مصلحة في ذلك، والذي يقدر هذه المصلحة عمليا هو الغالب!

ولا خلاف بين أهل السنة بالنتيجة حول هذا الموضوع، فمعلومية مفضول وابنه مفضول، ومروان بن الحكم مفضول وأولاده مفضولون، ولكن قدموا لمصلحة وهي وحدة الأمة تحت ظلال حكم الغالب المفضول، بمعنى أن الواقع قاد الشرعية ووجهها ورشدها! والأصل أن تفقد الشرعية الواقع وتوجهه وتوشده.

وقد حللنا في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام من صفحة 271 وما فوق بما أمكن من التفصيل ما جرى بين النبي وبين عمر (رضي الله عنه) في حجة النبي المبركة، والنتائج المذهلة التي توتبت على ما جرى.

10 - عمر يعود للحجوة المقدسة ولكن بعد وفاة النبي

توفي رسول الله منتصف نهار يوم الاثنين، وكان أبو بكر غائبا بمنطقة السنج، وكان عمر حاضرا واقب بعين ثاقبة، ورتب لعصر ما بعد النوبة. فجاء (رضي الله عنه) ليعرف حالة رسول الله، واستأذن ودخل الحجوة المقدسة التي شهدت مواجهته للنبي قبل يوم أو بعض يوم، فكشف الثوب عن وجه رسول الله، وتصور أن النبي في حالة غشوة،

الصفحة 285

فقال له المغيرة بن شعبه الذي جاء معه إن النبي قد مات.

11 - اجتماع عمر وأبو بكر رضي الله عنهما

خرج عمر وأخذ يقول: إن رجالا زعمون أن رسول الله قد مات، إن رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى! ومن قال إن رسول الله قد مات علوت رأسه بسيفي!! راجع تزيخ الطوي ط أوربا 1818 ، فما زال عمر يتكلم حتى أريد شذقه، راجع أنساب الأشراف مجلد 1 صفحة 567، والطبقات لابن سعد، وكنز العمال مجلد 2 صفحة 53 وجاء أبو بكر وعمر على هذه الحالة وتلا قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل....) فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال أبو بكر: نعم، فسكت عمر! الطبقات لابن سعد، والطوي مجلد 1 صفحة 1817 - 1818، وابن كثير مجلد 5 صفحة 242

وكان ابن أم مكتوم قد قرأ هذه الآية على عمر قبل مجئ أبي بكر، إلا أن عمر لم يتغير ولم يتوقف، فلما جاء أبو بكر وتلا نفس الآية سكت عمر وسكن، وتحول من حالة إلى حالة، وكأن لم يكن به شيء!

لقد اجتمع الاثنان معا، وتأكدا من أن رسول الله قد مات، وبدءا يخططان معا لمواجهة عصر ما بعد النوبة، وإقامة أركان النظام المعدل، الذي سيحكم ذلك العصر، وتصوروا معا أن العناية الإلهية قد قدرت لهما أن يسدا الفواغ الذي أحدثه موت النبي، وأن ينقذا أمة محمد من مصير مجهول تماما.

12 - القوى السياسية المتواجدة في عاصمة النبي عند موته

كانت عاصمة النبي شبكة متداخلة من القوى السياسية.

1 - القوة السياسية الأولى: وهم أهل بيت محمد خاصة، وبني هاشم عامة، وعميد هذه القوة هو علي بن أبي طالب، المعروف بأنه ولي المؤمنين، ووصي النبي،

الصفحة 286

والخليفة من بعده، وقد اشتهر بعلمه الذي لا يجلى، وفروسيته التي لا تبرى، وبمقولة من النبي مقولة تتقاصر دونها المنزل، حتى أقر العدو والصدیق أن مقولته من النبي كمرقولة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيا. ويليه بالشرف ابنه الحسن والحسين، فهما ابنا رسول الله بالنص، وهما إمامان بالنص أيضا. ثم تتوالى نواير الشوف الهاشمي.

2 - المهاجرون: وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة، وتطلق على أبناء بطون قريش ومن والاهم. والهاشميون من المهاجرين ولكن البطون تتخذ موقفا موحدًا من بني هاشم، وتنتظر للهاشميين نظرة غير مويحة، لأنها مشوبة بروائح التزيخ والقبلية والعواطف الإنسانية المتناقضة.

فالبطون قد أجمعت على محاصرة بني هاشم وفشلت.
والبطون قد أجمعت على قتل النبي وفشلت.

والبطون أعلنت حربها على النبي وقاومت دعوته وفشلت.

والبطون شنت حربا مسلحة على النبي وبني هاشم وفشلت. ثم سلمت واستسلمت لأنه لا بديل عن الإسلام، ولكنها بطبائعها البشوية لن تنسى الأحبة الذين قتلهم الهاشميون خاصة عميدهم علي بن أبي طالب. وهي لم تقبل مختلة أن يكون النبي من بني هاشم.

وهي لا توتاح إطلاقا للمكانة التي أعطها الإسلام لبني هاشم عامة ولأهل البيت خاصة، ولا تطيب نفسا بمكانة علي الدينية.

عمادة البطون القريشية: يبدو واضحا أن بطون قريش لا تقبل أن يكون عميدها بعد النبي من بني هاشم، ويبدو واضحا أن بطون قريش بالإجماع تكوه كراهية مطلقة أن يجمع الهاشميون مع النوبة الملك، ولا خلاف بينها على هذا المبدأ، إلا قلة من البطون قد شنوا عن هذا الإجماع. ولسوء الحظ أن عمر بن الخطاب وى أن هذه الكراهية هي عين الصواب وعين التوفيق.

الصفحة 287

ولسوء الحظ أيضا أن أبا بكر يتعاطف مع مصالح البطون، ويريد إنصافها، ويريد لها أن تجتمع حول الإسلام ولا تتفوق. وأبو بكر رجل وديع يكره المواجهة، ورجل كبير بالسن، والعرب تحترم كبر السن، لذلك فإن عمادة البطون عمليا كانت لعمر، وفخريا كانت لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

ومما لا شك فيه أن البطون القريشية مجتمعة كانت أقوى القوى السياسية في عاصمة النبي.

3 - الأنصار: وهما الأوس والخزرج والبطون المؤلفة لهذين الرهطين، وقد طبعا على التنافس في ما بينهم، فلم يقبل أحد

منهمارئاسة الآخر، وقد لطف الإسلام حدة التنافس وساعد على تصفية النفوس، لكنه لم يقتلع الزعات الخفية للقناعات القبلية، وأكثريتهم تحب من أحب الله ورسوله، وتتعاطف مع الإمام علي.

4 - أبو سفيان وبنو أمية: صحيح أن بني عبد شمس من البطون ولكن موقع أبي سفيان القيادي ومكانته في الجاهلية يأنفان به عن القبول بالتبعية لبني تيم قوم أبي بكر أو بني عدي قوم عمر، فهو مؤمن ومقتنع أن هذين البطنين خلقا ليقادا لا ليقودا. وقد حاول أبو سفيان أن يتحالف مع علي ضد أبي بكر تحت شعار بني عبد مناف، ولكن عثمان كان في صف أبي بكر، فضلا عن ذلك، فإن أبا بكر وعمر قد استرضياه وتركوا له ما بيده من الصدقات، وأمر ابنه على جيش الشام، فانضم إلى تحالف البطون وتوطد أمر معاوية بعد موت أخيه، وآلت لمعاويةز عامة بطون قريش المتحالفة.

5 - المنافقون: الذين آمنوا بألسنتهم وكفوت قلوبهم وهم قطاع كبير من أبناء المجتمع اليثربي، معروفون، وآخرون غير معروفين، غالوا النبي فغلبهم، وخادعوا الله فخدعهم، ومكروا وأحاط الله بمكروهم، وكشفهم وعواهم، وبين الوسائل التي تمزهم - ومنها كراهيتهم للنبي، وبغضهم لعلي - وقد هلك



المنافقون لوفاة النبي، وتصوروا أن الإسلام سيتهدم وأن القوى السياسية الإسلامية ستتصلع فاندسوا بين الصفوف، يؤيدون كل خلع على الشوعية، ويوسعون كل شق، وييلكون كل خلاف ويغنونه، ولكنهم أقل وأذل من يقولوا حركة المجتمع. ولكن انقطاع الوحي وغياب الرسول أعطاهم الحرية، خاصة وأن هدف القوى السياسية صار جذب الأعوان وتكثير الأنصار، فدخلوا في حزب الغالب، وكان له نور مهم في توجيه الأحداث!

13 - الصدفة الغريبة

بطون قريش بالإجماع كرهت أن تجمع لبني هاشم النبوة والملك ورأت في ذلك إجحافا بحق البطون، لذلك عملت لأن يختص الهاشميون بالنبوة لا يشركهم فيها أحد، وأن تختص البطون بالملك لا يشركها فيها هاشمي، واعتقد رجالا البطون البارزين أن من مصلحة الإسلام أن تتحد بطون قريش حوله، وأن الحكمة ومصلحة الإسلام تقتضي لرضاء البطون وإغضاب بني هاشم، فذلك أفضل وأخف ضررا من لرضاء أهل البيت إغضاب البطون! وبالصدفة أيضا فإن المنافقين كرهوا محمدا وعاوه طوال حكمه وكفروا برسالته وأنكرت قلوبهم نبوته، وهم بالضرورة يكرهون آل محمد، ويكرهون من يحب محمدا، ويحقنون على النبي وآله. ولكن المنافقين لا يطمعون بالحكم بل يطمعون بالمشركة، ومشركتهم لآل محمد غير وردة، ولكن مشركتهم للبطون ممكنة، وبالتالي فإن استطاع أن يتحالفوا حتى مع الشيطان في سبيل إبعاد آل محمد عن الحكم فلن يتوانوا. لذلك فإنهم أيوا البطون بعد أن رصوا حركة المجتمع وطبيعة القوى السياسية المتنافسة.

ورضيت البطون بما فعل المنافقون، وهذا هو السر باختفاء كلمة النفاق والمنافقين

بعد موت النبي، حتى يخيل للإنسان لأول وهلة أن مشكلة النفاق الكوي قد حسمت نهائيا، وأن الخلفاء قد نجحوا في ما عجز عنه النبي نفسه، وأن المنافقين عن بكوة أبيهم كانوا ينتظرون موت النبي ليؤمنوا!!! فلما مات استقاموا عن بكوة أبيهم!!!

14 - القوتان الرئيسيتان لم تنطلقا معا

القوتان السياسيتان المتنافستان: بطون قريش، وأهل البيت النبوي، لم تنطلقا معا ولم تخطبا ود الأنصار معا. كان قادة البطون ومن والاهم يتحركون معا بحرية تامة، يتشاورون ويخططون، ويتقلون، ويقودون الواقع ويطورونه لصالح خطتهم في كل لحظة، في الوقت الذي كان آل محمد غرقين في مصابهم الجلل، متعلقين حول الجثمان الطاهر، مشغولين بتجهزه لموراته في ضواحه الأقدس، لم يغادروا بيت النبي، وليس بإمكانهم أن يغادروه، فهل من الممكن عقلا أن يتكفروا النبي جنزة ودون تجهيز، ويخرجوا لينزلوا الناس سلطانه!!!

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، ولو من باب جبر الخواطر لأهل الفقيد، فمن غير الممكن عقلا ودينا أن تقطع البطون هذا

الأمر في ما بينها في غياب آل محمد، فعلى الأقل لهم حق المشورة، حتى ولو كانوا من الموالي، هذا على افتراض تجاهل النصوص الشرعية التي رتبت أدق التفاصيل لعصر ما بعد النبوة، وبينت أن الهدى لا يبرك إلا بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وعترة النبي أهل بيته، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترة النبي أهل بيته، فكيف يمكن للبطون أن تهتدي أو تتجنب الضلالة بغياب عترة النبي وأهل بيته؟!

ومن جهة ثالثة، إن المنظومة الحقوقية الإلهية قد بينت علنا وأمام جمع يزيد على مائة ألف مسلم من هو الولي من بعد النبي، وبينت هارون موسى وهارون محمد، بل وبينت بالنص المحكم أن عليا وحسنا وحسينا كنفس النبي تماما. ومن جهة رابعة، فإن البطون التي صدمت قيادتها خاطر النبي الشريف، وهو على فاش الموض قبل الموت فقالت بمواجهته: هجر رسول الله أو يهجر - حاشا له -

الصفحة 290

مع أنه لا ينطق عن الهوى، وقالت: (حسبنا كتاب الله) مع أنه الأعم بكتاب الله، وتسببت بالنتزع واللغط والاختلاف، مع أن الوفاق وغيض الصوت والوقار والسكينة في حضرة المبركة واجب شعوي، فمن غير الممكن عقلا ودينا أن تصدم هذه البطون خراطر أهل بيت النبوة، وحببيهم وفقيدهم لم يدفن بعد، إن فطوة العرب تأبى أن تجمع بين هاتين الصدمتين!! وأن توجه لذات المضروب هاتين الضوبتين معا!! هذا هو تقدير أهل بيت النبوة للموقف آنذاك. ثم من المؤهل إلهيا ليخلف النبي غير عميد أهل البيت؟! وكيف يطبق الشوعية من لا يعرف أسرارها من مصاروها!!!

15 - الملك العقيم واللحظة الحاسمة

ماذا تعني الشوعية بمواجهة طلب الملك!! وماذا يعني مصاب أهل البيت الكوام أمام إصوار البطون على تعديل الترتيبات الإلهية، وتقسيمها بصيغة جديدة تحقق العدل للبطون وللهاشميين معا، فتأخذ البطون الخلافة وحدها، كما أخذ الهاشميون النبوة وحدهم!!!

إنها لحظة واحدة إذا اغتمتها البطون فقد حققت النصر الساحق على آل محمد، وأقامت صوح العدالة! وهي لحظة انشغال أهل البيت بتجهيز النبي وموراته في ضواحه الأقدس، فإذا استطاعت قيادة البطون أن ترتب أوراقها قبل انتهاء آل محمد من تجهيز النبي، عندئذ تواجه البطون آل محمد بقوة الواقع، وبوحدة الأمة، وتصور الآل الكوام بصورة الخرج عن الصف والمفوق لوحدة الأمة وجماعتها!!

أما إذا انتهى الآل الكوام من تجهيز النبي ودفنه قبل أن ترتب قريش أوراقها، فقد بطل التدبير وأحيط بقويش! فمن له حجة كحجة أهل البيت؟ ومن له منطق كمنطق أهل البيت؟ ومن له شوف كشوف أهل البيت؟ ومن له فخر كفخر أهل البيت؟ ومن تدعمه المنظومة الشوعية الإلهية كما تدعم أهل البيت؟ إن الدقائق والثواني من ذهب خالص! إنها خرج وحدة الزمن!!!

16 - عين عمر بن الخطاب التي لم تنم

عمر بن الخطاب يعرف هذا حق المعرفة، ويعرف أهمية هذه اللحظات، وهو متيقن من صواب تعديل الترتيبات الإلهية (فاختلرت قريش لنفسها فأصابته ووفقت) على حد قوله، لذلك لم تنم عينه وركب الهول، وواجه أحب الخلق إلى الله في سبيل هذا الصواب والتوفيق، وهو ماض قدما كالإعصار، يصنع الحدث، ويحركه، ويوجهه، بكفاءة عالية. وإذا كانت النفوس كبيرا * تعبت في مرادها الأجسام

17 - الأهداف العليا المراد تحقيقها

الهدف الأول: من الواضح أن هدف البطون ينصب بالدرجة الأولى والأخوة على منع آل محمد من أن يجمعوا النبوة والملك، حتى لا يجحفوا على قومهم بجحا بجحا، على حد تعبير عمر (رضي الله عنه).
الهدف الثاني: وفي سبيل تحقيق الهدف الأول يتوجب تنصيب خليفة في غياب آل محمد، ومواجهة الآل الكوام بأمر واقع، وبوضع مستقر، فإذا فرض الآل الكوام هذا الأمر الواقع، عندئذ يصطدمون بكل المستفيدين من واقعة تنصيب الخلافة، ومن جهة ثانية يكونون بمواجهة سلطة دولة فعلية، ولا طاقة للآل الكوام على المواجهة في هذه الحالة.
الهدف الثالث: يجب استقطاب الأنصار حول الفكرة وإن أمكن تنصيب الخليفة بمنطقة الأنصار، وبعد التنصيب يخرج الخليفة الجديد محاطا بمؤيديه، ويتوجهون إلى آل محمد ليتأكد الآل الكوام هو أن الأمة هي نفسها التي نصبت الخليفة، وهي بنفسها التي تحيط به وتؤيده، وليس أمام الآل الكوام من سبيل غير تأييد هذا الذي اختلته الأمة، فإذا أيد الآل الكوام من نصيبته الأمة فقد أفلحوا ورزقوا العافية، وإن عرّضوا

فإن معارضتهم لا قيمة لها، ولا جنوى عملية منها، ولا تشكل خطرا على سلطة فتية قائمة، لتبطل بوجودها شبكة من المصالح.

وفي حالة استتار معارضة الآل الكوام، فيغدو من واجب السلطة الحاكمة أن تقومهم بالليلين، وأن تودهم إلى طريق الجماعة، فإن استعصى تقويم الآل الكوام، فلا حرج على ولي الأمر الحاكم الفعلي الغالب من أن يسحق الآل الكوام، وأن يحرق عليهم بيوتهم عند الاقتضاء، وتلك رسالة ضمنية لمن تسول له نفسه معارضة الغالب.
هكذا قدرت قيادة البطون الموقف، ورسمت أهدافها على هذا الأساس، وأخذت تتحين الفوص لتوجمة هذه الأهداف.

18 - الفوصة الوحيدة

هي تنصيب خليفة النبي قبل أن يوغ الآل الكوام من تجهيز جثمان النبي وموراته في ضواحه الأقدس، وهكذا يتم

التنصيب في غياب آل الكرام، وتتجنب البطون مواجهة معهم غير مضمونة النتائج، لأن منطلق آل الكرام ليس كمنطق البطون، وحجة آل الكرام ليست كحجة البطون، وهيبتهم ونفوذهم وتلزيخهم ليس كهيبة البطون ونفوذها وتلزيخها، وموقع آل الكرام في المنظومة الحقوقية الإلهية ودعم النصوص لهم، ليس كموقع بطون قريش ودعم النصوص لها. وباختصار شديد إما أن تغتتم البطون هذه الفوصة الوحيدة بالذات فتقيم ملكها، وتزعم أنف خصمها، وإما أن تضيع هذه الفوصة وكل الفوص اللاحقة وإلى الأبد!

فإذا بايعت الجوع علي بن أبي طالب وهو فتى، فسيحكم طويلا، وسوف يأورها بعلمه وعدله ورجولته ومكانته الشرعية، وبعد عمر طويل فسيموت علي ويأتي الحسن بن علي على قدر، وتكون الأوضاع مستوية والحسن إمام بالنص، فهل يقوى ابن عمر أو ابن أبي بكر على منافسة ابن محمد وسيد شباب أهل الجنة؟!!!! وهكذا يذهب المجد من البطون، ويختص آل الكرام بالنبوة والملك معا!!

الصفحة 293

صحيح أن الله تعالى قد أعطى آل إراهيم الملك والنبوة وجمع لهم الملك مع النبوة، وقد أعلن النبي أن آل محمد هم أفضل وأعظم من آل إراهيم، وأن الله تعالى قد جمع لهم الملك والنبوة كما جمعهما لآل إراهيم، ولكن هذا قول محمد، ومحمد يتكلم في الغضب والرضا على حد تعبير البطون، فلا ينبغي أن يحمل كلام محمد كله على محل الجد!!! راجع بربك سنن الدلمي مجلد 1 صفحة 125 - باب من رخص في الكتابة، وسنن أبي داود مجلد 2 صفحة 126 - باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد 2 صفحة 192 و 216 ، ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106 ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد 1 صفحة 85!!!

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن القآن وحده يكفي حسب رأي عمر، ولا داعي لقول النبي، ولا داعي لتوجيهه الشخصي، حتى وإن كان النبي موجودا.

راجع بربك مواجهة عمر للنبي نفسه في الحرة المقدسة، وكيف قال على مسمع النبي: (حسبنا كتاب الله) ولا حاجة لنا بكتاب النبي، وكيف قال وحزبه: إن رسول الله قد هجر أو يهجر - حاشا له - .

وقد وثقنا ذلك بست صيغ من روايات البخاري ومسلم، وهما بعد كتاب الله بالصحة كما ألقى بروح الجوع!!

دعك من ذلك ولوافق البطون في بحثها عن مكان الفوصة، بعد أن أجادت هذه البطون توقيت الفوصة!

19 - إختيار السقيفة مكانا لتنصيب الخليفة

لقد وضعت بطون قريش الخطة كاملة، ولم يبق عليها إلا إختيار مكان تنصيب الخليفة، وإعلان النظام المعدل الجديد، بالوقت المناسب الذي حددته.

الصفحة 294

20 - سعد بن عبادة وعواده

وتبين لقادة البطون أنه في الوقت الذي مات فيه رسول الله، كان سعد بن عبادة سيد الخزرج مريضاً، لا يقوى على الحركة، وهو طريح الفراش، ولا خلاف بين أحد من أتباع الملة على صحة واقعة مرض سعد.

راجع على سبيل المثال تليخ الطوي ط أوربا مجلد 1 صفحة 1843 ومجلد 2 صفحة 146 حوادث 11 هـ، وتليخ ابن الأثير مجلد 2 صفحة 125، والإمامة والسياسة لابن قتيبة مجلد 1 صفحة 5... إلخ.

ولا خلاف بين أحد من أبناء الملة بأن سعد بن عبادة كان سيد قومه، وركن الأنصار الأول، فابن عبادة وابن معاذ هما سيدا الأنصار بلا منزع، ومن الطبيعي جداً أن يتوافد وجهاء الأنصار على سعد لزيارته، والاطمئنان على صحته، ومن الطبيعي أن يطغى نبأ وفاة النبي على الأحاديث الخاصة التي كانت تحوي بين سعد وعواده. وقرب بيت سعد كانت تقع سقيفة بني ساعدة.

21 - الإختيار الموفق

حادثة مرض سعد بن عبادة وتوافد وجهاء الأنصار لزيارته لم تكن خافية على عمر بن الخطاب، فقد أرك عمر بثاقب بصيرته أن النبي ميت في مرضه لا محالة، والنبي نفسه قد أعلن ذلك لأصحابه. من هنا فإن عمر (رضي الله عنه) كان يرصد كل التجمعات بكفاءة عالية، بما فيها التجمعات التي تحوي في بيت النبي نفسه، وكان يحاول أن يوجه هذه التجمعات وأن يسيطر على مجرياتها، ومواجهته للنبي في الحجرة المقدسة وقول عمر (حسبنا كتاب الله) وقوله وحزبه إن رسول الله قد هجر، أكبر دليل على رصده الناجح لكل التجمعات.

فما أن علم بوجود بعض الأنصار في بيت سعد بن عبادة حتى أرك أن هذا تجمع، وأنه يضم مجموعة من وجهاء الأنصار الذين جاؤوا لزيارة سعد بن عبادة، وأن

الصفحة 295

الساحة أمام بيت سعد مناسبة لتتسع لتجمع أكبر، وأن هذا المكان بعيد نسبياً عن بيت النبي حيث يتجمع فيه آل البيت الكرام، وأن هذا المكان هو المكان الأفضل لتنصيب الخليفة وإعلان النظام الجديد المعدل، وهو نقطة مثالية لوف الخليفة الجديد بعد ذلك محاطاً بالجوع المؤيدة له فيمرون من قرب بيت النبي، ويشاهدون الآل الكرام. وعندئذ يتبين للآل الكرام أن الخليفة الجديد واقع، وأن السلطة الجديدة واقع، وأنه لا قوة لهم على مواجهة هذا الواقع، وليس لهم من بديل إذا ما رأوا العافية، غير تأييد هذا الواقع.

ولقد نجح عمر (رضي الله عنه) تماماً ووفق بتقديره للموقف.

22 - عمر يرتب أعوانه

رتب عمر أعوانه بحيث يأتي قسم منهم إلى السقيفة فيبايعون ويشتركون بوف الخليفة الجديد، وقسم آخر منهم يبقى بوق بيت النبي، فإذا أقبل الخليفة الجديد يتحرك هذا القسم ويبايعه أمام الآل الكرام.

يقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو يتذكر لحظات السقيفة: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر!!!
راجع تزيخ الطوي مجلد 2 صفحة 458 و ط أربا مجلد 1 صفحة 1143 ، وفي رواية بن الأثير مجلد 2 صفحة 224
(وجاءت أسلم فبايعت) وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية شوح النهج مجلد 6 صفحة 287 فوي بهم أبو بكر .
كيف يوقن بالنصر لمجرد الرؤية؟ مما يعني أنه واثق ثقة مطلقة من تأييد أسلم!
فلما بويح أبو بكر (رضي الله عنه) أقبلت الجماعة التي بايعته ترفه زفا إلى مسجد رسول الله!!
راجع الموفقيات صفحة 578 ، والرياض النضرة مجلد 1 صفحة 164 ، وتزيخ الخميس مجلد 1 صفحة 188
الصفحة 296

23 - الفويق الثاني من أعوان عمر

عندما وصل الخليفة الجديد إلى مسجد النبي صاح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالناس الجالسين حول المسجد وفيه:
ما لي أراكم حلقا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار، فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا، وقام سعد
بن أبي وقاص ومن معه من بني زهرة فبايعوا.
راجع الإمامة والسياسة مجلد 1 صفحة 19 لابن قتيبة الدينوري.
أنت تلاحظ أنه بمجرد أن قال عمر: قوموا فبايعوا قام كثير منهم، فالمبايعة لم تكن ثرة قول عمر، إنما كانت ثرة تصور
سابق ومعروف ومعد له.
راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة 127 - 129 وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والوجعية السياسية في
الإسلام صفحة 287 وما فوق.

24 - رجال حول عمر (رضي الله عنه)

إن وحدة التصور هي التي وحدت بطون قريش ظاهرة النوة، فقد وقفت كل بطون قريش ضد النوة الهاشمية بلا استثناء،
واشتركت بطون قريش بمقاطعة الهاشميين وحصلهم ثلاث سنين في شعب أبي طالب بلا استثناء، ووقفت كل بطون قريش
بلا استثناء ضد الدعوة 13 عاما، واشتركت بطون قريش بلا استثناء في محاولة قتل النبي، وجيشت بطون قريش جميعا وبلا
استثناء الجيوش، وحلرت النبي 8 سنوات بكل وسائل الحرب!!
ثم أحيط بهذه البطون وحصرت في جزوة من الشوك وسط بحر من الإسلام، فاستسلمت إذ لم يعد أمامها خيار غير
الاستسلام، ثم أسلمت مكروهة بعد أن أغلقت أمامها كل الأبواب ولم يبق إلا باب الإسلام، وبلغ إحساسها بالإحباط والورلة
المدى!

ولأنه يتعذر عليها أن تجمع بين الإسلام وبين الحقد على النبي، وبين الدين الجديد وبين حسدها للذي جاء به، فلذلك فقد

جرت بطون قريش كل مشاوعها السلبية

إلى الهاشميين، واعتبرتهم هم سبب هزيمتها وتدمير صيغتها السياسية الجاهلية، وحملتهم مسؤولية قتل رجالها، فبلغ حسد البطون للهاشميين المدى، وبلغ حقد هذه البطون على الهاشميين المنتهى، ولأن عميد الهاشميين بعد النبي هو علي بن أبي طالب، لذلك صبت بطون قريش جام غضبها عليه، لرغاما لأنفه، وانتقاما من تنوره في ذات الله.

25 - البطون تتحد برئاسة عمر (رضي الله عنه)

نوة الهاشميين قدر لم يكن هنالك مجال للوار منه بالرغم من المقاومة الضلرية لبطون قريش طوال 21 عاما فليأخذ الهاشميون النوة وحدهم لا يشركهم فيها أحد من البطون، طالما أن النوة قدر لا مفر منه. فلتكن خالصة للهاشميين ولا مانع لدى البطون من ذلك، لكن بطون قريش لا يمكنها أبدا أن تقبل أحكام أو تصويحات الرسول الأخوة، خاصة إعلانه يوم غدیر خم، والتي يفهم منها بوضوح لا لبس فيه بأن الله تعالى يريد أن يجمع لآل محمد الملك مع النوة، كما جمعها لآل إبراهيم. لذلك لا ينبغي أن تحمل تصويحات الرسول على محمل الجد، فالرسول يتكلم في الغضب والرضا وهو بشر! كما وثقنا ذلك أكثر من مرة.

فلو حملت البطون أقوال النبي في هذا المجال على محمل الجد فإن هذا يعني جمع الملك مع النوة لبني هاشم، وفي ذلك إجحاف بحق البطون وقسمة ليست عادلة، فليس من العدل - وأي البطون - أن يجمع الهاشميون النوة والملك، وأن تحرم البطون منهما، والأقرب للعدل الإلهي أن يأخذ الهاشميون النوة وحدهم لا يشركهم فيها أحد من البطون، وأن تأخذ البطون الملك وحدها تتداوله في ما بينها لا يشركها فيه أي هاشمي طوال التاريخ!!!

وهذا هو التوفيق والصواب بعينه، وهذه هي وسيلة منع الإجحاف الهاشمي، على حد تعبير عمر (رضي الله عنه). راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد 2 صفحة 24 آخر سورة عمر من حوادث سنة 23 ، وراجع شوح النهج لعلامة المعزولة ابن أبي الحديد

مجلد 3 صفحة 107 منقولا عن تليخ بغداد، وراجع شوح النهج تحقيق أبي الفضل مجلد 12 صفحة 52 ، وراجع تليخ الطوي مجلد 4 صفحة 223، ومجلد 2 صفحة 289 ولتعرف الإصوار التليخي على هذه القسمة والحرص على توامها. راجع مروج الذهب للمسعودي مجلد 2 صفحة 253 - 254 ، راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام صفحة 331 وما فوق. ولسوء الحظ أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يؤمن بهذه القسمة، لأنه يحب العدل. ونتيجة ذلك أصبحت كل البطون فويقا واحدا، وأصبح عمر بن الخطاب هو رئيس هذا الفويق، ترى البطون ما يرى عمر (رضي الله عنه)، فهم رجاله وهو قائدهم.

26 - رجال من الأنصار

استقطب عمر (رضي الله عنه) حوله مجموعة من وجهاء الأنصار، ويبدو أن أكثرهم إخلاصاً لعمر هو عويم بن ساعدة، وعندما مات عويم وقف عمر على قومه وقال:

لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر. راجع الإستيعاب لابن عبد البر مجلد 3 صفحة 170 والإصابة مجلد 3 صفحة 4، وأسد الغابة مجلد 4 صفحة 158

وممن استقطب حوله من الأنصار وكان لهم دور بارز في إقامة النظام الذي حكم عصر ما بعد النبوة، أسيد بن حضير، وثابت بن قيس، وسلمة بن سالم، وعاصم بن عدي. وبلغ من وفائهم لعمر أنهم دخلوا بيت فاطمة بنت محمد عوفة، بناء على أوامر عمر، ولو شاء لأحرقوا بيت فاطمة بنت محمد على من فيه!!!

نعم إن كل رجالات بطون قريش يرون ما يرى عمر، فقد قالوا حتى بمواجهة النبي نفسه: القول ما قال عمر!! فكيف في غياب النبي؟ ومن جهة ثانية فإن شخصية عمر قد جذبت كمارأينا مجموعة من وجهاء الأنصار، فصار رأيهم لأكثر من سبب مثل رأي عمر.

الصفحة 299

27 - فويق واحد من كل الوجه

تصرفت بطون قريش طوال تزيخها السياسي كفويق واحد، لا فوق بين بطن وبطن طالما أن هدف الجميع، واحد وهو تحقيق العدالة ومنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الملك. ففي سقيفة بني ساعدة قال أبو بكر (رضي الله عنه) مخاطباً الحضور من الأنصار:

إنني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فبايعوا من شئتم، راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 9 ، فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا. راجع تزيخ الطوي مجلد 3 صفحة 198 ، وشرح النهج مجلد 3 صفحة 17 ومجلد 2 صفحة 103 ومجلد 1 صفحة 27

ومن الطبيعي أن موقف أبي عبيدة لا يختلف، وعندما قالت الأنصار: لا نبايع إلا علياً، رفض الثلاثة هذا العرض، وعندما كتب عثمان وصية أبي بكر قال أبو بكر: لو كتبت نفسك مكان عمر لكنت أهلاً للخلافة. راجع مجلد 3 صفحة 429 من تزيخ الطوي، و صفحة 30 من سورة عمر لابن الجوزي، و صفحة 58 مجلد 2 من تزيخ ابن خلدون.

فالفويق واحد من كل الوجه، والأهداف واحدة، والغاية هي النجاح، بغض النظر عن شخصية القائد.

28 - في داخل السقيفة

في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام من صفحة 287 وما فوق، أثرنا مجموعة هائلة من الأسئلة، وأثبتنا بالعقل والنقل أن أصل اجتماع سقيفة بني ساعدة كان في الأصل والحقيقة عبلة عن جلسة عادية ضمت

مريضا طويح الفواش لا يقوى على الحركة بإجماع المؤرخين، وهو سعد بن عبادة، وضمت عواده وزوله، وأن هذه الجلسة كانت عادية من جميع الوجوه، ولم تخصص أصلا لاختيار خليفة كما روجت الرواية الوسمية، لكن الذي حول هذه الجلسة إلى اجتماع،

الصفحة 300

وأعطى هذا الاجتماع طابعا سياسيا مخصصا لتتصيب خليفة، هو قنوم المهاجرين الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ومن والاهم من الأنصار، فقوم هؤلاء هو الذي حول الجلسة إلى اجتماع، وأعطاه طابعا سياسيا ومكانا لتتصيب الخليفة، وموعدا لإعلان هذا التصيب، فويق سعد كان خالي الذهن تماما من هذا التصور ولا يوري عما يدور في الخفاء!!
يقول الزبير بن بكار في الموفقيات صفحة 580 (وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن عليا هو صاحب الأمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن المؤكد أن المهاجرين الثلاثة ومن دار في فلهم تطوقوا إلى من سيخلف النبي، فقال الحاضرون من الأنصار: لا نبايع إلا عليا. راجع تزيخ الطوي مجلد 3 صفحة 198 ، راجع شوح النهج مجلد 2 صفحة 226. أو قال بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليا.

بينما كان فريق البطون على النقيض تماما من هذا التصور، فهو لا يريد عليا، ولو كان فريق البطون يريد عليا لما اختلف عليه اثنان من الأنصار، أنظر إلى قول بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر كما روى أبو بكر الجوهري مجلد 6 صفحة 285 لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم بايعوا، راجع الإمامة والسياسة أيضا تجد هذا النص.

ووجدها فريق البطون وأعانهم فرصة لتتصيب الخليفة وإعلان التصيب، فالجلسة عند مريض تحولت إلى اجتماع سياسي، وأخذ أعوان الفويق يتوافدون زرافات ووحدانا، وبوصول بطن أسلم انتصر هذا الفويق! يقول عمر (رضي الله عنه) بالحرف:

ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر. راجع تزيخ الطوي مجلد 2 صفحة 458
وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج مجلد 6 صفحة 287 (فقوي بهم أبو بكر) وبايع أنصار فريق البطون سيدنا أبا بكر (رضي الله عنه) ليكون أول خليفة للنبي، والحاضرون المعرضون بين مصدق ومكذب، وكأنهم في حلم!

الصفحة 301

29 - الزفة

فلما بويح أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته توفه زفا إلى مسجدرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فصعد منبر الرسول فبايعه الناس حتى أمسى وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء (راجع الموفقيات صفحة 578 ، والوياض النضرة مجلد 1 صفحة 164 وتزيخ الخميس مجلد 1 صفحة 188)

30 - النجاح الساحق والانتصار العظيم

وبتتصيب الخليفة في الغياب المطلق لآل محمد، وإعلان التنصيب بالمبايعة، وزف الخليفة من قبل الذين بايعوه، وصعود الخليفة على منبر الرسول، وتكرار بيعة أتباعه له بهر الحاضرون فبايعوا، ومن خلال هذا كله نجحت خطة البطون نجاحا ساحقا، وانتصر عمر (رضي الله عنه) انتصرا عظيما، ومرر رسالة ضمنية لآل محمد أن خليفة النبي موجود، وأن الأمة زفته زفا وبايعته في غيابكم، وها هي الأمة تبايعه على منبر الرسول أمامكم، ففكروا 70 ألف مرة قبل أي تصوف! إذا أردتم العافية فمعرضتكم للخليفة الجديد واعترضكم عليه، هو من قبيل الاعتراض على رادة الأمة والخروج على إجماعها، وبالتالي هو شق لعصا الطاعة ومفرقة للجماعة، مع ما يستتبع ذلك من عواقب وخيمة لآل محمد!!

31 - الغطاء الشعري لتتصيب الخليفة

في الجلسة التي تحولت إلى اجتماع سياسي قال أبو بكر: نحن أولياء الرسول وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينزل عنا ذلك إلا ظالم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. راجع تزيخ الطوي مجلد 3 ، راجع الطبقات لابن سعد مجلد 2، راجع سورة ابن هشام مجلد 4 ، والموفقيات للزبير بن بكار، راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة.

الصفحة 302

وفي نفس الجلسة قال عمر: والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النوة فيهم... ولنا بذلك على من أبي الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينزل عنا سلطان محمد وإمرته ونحن أوليؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة. راجع على سبيل المثال النص الحرفي لكلمة عمر في الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 4 وما فوق.

عند هذه النقطة قام بشير بن سعد فقال: يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضاربنا وطاعة نبينا، والكبح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ألا إن محمدا من قريش، وقومه أحق بموائه وأولى به، وأيم الله لا واني الله أنزلهم هذا الأمر أبدا، فانتوا ولا تخالفوهم ولا تتلوهم. عند هذه النقطة قام أبو بكر وقال: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، بايعوا من شئتم، فقالوا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك... إلخ. فنهض بشير بن سعد وبايع أبا بكر، وتوالى أنصار فريق البطون على المبايعة كما أسلفنا، فأعلن تنصيب الخليفة، وتم زفه كما أسلفنا.

بمعنى أن أبا بكر قد نصب خليفة، ودانت له الأنصار أو من حضر من الأنصار، بوصفه من عشوة النبي، ومن أقرباء النبي، وعشوة النبي وأقربؤه هم أولى بسلطانه، ولا ينزل عنهم بسلطان محمد إلا ظالم، على حد تعبير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، عندئذ سلم الأنصار بحكم الانبهار.

ربما اقترح المغوة بن شعبة على أبي بكر وعمر أن يذهبا إلى العباس بن عبد المطلب، فيجعلاه في هذا الأمر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده، فتكون الحجة على علي إذا مال العباس لهما. فذهبا إلى العباس وتكلم أبو بكر إلى أن قال: على رسلكم بني هاشم

الصفحة 303

فإن رسول الله منا ومنكم، فرد عليه العباس ردا حاسما لا يقبل المساومة ثم قال: إن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها.

33 - حجة القوابة تترد على فويق البطون

لما تم لبطون قريش ما أراد، طلبوا من الإمام علي البيعة لهم، فقال الإمام علي: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبياعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقوابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله، واعرفوا لنا من الأمر ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فوعوا بالظلم وأنتم تعلمون. راجع تريخ الطوي مجلد 2 صفحة 442 وقال ابن قتيبة في مجلد 1 صفحة 10 من الإمامة والسياسة إن الإمام عليا قال:...

أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبياعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقوابة من رسول الله، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا، أستمزعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم، لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا... إلخ. قال بشير ابن سعد، أول من بايع أبا بكر: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان (راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 12)

34 - لا حاجة لآل محمد

حاول أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن يجذبا العباس إلى صفهما، بأن يجعلاه له ولعقبه نصيبا من هذا الأمر، فتكلم أبو بكر وقال قولا لينا ذكوه ابن قتيبة في صفحة 15 من الإمامة والسياسة فقال عمر: إي والله، وأخرى أنا لم نأتكم حاجة منا إليكم، ولكننا كرهنا أن يكون الطعن منكم في ما اجتمع عليه العامة، فیتفاهم الخطب بكم وبهم،

الصفحة 304

فانظروا لأنفسكم ولعامتكم، راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 15، فمعنى ذلك أن بيعة الآل الكوام ليست ضرورية، فهي لا تقدم عمليا ولا تؤخر، ولكن عمر (رضي الله عنه) يخشى على الآل الكوام من العامة الذين اجتمعوا على بيعة أبي بكر، ويخشى أن تتسع شقة الخلاف بين الآل الكوام وبين العامة.

35 - جيوب المعرضين الأنصار

أترك الأنصار أن الوضع الجديد قد استقر، وأن السلطة قد قبضت على مقاليد الأمور تماما في العاصمة، ويبدد السلطة الأرزاق، ويبيدها الفوص، فهي التي تضع وترفع، وتعطي وتمنع، وتؤمر وتغزل، وهي الغالبة، وبالتالي فإن مصلحة كل فرد من الأنصار أن لا يعاند هذه السلطة، وأن يعبر عن ولائه لها حتى تفسح له السلطة مجالا بالمشاركة، فانبهر الأنصار وبايعوا باستثناء سعد بن عباد، وقد اكتشفت السلطة أن سعدا معروض عنيد، فأصدر نائب الخليفة عمر بن الخطاب أمرا بقتله بنفس السقيفة، ولكن تعذر تنفيذ الأمر في حينه!

وهذا الخبر قد وصل إلى مرحلة التواتر. راجع تزيخ الطوي، حوادث بعد وفاة الرسول، راجع الإمامة والسياسة مجلد 1 صفحة 4 وما فوق حيث قال عمر: اقتلوه قتله الله، وقام على رأسه سعد فقال له عمر: لقد هممت أن أطأك.... فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر وقال له: والله لو خصفت منه شعرة، مارجعت وفيك واضحة!

وفيما بعد أصر عمر على أن يبايع سعد بن عباد، فأبى سعد بن عباد ذلك، فقال عمر لأبي بكر: لا تدعه حتى يبايع، كما يروي ابن قتيبة، فقال بشير بن سعد (إنه قد أبى ولج، وليس يبايع حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه وأهل بيته وعشيرته، ولن تقتلهم حتى تقتل الخزرج، ولن يقتل الخزرج حتى تقتل الأوس، فلا تفسدوا على أنفسكم أمرا قد استقام لكم، فاتكوه فليس تركة بضركم، وإنما هورجل) فتكوه وقبلوا مشورة سعد. راجع الإمامة والسياسة صفحة 10 ومات سعد ولم يبايع!

وفي رواية البلاذري أن سعد بن عباد لم يبايع أبا بكر وخوج إلى الشام، فبعث

الصفحة 305

عمر رجلا وقال له: أدعه إلى البيعة واحتل له، فإن أبى فاستعن الله عليه، فقدم الرجل فوجد سعدا في حائط بحورين من قى حلب، فدعاه إلى البيعة فقال: لا أبايع، قال الرجل: فإنني أفأنتك، قال سعد: وإن قاتلتني! قال الرجل: أخرج أنت مما دخلت فيه الأمة؟ قال سعد: أما من البيعة فإنني خرج، فوماه الرجل بسهم فقتله.

راجع أنساب الأشراف مجلد 1 صفحة 589، والعقد الفريد مجلد 2 صفحة 64 - 65

وفي تبصوة العوام أن الرجل كان محمد بن مسلمة الأنصلي، فوماه بسهم فقتله، وقيل إن خالد بن الوليد كان في الشام، يومذاك فأعانه على ذلك. راجع صفحة 32 من تبصوة العوام. وفي رواية ابن سعد مجلد 2 صفحة 145 من الطبقات (أن سعدا جلس ببول في نفق فاقتل فمات من ساعته) وفي رواية بن عبدربه (مي سعد بن عباد بسهم فوجد دفينا في جسده) العقد الفريد مجلد 4 صفحة 259 - 260

والخلاصة: أنه بموت سعد تم تصفية آخر جيوب المعرضة في عاصمة النبي، واستقام للسلطة أمر الأنصار.

36 - تصفية جيوب المعرضة في المهاجرين

أكثرية المهاجرين من البطون يرون ما وى عمر، والمهاجرون من الموالي انبهروا بما حدث، واقتضت مصلحتهم أن يقفوا مع القوي، والقوي هو السلطة، لذلك لم تكن هنالك مقاومة تذكر من أغليبتهم، ما عدا خالد بن سعيد الأموي فقد كان

عامل النبي على صنعاء، وعندما سمع بوفاة النبي عاد هو وشقيقاه، وتربص شهرين، وقال لعلي:

أمدد يدك بأبيك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك. راجع شرح النهج مجلد 1 صفحة 135 نقلا عن الجوهرى في سقيفته، وتاريخ الطوي مجلد 2 صفحة 586

ولقد هم أبو بكر أن يوليه إمرة إحدى الجيوش المتوجهة إلى الشام، فذكوه عمر بموقف خالد وتأخره عن البيعة، فعدل أبو بكر وانتهت معارضة خالد عمليا.

وأبو سفيان كان خرج المدينة عند وفاة الرسول، ولما عاد وقد اجتمعت الأكثرية الساحقة على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنني لأرى عجاجة لا

الصفحة 306

يطفئها إلا الدم، يا آل عبد مناف فما لتيمن من أموركم!! راجع تاريخ الطوي مجلد 3 صفحة 203 ، وشرح النهج لابن أبي الحديد مجلد 1 صفحة 306 - 307

واقترح عمر على أبي بكر أن يتوك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات، كما روى الجوهرى في كتاب السقيفة، وقد أرسله النبي ليجمع له الصدقات، فتركها له.

وليجعل له عمر مصلحة من النظام الجديد عين يزيد بن أبي سفيان قائدا لأحد الجيوش، وأرسل معه أخاه معاوية قائدا، وبموت يزيد تولى معاوية القيادة من بعده، وتسلم ولاية الشام كلها، وبقي واليا طوال عهد الخلفاء الثلاثة. وغير معاوية في ما بعد مجرى التاريخ!

ويرضى أبي سفيان صفيت جيوب المعارضة، راجع كتابنا النظام السياسي صفحة 125 وما فوق.

37 - حقيقة أوضاع عاصمة النبي بعد أسبوعين من وفاته

اختفت نهائيا كلمة النفاق، وعلى كثرة المنافقين إلا أن الله تعالى بقوة قادر أصلح كافة المنافقين بيوم وليلة، وأصبحت بطون قريش مجتمعة، والأكثرية الساحقة من الأنصار، وما تبقى من سكان المدينة برئاسة الخليفة الجديد في جهة، والآل الكرام في جهة أخرى. بمعنى أن دولة حقيقية وسلطة فنية في جهة، والبطن الهاشمي المبرك الذي أنهكته الحروب وأتعبته المواجهة، وهدته وفاة النبي في جهة أخرى.

38 - محولات لإقامة الحجة على السلطة

حاول الإمام أن يقيم الحجة على قيادة فريق البطون التي تحولت إلى سلطة حقيقية، وبطريقة ومنهج المنطق والشوع، فنقض حجتهم بالوابة من النبي كما أسلفنا، لكن السلطة - أي سلطة وبطبيعتها - لا تفهم المنطق الذي يعرض وجودها، ولا تفهم الشرعية إلا في حدود دائرة هذا الوجود، ومن هنا فقد ذهبت محولات الإمام أوج الرياح، وأصبحت سطورا في

التاريخ، بعد أن فشل المنطق وتكسر رأس الشوعية خجلا!

39 - طبيعة المواجهة مع السلطة

إن مواجهة الهاشميين وحدهم للسلطة الجديدة وبقوتهم الذاتية انتحار، وبكل الموزين العقلية، خاصة وأن السلطة بقيادة نائب الخليفة عمر (رضي الله عنه) تتأهب لسحق من يعرض كائنا من كان، وبكل الوسائل، بما فيها حرق البيوت على من فيها، ولماذا لا فهورجل البطون الأعظم، وهو مهندس عصر ما بعد النبوة، ثم إنه لا يتصرف بصفته الشخصية، إنما يتصرف كنائب رسمي للخليفة، وكخليفة من الناحية الفعلية، ثم إن له قاعدة شعبية ساحقة! فحنى والنبى موجود رأينا من يقول: القول ما قال عمر.

بل إن هذه القاعدة تجاسرت على النبي نفسه وقالت أمامه - حاشا له - إن النبي يهجر، فما الذي يمنع هذه القاعدة من أن تقول أي شئ بعد وفاة النبي؟

والأهم من ذلك، أن عمر (رضي الله عنه) يتصرف بقناعات مطلقة غير قابلة للمناقشة، فهو يعتقد أن الإصابة والهدى والتوفيق موهون بعدم جمع الآل الكوام للنبوة مع الملك.

والأهم من ذلك أنه مقتنع بأنه لا ينبغي أن تحمل كل أقوال الرسول على محمل الجد، لأنه بشر يتكلم في الغضب والرضا، لذلك وحتى في حياة الرسول كانوا ينهون عن كتابة أحاديث الرسول!! وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

ثم إنه متيقن أن القوان الكريم وحده يكفي، ولا حاجة لأي شئ آخر على الإطلاق، وهو وحده قيم القوان الكريم!!

وهذا هو السر الذي دفعه لجمع كلما أمكن جمعه من أحاديث الرسول، ثم أصدر القوار بحرق هذه الأحاديث!!

وحتى عندما أراد الرسول نفسه أن يكتب وصيته التي تؤمن المسلمين ضد الضلالة، اعتّوض عمر على الرسول نفسه، ونجح بالحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد.

هذه هي طبيعة السلطة التي يواجهها الآل الكوام! سلطة لها قناعاتها الخاصة، وأساليبها الخاصة، المختلفة بالكامل عن

قناعات وأساليب الآل الكوام.

* *

الصفحة 308

الصفحة 309

الفصل السادس

الإمام الشرعي يطلب النصرة

قال اليعقوبي في مجلد 2 صفحة 105 من تزيخه، وابن أبي الحديد في مجلد 2 صفحة 4 من شوح النهج (واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه للبيعة فقال لهم: اغنوا علي محلقين الرؤوس، فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر). وقال أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة برواية بن أبي الحديد مجلد 6 صفحة 28 من شوح النهج، وابن قتيبة الدينوري في صفحة 12 من الإمامة والسياسة: ثم إن عليا حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلا إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، وتساءلهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي: أفكنت أتوك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ميتا في بيته لم أجهوه، وأخرج إلى الناس أنزلهم في سلطانه!؟

فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه!!

2 - معاوية يشهد على صحة الواقعة ويعللها بما رآه

جاء في شوح النهج لابن أبي الحديد مجلد 2 صفحة 67 وفي وقعة صفين لنصر بن مزاحم صفحة 182 أن معاوية كتب لعلي ما يلي (وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويح أبو بكر، فلم تدع أحدا من

الصفحة 310

أهل بدر السوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك، وأذلت إليهم بابنيك، واستصوتهم فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة... إلخ).

قال المسعودي في موجه مجلد 1 صفحة 414، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة (إنه لما بويح أبو بكر في السقيفة، وتجددت له البيعة يوم الثلاثاء خرج علي فقال: أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر، ولم توع لنا حقا، فقال أبو بكر: ولكني خشيت الفتنة.

3 - أعظم جاهة لنصرة الشريعة

حديث الثقلين من أصح الأحاديث، فقد رواه 35 صحابيا وأجمعت الأمة على صحته، وتناقلته بطريق التواتر، وقد أكد الرسول في هذا النص أن الهدى لا يمكن أن يبرك إلا بالتمسك بالقوان الكريمة وعترته أهل بيته، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالقوان والعوة أهل البيت، فهذان هما الثقلان.

وقد وضح النبي أن أهل البيت هم أصحاب الكساء: فاطمة وعلي والحسن والحسين، فهم الأبناء والنساء والأنفس، كما هو ثابت بأية المباهلة، وهم على رأس قائمة المعنيين بأية المودة في القوي.

ثم إن الزهراء هي سيدة نساء العالمين قاطبة، بالنص الشوعي، والحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة في الجنة بالنص الشوعي، وعلي بن أبي طالب هو ولي الله بالنص الشوعي، وأمير المؤمنين بالنص الشوعي، وخليفة رسول الله بالنص

الشوعي، ووصيه بالنص الشوعي، وسيد العرب وفرسها بالنص الشوعي، والمخول ببيان ما تختلف فيه الأمة من بعد النبي بالنص الشوعي، وهو الهادي بالنص الشوعي. ثم إن عليا وفاطمة والحسن والحسين من الذين أذهب الله عنهم الرجس بالنص الشوعي.

فأي جاهة للأنصار أعظم من هذه الجاهة، فاطمة وعلي والحسن والحسين!!

لقد جاءهم بسادة الدنيا والآخرة، وراجع الأنصار بيتا بيتا طالبا النصوة، والانتصار له وللشوعية، ولكن الأنصار أبت عليه ذلك، لسبب بسيط هو أن أبا بكر سبقه، ولو سبق أبا بكر لما عدلت به أحدا!

الصفحة 311

ثم إن الأنصار أعطوا البيعة لأبي بكر، وتم التعاقد والنص الشوعي بوجوب الوفاء بالعقود! وكسر خاطر الجاهة الشريفة، وفشلت مساعي الآل الكرام، واكتشفوا أنهم وحدهم بمواجهة السلطة!

4 - تجميل السلطة ببيعة آل محمد

لقد صوح نائب الخليفة عند مقابلته للعباس ووجه بني هاشم أنه لم يأت هو وأبو بكر والمغرة بن شعبة بسبب ضعفه بقوله: وأخرى إنا لم نأتمك حاجة منا إليكم، ولكن كوهنا أن يكون الطعن منكم... إلخ. راجع الإمامة والسياسة صفحة 15 فمعنى ذلك أن مبايعة العزة الطاهرة أهل البيت وعدم مبايعتها سيان عند نائب الخليفة، فهو لا يحتاجهم كما صوح، ولكن من تمام الملك خضوع كل الوعية وطاعتها، وخضوع الآل الكرام وطاعتهم للسلطة عملية تجميلية ليست إلا، وقطع لدابر الطعن وإواز وحدة الأمة وانصياعها للسلطة.

5 - إما المبايعة أو القتل

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة مجلد 1 صفحة 11 ثم إن عليا أتى به إلى أبي بكر وهو يقول أنا عبد الله وأخو رسوله، فقيل له بايع أبا بكر فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبياعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقوابة من النبي، وتأخرونه منا أهل البيت غصبا، أستمز عتمم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمرة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار. نحن أولى برسول الله حيا وميتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فروعوا بالظلم وأنتم تعلمون. قال عمر: إنك لست متروكا حتى تبائع، فقال له علي: إحلب حلبا لك شطوه، واشدد له اليوم أمره يودده عليك غدا. وعلى الصفحة 13 من الإمامة والسياسة أنهم قالوا لعلي: بايع، فقال علي:

إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله نضوب عنقك، فقال علي: إذا تقتلون عبد الله وأخو رسوله!! فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو الرسول فلا!

الصفحة 312

آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين، وبين المهاجرين والمهاجرين، وفي الحالتين آخى الرسول بينه وبين علي. وهذا معروف للعامّة والخاصة، ولكن عمر لا يعترف بهذه الأخرّة لأنها ليست حقيقية، إنما هي ناتجة عن قول من الرسول، والرسول يتكلم في الغضب والرضا!

عندما سمع الإمام ذلك لحق بقبر الرسول يصيح ويبكي وينادي (يا بن أمّ إن القوم استضعفوني وكانوا يقتلونني) سيد العرب، وولي الله، وابن عم رسول الله، وفلس الإسلام الأوحد، ووالد السبطين، وزوج البتول يبكي!! ويهدده عمر بالقتل كأنه أحد السوقة!!! ولم يمض على موت ابن عمه وجد سبطيه، ووالد زوجته إلا يوماً أو بعض يوم!!!
إن العرب لم تعرف ذلك حتى قبل الإسلام!!!

العرب تتعاطف مع المصاب، وتخفف عنه!! وتحترّم الحزن، وتتفاعل معه!!!
ولكن ما قيمة هذه المشاعر أمام وحدة الأمة وخضوعها وإخضاعها للسلطة، إنها أمة واحدة، لها دولة واحدة وسلطان مطاع واحد، ولا يسمح لأي كان بالخروج على هذا السلطان، أو الجهر بعدم طاعته!!
إن الله تعالى خير المشركين ستة أشهر ليسيحوا في الأرض!!!

6 - إما المبايعة أو حرق البيت

فاطمة بنت النبي، وعلي زوجها وولي الله بالنص، وسيدا أهل الجنة في بيتهم، ولديهم زوار، تحركت سوية بقيادة عمر بن الخطاب فنادى عمر من في الدار أن اخرجوا؟ فأبوا أن يخرجوا فدعا عمر بن الخطاب بالحطب ووضع حول البيت وقال:
والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها - أي الدار - على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة!! إن فيها عليا!! وحسنا وحسينا!! كما يعلم، فقال عمر: وإن!! فخرج الزوار وبايعوا، إلا علي.



تلك حقيقة مطلقة!! وقد لقيت فاطمة عمر فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتحرق درنا! قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة!!
 راجع الرياض النضرة مجلد 1 صفحة 197 ، وأبو بكر الجوهري في سقيفته برواية ابن أبي الحديد مجلد 1 صفحة 133
 ومجلد 6 صفحة 293 ، وتاريخ الخميس مجلد 1 صفحة 188 وجاء في أنساب الأشراف مجلد 1 صفحة 586، وكنز العمال
 مجلد 3 صفحة 140 ، والرياض النضرة مجلد 1 صفحة 167 ، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد مجلد 1 صفحة
 132 ومجلد 6 صفحة 2، والخميس مجلد 1 صفحة 178 ، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد مجلد 1 صفحة 134
 وفي أنساب الأشراف للبلاذري فتحلقته فاطمة على الباب فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أذاك محرقا علي بابي! قال: نعم!
 وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير في ما جرى له مع بني هاشم وحصوه إياهم في
 الشعب وجمعه الحطب لإحراقهم ليدخلوا في طاعته، كما رُهب بني هاشم وجمع لهم الحطب لتحيقهم إذا هم أبوا البيعة في ما
 سلف.

راجع مروج الذهب مجلد 2 صفحة 100 ، وأورده ابن أبي الحديد في مجلد 2 صفحة 481 ، واليعقوبي في تزيخه مجلد 2
 صفحة 105 ، وراجع معالم المدرسين صفحة 127 ، وقال اليعقوبي في مجلد 2 صفحة 105 فأتوا في جماعة حتى هجموا على
 الدار، وكسروا سيف علي ودخلوا الدار.

7 - هذه البطولة في الشعر الحديث

يقول حافظ إبراهيم شاعر النيل في هذه الحادثة:

وقولة لعلي قالها عمر * أكرم بسامعها أعظم بملقياها
 حرقت ذلك لا أبقى عليك بها * إن لم تباع وبنت المصطفى فيها
 ما كان غير أبي حفص يفوه بها * أمام فرس عدنان وحامياها

وفي رواية أبي بكر الجوهري في السقيفة برواية ابن أبي الحديد مجلد 1 صفحة 134 ومجلد 6 صفحة 286 . (وخرجت فاطمة تبكي
 وتصيح، فنهت من الناس) وقال اليعقوبي: فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعوي ولأعجن إلى الله، فخرجوا وخرج
 من كان في الدار. راجع مجلد 2 صفحة 105 من تزيخ اليعقوبي!

ومن الروايات المتواترة عن أهل البيت الكوام، أن فاطمة كانت حاملا، وأنها قد ضربت بالسوط أثناء اقتحام البيت، وأنها
 سقطت فأسقطت ابنها محسنا!!

8 - عادة قروية

عندما يموت الميت يفتح أهله بيت غواء، وفي اليوم الثاني للوفاة يتوافد أبناء القوية جميعا المحب والمبغض، ويقدمون

التعري لنوي الميت، ويدعون آل الميت بالتأوب لتناول وجبات الطعام، تعبوا عن مشركتهم لأهل الميت بالمصاب، وخلال فورة أربعين يوما يتجنب أهل القرية كلما يثير غضب أهل الميت أو يكسر خراطيمهم أو يصددها، ويقينا أن هذه العادة تسربت إلينا من التقاليد الجاهلية، وليس من المستبعد أن الإسلام قد أوقها، باعتبارها من الأعراف الحميدة المتلائمة مع الطبيعة الإنسانية والفتوة البشوية.

ألم يكن بالإمكان إمهال الآل الكرام ثلاثة أيام فقط، حتى تمر أيام الغواء بوفاة فقيدهم!
هذا على اعتبار أن الفقيد شخص عادي وليس نبيا، وعلى فرض أن الآل الكرام سوقة ومن عامة الناس، وليسوا طبقة متميزة لا تجوز الصلاة المفروضة على العباد بغير الصلاة عليهم!!!
ولكن الملك عقيم والسلطة الغالبة هي السلطة.
صحيح أنهم فجعوا أهل البيت الكرام، وروعهم في بيتهم، وبكى علي والحسن والحسين وفاطمة من قلة الناصر، ونادى علي على رسول الله: يا بن أم إن القوم

الصفحة 315

استضعفوني وكاوا يقتلونني، ونادت فاطمة: يا أبتى يا رسول الله ماذا لقينا من ابن الخطاب وابن أبي قحافة. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 13 ، ولكن السلطة استفادت إذ خرج كل الزوار وبايعوا فكسبت السلطة خضوعهم، وضمتهم إلى قطيع السرب، وإلى جوع الطائعين!!
هذا هو مقياس الربح والخسارة، والله عاقبة الأمور، والله إن النفس قد ضاقت بما لا يقال.

9 - فشل المحاولات السابقة لتوكيع أهل البيت

فشلت محاولات السلطة لتوكيع أهل البيت الكرام عن طريق التهديد بالقتل (راجع الإمامة والسياسة صفحة 13 على سبيل المثال) مثلما فشلت محاولاتها للإيقاع بين أهل البيت وآل البيت، راجع الإمامة والسياسة صفحة 15 على سبيل المثال، ثم فشلت محاولاتها لتوكيع أهل البيت عندما جمع أعوانها الحطب وهموا بحرق البيت على من فيه، وفيه فاطمة وعلي والحسن والحسين، واكتشفت السلطة أنها بأعمالها هذه تشد تعاطف الناس مع أهل البيت الكرام، وتعطي أهل البيت أكبر من حجمهم الفعلي على الخريطة السياسية.

وبالتالي فقد قررت السلطة اتباع أساليب جديدة أكثر فاعلية وأقل حرجا لها فلجأت إلى الحرب الاقتصادية.

10 - قرارات اقتصادية لتوكيع أهل البيت نهائيا

عرفنا أن بطون قريش حاصرت بني هاشم ثلاث سنين في شعب أبي طالب وقاطعتهم، فلم تبعهم ولم تشتت منهم وغزلتهم غولا كاملا، ولكن في عهد الشوك لم تصدر حقوق بني هاشم الاقتصادية، ولم تؤخذ أموالهم.
وأمام إصوار عميد أهل البيت والسيدة الزهراء وبني هاشم على تحدي السلطة بعدم مبايعتهم لها، وحوصا من السلطة على

الرهوع والاستسلام، اتخذت السلطة مجموعة من القورات الاقتصادية الهامة، لكي تجبر أهل البيت على التفاوض مع السلطة والاحتكام إليها، طمعا بتخليص ما أمكن استخلاصه من حقوق أهل البيت الكرام.

11 - القوار الأول حرمان أهل البيت من لث النبي

بعد تهديد الإمام علي بالقتل، ومحاولة حرق بيته على من فيه، تبلمت فاطمة أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قورا حرمان أهل البيت من لث النبي حرمانا كاملا.

12 - الغطاء الشوعي لقوار حرمان أهل البيت من لث النبي

جاء في سنن الترمذي مجلد 7 صفحة 111 باب ما جاء في توكة الواسول أن فاطمة بنت محمد جاءت إلى أبي بكر وعمر تسألها موائها من رسول الله، فقالا سمعنا رسول الله يقول (إني لا نورث). وجاء في مسند أحمد مجلد 1 صفحة 10 الحديث رقم 60 ، وفي سنن الترمذي مجلد 7 صفحة 109 ، وطبقات ابن سعد مجلد 5 صفحة 77 ، وابن كثير مجلد 5 صفحة 286 أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يورثك إذا مت؟ فقال: ولدي وأهلي.

فقال: فما لنا لا نورث النبي؟ قال أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: إن النبي لا يورث!

وجاء في طبقات ابن سعد مجلد 2 صفحة 316 : أن أبا بكر قال لفاطمة: أبوك والله خير مني وأنت والله خير من بناتي، وقد قال رسول الله: لا نورث، ما تركناه صدقة. وهذا الحديث برواية عمر. وبالنتيجة فإن أبا بكر منع أهل البيت لث الواسول استنادا إلى حديث (ما تركناه صدقة).

13 - قصة حديث ما تركناه صدقة

جاء في كنز العمال مجلد 14 صفحة 130 فضل الصديق، برواية عائشة أم المؤمنين حيث قالت: واختلفوا في موائها فما وجوا عند أحد من ذلك علما، فقال أبو بكر سمعت رسول الله يقول (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة).

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج مجلد 4 صفحة 82 المشهور أنه لم يرو حديث انتقاء الإرث إلا أبو بكر وحده، وفي صفحة 85 مجلد 4 قال: إن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده، وذكر ذلك أعظم المحدثين حتى أن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجاتهم في الخبر برواية الصحابي الواحد، وقال شيخنا أبو علي: لا يقبل في الرواية إلا رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم واحتجوا بقبول الصحابة برواية أبي بكر وحده (نحن معاشر الأنبياء لا نورث).

ومع هذا وضعا أحاديث أسنوا فيها إلى غير أبي بكر أنه روى ذلك عن الرسول!

جاء في كنز العمال مجلد 5 صفحة 365 ، وطبقات ابن سعد مجلد 2 صفحة 315 أن عليا قال لأبي بكر عندما ذكر أبو بكر حديث انتفاء لث النبي (وورث سليمان داود) وقال (برثي وورث من آل يعقوب) فقال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم ما أعلم، فقال علي: هذا كتاب الله ينطق، فسكتوا وانصرفوا!

14 - بسط الخصومة عليا

في سقيفة أبي بكر الجوهري، وفي بلاغات النساء لأحمد بن أبي الطاهر البغدادي، برواية ابن أبي الحديد مجلد 4 صفحة 87 - 89 و صفحة 92 ، وبلاغات النساء صفحة 12 - 15 أن فاطمة بنت محمد دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار... ثم قالت: أنا فاطمة بنت محمد أقول عودا على بدء: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه تجوهه أبي نون آبائكم، وأخ ابن عمي نون رجالكم.... ثم أنتم الآن ورمون أن لا لث لنا، أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ يا بن أبي قحافة أتوث أباك ولا لث أبي؟! لقد جئت شيئا فريا، فدونها مخطومة تلقاك يوم حشرك، فنعلم الحكم الله، والزعم محمد، والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون...

الصفحة 318

وفي رواية بلاغات النساء صفحة 16 - 17 أن فاطمة قالت: أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول الله تبرك وتعالى (وورث سليمان داود) وقال الله عز وجل في ما قص من خبر يحيى بن زكريا (رب هب لي من لدنك وليا يرثي ويرث من آل يعقوب) وقال عز وجل (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال (إن ترك خوا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة ولا لث لي من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها نبيه، أم تقولون أهل ملتين لا يقولون، أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة، أم لعلم بخصوص الوآن وعمومه من النبي (صلى الله عليه وسلم)، أفحكم الجاهلية تبغون....

15 - إذا كان أهل البيت وأولاد النبي لا يرثونه فمن يرثه بحق السماء؟

جاء في مسند أحمد مجلد 1 صفحة 4 الحديث 14 ، وسنن أبي داود مجلد 3 صفحة 50 ، وتاريخ ابن كثير مجلد 5 صفحة 289 ، وشرح النهج مجلد 4 صفحة 81 نقلا عن السقيفة لأبي بكر الجوهري، وتاريخ الذهبي مجلد 1 صفحة 346 أن أبا بكر قال سمعت رسول الله يقول (إن الله عز وجل إذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده، فأيت أن لثه على المسلمين) وما الذي يمنع من ذلك أليس هو صاحبه في الغار وأخوه في الدين، وخليفته الفعلي على المسلمين!!!!

16 - استثناء من نفي لث النبي وتوريثه

تحقيقاً للعدالة ورحمة بأهل البيت الكرام، فقد تفضل أبو بكر (رضي الله عنه) فقال (لقد دفعت آله رسول الله ودابته وحذاه إلى علي) وما سوى ذلك... ينطبق عليه الحديث. راجع شرح النهج مجلد 4 صفحة 87 - 89، وبلاغات النساء صفحة 12 - 15، راجع الرواية عند ابن أبي الحديد.

الصفحة 319

قال الكميت بن زيد الأسدي الطائي من شعراء القرون الأولى، يصف هذا المنطق:
يقولون لم يورث ولو لا واثه * لقد شرت فيه بكيل ورأى حب
وعك ولخم والسكون وحمير * وكندة والحيان بكر وتغلب

17 - قار حومان أهل البيت من مراث النبي قطعي

يبدو أن قار السلطة بحومان أهل البيت الكرام قطعي لا يجوز استئنافه، ولا يجوز الوجود عنه مهما تعدد المحامون، ومهما كثرت المرافعات، ومهما تواترت النصوص، فالقار قد صدر لينفذ، وقد نفذ بالفعل، واستثناء تلتفت السلطة فأعطت عليا دابة الرسول وآلته وحذاه! وهكذا حسمت نهائياً قضية رث النبي، ولا مجال للمراجعة بخصوصها، فالسلطة وجدت لتطاع، ولا يمكن للوعية أن تعدل قارات السلطة!!

18 - قار حومان أهل البيت من منح الرسول ومصاروة هذه المنح

أثناء حياة الرسول الكريم منح منحا كثيرة للناس، ومنح أهل البيت منحا كغورهم من الناس، فتوك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما منحه الرسول للناس ولم يتعوضا لهم، احتراماً لمشئئة رسول الله، وتقديراً للناس الذين دخلوا بالطاعة والتؤموا الجماعة.

أما المنح التي منحها رسول الله لأي فرد من أهل البيت، فقد قرا مصاروتها وحومان أهل البيت منها، حرصاً على مصلحة المسلمين، وكانت فاطمة بنت محمد هي أول من حرمت من منحتها، وصورت منها هذه المنحة!!!

19 - منحة فدك

الثابت عن طريق أهل البيت الكرام، أنه بعد نزول آية (وات ذا القوي حقه) منح الرسول ابنته فاطمة فدكا، جاء في فروح البلدان مجلد 2 صفحة 34 - 35 أن فاطمة قالت لأبي بكر: أعطني فدكا فقد جعلها رسول الله لي، فسألها البيئنة، فجاءت بأمر أيمن ورباح مولى رسول الله، فشهدا لها بذلك. فقال لها أبو بكر: إن هذا الأمر لا تجوز فيه

الصفحة 320

إلا شهادة رجل وامرأتين، وفي رواية أخرى، شهد لها علي بن أبي طالب فسألها شاهدها آخر لها!!
وفي لفظ ابن أبي الحديد وتاريخ الذهبي (أن فاطمة قالت لأبي بكر: إنك عمدت إلى فدك فأخذتها، وعمدت إلى ما أتوله الله

ولأن الصديقة لم تأت إلا بعلي بن أبي طالب ولي الله، وأم أيمن، ولأن أبا بكر ملقّب بالشريعة، وبضرورة تقديم شاهدين لإثبات المنحة، ولأن وضع اليد وحده لا يكفي في مثل هذه الأمور، فقد أغلقت الخصومة رسمياً، وتم تنفيذ قرار السلطة بمصاوة منح الرسول لأهل بيته وحرمانهم من هذه المنح!!
وتنفيذاً لرغبة رسول الله توكّت كل المنح التي منحها الرسول للمسلمين بأيديهم، ولم يطلب منهم لا شاهداً ولا شاهدين، لأن وضع اليد على المنحة يكفي!! والله عاقبة الأمور.

20 - قرار حرمان أهل البيت من الخمس الولد في القرآن الكريم

جاء في شرح النهج مجلد 4 صفحة 81 نقلاً عن الجوهري، وفي تزيخ الإسلام للذهبي مجلد 1 صفحة 347، وفي كنز العمال مجلد 5 من صفحة 367 ثلاث روايات. (لما منعوا ابنة الرسول من رث أبيها، طالبتهم بسهم نبي القوي فقالت: لقد ظلمت أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم نبي القوي، ثم قرأت عليه قوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ولذي القوي...)).

وعن عروة قال: رأدت فاطمة أبا بكر على فدك وسهم نبي القوي فأبى عليها، وجعلها في مال الله تعالى!
وفي كنز العمال عن أم هانئ أنها قالت: إن فاطمة أتت أبا بكر تسأله سهم نبي القوي. فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: سهم نبي القوي لهم في حياتي وليس لهم بعد موتي. راجع كنز العمال مجلد 5 صفحة 367، كتاب الخلافة 416.

الصفحة 321

21 - من أين يأكلون بحق السماء؟

مشكلة الآل الكوام الحقيقية أنه محظور عليهم أن يأخذوا الصدقة فهي محرمة عليهم، لذلك خصهم الله تعالى بسهم نبي القوي لتغطية هذه الناحية.

هل يعيش الآل الكوام وأهل البيت عيش السوق؟ هل يتسولون الناس، من أين يأكلون؟

عن أنس بن مالك أن أبا بكر قال لفاطمة عندما سألته عن سهم نبي القوي:

أفلك هو ولأقربائك؟ قال: لا، أنفق عليكم منه... وقال مرة: السهم لكم في حال حياة النبي وبعد موته ليس لكم... وفي سنن الترمذي مجلد 7 صفحة 111 أن أبا بكر قال: إني أعول من كان يعول رسول الله، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه.
فالدولة إذا هي تنفق على أهل بيت محمد، بدليل قول أبي بكر: إن رسول الله قال لا نورث ما تركناه فهو صدقة، إن يأكل آل محمد من هذا المال، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل.... راجع صحيح البخاري مجلد 2 صفحة 200 باب مناقب وقاية الرسول، وراجع سنن أبي داود مجلد 2 صفحة 49 كتاب الخراج، وسنن النسائي مجلد 2 صفحة 179 قسم الفئ، ومسند أحمد مجلد 1 صفحة 6 و 9. فالحاكم يقدم لهم المأكل ولا يزيدون على المأكل، فطوال التاريخ يجب على أهل البيت أن يرتبطوا

بالحاكم الذي يقدم لهم المأكل، ومن الحشمة وحسن الخلق أن يطيع الإنسان من يطعمه.

22 - تركة رسول الله من الضياع

1 - ترك رسول الله الحوائط السبعة اللاتي وهبهن له مخزوق.

2 - ما وهبه الأنصار إياه، وهو كل ما ارتفع من أراضيهم الزراعية.

3 - أراضي بني النضير الزراعية ونخيلها.

4 - 8 أسهم من مجموع 36 سهما من أراضي خيبر.

5 - أراضي وادي القوى الزراعية.

الصفحة 322

وبعد وفاة الرسول استولى عليها أبو بكر، وقد عالج العلامة السيد مرتضى العسكري كل بند من هذه البنود الخمسة في كتابه الرائع معالم المورستين المجلد الثاني.

23 - حتى تحزوارقابنا بالمناشير

جاء في مجمع الزوائد للهيثمى مجلد 9 صفحة 39 عن عمر، أنه لما قبض رسول الله جئت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما

تقول في ما ترك رسول الله؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله! قال فقلت: والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر. قلت: والذي بفدك

قال: والذي بفدك! فقلت: أما والله حتى تحزوارقابنا بالمناشير!!!

24 - قورات اقتصادية لا بد منها

1 - لإجبار الآل الكوام على الاحتكام للسلطة، بغض النظر عن طبيعة القورات التي ستصدر عنها.

2 - تجريد الآل الكوام من سلاح خطير وهو المال، فإذا استعمله الآل الكوام، فقد يؤلفون به قلوب المسلمين ويستميلونهم

لصالح قضيتهم.

3 - ربط الآل الكوام بالسلطة الحاكمة، وجعل رغبتهم بيد هذه السلطة، لتضمن السيطرة الكاملة عليهم، وتحبيدهم وإلغاء

دورهم كقيادة سياسية شرعية.

4 - عزل الآل الكوام شعبيا، حتى تميل عنهم أعين الناس.

5 - الحيلولة العملية بين الآل الكوام والمطالبة بالجمع بين النوة والخلافة.

25 - تحقق هذه الأهداف

فقد فلوض الآل الكوام واحتكموا إلى السلطة، فحكمت السلطة بتنفيذ قوراتها الاقتصادية وحرمانهم من التركة، ومن المنح،

ومن سهم نوي القوي! وبموت فاطمة انصرف الناس عن علي، فشق بنفسه طريق المصالحة، وبإيعاق هو وبنو هاشم وسلموا بالأمر الواقع!! فعساه أن يتمكن يوماً من إطلاع الأمة على الحقيقة العرة، وأن يبصر

الصفحة 323

الناس بالنقاطيع الأساسية للمنظومة السياسية الإلهية، فيقلنوا بينها وبين ما حدث في التريخ!!

26 - احتجاج الزهراء على القورات الاقتصادية والملجأ الجديد

لما قرر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حرمان أهل البيت الكرام من موات النبي ومساورة المنح التي منحها لهم النبي حال حياته، وتجريد الآل الكرام من حقهم في كل ممتلكات النبي، وحرمانهم من حقهم في الخمس الولد في آية محكمة (لائت الزهراء خمرها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفتها ونساء قومها، تطأ ذبولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء فرتج المجلس، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فرتهم قالت) كما أورده أبو بكر الجوهري في سقيفته، وأحمد بن أبي طاهر البغدادي في بلاغات النساء، راجع شوح النهج مجلد 4 صفحة 87، وبلاغات النساء صفحة 12 - 15، وكما أجمع على مضمون ذلك أئمة أهل البيت الكرام، وإن كانت نصوص احتجاجها وخطبتها متفاوتة على حسب ما حفظه الرواة، أو سمحت بوصوله إلينا قيود الحكومات.

27 - النص الحرفي للاحتجاج

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسوغ آلاء أسداها، وتمام ممن والها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الخواء أمدها، ونقلوت عن الإواك أمدها، وندبهم لاسوادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإخوالها، وثنى بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كفيته، ابتدع الأشياء لا من شئ كان قبلها، وأنشأها

الصفحة 324

بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته، وفوأها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصورها، إلا تثبيتها لحكمته، وتثبيتها على طاعته، وإظهار لقدرته، وتعبداً لربيته، وإغزلاً لدعوته.

ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده عن نعمته، وجياشة منه إلى جنته.

وأشهد أن أبي محمداً (صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله، اختلوه وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعته، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، علما من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقذور. ابتعته تعالى إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نوانها،

عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ظلمتها، وكشف عن القلوب بهمها، وخلق عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصوهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد (صلى الله عليه وآله) من تعب عن هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأوار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وأمينة على الوحي وصفيه، وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت:

أنتم عباد الله نصب أوره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغوه إلى الأمم، وزعمتم حق الله فيكم، عهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقوان الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، منكشفة سوائه، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاء أسماعه، به تنال حجج الله المنورة وعوائمه المفسوة، ومحلرمة المحفوة، وبيئاته

الصفحة 325

الجالية، وواهينه الكافية، وفضائله المنوبة، وخصه الموهوبة، وشوائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهوا لكم من الشوك، والصلاة تترىها لكم عن الكبر، والزكاة توكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشبيدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب. وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفوق، والجهاد غوا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وير الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منامة للعدد، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعويضا للمغفرة، وتوفية المكايل والمولزين تغييرا للبخس، والنهي عن شوب الخمر تويها عن الوجس، واجتناب الفذف حجابا عن اللعنة، وتوك السوقة إيجابا للعفة، وحرم الله الشوك إخلاصا له بالربوبية. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله في ما أمركم به، ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت:

أيها الناس! اعلما أني فاطمة، وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) أقول عودا وبدءا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فإن تغوه تجنوه أبي دون نسائكم، وأخ ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المغوى إليه (صلى الله عليه وآله)، فبلغ الرسالة، صادعا بالنزلة، مائلا عن موجهة المشوكين، ضلربا ثبجهم، آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع، وولوا الدبر، حتى توى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخوست شقاشق الشياطين، وطاح وشيق النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهت بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص،

وكنتم على شفا حوة من النار مذقة الشرب، ونهوة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطوق، وتقتاتون

الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله

الصفحة 326

تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهيم الرجال، ونؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقنوا نرا للحرب أطفالها الله، أو نجم قرن للشيطان وفغوت فاعوة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يبطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكنودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قويا من رسول الله، سيد أولياء الله، مشورا ناصحا، مجدا كادحا، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا النوائر، وتتوكفون الأخبار، وتتكصون عند الزوال، وتغرون عند القتال!!

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، وموى أصفياته ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلبات الدين، ونطق كاظم الغلوين، ونبغ حامل الأقلين، وهد فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغززه هاتفا بكم، فألقاكم تدعونه مستجيبين، وللغة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمأكم فألقاكم غضايا، فوسمتم غير إيلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والروح لما يندمل، والوسول لما يقبر ابتلاز عمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين!

فهيهاات منكم، وكيف بكم، وأنى توفكون، وكتاب الله بين أظهوركم، أمره ظاهرة، وأحكامه زاخرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لائحة، وأوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم، رغبة عنه تويدون، أم بغوه تحكمون، بنس للظالمين بدلا، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين!

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نوتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم توروبن وقدها، وتهيجون جموتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أوار الدين الجلي، وإخماد سنن النبي الصفي، تسرون حسوا بلرغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضواء، ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم رعمون أن لا رث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون!

أفلا تعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية، أنى ابنته.

الصفحة 327

أيها المسلمون أغلب على رث أبي؟ يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله أن توث أباك ولا رث أبي؟ (لقد جئت شيئا فريا) أفعلى عمد توكتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول (ورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا (عليهما السلام) إذ قال (ب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال (بوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال (إن ترك خوا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة لي، ولا رث من أبي، ولا رحم بيننا!! أفخصكم الله بأية أخرج منها أبي!! أم تقولون

أهل ملتين لا يقولان!! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة!! أم أنتم أعلم بخصوص القآن وعمومه من أبي وابن عمي؟
فدونكها مخطومة، موحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والرعيح محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة ما تحيرون،
ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون، من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم!
ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

يا معاشر الفتية، وأعضاء الملة، وأنصار الإسلام، ما هذه الغمزة في حقي؟
والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي يقول (الراء يحفظ في ولده) سوعان ما أحدثتم وعجلان
ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب ورأول!

أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله) فخطب جليل استوسع وهبه، واستشهر فنقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض
لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، ورُيئت الحرمة عند مماته، فتلك والله النزلة
الكوى والمصيبة العظمى، لا مثلها نزلة، ولا بانقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثلوه في أفنيتم، في ممساكم ومصبحكم،
هتافا وصواخا وتلاوة وألحانا، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حسم (وما محمد إلا رسول قد خلت من
قبله الوسل أفان مات أو

الصفحة 328

قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) إيها بني قبيلة أأهضم راث أبي،
وأنتم بى أى مني ومسمع ومبتداً ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخوة، وأنتم نوا العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم
السلاح والجلية، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصوخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، وأنتم معروفون بالخير
والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخوة التي اختيرت، قاتلتم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا
نوح أو توحوون نأمركم فتأتمرون، حتى دلت بنارحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخصصت نصوة الشوك، وسكنت فورة
الإفك، وخمدت نوان الكفر، وهدأت دعوة الهوج، واستوسق نظام الدين.

فأنى جسوتم بعد البيان، وأسورتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم،
وهموا بإخراج الرسول وهم بئوؤكم أول مرة! أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) ألا قد رى أن قد أخذتم إلى
الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوت من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي
تسوغم (فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد)!

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة
الغيظ، وخور القنا، وبثة الصدور، وتقدمة الحجة.

فدونكموها فاحتقوها، دوة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة،
التي تطلع على الأفتدة. فبعين الله ما تفعلون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد

28 - جواب أبي بكر

يا ابنة رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رؤوفا رحيما وعلى الكافرين عذابا أليما وعقابا عظيما، فإن عزوانه وجدناه أباك نون النساء، وأخا لبعلك نون الأخلاء، آؤه على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا كل سعيد، ولا يبغضكم إلا كل شقي، فأنتم عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الطيبين، والخوة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خوة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مودودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول نحن معاصر الأنبياء لا نورث ذهابا ولا فضة ولا درا ولا عقرا، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر، بعدنا أن يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته في الكواع والسلاح، يقاتل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالون العودة ثم الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين لم أنفود به وحدي، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا تزوي عنك، ولا نذخر نونك، وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع ما لك من فضل، ولا يوضع من فؤك وأصلك، حكمك نافذ في ما ملكت يدي، فهل توين أن أخالف في ذلك أباك.

فألت (عليها السلام): سبحان الله ما كان رسول الله عن كتاب صادفا، ولا لأحكامه مخالفا، بل كان يتبع آؤه، ويقفو سورته، أفتمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته، شبيه بما بقي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا يقول (برثي وبرث من آل يعقوب)، (ورث سليمان داود) فبين عز وجل ما زرع عليه من الأقساط، وشوع من الفوائض والمواث، وأباح من حظ الذكوان والإناث، ما أراح علة المبطلين، ورأل التظني والشبهات في الغاوين، ولا (بل) سولت لكم أنفسكم أموا فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون).

فقال أبو بكر: صدق رسول الله وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر وهم بذلك شهود!

فالتفتت (عليها السلام) وقالت: معاصر الناس الموسوعة إلى قبل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، (أفلا يتدبرون القوان أم على قلوب أقفالها) كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشوتكم، وشر ما منه اعتضتم، لتجدن والله محمله ثقيلًا، وغبه وببيلًا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراء الضواء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تخشون، وخسر هنالك المبطلون.

ثم عطفت على قبر رسول الله وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبة * لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها * واختل قومك فاشهدهم وقد نكحوا
أبدت رجال لنا نجرى صدورهم * لما مضيت وحالت بونك التراب
تجهمتنا رجال واستخف بنا * لما فقدت وكل الأرض مغتصب
وكنت بوا ونورا يستضاء به * عليك تقول من ذي الغوة الكتب
وكان جويل بالآيات ينبئنا * فقد فقدت فكل الخير محتجب
إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن * من البرية لا عجم ولا عرب

29 - كلامها مع نساء المهاجرين والأنصار

زلتها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فقالت (عليها السلام) أصبحت والله عاتفة لديناكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سورتهم، فقبحا لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الوأي،

الصفحة 331

بئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وسنت عليهم علها، فجدعا وعقوا، وسحقا للقوم الظالمين. ويحهم أنى زحروها عن رواسي الرسالة، وقواعد النوبة، ومهبط الوحي الأمين، والطيبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخوان المبين. وما نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطنه، ونكال وقعته، وتنوره في ذات الله عز وجل.

والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاعتلته، ولسار بهم سورا سجحا، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلا نموا فضفاضا، تطفح ضفتاه، ولأصوهم بطانا، قد تحير بهم الوي، غير منحل منه بطائل إلا بغمر الماء، وردعة شرة الساغب، ولفتحت عليهم بوكات من السماء والأرض. وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.
ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث، إلى أي سناد استنوا، وبأي عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابا والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فوغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون! أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون!!

أما لعمر إلهك لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلوا طلاع القصب دما عبيطا، وذعافا محقوا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما سن الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا، وطامنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صلرم، وهوج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيدا، وزرعكم حصيدا، فيا حسوتي لكم، وأنى بكم وقد عميت عليكم! أنؤمكموها وأنتم لها كلهون!!! راجع شوح النهج لابن أبي الحديد مجلد 16 صفحة 234، وبلاغات النساء صفحة 19، والإحتجاج للطوسي مجلد

30 - رأي آخر لفاطمة الزهراء

(أما والله لو تركوا الحق على أهلهم، واتبعوا عزة نبيه، ما اختلف في الله اثنان، وورثها سلف عن سلف، وخلف بعد خلف، حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، ولكن قدموا من أخوه الله، وأخروا من قدمه الله). راجع البحار مجلد 36 صفحة

.352

31 - أفيلوني بيعتي

مما لا شك فيه أن أبا بكر رقيق القلب، فقد تأثر بكلام الزهراء وخاف من قولها له (والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصلها). راجع الإمامة والسياسة صفحة 14
وهاله منظر الصديقة بعد محاولة عمر (رضي الله عنه) لإحراق بيتها، وقوة حجة الإمام، كل هذه الأمور تراحت في ذهنه فاجتمع إليه الناس بعد خروجه من بيت فاطمة فقال لهم يبييت كل رجل منكم معانقا حليلته، مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم أفيلوني بيعتي. راجع الإمامة والسياسة صفحة 14.

32 - لشيعه أبي بكر رأي آخر

حتى لو أراد أبو بكر أن يتنزل عن الخلافة لما استطاع إلى ذلك سبيلا، فلا يقبل عمر (رضي الله عنه) ذلك، ولا تقبل بطون قريش ذلك، ولا يقبل المؤمنون في نظامه والمستفيدين منه، ولا يقبل الذين يكرهون آل محمد، فاتحد الجميع وقالوا يا خليفة رسول الله إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين! فقال أبو بكر:
والله لو لا ذلك وما أخافه من رخوة هذه العروة، ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة.
راجع الإمامة والسياسة صفحة 14.

33 - احتجاجات الإمام علي (عليه السلام)

لقد احتج الإمام علي بكل أساليب الاحتجاج، فقد أخذت قريش الخلافة من الأنصار بحجة أن قريش عشوة النبي، وأهله وأوليؤه، وأن العرب تأبى أن تولى

الخلافة إلا من كانت النوة فيهم. راجع كلمة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وكلمة عمر رضي الله عنهما، وكما أجمع على نقلهما بهذا الجوهر كافة المؤرخين. أنظر على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري.
وقد واجه الإمام القوم وقال لهم: لقد احتجتم على الأنصار بالقوابة من رسول الله، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتجتم به

على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا.

وعندما انهزلت وتداعت حجة القوابة كمسند للخلافة، احتجت بطون قريش بالشورى، فاحتج عليهم الإمام بقوله: فكيف بهذا والمشيرون غيب!! على حد تعبير الكميت بن زيد الأسدي الشاعر، إذ من الواضح أنه لم يستشر أحد من أهل البيت ولم يحضر هذه الشورى أي هاشمي، فما معنى الشورى التي لا يحضروها أعدال الكتاب، والمتفردون بمعرفة الصواب؟ وطوال حياة الإمام، وطوال حياة العزة الطاهرة، وهم يحتجون ويشكون، ويوضحون طبيعة الإمامة وأنها اختصاص من كل الوجوه، فليس بإمكان أي متغلب أن يكون إماما، فقد ركز الإمام على علم أهل البيت، والإعداد الإلهي لهم لقيادة الأمة، وعلى موقعهم في النظام السياسي الإسلامي، وأنهم حجر الأساس فيه، وركز على الظلم الذي لحق به وبأهل بيته وباتحاد على قريش على منزلته في حقه بالخلافة، وعلى الاستبداد على أهل البيت في هذا الأمر وهم (الأعلون نسبا، والأشدون برسول الله نوطا) حتى إذا آلت الخلافة إليه وبالطريقة التي سنتها أقطاب قريش، انتفضت عليه قريش، وأفسدت عليه أمره، وما زالت به حتى زغعت لركان ملكه، وسلبته سلطان ابن أمه!

لذلك فإن شعور الإمام بالظلم كان فظيحا، واكتسبت شكواه صدى خاصا يقطع نياط القلوب! وقد سمع الإمام يوما صلحا ينادي أنا مظلوم فقال الإمام: هلم فلنصوخ معا، فإنني ما زلت مظلوما! مجلد 3 صفحة 351 من شوح النهج لابن أبي الحديد. وكانت طبيعة احتجاجات الإمام سلمية، قائمة على الحجة الشرعية، ومنطق العقل.

الصفحة 334

34 - أسباب عدم استعمال الإمام للقوة

لقد استقام أمر الحكم، وبحث الناس عن مصالحهم بالمشركة في النظام الجديد، فحاول الإمام أن يطلب النصرة هو وزوجته ووالده من كل بيت من بيوت الأنصار، ولكن الأنصار كانت قد انبهرت وبايعت وتعذر أن تجيبه لهذا السبب، مؤكدة أنه لو سبق أبا بكر إليهم ما عدلوا به، فكان يقول: أفكنت أدع رسول الله جنزة لم أجهده، وأخرج لأنواع الناس أمره!!؟ هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنه ليس معه من الناحية الفعلية إلا الهاشميون، وماذا يغني الهاشميون عنه أمام وحدة قريش ضده، وحياد الأنصار أو اتحادهم مع قريش!! فأى مواجهة بين الهاشميين وبين هذا التجمع الكبير هي من قبيل الانتحار، وعبر الإمام عن هذه الحقيقة بقوله (وظفقت رثتي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء...). راجع مجلد 1 صفحة 134 من شوح النهج أو بقوله (ففظوت فإذا ليس لي رافدولا مساعد إلا أهل بيتي، فظننت بهم عن الغنية... مجلد 3 صفحة 639

وهناك سبب آخر دفع الإمام للاحتجاج السلمي وعدم استعمال القوة وهو ما عبر عنه بقوله:

فأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلف... راجع المجلد الأول من شوح النهج صفحة 249. ولعل هذا أهم سبب من أسباب موادعة الإمام وجنوحه للاحتجاج الشعري والعقلي بصورة سلمية.

وهناك سبب آخر أنه لو تجلوز الإمام حدودا معينة بالاحتجاج فقد تفتله السلطة، لأنها لا تسمح لأحد من رعاياها أن يشكك بشوعية وجودها، والإمام لا يخزع من الموت بل يعشق الموت أكثر من عشق الوضع لثدي أمه، لكن لو قتلتها السلطة

الصفحة 335

ونتيجة الرُخم الإعلامي وسيطرة السلطة على وسائل الإعلام، فقد يضيع الجانب الأهم في النظام السياسي الإسلامي ولا تعرفه الأمة، ووجود الإمام على قيد الحياة ضروري لإحاطة الأمة علما بالفوق بين ما وقع، وما كان لازما أن يقع حسب قواعد الشوع.

فمن خلال احتجاجاته السلمية، وفي ظروف غاية في الضنك والقسوة، بين الإمام النظام السياسي الإسلامي بخطوطه العريضة وتفصيله، وتترك للأمة أن تتأكد من صواب بيانه، وأن هذا البيان كان متعلضا تماما مع الواقع التاريخي.

35 - الإحتجاج بتميز أهل البيت الكرام

بنو هاشم عامة، وأهل البيت خاصة يشكلون فئة متميزة تماما عن غيرها من جماعات الأمة وفئاتها، ومن يسبر غور المنظومة الحوقية الإلهية وتاريخ نشأة الإسلام، ويعرف طبيعة النظم السياسية في العالم، يبرك بأقل جهد بأن هذه الفئة خصصت شورا لقيادة الأمة، ولمرجعيتها، وأهلت للقيادة والمرجعية معا، وتحملت من التبعات ما لم تتحمله أي فئة أخرى! وأن هذه الفئة قد أعدت لتكون نقطة استقطاب للأمة أيضا كلما انفرط عقدها، وتبعثر جمعها! وما يؤكد هذا التوجه ما بينه الرسول وأجمعت عليه الأمة بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خير الناس فوقة وقبيلة وبيتا ونسبا وحسبا، راجع صحيح الترمذي مجلد 2 صفحة 269 ، والمستترك على الصحيحين مجلد 4 صفحة 73 ، وكنز العمال مجلد 6 صفحة 108 ، والدر المنثور في ذيل آية التطهير .

فضلا عن الآيات الوأنية النزلة بهم، كآية التطهير، راجع صحيح مسلم بشوح النووي مجلد 15 صفحة 194 ، وصحيح الترمذي مجلد 5 صفحة 30 حديث 3158 ، وآية المودة في القوبى، راجع الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 101، والمستترك للحاكم مجلد 3 صفحة 172 وكآية المباهلة، راجع صحيح مسلم مجلد 2 صفحة 360 ، وصحيح الترمذي مجلد 4 صفحة 293 ، وآية الإطعام، وآية الاعتصام، وآية

الصفحة 336

الصادقين، وآية أولي الأمر، وآية أهل الذكر، وآية المنزعة، وآية الإنذار والهداية، وآية الصواط المستقيم، وآية الولاية، وآية الغوان، وآية السلم، وآية التبليغ، وآية الإكمال.... إلخ.

وقد لخص النبي الكريم هذا التميز بحديث الثقلين الذي أجمعت الأمة على صحته، حيث بين أن الهدى لا يبرك إلا بالتمسك بالثقلين، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين معا، وهما كتاب الله، وعوة النبي أهل بيته. وهذا قمة التميز

المبرك.

والإمام علي (عليه السلام) أشار إلى هذا التمييز أكثر من مرة، كقوله: أين الذين زعموا أنهم الواسخون في العلم بوننا، كذبا وبغيا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى، مجلد 3 صفحة 187 أو كقوله: إن الأئمة من قريش غسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غوهم. مجلد 3 صفحة 187 مكتبة الحياة.

أو كقوله: إن الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكروهم وأنكروه... مجلد 3 صفحة 238

أو كقوله: نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا توتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتى من غير أبوابها سمي سارقا. مجلد 3 صفحة 247

أو كقوله: منهم كرائم الإيمان، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا. مجلد 3 صفحة 256

أو كقوله: أسوته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، أغصانها معتدلة، وثملها متهدلة... مجلد 3 صفحة 300

أو كقوله: أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسبا والأشدون برسول الله (صلى الله عليه وآله) نوطا، فإنها كانت أثرة... مجلد 3 صفحة 303

أو كقوله: هم موضع سوره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهوره، وأذهب لتعاد فوائده. المجلد الأول صفحة 124



أو كقوله: لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من حوت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفئ الغالي، وبهم يلحق التالي، لهم خصائص النبوة، ولهم حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة... وقال عندما انتقلت إليه الخلافة: الآن رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله، المجلد الأول صفحة 125 من شوح النهج.

أو كقوله: بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتم نروة العليا، وبنا انفجرتم عن السوار، وقر سمع لم يفقه الداعية، وكيف راعي النبأة من أصمته الصيحة... المجلد الأول صفحة 174

36 - التصدي لدعايات السلطة والاحتجاج عليها

السلطة لم تخش فئة كما خشيت آل البيت، لذلك قادت السلطات طوال التاريخ حملة إعلامية هائلة لخلط الأوراق! ومن أقدم دعايات السلطة أن علي بن أبي طالب طالب إمرة وحريص على السلطة، وبالتالي لا ينبغي أن يولي الإمرة... انظر إلى قوله (عليه السلام): وقال قائل إنك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص، فقلت بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، إنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي بونه، فلما قعته بالحجة في الملاء الحاضرين هب كأنه بهت لا يبري ما يجيبني... مجلد 3 صفحة 350

وقال (عليه السلام): اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي وأكفؤا إنائي، وأجمعوا على منزلتي حقا كنت أولى به من غوي وقالوا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الفنية، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشجا، وصوت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من وخز الشفار. مجلد 3 صفحة 69

أو كقوله: وقد سمع صلخا ينادي أنا مظلوم فقال: هلم فلنصوخ معا فإنني ما زلت مظلوماً. مجلد 3 صفحة 351

37 - هجروا السبب الذي أمروا بمودته ورجعوا على الأعقاب

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل واتكفوا على الولايج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضلرب في غيرة، قد ساروا في الحرة، ودخلوا في السكرة، على سنة من آل فوعون، من منقطع إلى الدنيا ساكن، أو مفلق للدين مباين... راجع شوح النهج مجلد 3 صفحة 222

قال (عليه السلام): أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده، وسينتقم الله ممن ظلم، مأكلاً بمأكل ومشرباً بمشروب، من مطايا العلقم، ومشرب الصبر والمقر، ولباس الخوف، وذيثار السيف، وإنما هم مطايا الخطيئات، وزوامل الآثام...

38 - أنين أمير المؤمنين علي

عندما دفن الزهراء تكلم (عليه السلام) بقلب يقطر أسى إلى أن قال مخاطبا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أما حزني عليك فرمدم، وأما ليلي فمسهد، إلى أن يختار لي لره التي أنت بها مقيم، وستبتك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال واستخوها الحال...

مجلد 3 صفحة 552

39 - أنس بالموت من الطفل بثدي أمه

وقال (عليه السلام): فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت قولوا خزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطوبتم اضطراب الأرشية في الطوى البيعدة، مجلد 1 صفحة 178

الصفحة 339

وقال (عليه السلام): فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي، مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) حتى يوم الناس هذا، مجلد 1 صفحة 185

40 - وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف

وقال (عليه السلام): فإنه لما قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) قلنا نحن أهله وورثته وعوته، وأوليؤه من دون الناس، لا ينزلنا سلطانة أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذا انوى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصار الأمر لغيرنا، وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشيت الصدور، وخزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفوقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكننا على غير ما كنا عليه... مجلد أول صفحة 248 - 249

41 - استأثرت علينا قريش

وقال (عليه السلام): إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، فأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يمحض محض الوطوب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلاف..... مجلد أول 249

42 - ألبا الناس علي ونكتا بيعتي

ورفع يديه بعد وقعة ذي قار وقال: اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني، وألبا علي، ونكتا بيعتي، فاحلل ما عقدا، وانكت ما أروما، ولا تغفر لهما أبدا، ورأهما المساءة في ما عملا وأملا، مجلد 1 صفحة 251

وقال (عليه السلام): فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت

الشجى، وصوت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم، مجلد 1 صفحة 291

الصفحة 340

وقال (عليه السلام): فيا عجباً! عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفوقكم عن

حقكم، فقبحا لكم وتوحاً، حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وتوضون.

وقال (عليه السلام): في كتابه لأخيه عقيل إن ابن أبي سوح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصد عن سبيل الله وبغاهها

عوجاً، فدع ابن أبي سوح، ودع عنك قريش، وخلهم وتوكاضهم في الضلال، وتجالهم في الشقاق، ألا وإن العرب قد أجمعت

على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحوا فضله، ونصوا له الحرب،

وجهدوا عليه كل الجهد، وجرؤوا إليه جيش الأخاب، اللهم فاجز قريشا عني الجولي، فقد قطعت رحمي، وتظاهوت علي،

ودفعتني عن حقي، وسلبتني سلطان ابن أُمي، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي، في قوابتي من الوسول وسابقتي في الإسلام، إلا

أن يدعي مدع ما لا أعرف ولا أظن الله يعوفه.... مجلد 1 صفحة 358 - 359 من الشرح.

43 - أسباب نقمة قريش على أهل البيت

وقال (عليه السلام): ما لي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلتهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم

اليوم، والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختلنا عليهم، فأدخلناهم في حزننا، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعبري شربك المحض صابحا * وأكلك بالزبد المقتوثة البجوا

ونحن وهبناك العلى ولم تكن * عليا وحطنا حولك الجرد والسجوا

المجلد الأول صفحة 404

الصفحة 341

44 - كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

فكان أول من أجاب وأنا بصدق ووافق فأسلم، أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب، فصدقه بالغيب المكتوم، وآؤه على

كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه وماله من كل خوف فحرب حربه، وسالم سلمه، فلم يروح مبتذلاً لنفسه في ساعات

الأول ومقامات الروع، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقرب له في فعله، وقدر أيتك تساميه وأنت أنت وهو

السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس نزية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن

عم، وأنت اللعين ابن اللعين لم تقل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك

الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته.

والشاهد عليك بذلك من يلوي ويلجأ إليك من بقية الأخاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله

والشاهد لعلّي مع فضله وسابقته القديمة أنصلهم الذين ذكروهم الله تعالى في القرآن فضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب يجالنون حوله بأسياهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في إتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلي، وهو ورث رسول الله ووصيه، وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخوه بسوه ويشركه في أمره... راجع المجلد الأول صفحة 631 - 632 وأورسالة معاوية لمحمد بن أبي بكر.

وقال سلمان الفارسي عندما بويح أبو بكر: أصبتم ذا السن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم، ما اختلف عليكم اثنان، ولأكلتموها رغداً. مجلد 1 صفحة 310 من شوح النهج نقلا عن السقيفة للجوهري.

الصفحة 342

45 - الخطبة المعروفة بالثقيفية ويبين فيها الإمام حقائق الأمور

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرجا، ينحدر عن السيل، ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت رُتني بين أن أصول بيد جزاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصوت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، رى واثي نهبا، حتى مضى الأول إلى سبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده

شتان ما يومي على كورها * ويوم حيان أخي جابر

فيا عجبا! بينا هو يستقلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضوعيا، فصوها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كواكب الصعبة، إن أشنق لها حرم، وإن أسلس لها تقحم.

فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصوت على طول المدة، وشدة المحنة.

حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الويب في مع الأول منهم حتى صوت (أقون) إلى هذه النظائر! لكني أسففت إذ أسفوا، وطوت إذ طاروا، فصغارجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصوه، مع هن وهن!

إلى أن قام ثالث القوم، نافجا حزنه، بين نثيله ومعتلغه، وقام معه بنو أبيه، يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن (انتكث) به قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته.

فمارعني إلا والناس كعوف الضبع إلي، يئنثلون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسان، وشق عطاياي، مجتمعين حولي كوبيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر

الصفحة 343

نكثت طائفة، وموتت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسموا كلام الله حيث يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوا ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زوجها.

أما والذي فلق الحبة ورأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة، بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا (يقروا) على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه رهد عندي من عفة عنز.

وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه هذا الموضع من خطبته فنأوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس: لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت. فقال:

هيهات يا ابن عباس تلك شفشقة هرت ثم قوت. راجع المجلد الأول من شرح النهج تحقيق حسن تميم صفحة 134، 142، 158، 167، 171، 172

46 - مقولات لا تصمد في مواجهة منطق القانون

رئاسة الدولة أو الإمامة في الإسلام مجنزة ومغروسة ومربوطة ربطاً محكماً بالمنظومة الحقوقية الإلهية، تتبع منها، وتتغذى عليها وتتكامل معها، فالإمام هو وحده بعد النبي الذي يفهم المنظومة الحقوقية الإلهية فهما قائماً على الجزم واليقين، فهو مرجع الأمة الديني، والحقوقي، بالدرجة الأولى ومرجعها وقائدها الدنوي بالدرجة الثانية. والمنظومة الحقوقية الإلهية هي بمثابة القانون النافذ الذي يطبقه الإمام على أقاليم وشعب دولة الأمة.

ولا تستقيم الأمور بالضرورة إلا إذا تولى القيادة السياسية ذات الإمام الشوعي الذي يشهد له الله والرسول والمنطق والعقل بأنه هو الأعلّم والأفهم بأحكام المنظومة الحقوقية الإلهية وأنه الأصلح والأفضل من بين أتباع الملة. هذان أساسان، منظومة حقوقية إلهية هي بمثابة القانون النافذ، وقيادة سياسية ومرجعية معا وهي وحدها القادرة على فهم هذه المنظومة الفهم الشوعي تماماً، وهما معا لا يفتقران بالضرورة.

الصفحة 344

هذا هو منطق القانون. أما المقولات التي روجها الحكام بأن المنظومة الإلهية لم تحدد ولم تبين للناس من يتولى القيادة من بعد النبي، وأن النبي قد ترك أمتة ولا راعي لها من بعده، فهي مقولات لم تعد قاهرة على الثبات أمام المنطق وأمام العقل وأمام الدين نفسه. إذ من الثابت أن الله أكمل الدين وأتم النعمة وبين كل شئ على الإطلاق وأعلن كمال الدين وتمام النعمة وتم بيان كل شئ بما فيه كيفية (التبول)، فهل يعقل أن يغفل الشلوع الحكيم عن بيان أهم شئ وهو رئاسة الدولة أو الإمامة؟ وهل يعقل أن لا يبين للأمة كيف تنتقل هذه الإمامة من إمام إلى إمام؟ فهل يمكن أن يبين الهين ويتوك الصعب؟ أو أن يوضح المهم ويتوك الأهم.

47 - حتى معاوية، وحتى النساء لا تتعقل ذلك!

فقد بينا أن أم المؤمنين عائشة قالت لعمر استخلف عليك ولا تدعهم بعدك هملاً، وأن ابن عمر قال لأبيه لو جاءك راعي غنمك أو إبلك وقد ترك ولا راعي لها للتمه، ووثقنا ذلك، وهذا هو معاوية يقول (كوهت أن أدع أمة محمد لراعي لها) الإمامة والسياسة صفحة 184 فهل يعقل أن يكون ابن عمر، ومعاوية، وأم المؤمنين أوى بعواقب الأمور من الله ورسوله!! ما لكم كيف تحكمون؟ ثم إنني أتساءل: دلوني على هذا الحاكم الذي مات ولم يستخلف إما تصريحا أو تلميحا؟ بل إنني أتحدى عبدة التقليد أن يدلوني على منظومة حقوقية إلهية أو وضعية لم تبين من يخلف الحاكم القائم أو كيفية انتقال رئاسة الدولة من شخص إلى آخر؟

فهل المنظومات الوضعية أكثر كمالاً من المنظومة الإلهية؟!

ثم إذا كانت هذه المقولات صحيحة، فلماذا لا تتوكلوا أمة محمد كما توكلها رسول الله وبعثكم؟

فإذا كان الرسول ترك فلماذا لا تتوكلون، وإذا كان الرسول استخلف فلماذا رفضتم استخلافه!!

الصفحة 345

48 - ما هو القصد من هذه المقولات

القصد من ترويج هذه المقولات غير الصحيحة هو توير رفضهم للترتيبات الإلهية، وكراهية بطون قريش أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة، أو بتعبير أدق للتغطية على غضب سلطان النبي من آل الكوام!!

49 - القواعد التي أوجدها الحكام لرئاسة الدولة وانتقالها ليست هي حكم الشوع

القواعد الحقيقية التي يتناقلها ويردها منظرو الفكر السياسي الإسلامي منا نحن أهل السنة وروابطونها ربطاً ببعضها، ليست هي حكم الشوع في رئاسة الدولة وكيفية انتقال الرئاسة، إنما هي وقائع التاريخ الإسلامي ولا سند لها من الشوعية إلا فعل الحكام، وقد اخترع أشياع الحكام مبدأ إجماع الصحابة الكوام كسند لهذه القواعد، وإخفاء الشوعية على هذه القواعد. مع أن إجماع الصحابة لم يتحقق قط بعد وفاة الرسول.

ثم إن هذه القواعد نفسها لم تدم على حال إنما كانت عرضة للتبديل والتحويل والتغيير. فبيعة أبي بكر كانت فلتة كما وصفها عمر رضي الله عنهما، وأبو بكر عهد لعمر، وعمر عهد لستة، والغالب كان يعهد لابنه، حتى يأتي غالب جديد وروى رأيه.

50 - وجه الاعتراض على ما حدث

بطون قريش ترفض أن يجمع آل الكوام النبوة والخلافة معاً، وقد رأت أن الترتيبات الإلهية بجمع النبوة والخلافة لآل محمد مجحفة بحق البطون فقوت تلك البطون أن تقسم قسمة جديدة بعد وفاة النبي فتكون النبوة لبني هاشم والخلافة للبطون،

وخطت على هذا الأساس حتى أثناء حياة النبي ونفذت هذه الخطة أثناء مرضه ونجحت بتخطيطها وعينت أول خليفة وهو أبو بكر (رضي الله عنه) أثناء انشغال الآل الكرام

الصفحة 346

بتجهيز النبي ليوري في ضواحه الأقدس حتى يتم الأمر بغيابهم ويواجهوا الآل الكرام بواقع جديد وبموقف موحد لا طاقة لهم على مواجهته، وهكذا كان فغلب الآل الكرام على أمرهم.

إن الخليفة الذي نصبته البطون رجل صالح من كل الوجوه، ومحترم من كل الوجوه، ومن أجلاء الصحابة الكرام، ولا (مطلق) لنا عليه، لكنه ليس هو الإمام الذي عينه الله ورسوله، وليس هو الشخص المجذر بالمنظومة الإلهية، وليس هو الشخص الذي يفهم المنظومة الحقوقية فهما قائما على الجزم واليقين، لأن الفهم القائم على الجزم واليقين اختصاص وعمل فني من كل الوجوه وهو صادر عن الأعلم والأفهم بالمنظومة والأفضل والأصلح من بين أتباعها وتلك صفات لا يعلمها إلا الله!

ومن هنا فإن الله تعالى حدده وبينه وأمر الرسول أن يعلن ذلك للناس فأعلنه الرسول مرات ومرات ومنها مرة بمكان يدعى غدیر خم، ولا يوجد في العالم اسم مشابه لإسم هذا المكان حتى يتذكر الناس، وبمناسبة حجة الوداع حتى لا ينسى الناس، وأمام جمع يزيد على مائة ألف مسلم، وهو أكبر تجمع عرفه تليخ الجزيرة آنذاك.

هذا هو وجه الاعتراض، فوجه الاعتراض منصب على مستقبل النظام، على عدم إعمال القواعد الشوعية، على طريقة التنصيب، على الإصوار باستعباد الذين لا تترك الهداية إلا بهم، ولا تتجنب الضلالة إلا بهم!!! هذا هو فقط وجه الاعتراض.

51 - وجه الخلل فيما حدث

الخليفة الذي نصبته البطون رجل صالح من كل الوجوه، ولكن ليس هو الخليفة الذي عينه الله وشهد له بأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأصلح.

الخليفة الذي عينه الله ورسوله أصبح من الناحية الواقعية محكوماً، ومهاناً، ومظلوماً، وواحداً من الوعية، ومجرداً من كل سلطة، ولا حول بيده ولا قوة.

الخليفة الفعلي المتغلب عاجز عن فهم المنظومة الحقوقية الإلهية فهما قائما على الجزم واليقين، وفي نفس الوقت من اختصاصه الواقعي أن يطبقها على الوعية.

الصفحة 347

والخليفة الشوعي المغلوب على أمره يفهم المنظومة، ولكنه لا يستطيع أن يطبق هذا الفهم.

كل هذا أدى لوقوع خلل بدأ بسيطاً ثم أخذ يستفحل حتى عصف بالأمة طوال تليخها، وعصف بالمنظومة الحقوقية الإلهية نفسها، ففهمتها الأمم الأخرى على غير حقيقتها.

ومع الأيام تداعت صلة المنظومة الحقوقية الإلهية بمؤسسة الخلافة أو الإمامة، فأصبحت الإمامة تؤول وحدها، والخلافة

وحدها، والمنظومة وحدها! وأصبحت الخلافة حقا خالصا لمن غلب وأحسن التخطيط والتدبير بالخفاء، فكثرت الطامعون بالخلافة، وتحولت عملية الاستيلاء على الخلافة إلى مشكلة مستعصية الحل صلت هي الأصل لكل بلاء، والثورة لكل حرب أو فتنة، فأصبحت هذه المشكلة سنة، فطالما أن الآباء اجتهدوا بالخروج على الشوعية وترك النص الصريح، والاجتهاد مع وجوده، وطالما أن الآباء لم يلتزموا بموالاته أهل البيت وهم القاسم المشتوك، وأنفوا من القبول بحكمهم ورئاستهم للدولة، فكيف نطلب من الأبناء أن يخالفوا سنة آبائهم!؟

52 - قانون الغلبة

أبو بكر (رضي الله عنه) لم ينل الخلافة بسبب صفاته الشخصية الحميدة فحسب أو لأنه من المبشرين بالجنة، أو لأنه كبير السن... إلخ. إنما أصبح خليفة لأنه تعاون مع عمر ومع البطون، وخططوا وأحسنوا التخطيط وحققوا الغلبة. كذلك فإن عمر نصب خليفة لأنه شريك الغالب ولأن قائد الحزب الغالب قد عينه وعهد إليه. كذلك عثمان رضي الله عنهم أجمعين أصبح خليفة لأن الغالب قد عهد إليه. كذلك حكم الأمويون لأنهم غلبوا، ثم حكم العباسيون لأنهم غلبوا أيضا، ثم حكم العثمانيون لأنهم غلبوا، ثم تحولت الأقاليم إلى دول بعد سقوط نظام الخلافة، وتغلبت كل فئة على إقليم فحكمته، فالرئاسة أو الخلافة أصبحت حقا لمن غلب. ولو نفذت الترتيبات الإلهية وحصرت رئاسة الدولة بعمادة أهل بيت النبوة لما اختلف اثنان على حد تعبير سلمان الفلسي،

الصفحة 348

وبشير بن سعد الأنصاري أول المبايعين لأبي بكر، ولما تحولت رئاسة النول إلى مشكلة مستعصية الحل... ولكن عسير على الأبناء أن يعصوا الآباء، فصار عمل الآباء سنة، وإبعاد أهل البيت الكرام عن حقهم سنة، وتحويل الأمة إلى حقل تجرب للمتغلبين سنة، وإرغام أنوف أهل البيت الكرام سنة، بالوقت الذي نصلي فيه على محمد وعلى آل محمد في كل صلاة!!!

53 - أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يستعرض تزليخ الاحتجاجات والآلام

قال لبعض أصحابه يا فلان: ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهروا بهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبوينا من الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض، وقد أخبر أننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجتنا، ثم تداولتها قريش، واحدا بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم ينزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه، وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العواق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات ولأده، فوادع معاوية وحقق دماء أهل بيته وهم قليل جد قليل.

ثم بايع الحسين من أهل العواق عشرون ألفا ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم!

ثم لم تزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم، ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا!

ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد،

فحدثوا بالأحاديث الموضوعة المكنوبة وزوروا علينا ما لم نقله لبيغضونا إلى الناس!
وكان عظم ذلك وكوره في زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا في كل بلد،

الصفحة 349

وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله أو هدمت دله!
ثم لم يزل البلاء يشتد ويؤداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين.

ثم جاء الحجاج، فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال
شيعة علي... مجلد 3 ص 595 شوح النهج.

54 - معاوية بعد عام الجماعة

روى المدائني في كتاب الأحداث أن معاوية كتب نسخة واحدة إلى كل عماله أن برئت الذمة ممن روى شيئا عن فضل أبي
آب (يعني عليا) وأهل بيته (يعني أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطوهم تطهروا) فقام الخطباء في كل كورة
وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي ومحبيه وأعوانه وأهل بيته شهادة ثم كتب إلى
عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان أن (انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته، فاموه من الديوان وأسقطوا
رزقه وعطاءه)!

وشفع ذلك بنسخة أخرى (من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم أي - أهل بيت الرسول - فنكوا به واهدموا دله).

راجع شوح النهج لابن أبي الحديد صفحة 595 - 596 مجلد 3 فنحنوا وأمره وهم يتلون آية التطهير، وآية المودة بالقربى،
ولم ينسوا أبدا الصلاة على النبي وآله في كل صلاة مفروضة!!! ألم أقل أن الصلة قد انقطعت بين مؤسسة الخلافة وبين
المنظومة الإلهية!!

وإن وجدت صلة أو اعترف بوجود صلة في ذلك إلا للضحك على العامة، وكسب رضاهم.

الصفحة 350

قال الرسول من والى عليا فقد والاني، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، ومعاوية يقول من والى عليا فاهدموا دله، وامحوا
اسمه من ديوان العطاء ولا تقبلوا له شهادة ونكوا به!

فأي القولين أحق بالتنفيذ قول الرسول أم قول معاوية؟ للأسف قول معاوية!!!

إن الإسلام لا يسمح أن يعامل اليهود والنصرى بهذه القسوة التي عومل بها أهل البيت وأعوانهم!!!

55 - خلاصة الانقلاب

نجحت البطون بقيادة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد، وصدموها خاطره الشريف بقولهم هجر أو يهجر - حاشا له - .

ثم نجحت البطون باختيار مكان تنصيب الخليفة، ونجحت بتنصيب الخليفة الجديد في (غياب) العزة الطاهرة وأثناء انشغالهم بتجهيز جثمان النبي.

ثم نجحت البطون باستقطاب أنصارها وحشدتهم معا فوفوا الخليفة زفا إلى مسجد الرسول، فأقنعوا سكان المدينة أنهم السلطة ولا سلطة سواها، وأنهم مصدر القوة وبيدهم القوة ولا قوة بيد غورهم، وأن من مصلحة الجميع أن يوالي السلطة الجديدة التي تجمع بيدها كل عناصر القوة، فانبهر سكان الجديد، وصفقوا للغالب، ومن خلال الألفة المبايعة والحشد، أرسلت قيادة البطون رسالة ضمنية لأهل بيت محمد بأنهم وحدهم ومعزولون تماما فالسكان والأمة وقيادتها الجديدة في جانب والهاشميون ومن والاهم وهم أقلية في جانب آخر، ثم إن الأنصار كلها قد بايعت، وعلى الرغم من أن سعد بن عبادة هو سيد الخزرج لكنه عزل تماما عن الخزرج لأن عرض السلطة الجديدة.

ثم إن الهاشميين لن يكونوا أقرب للأنصار من سعد، وقد تخلت عنه الأنصار ووالت السلطة الجديدة التي تجمع بيدها المال والجاه، وتتحكم عمليا في الحاضر

الصفحة 351

والمستقبل، فتصل من نشاء وتقطع من نشاء، وتعطي من نشاء وتحرم من نشاء تلك هي الحقيقة ولا يمكن لعاقل أن يتجاهلها.

وقد فهم الهاشميون مضمون الرسالة، ولكن ثقتهم بالشوعية وسلطانها كانت مطلقة فاحتجوا بالشوعية، فكانت السلطة الجديدة هي الخصم والحكم فسوت الشوعية لصالحها.

فأنف الآل الكرام أن يسلموا بالأمر الواقع وأن يعترفوا بشوعيته، أو حقه بالحكم، فودت السلطة على ذلك ردا موجعا وحاسما وأليما فأصورت قوراتها الاقتصادية، حرمت الآل الكرام من رث النبي، وصارت المنح التي أعطاها لهم النبي أثناء حياته، ثم حرمت عليهم الخمس الثابت لهم بأية محكمة، وحتى تثبت أنها سلطة عادلة قررت أن تتفضل وتقدم لآل محمد المأكل من كل ذلك وليس لهم إلا المأكل وحده وقد وثقنا ذلك ذهل الآل الكرام من هول هذه القورات وقسوتها، فضجروا واحتجوا بالقوان والسنة والمنطق، فكان رد السلطة حاسما أن كل ما تركه محمد، وكل ما منحه محمد لأهل بيته، والخمس المخصص لأهل البيت الكرام كل هذه مجرد طعمة من الله للخليفة الجديد!! وبرة أخرى صلت السلطة هي الخصم والحكم فسوت الشوعية لصالحها ففلزت القوة وانتصرت الغلبة، وسقطت الشوعية، وختمت فاطمة الزهراء حجتها بالقول:

فيا حسرتي لكم، وأنى بكم وقد عميت عليكم أنلؤمكموها وأنتم لها كل هون.

ولا بد أمام الآل الكرام من قبول الأمر الواقع، ومن التسليم بأن الشوعية قد هزمت تماما، وأن الانقلاب قد نجح، وأن السلطة الجديدة قد أحكمت قبضتها على الرعية، فإما أن يقبل الآل الكرام ذلك أو يموتوا جوعا وقهرا، أو قتلا، لأن السلطة

الجديدة لن تسمح لأحد أن يعيش تحت حكمها وأن لا يواليتها والسلطة الجديدة عادلة فيكفيها أن يتظاهر الآل الكوام بالموالاة وأن يكفوا عن الطعن فإن فعلوا ذلك فقد نجوا ونجاة الآل الكوام وطعنهم واحتجاجهم وموالاتهم للسلطة لا قيمة لها فالسلطة لا تحتاجهم على حد تعبير عمر، ولكن السلطة الجديدة تخشى على الآل الكوام من

الصفحة 352

غضب العامة، فقد تبطش العامة بالآل الكوام بوصف الآل الكوام خرجين على الجماعة عندئذ يتفاقم الخطب بالآل الكوام والعامة على حد تعبير عمر (رضي الله عنه) عندما حاول أن يحصل على رضا العباس مقابل أن يخصص له ولعقبه شيئاً من الأمر، كأن يضعه والياً، أو يجري عليه حواية، أو يعطيه عطية، فإن قبل العباس ذلك فقد شق وحدة الهاشميين وربحت السلطة الجديدة. وباختصار فإن الآل الكوام قد غرلوا، وكسرت ظهرهم بالإجراءات والقورات الاقتصادية الصلمة التي اتخذتها السلطة الجديدة وبالنتيجة استقر النظام في العاصمة وتوطدت أركانه، وهزمت المعرضة شر هزيمة، والله عاقبة الأمور.

56 - وفاة الخليفة الأول

لو أراد عمر أن يكون أول خليفة لكان، فهو المهندس الأعظم لعصر ما بعد النبوة، وهو الذي تحمل كل المشاق وركب الهول حتى وطد أركان النظام. وقد بينا أن أبا بكر قد كتب أثناء مرضه العهد بأن يخلفه عمر وكان ذلك واضحاً للإمام علي قبل حدوثه فقد قال لعمر احلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم أمره برده عليك غداً كما روى ابن قتيبة وابن أبي الحديد. ولا فرق عملياً بين حكم أبي بكر وحكم عمر، فما لم يرد عمر في عهد أبي بكر لم ينفذ. وكان واضحاً أن الخليفة من بعد عمر هو عثمان فقد كان يسمى بالوديف وبيننا أن أبا بكر قد قال لعثمان عندما كتب عهد عمر: لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها.

57 - مستقبل النظام الذي أسسه عمر

وعمر على فراش الموت أخذ يستعرض الرجال المؤهلين لقيادة النظام بعده فوجدهم وللأسف أمواتاً فقال: كما في رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة صفحة 23

لو أدرت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته... ولو أدرت معاذ بن جبل

الصفحة 353

استخلفته... ولو أدرت خالد بن الوليد لوليته... وقال مرة لو أدرت سالم مولى أبي حذيفة لوليته واستخلفته، ويجدر بالذكر أن معاذاً من الأنصار وفي بداية العهد كان لا يجوز أن يتولى الأنصار الأمر لأن أهل محمد وعشورته هم الأولى!! ثم إن سالم من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب، فكيف نوفق بين توليته وبين قول عمر (رضي الله عنه) في سقيفة بني ساعدة ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم... صفحة 8 من الإمامة والسياسة.

58 - عمر (رضي الله عنه) يتصرف وفق المتاح

بعد أن استذكر عمر بأن الرجال المؤهلين لقيادة النظام قد انتقلوا إلى رحمة الله تعالى، تذكر ما تبقى من العشرة المبشرين بالجنة وهم ستة، وبالرغم من وجود مبشرين في الجنة غورهم، وبالرغم من وجود أسياد لأهل الجنة غورهم، إلا أن اختيار عمر وقع على ستة وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وكان واضحاً حسب الترتيبات أن عثمان هو الخليفة في كل الأحوال، وكان علي يترك ذلك، ولكنه لو لم يشترك بالشورى لما أقام عليهم الحجة، ولقالوا أنه زهد بحقه الثابت بالخلافة.

59 - رأي عمر بقيادة المستقبل للنظام

قال عمر والله ما ينعني أن أستخلفك يا سعد إلا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب، وما ينعني منك يا عبد الرحمن إلا أنك فوعن هذه الأمة وما ينعني منك يا زبير إلا أنك مؤمن الوضا كافر الغضب، وما ينعني من طلحة إلا نخوته وكوه ولو وليها وضع خاتمه في إصبع امرأته وما ينعني منك يا عثمان إلا عصبيتك وحبك قومك وأهلك، وما ينعني منك يا علي إلا حرصك عليها... راجع الإمامة والسياسة، صفحة 24 - 25 على سبيل المثال وصار عثمان خليفة كما رتبت الأمور.

الصفحة 354

60 - رسالة معاوية إلى محمد بن أبي بكر

النص الحرفي للرسالة

من معاوية بن أبي سفيان إلى الولي علي أبيه محمد بن أبي بكر سلام الله على أهل طاعته أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قهرته وسلطانه، وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف ذكرت حق ابن أبي طالب، وقديم سوابقه ومراتبه من نبي الله (صلى الله عليه وسلم)، ونصوته له، ومواساته إياه في كل خوف وهول واحتجاجك علي بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد إليها صرف الفضل عنك وجعله لغيرك.

وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا (صلى الله عليه وسلم) نرى حق بن أبي طالب لارما لنا، وفضله ميرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ما عنده، وأتم له ما وعده وأظهر دعوته، وأفلح حجته قبضه الله إليه.

فكان أبوك وفاروقه أول من ابّوه وخالفه على ذلك اتفقاً واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم فأبطلوا عنهما وتلكاً عليهما، فهما به الهموم، ورأدا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سوهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما، ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان يهتدي بهما... راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم صفحة 118 و 119 ، ومروج الذهب للمسعودي

مجلد 3 صفحة 11

61 - رأي معاوية أهمية خاصة

تكتسب رسالة معاوية أهمية خاصة، فمعاوية هو العدو اللدود لعلي بن أبي طالب، فمعاوية وأبوه قادا حربا ضلوية طوال

21 عاما ضد النبي وضد علي، وخلال هذه الحرب، قتل علي سادات بني أمية فضلا عن المناوئات السابقة بين الهاشميين وبين الأمويين وأثرت كل هذه المداخلات حقدا أمويا على علي لا يزول.

الصفحة 355

ومن جهة ثانية فقد اقتنع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بأهمية آل أبي سفيان، وضرورة استقطابهم لتأييد السلطة منعا لوحدة بني عبد مناف وتضييقا وغولا وحصولا لآل البيت الكرام فتركا لأبي سفيان ما جمع من الصدقات كما روى الجوهري في سقيفته، وزيادة على ذلك ولما يريد بن أبي سفيان قيادة جيش الشام وبوفاة يزيد عين معاوية قائدا لهذا الجيش وواليا محل أخيه وفي زمن عمر وسع له ولايته وترك معاوية بلا حسيب ولا رقيب، يجمع كما يشاء، ويعطي من يشاء على عكس سيرته مع بقية الولاة، كأن الخليفة عمر (رضي الله عنه) يدخر معاوية لأيام شدة النظام البديل، فمعاوية موضع ثقة أبي بكر وعمر، وهما موضع ثقة معاوية، ومعاوية من الفطنة والذكاء بحيث لا تقوته مطوي الخليفين الراشدين ومواميها. وهذه الرسالة من الوضوح بحيث أنها لا تحتاج إلى بيان.

فمعاوية يؤكد أن جميع المسلمين بما فيهم أبو بكر وعمر ومعاوية كانوا يرون حق علي لأمرهم، وفضله مبرزا عليهم. وهو يؤكد أنه بعد وفاة رسول الله بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا أول من ابوا على حقه، وخالفاه، وقد اتفقا واتسقا على ذلك، وعندما احتج عليهما علي هما به الهموم ورأدا به العظيم ولم يشركاه في أمرهما، ولم يطلعاه على سرهما هذا هو اعتراف معاوية وإقراره على نفسه وعلى الذين عيناه واليا!!

* *

الصفحة 356

الصفحة 357

الفصل السابع

الآثار السياسية لانتصار النظام البديل

الأثر الأول: إقصاء الرسول عن التأثير على الأحداث السياسية

1 - ما يميز النظام السياسي الإسلامي عن غيره

ما يميز النظام السياسي الإسلامي عن غيره من الأنظمة السياسية هو:

1 - أن رئيس الدولة يعين بأمر من الله تعالى، فالله تعالى هو الذي عين محمدا، ودودا، وسليمان، وطالوت.

2 - أن رئيس الدولة هو الأعم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وهو وحده القادر على أن يفهم المقصود الإلهي من كل نص فهما قائما على الجزم واليقين.
ومن جهة ثانية فإن الإمام أو رئيس الدولة الذي يعينه الله تعالى هو الأصلح والأفضل والأنسب، ومن جميع الوجوه في زمانه.

2 - ما هي الحكمة من التعيين الإلهي لرئيس الدولة؟

الله سبحانه وتعالى وضع منظومة حقوقية، وقدر أنها هي وحدها القاورة على تحقيق العدل والحرية والمساواة بين الناس، ومن ضرورات تطبيق هذه المنظومة وجود شخص يفهمها فهما يقينا، ويفهم المقصود الإلهي من كل نص فيها بحيث لا يرقى إلى

الصفحة 358

فهمه فهم، ولا إلى علمه علم، وبحيث يكون هذا الإمام أو الرئيس هو الأفضل والأنسب والأصلح ومن جميع الوجوه في زمانه.

وبما أن الأعم والأفهم والأفضل والأصلح والأنسب صفات خفية لا يعرف على وجه الجزم واليقين إلا الله تعالى، ولأن مصلحة المجتمع المؤمن أن يحكمه هذا الشخص بالذات دون غوه، ولأن المجتمع المؤمن عاجز عن معرفة هذا الشخص، لذلك من الله على عباده المؤمنين فدلهم على هذا الإمام أو الرئيس، ووفر عليهم عناء البحث في ما هو خولج عن طاقتهم، وهذا هو سر اشتراك العناية الإلهية بتعيين رئيس الدولة الإسلامية.

3 - القول الفصل

إذا كان رئيس الدولة معينا من الله تعالى، والشريعة موضوعة من قبله تعالى فالنظام السياسي في هذه الحالة هو نظام إسلامي إلهي ماء بالمائة أما إذا لم يعين رئيس الدولة من قبل الله تعالى، فالنظام السياسي في هذه الحالة ليس إسلاميا، حتى ولو طبقت أحكام الشريعة الإلهية، لأن تحويل شخص آخر بتطبيق الشريعة الإسلامية وهو غير مؤهل لتطبيقها يؤدي لنتائج مدمرة. فحالة هذا الشخص كحالة من لا يعرف الطب ومع هذا نضع تحت تصرفه كافة اللوزم اللارمة لإجراء جراحة للقلب، أو للعين، وهو لا يعرف من الطب إلا اسمه، أو يعرف المبادئ الأساسية للطب، ولكنه لا يقوى على إجراء عملية جراحية للقلب أو للعين.

4 - الترتيبات الإلهية على المحك

أقول الله الكتاب على عبده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلفه ببيان ما أقر الله، فبينه عبر دعوة تمخضت عن نولة، فقاد الدعوة 13 سنة، وتأس الدولة 10 سنين، ثم أعلن للناس أنه ميت لا محالة، وأخذ يبين لهم الترتيبات الإلهية لما بعد

موته، بين ذلك للأواد وللجماعات، وفي جمع يزيد على مائة ألف جمعه رسول الله خصيصا لهذه الغاية، ثم

الصفحة 359

سأل رسول الله هذا الجمع: ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟ فقال الجمع بصوت واحد:

اللهم نعم، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من كنت هولاه فهذا علي هولاه، إنه وليكم من بعدي، إنه ولي المؤمنين من

بعدي، إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي، إنه مني بمقولة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

وأمام هذا الجمع الحاشد خلع النبي عمامته ووجع عليا بها!!

فهم الجميع أن عليا هو الولي من بعد النبي، وهو القائم مقامه، وقد فهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ذلك، وقدا التهاني

للولي الجديد ونطقا بلسان عربي غير ذي عوج، (أصبحت هولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة).

فقد بلغ الرسول أمر ربه، وتول قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

وبين الرسول أمام هذا الجمع الحاشد أن الهدى لا يترك إلا بالتمسك بالثقلين، وهما كتاب الله وعتوة النبي أهل بيته، وعميد

العتوة وأهل البيت بعده هو علي، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وعتوته أهل بيته، ونادى النبي

بأعلى صوته (ألا هل بلغت)؟!!

وضجت الجوع الحاشدة: نعم لقد بلغت يا رسول الله الأمانة، وأديت الرسالة!

ورجع إلى المدينة، وبعد وقت طال أم قصر، موضح موضه الذي مات منه.

لقد وثقنا كل ذلك في باب القيادة السياسية، من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام، فلوجع إليه

من شاء.

5 - الترتيبات الإلهية ليست في مصلحة الإسلام!

رأى قوم أن هذه الترتيبات الإلهية ليست لمصلحة الإسلام، فمحمد النبي من بني هاشم، وعلي الولي من بعده حسب هذه

الترتيبات من بني هاشم، وهكذا يجمع الهاشميون النوة والخلافة معا، وفي ذلك إجحاف على بطون قريش، والإجحاف مفسدة

لذلك كوهت بطون قريش أن تجمع لبني هاشم النوة والملك معا!!

الصفحة 360

وإن كنت في شك من ذلك فاقْرأ عاك الله النص الحرفي لوأاية عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن العباس، للحوار

الذي جرى بينهما وبين عمر بن الخطاب، وتجد هذا الحوار بحرفيته في الجزء الثالث صفحة 785 - 787 من شوح النهج

لعامة المعتولة ابن أبي الحديد تحقيق حسن تميم، طبعة مكتبة الحياة بيروت. عندما تؤاً هذا الحوار ستنمکن من وضع النقاط

على الحروف.

ورأى القوم أيضا أن عليا صغير السن وليس له ما للمشيخة من القوة على التدبير! ورأى القوم أيضا أن عليا أثخن في

العرب فقتل سادات العرب على الإسلام، وليس من المناسب أن يتأس هذا البطل على ولاد قتل آباءهم! راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة مجلد 1 صفحة 5 وما فوق.

6 - نقض الترتيبات الإلهية

نمت فكرة أن الترتيبات الإلهية ليست في مصلحة الإسلام، واحتضنتها بطون قريش حتى والرسول على قيد الحياة! وأخذت هذه البطون تعمل بلا كلل لنقض الترتيبات الإلهية، فأشاعت أنه ليس كل ما يقوله رسول الله حقا! فهو يتكلم بالغضب والرضا، فما قاله بالغضب ليس حقا، وما قاله بالرضا هو حق، وبطون قريش وحدها تعرف الحالة التي تكلم فيها رسول الله!! ومن هنا فإن قريش كانت تنهى عن كتابة أحاديث رسول الله! راجع سنن الدلمي مجلد 1 صفحة 125 باب من رخص في الكتابة، وسنن أبي داود مجلد 3 صفحة 126 باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216، ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد 1 صفحة 85 بل وشككت البطون في أخلاق النبي! ووظفت هذا التشكيك لصالحها، فقدزعم الرواة أن رسول الله الذي وصفه ربه بأنه على خلق عظيم كان يشتم ويسب ويلعن ويؤذي من لا يستحقها! راجع صحيح بخري كتاب الدعوات - باب قول النبي من

الصفحة 361

أذيته، وصحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب من لعنه النبي! واستقر المطاف بقريش، أن حرقت أحاديث رسول الله!! راجع طبقات ابن سعد مجلد 5 صفحة 140 بتؤجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر، ومنعت الناس من أن يرووا أو يكتبوا حديث رسول الله!!! راجع تذكرة الحفاظ للذهبي بتؤجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 3، وقد وثقتنا ذلك أكثر من مرة.

7 - إقصاء الرسول عن التأثير على الأحداث السياسية

اهتدت بطون قريش على شعار رفعته حتى بمواجهة النبي نفسه!!! فقالت (حسبنا كتاب الله) أي إن كتاب الله وحده يكفي، ولا حاجة لما يقوله الرسول!!!

قد يندهش البعض من هذا القول ويعتبرونه تولا، لكن هذا الشعار رفع أمام الرسول نفسه فعندما قال للحاضرين: قروا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن والاه: (حسبنا كتاب الله) فالرسول ومن معه يقولون: قروا يكتب لكم رسول الله، وعمر ومن معه يقولون: (حسبنا كتاب الله)!! وإن كنت في شك من ذلك فاقوا صحيح بخري - كتاب العوض - باب قول المريض قوموا عني، مجلد 7 صفحة 9 وصحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد 5 صفحة 75، وصحيح مسلم بشوح النووي مجلد 11 صفحة 95 وصحيح بخري مجلد 4 صفحة 21، وصحيح مسلم مجلد 2 صفحة 16 ومجلد 11 صفحة 94 - 95 بشوح النووي، وتاريخ الطوي مجلد 2 صفحة 192 والكامل لابن الأثير مجلد 2 صفحة 320، وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة 287 - 290، تجد التوثيق الكامل.

وحتى بعد وفاة النبي ساد هذا الشعار، راجع تذكرة الحفاظ بتؤجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 3 و 4 - 5

وهكذا أبعد الرسول عمليا عن التأثير على دائرة الحدث السياسي، وحل محله الخليفة الغالب!!

الصفحة 362

8 - الإنتقال إلى مركز الحكم

بعد مواجهة البطون لرسول الله بشعرها العنيد، ونجاحها بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد، وبعد أن تيقنت قريش أن النبي قد مات حقا، انتقلت من مرحلة التخطيط لنقض الترتيبات الإلهية المتعلقة برئاسة الدولة، إلى مرحلة الجلوس على كرسي الرئاسة وتنفيذ ترتيباتها البديلة التي قررت أنها الوحيدة القاوة على خدمة مصلحة الإسلام!

واختلرت بطون قريش الوقت المناسب، وهو انشغال الآل الكوام بتجهيز جثمان النبي وعدم استطاعة الآل الكوام لأكثر من سبب ترك الجثمان بدون تجهيز!!

واختلرت بطون قريش هذا الوقت بالذات حتى تضمن خلو الساحة من الآل الكوام، وحتى تكون في الميدان وحدها، وتتصوف كأنها قوابة النبي الوحيدة!!!

واختلرت البطون المكان المناسب في أحياء الأنصار حتى تحتج على الأنصار بالقوابة، وحتى توجح كفتها بالأنصار بعد أن تفيدهم بالبيعة ثم تواجه الآل الكوام بحقيقة واقعة أو بأمر واقع! وهكذا نصبت الخليفة بالمكان والزمان المناسبين لها، ثم خرجت ترفه زفا، وأشرف الخليفة الجديد على الآل الكوام وخلفه أتباعه، فصاح به علي (أفسدت علينا أمورنا ولم تستثونا ولم تزع لنا حقا) فقال أبو بكر (رضي الله عنه) (بلى ولكني خشيت الفتنة). راجع شرح النهج لابن أبي الحديد مجلد 1 صفحة 134 نقلا عن السقيفة للجوهري.

9 - محولات الإمام علي لنصوة الشوعية

حاول الإمام علي بكل قواه أن ينتصر للشوعية كما ذكر الجوهري في السقيفة، ونقله ابن أبي الحديد في مجلد 6 صفحة 28 من شرح النهج، وابن قتبية في مجلد 1 صفحة 12 من الإمامة والسياسة، فطاف هو وزوجته الزهراء وابناه الحسن والحسين على مجلس الأنصار وسألهم النصوة، ولكن الأنصار مقيدة ببيعتهما للخليفة الجديد، وببدا السلطة الجديدة المال والجاه والقوة والمستقبل والحاضر، فمن أراد الجاه والمشركة



بالسلطة فلا بد له من رضا السلطة، فلا أحد يحسن ترتيب أوراقه يمكنه أن يدخل بمواجهته مع السلطة، وهكذا أخفق الإمام علي بكل محاولاته إذ انحاز الناس إلى جانب السلطة طمعا بالعافية!

وكانت للقرات الاقتصادية التي اتخذتها السلطة بحق الآل الكرام بمثابة رسالة وتحذير لكل من تسول له نفسه بمعادنتها، فمن هو أعظم من ورثة النبي؟ ومع هذا حرموا من موائه لأنهم عانوا السلطة!
ومن أقرب إلى النبي من فاطمة الزهراء؟ فقد صورت منحنتها!
ومن هو أعظم مكانة من أصحاب المودة في القربى؟ ومع هذا فقد حرموا من الخمس الولد والمخصص لهم بأية محكمة!
بل من هو أعظم مكانة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقد منعوا كتابة حديثه في حياته، وواجهوه مباشرة في بيته وفي مرضه وقالوا له: (حسبنا كتاب الله) إلى آخر ما يدمي قلب الإنسان!!!
وهكذا نجحت السلطة، وفشلت كل المحاولات الرامية لنصرة الشوعية.

10 - النتيجة المدورة

لقد خلق الله هذه الأمة وإخراجها للناس، وركب لها رأسا خاصا بها، وبظروف مؤلمة قطع هذا الرأس، وأبعد عن الأمة جانبا، وتم توكيب رأس للأمة غير الرأس الذي وضعه الله لها!
صحيح أن الرأس الجديد رأس صالح من كل الوجه، لكنه ليس الرأس الذي خلقه الله وأعدده ليكون رأسا لهذه الأمة.
عندما استبعدت الأمة الرأس الذي ركبها الله لها لم نشعر بوجع يذكر، بسبب قوة الجراح الذي قام بالعملية الجراحية، وبسبب كثرة التخدير، لكن لما ذهب أثر التخدير وورد الجرح، أتركت الأمة أنها قد دمورت نفسها تماما، فإنه لا يوجد في الدنيا رأس يناسبها، إلا الرأس الذي خلقه الله لها!

فها بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر يقول للإمام علي: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 5 وما فوق، وراجع مجلد 6 صفحة 285 من شوح النهج نقلا عن الجوهري.

وقد غلبت الأمة على أمرها ولهت وراء وبحتت عن نصيبها من المشاركة في السلطة والمال والدنيا، فوجدت كل ذلك في قبضة السلطة الغالبة، فارتبطت مصالحها بمصالح الغالب كائنا من كان، فقامت بينها وبين الغالب صلة، تعذر على الأمة عمليا قطعها، فإن قطعت صلتها بالغالب فقد تنزلت عن حقها ووجودها وسلمته بنون قيدولا شوط لهذا الغالب، وإن ناصبت الغالب العداء فهي متفوقة، والغالب وبطانته متحنون فالمواجهة غير متكافئة، ولا تحصد الأمة منها غير الندامة! فتحرك موكبها في ظروف غير ملائمة طوال التاريخ!!

11 - عودة إلى الآثار السياسية

قلنا إن النظام السياسي الإسلامي قد أجهض والنبى على فاش الموت، وحل محله نظام سياسي بديل أسسه وبناه أولئك الذين أجهضوا النظام السياسي الإسلامي، وانتصر النظام البديل.

الذين أجهضوا النظام السياسي الإسلامي لم يقصوا شوا إنما قصوا الخير، فخافوا الفتنة، واستصغروا الإمام عليا، وأشفقوا من إثنان الإمام في العرب، واستكثروا أن يجمع الهاشميون النوة والخلافة، وقدروا أن هذا الجمع إجحاف بحق بطون قویش، وقدروا أن النبى بشر يتكلم في الغضب والوضا، وتصوروا أن الترتيبات الإلهية المتعلقة بمستقبل الدولة هي من اجتهاد النبى كبشر.

ثم إن رئاسة الدولة أمر يهم المسلمين وحدهم.

لكل هذه الأسباب استبعوا الإمام المعين شوعا، وأقاموا بدلا منه خليفة للنبى، يقوم مقامه برئاسة الدين والدنيا.

الصفحة 365

12 - بنور مبدأ ابّواز

على الصفحة 148 و 149 من كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وعلى الصفحة 14 من مجلد 3 من مروج الذهب للمسعودي، تجد النص الحرفي لوسالة معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر الصديق، وقد جاء فيها بالحرف (... وقد كنا وأبوك في حياة من نبينا زى حق ابن أبي طالب لآلما لنا، وفضله ميرزا علينا... فلما اختار الله لنبيه ما عنده... فكان أبوك وفاروقه أول من ابّوزه وخالفه، وعلى ذلك اتفقا واتسقا...)

13 - معنى إقرار معاوية

يعني إقرار معاوية أن حق علي بالخلافة قد تراسخ حتى واعتقد المجتمع المسلم أن هذا الحق مؤزم ولازم لهم، وأن فضل علي على الجميع كان ميرزا وتموزه عن الجميع كان واضحا، وأنه بعد وفاة النبى انقض أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على هذا الحق فابّواه، على حد تعبير معاوية، وعلى هذا الفضل فدرواه، وقد اتفقا على ذلك واتسقا.

فمعاوية من بني أمية المشهورين بعداوتهم للهاشميين، حتى قبل البعثة، ومعاوية وأبوه اشتروا بعداوتهم لرسول الله طوال الدعوة 13 سنة وخلال 8 سنوات من عمر الدولة، فأبو سفيان هو قائد حرب الشرك ضد الإيمان بلا منزع، ثم إن علي بن أبي طالب والحزبة عمه قتلا على الإسلام سادات بني أمية، ثم إن معاوية هو العدو اللئيم لعلي ولأهل البيت ولمن والاهم، ثم إن معاوية هو والى أبي بكر وعمر على أعظم ولايات الخلافة، وموضع رضاهما، ومع هذا يقر أن أبا بكر وعمر بالاتفاق والاتساق بينهما كانا أول من ابتر علي بن أبي طالب حقه الثابت بالخلافة!!

ومن هنا فإن إقرار معاوية حجة متعدية تؤزمه وتؤزم اللذين ولياه، وتؤزم شيعتهم.

ولا بديل أمام شيعة هؤلاء الثلاثة سوى إنكار الوسالة من حيث أنت، وكيف يمكن إنكار الواضحات!؟

14 - الإمام علي يشير للذين ابتزوا حقه

في المجلد 3 صفحة 69 من شوح النهج يقول الإمام (اللهم إني أستعينك على قوئش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منلعتي حقا كنت أولى به من غوي، وقالوا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه... إلخ).

وقال مرة عن آل محمد (ولهم حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...).

وعند ما انتقلت إليه الخلافة قال (... الآن رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله....). راجع المجلد الأول صفحة 125 من شوح النهج.

وقال مرة مفندا حجة خصومه (وقال قائل إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص، فقلت بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، إنما طلبت حقا لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي بونه، فلما قرعته بالحجة في الملاء الحاضرين هب كأنه بهت لا يبري ما يجيبني... مجلد 3 صفحة 350 من شوح النهج.

وقال مرة (أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده...). مجلد 2 صفحة 286 شوح نهج البلاغة.

وقال (حتى إذا قبض الله رسوله، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، وانكفوا على الولايج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء من رص أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأواب كل ضرب في غمرة...). مجلد 3 صفحة 222

15 - الواقع المر ورفض الشرعية

إذا سلمت الأمة بحق علي بالولاية واعتوت هذا الحق لازما لها ومؤمما، فإن بطون قوئش التي قومت النبي 21 عاما ثم سلمت مكوه بنبوته، لن تقبل بساطة الشرعية بهذا اليسر، فالبطون استكثرت على الهاشميين أن يجمعوا مع النبوته الخلافة، وأن يحوزوا الفضلين معا!

ثم لنفتوض أن بطون قوئش قد قبلت هذا الترتيب الإلهي لموحلة ما بعد النبوته، فهل يقبل ذلك أبو بكر (رضي الله عنه)، وهل من المعقول أن يتأس علي على أبي بكر؟

صحيح وبكل المولدين أن هاشما خير من تيم، وأن عليا كنفس رسول الله لا يؤدي عن الرسول إلا الرسول أو علي، كما أخبر رسول الله أبا بكر بذلك عندما أخذ منه سورة واءة، ولكن أبا بكر صاحب رسول الله!!

ولنفترض أن أبا بكر قد قبل ذلك استعدادا لآخوته وتفضيلا للأجلة على العاجلة، فهل من الممكن أن يقبل ذلك عمر بن

الخطاب ابن البطون البار، الذي يتبنى حرفيا مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوته والخلافة معا؟

إن السماء لو انطبقت على الأرض ما قبل عمر ذلك!!!

16 - المواجهة والابتناء والغطاء

علي بن أبي طالب صاحب حق لن يتنزل عن حقه بالوضاء، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومن خلفهما بطون قريش، يريدون أن يأخذوا هذا الحق من صاحبه لأكثر من سبب، فعملية تجريد الإمام من حقه بالولاية تحتاج إلى مبرر للتجريد، ومبرر التجريد غير ورد شعريا، لأن الإمام معين من قبل الله ومعلنة ولايته من قبل رسول الله، أمام الأمة منقودين ومجتمعين في غدير خم، فيصعب الالتفاف على هذا الحق وابتزله. والحل الوحيد هو ابتناء الحق بالقوة والتغلب، بعد عزل صاحب الحق عمليا عن حقه، وعزله عن الأمة التي يمكن أن تدعمه للوصول إلى حقه، والتخطيط المحكم والتدبير المتروي، حتى يكون ابتناء الحق بأقل كلفة ممكنة، وبدون معارضة تذكر.

17 - الغطاء الشرعي

صحيح أن الله قد عين عليا وليا للأمة من بعد النبي، وصحيح أيضا أن الرسول قد أعلن هذه الولاية أمام جمع يزيد على مائة ألف، وصحيح أيضا أن أبا بكر وعمر قد قدما كغورهما من المسلمين خالص التهاني للإمام بهذه الولاية، وصحيح أيضا أن عليا

الصفحة 368

من النبي بمقتلة هارون من موسى، وصحيح أيضا بأن الله قد أعطاه علما لدنيا، وقوة خلقه جعلته فارس العرب والمسلمين قاطبة، وصحيح أيضا بأن عليا داخل بأية المباهلة وهو كنفس النبي، وهو زوج ابنته ووالد سبطيه الوحيدين، وصحيح أن رسول الله قد أمر عليا بأن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة واءة لأن جبريل قد بلغه بأنه لا يؤدي عنه إلا عليا. كل هذا صحيح ولا ينكوه لا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما.

ولكن بالمقابل فإن عليا من بني هاشم، ومحمدا من بني هاشم، فإذا أخذ محمد النبوة، وأخذ علي الخلافة فمعنى ذلك أن النبوة والخلافة ستكونان في بني هاشم، فماذا تأخذ البطون القريشية!!! وهل هذه قسمة عادلة!!! ثم من يضمن لأبي بكر وعمر وبتون قريش عدم إجحاف الهاشميين إذا جمعوا بأيديهم الخلافة والنبوة؟ وطبيعة عمر بالذات، وطبيعة أبي بكر تكوه الإجحاف!!

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن عليا صغير السن، وفتى إذا ما قيس بأبي بكر وبعمير رضي الله عنهما. والعرب بطبيعتها تقدر كبر السن.

والأنكى من ذلك أن علي بن أبي طالب قتل سادات العرب على الإسلام، فهل يقبل العرب أن يتأمر عليهم الرجل الذي قتل

آباءهم!!!

على عكس أبو بكر، فلا علم لي أنه قد قتل شخصا واحدا خلال حرب الكفر مع الإيمان!!

كذلك عمر فبالرغم من حوآته الفائقة حتى على الرسول نفسه، إلا أنه لم يسجل يقينياً أنه قد قتل مشوكاً واحداً خلال حرب الكفر مع الإيمان.

فالعرب تقبل زعامة الذي لم يقتل، ولا تقبل زعامة الفرس الذي طبقت سمعته لأفاق، ويوخ المشركين العرب. ذلك هو الغطاء الذي غطيت به عملية ابّواز حق الإمام علي على حد تعبير معاوية في رسالته الشهوة إلى محمد بن أبي بكر. وهي حجج ثابتة، وقد وثقناها أكثر من مرة في البحوث السابقة.

الصفحة 369

18 - أنتم أعلم أم الله، أنتم أحرص أم رسول الله!!؟

من الطبيعي أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يسمعا الله عندما أمر رسول الله أن يعلن ولاية علي من بعده، ولكنها سمعا الرسول يعلل، وهما لم يتصورا أن حديث الثقلين الذي أعلنه الرسول هو أمر من عند الله، إنما قاله الرسول من تلقاء نفسه!!

صحيح أن من يطع الرسول فقد أطاع الله بالنص القوّاني، ومن يعص الرسول فكأنما عصى الله بالنص القوّاني أيضاً، فكيف يمكن الالتفاف على هذه الأحكام الإلهية؟

هذه قضية بسيطة جداً، فالرسول بشر ينكلم بالغضب والرضا!! فلا ينبغي أن يحمل كل كلام الرسول على محمل الجد!! ولا ينبغي أن يعمل بكلام الرسول كله!!

لذلك وتمهيدا لهذا الالتفاف على الأحكام الإلهية نهت قريش (المقصود بقريش الزعامة المتوجهة) عن كتابة أحاديث الرسول، وإن كنت في شك من ذلك فراجع سنن الدرهمي مجلد 1 صفحة 125 - باب من رخص في الكتابة، وسنن أبي داود باب كتابة العلم مجلد 2 صفحة 126 ومسنن أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216 ، ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106 ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد 1 صفحة 85

بل وصورت بطون قريش النبي بصور تجعله نون مستوى الإنسان العادي! فقد روى بخري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب قول النبي من آذيته. وروى مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة - باب من لعنه الرسول: أن رسول الله كان يغضب ويشتم ويسب ويؤذي ويلعن من لا يستحق ذلك!!! حاشا لك يا رسول الله، فوجل من عامة الناس يتوقع عن كل ذلك، ومع هذا ألصقوا هذه الأفعال برسول الله لغاية في نفس يعقوب.

وتخرجوا بذلك حتى وصلوا إلى مرحلة قالوا فيها إن القوّان وحده يكفي ولا حاجة لأحاديث الرسول، بل وأحرقوا أحاديث الرسول ومنعوا روايتها طوال مدة 95 عاما.

راجع طبقات ابن سعد مجلد 5 صفحة 140 بتّوجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر، وراجع

الصفحة 370

فتح البري باب كتابة العلم مجلد 1 صفحة 218 ، وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر مجلد 1 صفحة 2 - 5 ، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة في البحوث السابقة.

19 - الإعداد للمواجهة مع النبي نفسه

أشيعت الأقاويل السابقة بين الناس، واستقطبت بطون قريش، ورتب عمر بن الخطاب أعوانه وأنصاره وخطط فأحكم، وفي ليلة ليلاء زاروا رسول الله، وكانت حجرته المبلكة غاصة بعواده، جويل لم ينقطع عن زيلة النبي وأكثر ما كان يزوره وهو مريض.

النبي على علم بما يجري حوله، فؤاد أن يلخص الموقف لأمتة، وأن يكتب لها كتابا يؤمنها فيه ضد الضلالة، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) (قوبوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) مجرد أن سمع الحاضرون كلام رسول الله انقسموا إلى قسمين:

- 1 - عمر بن الخطاب ومن والاه أعلنوا بصوت واحد وكأنهم على اتفاق: لا حاجة لنا بالكتاب (حسبنا كتاب الله) إن رسول الله قد اشتد به الوجع، أو بتعبوهم إن رسول الله هجر أو يهجر، وكلما كرر رسول الله طلبه، كرروا إجابته بمواجهته!!!
- 2 - القسم الثاني الذي لا يوري عما يجري في الخفاء، كانوا يقولون: ألا تسمعون رسول الله؟! قوبوا يكتب لكم رسول الله!

20 - تحد

من ينكر هذه الواقعة!! ومن يقوى على تروها، لقد رواها البخاري بست صيغ، ورواها مسلم، وقد فصلت هذه الواقعة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام، ووثقتها، راجع الصفحات 288 - 295 من كتابنا آف الذكر. وهكذا تمكن عمر وحزبه من أن يحولوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد، فلو أصر الرسول على كتابة الكتابة لأصروا على القول بأنه هجر، مع ما يستتبع ذلك من دمار على مستقبل الدين نفسه وأترك الرسول هول ما يجري حوله، فغضب وقال لمن حوله:

قوموا عني ما أنا فيه خير مما تدعوني إليه.

الصفحة 371

21 - حجة عمر وحزبه

الرسول قد اشتد به الوجع! لقد مرض أبو بكر واشتد به الوجع أكثر مما اشتد برسول الله وكان عمر حاضرا فقال أبو بكر: قوبوا أكتب لكم، وكتب. لماذا لم يعترضه عمر؟ لماذا لم يقل إن أبا بكر هجر؟ وعمر نفسه قد مرض واشتد به الوجع أكثر مما اشتد به رسول الله، ومع هذا قال قوبوا، وكتب، ولم يقل أحد إن عمر قد اشتد به الوجع أو أنه هجر!!!

راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام صفحة 291 وما فوق تجد التفصيل والتحليل والتوثيق.

22 - في الحجة المباركة تم عمليا الإعلان عن إبراز الحق وعن قيام السلطة بالتغلب

على أثر المواجهة التي جرت بين النبي من جهة وبين عمر وحزبه من جهة أخرى، خرج عمر منتصوا، فقد استعرض قوته أمام النبي نفسه! وردد أتباعه ثقة بأنفسهم، وأرکوا أنه لم يبق بينهم وبين السلطة إلا قاب قوسين أو أدنى! واعتم رسول الله وانشغل الآل الكرام بكليتهم به، وخلا الجو لعمر وحزبه، ونفوا خطتهم خطوة بعد خطوة أثناء غياب العزة الطاهرة، وانشغالهم بتجهيز النبي.

وبالصورة التي وضحناها بالتفصيل في البحوث السابقة.

خرج أبو بكر من السقيفة كحاكم وخليفة فعلي، وخرج عمر وأبو عبيدة كنائين للخليفة، فوفته الجوع التي بايعته، وأحاطت به وبنائيه، كجيش مجند يعمل تحت تصرف السلطة الجديدة، وزفه هذا الجيش زفا حتى أوصله إلى المسجد، حيث كان الآل الكرام كلهم مشغولين بمصابهم.

صاح عمر بالجوع المنشرة حول بيت الرسول: ما لكم أراكم حلقا شتى، لقد بايعت أبا بكر وبايعته الأنصار، قوموا

فبايعوا.

الصفحة 372

فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا وقام سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا، وانضموا إلى الجيش المؤيد للسلطة.

أما الآل الكرام وعلى رأسهم الإمام علي فقد فوجئوا بما حدث وكأصحاب حق أرکوا أن حقهم قد ابتز منهم بالفعل فقد امتنعوا عن البيعة وتجاهلوا تماما وانضم إليهم ابن أختهم الزبير بن العوام.

23 - تصفية المعرضة

سيد الأنصار سعد بن عباد لم يبايع، فأصدر نائب الخليفة عمر أمرا بقتله، ولكنه لم يقتل على الفور لأسباب أمنية، وخوفا من اتحاد الأنصار ضد السلطة الجديدة، راجع كتاب السقيفة الجوهري نقلا عن علامة المعتولة ابن أبي الحديد، وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة مجلد 1 صفحة 10 ، وذكر البلاوي في أنساب الأشراف مجلد 1 صفحة 589 ، والعقد الفريد لابن عبد ربه مجلد 3 صفحة 64 - 65 ، أن عمر أرسل رجلا وقتل سعد بن عباد، وفي تبصوة العوام أن الرجل الذي أرسله عمر هو محمد بن مسلمة الأنصاري فوماه بسهم!

وهكذا قضى على هذا المعرض، وبالرغم من أنه كان علما على عهد رسول الله، ونجما متألقا، إلا أن نور هذا الصحابي قد خبا وإلى الأبد، لأنه معروض للسلطة.

24 - إخضاع أبي سفيان

رُسل رسول الله أبا سفيان لجمع الصدقات، وعاد أبو سفيان بعد وفاة رسول الله واستهجن خلافة أبي بكر، بدعى أن تيم لا معنى لقيادتها مع وجود بني عبد مناف، فتشاور أبو بكر وعمر، وأخوفا قرأ أن يتوكأ له ما جمع من الصدقات، وأن يوليا ابنه يزيد قيادة أحد الجيوش. ومع إغواض الإمام علي عن التحالف مع أبي سفيان انحاز أبو سفيان إلى جانب السلطة ورضي بقراباتها. راجع كتابنا النظام السياسي صفحة 142
تجد التوثيق.

الصفحة 373

25 - إخضاع آل الكوام

ركزت السلطة على محورين لإخضاع آل الكوام، فقد اجتمعت بالعباس ووعدته بأن تجعل نصيبا من الأمر له ولعقبه، مقابل تأييد السلطة الجديدة. وغايتها إيقاع الانشقاق بين آل الكوام، والاحتجاج على علي بموافقة وتأييد عمه للسلطة الجديدة! ولكن العباس رفض ذلك رفضا قاطعا. راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة 139 تجد التوثيق.
بعد يوم واحد من وفاة الرسول، تحركت سوية بقيادة عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وزيد ابن ليبيد، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن أسلم، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سالم، وأسيد بن حضير، كما يروي اليعقوبي في تزيخه، وأحاطت هذه السوية ببيت علي بن أبي طالب، حيث كان يقيم مع زوجته فاطمة الزهراء وابنيه الحسن والحسين، ويتقبلون التعلي بوفاة النبي.
وطلب قائد السوية عمر من علي ومن كافة المتواجدين عنده الخروج فورا لمبايعة الخليفة الجديد، وهذا أسلوب ترفضه العرب في الجاهلية والإسلام!!
لم يمر غير يوم واحد على وفاة الرسول! ومع هذا تنتهك حرمة متول ابنته، ويعامل ولي الله بهذا الأسلوب المهين! فمن الطبيعي أن يرفض الإمام ذلك، فأمر عمر بإحضار الحطب، وأقسم أنه إن لم يخرج علي والمتواجدون عنده ليحرقن الدار على من فيها، قيل له إن في الدار فاطمة وحسن وحسين! فقال عمر: وإن!!!
أركت فاطمة أن عمر سيحرق الدار عليها وعلى زوجها وولديها وستحرم الأجيال المسلمة من معرفة الحقيقة، فعضت على حرجها وطلبت من الحاضرين الخروج، وهددتهم بالدعاء عليهم، فخرجوا!
تلك حقيقة تغنى بها شاعر النيل حافظ إبراهيم بهائيته الشهيرة، واعتوها من مفاخر عمر!! راجع تزيخ ابن شحنة صفحة 113 بهامش الكامل وابن أبي الحديد

الصفحة 374

مجلد 1 صفحة 134 وابن عبدربه مجلد 3 صفحة 64 وأبو الفداء مجلد 1 صفحة 156 وأنساب الأشراف مجلد 1 صفحة

586 والخميس مجلد 1 صفحة 178 وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد مجلد 1 صفحة 134 ومروج الذهب

للمسعودي مجلد 2 صفحة 100

وأجبر المهاجمون كل من في بيت فاطمة على مبايعة أبي بكر بالقوة. أما علي فقد جروه حوا حتى مثل بين يدي أبي بكر، وطلبوا منه أن يبايع، فقال الإمام: أنتم أولى بالبيعة لي، لقد احتججتم على الأنصار بالقوابة من رسول الله، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا، فأئصفونا إن كنتم مؤمنين، وإلا فروعوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع، فقال الإمام إن لم أبايع فمه؟ فقال عمر:

إذا والله نضوب عنقك!! فقال علي: تقتلون عبد الله وأخارسلوه؟ فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخورسلوه فلا؟

يشير الإمام علي إلى مؤاخاة الرسول له قبل الهجرة وبعد الهجرة، ولكن عمر (رضي الله عنه) لم يعترف بهذه المؤاخاة، لأنها ليست أخوة دم، بالرغم من عشرات النصوص الواردة بذلك.

فالتحق علي بقبر النبي يبكي ويصيح: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكانوا يقتلونني! راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 11 وما فوق.

26 - حزن السلطة

حزن أبو بكر على ما فعل بانتهاكه لحرمه بيت فاطمة الزهراء، وقال في آخر أيامه وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب!

كما ذكر اليعقوبي، وحاول هو وعمر أن يسترضيا فاطمة فعجزا، وماتت وهي غاضبة منهما، راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 11 وما فوق.

الصفحة 375

27 - القورات الاقتصادية الحاسمة

أدرك عمر وأدرك أبو بكر أن قتل ولي الله علي وإن كان متاحا لهما ليس قورا عمليا، وأن الإصوار على حرق بيت فاطمة بنت محمد عليها وعلى زوجها ولي الله علي وعلى سبطيها سيدي شباب أهل الجنة، ليس قورا عمليا! ثم إن أهل البيت لا يمكن أن يستسلموا بالقوة، ففكروا واهتديا إلى ثلاثة قورات اقتصادية حاسمة، هي وحدها الكفيلة بتوكيع أهل البيت الكوام:

1 - القوار الأول: حرمان ورثة الرسول من حقهم في رثته، راجع مسند أحمد مجلد 1 صفحة 4 الحديث 14 وسنن أبي داود مجلد 3 صفحة 5 وتاريخ ابن كثير مجلد 5 صفحة 289 وشرح النهج مجلد 4 صفحة 82 نقلا عن السقيفة لأبي بكر الجوهري.

ولأسباب إنسانية وعاطفية دفعوا آله الرسول، ودابته وحذاه إلى علي، وما عدا ذلك تمت مصارفته وحرمان الورثة منه،

راجع شوح النهج مجلد 4 صفحة 87 - 89 وبلاغات النساء صفحة 12 - 15 ،راجع الرواية عند أبي الحديد.

2 - القوار الثاني: حرمان أهل البيت الكوام من منح الرسول، ومصاروة هذه المنح منهم، وأبرز هذه المنح فدك، وقصتها مشهورة في التاريخ.

3 - القوار الثالث: حرمان أهل البيت من الخمس الورد في القوان الكريم، راجع شوح النهج مجلد 4 صفحة 81 نقلا عن الجوهري في كتاب السقيفة، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي مجلد 1 صفحة 347 وراجع كنز العمال مجلد 5 صفحة 367 تجد ثلاث روايات.

28 - ضج الآل الكوام

ضج الآل الكوام من قسوة هذه القورات، وجاعوا إلى السلطة لأول مرة يشكون ما لحق بهم من ظلم، فكانت السلطة هي الخصم والحكم معا، وسعدت السلطة بهذه الواجعة، وطاب لها هذا الضجيج، واتسع صورها واستمعت لخطبة ابنة النبي المعروفة بالفدكية، ولكن السلطة أصرت على قوراتها!

الصفحة 376

29 - من أين نأكل بحق السماء!!

تأثر أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) عندما تساءل الآل الكوام من أين نأكل إذا، فقد حرمتمونا من لث النبي، ومن منحه إيانا، ومن سهم نوي القوي، ولا تجوز لنا الصدقة فهي محرمة علينا فمن أين نأكل وننفق على أنفسنا!!
وفي سنن الترمذي مجلد 7 صفحة 111 أن أبا بكر قال (إني أعول من كان يعول رسول الله، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه. وقال (إنما يأكل آل محمد من هذا المال، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل... راجع صحيح بخري مجلد 2 صفحة 200 باب مناقب وفاة الرسول، وراجع سنن أبي داود مجلد 2 صفحة 49 كتاب الخراج، وسنن النسائي مجلد 2 صفحة 179 قسم الفئ، ومسند الإمام أحمد مجلد 1 صفحة 6 و 9 وهكذا تكومت السلطة وتعهدت بأن تقدم المشاكل لآل محمد.

30 - انتهاء المعرضة عمليا

هكذا شلت حركة أهل بيت النبوة تماما وانتهت معرضتهم عمليا، وجروا تماما من كل الأسلحة حتى من الوغيف، فهم كالقصر لا يؤمن عليهم أن يتصرفوا بمالهم الخاص، والحاكم هو وليهم، وهو الذي يتصرف بمالهم تصوف المالك، ولكن ليس لهم من هذا المال إلا الأكل فقط.

قال الإمام علي (وصونا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الدليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشيت الصدور،

وخزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفوقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويور الدين، لكننا على غير ما كنا عليه - مجلد 1
صفحة 248 - 249 من شرح النهج.

31 - واستقامت أمور العاصمة رغبة ورهبة

وبتركيع آل محمد استقامت أمور العاصمة، ودانت أو تظاهرت كلها بالدينونة للسلطة الجديدة. وسار خبر وفاة النبي مع
خبر البيعة لأبي بكر معا، وذهلت

الصفحة 377

الأقاليم من بيعة أبي بكر، وتساءلوا: كيف يوث أبو بكر الرسول من دون أهله؟
وتردد بعض الولاة في إرسال زكوات الأموال التي جمعوها، وبعضهم وزع هذه الصدقات.

32 - الولاة للسلطة ضوء الولاة لله

من خالف السلطة، وخرج على طاعتها، وامتنع عن تنفيذ أوامرها وتجنب نواهيها، فهو عمليا خرج عن طاعة الله، وليس
بينه وبين السلطة إلا القوة، فيتوجب تركيعه بالقوة، وقصة مالك بن نورة وهو والي النبي على قومه فلما توفي النبي أمسك
الصدقة ووقها على قومه فسمع أبو بكر فرسل له خالد بن الوليد فقال مالك لخالد: أنا وقومي من الإسلام فقال خالد: ضعوا
السلاح إذا فوضوا السلاح، وبعد أن وضعوا السلاح ربطوا أسلرى وبأمر من خالد بن الوليد ضرب ضوار بن الأزور عنق
مالك بن نورة ودون سبب وعومل كمرتد، وبنفس الليلة التي قتل فيها مالك بن نورة تزوج خالد بن الوليد امرأته دون عدة،
راجع الإجابة مجلد 3 صفحة 337 وتاريخ اليعقوبي مجلد 2 صفحة 13 وكنز العمال مجلد 3 صفحة 132 ووفيات الأعيان
لابن خلكان مجلد 5 صفحة 26 وفوات الوفيات مجلد 2 صفحة 621 وتاريخ الفداء صفحة 158 وتاريخ ابن شحنة مجلد 11
صفحة 114 هامش الكامل لابن الأثير... إلخ.

33 - سلت الدعوة إلى الإسلام مع الدعوة إلى طاعة السلطان

وفي خولج العاصمة سلت الدعوة إلى السلطان مع الدعوة إلى الإسلام، بل وتغطت الدعوة إلى طاعة السلطان بغطاء
الدعوة إلى دين الإسلام، واستقامت أمور الجزيرة طوعا وكرها.
وبعد أن استقرت أمور الجزيرة، ودانت كلها للسلطة، جهزت السلطة الجيوش ووضعتها وجها لوجه أمام أعداء الإسلام،
ففتحت أمام الناس أبواب الأمل، وأشغلتهم بالحروب مع أعدائهم، فزقت السلطة العافية ورزقت الأمة العافية، وانشغل كل
فريق من الفريقين عن الآخر، وتأجلت عملية التآكل الداخلي، نتيجة الخروج على الشوعية!

الصفحة 378

34 - نور علماء الدولة ومنظري الفكر السياسي

أي عالم وأي منظر ولو كان كالبدر في رابعة السماء لا قيمة له إذا لم يكن مواليا للسلطة!!
أين الحباب بن منذر، أين سعد بن عباد، أين العمالققة من أصحاب رسول الله؟
لقد اختفى ذكوبهم، وبرز واشتهر فقط أولئك الذين والوا السلطة طوال التاريخ، أو برروا أعمالها!!

35 - كلما فعلته السلطة حلال ومبرر طوال التاريخ

قالت السلطة: إن رسول الله قد مات وترك أمته لاراعي لها، فودد العلماء والمنظرون من خلفها: إن رسول الله قد خلى على الناس أمرهم، وأن السلطة قد صدقت في ما قالت، وأن رسول الله قد أحسن عندما خلى على الناس أمرهم وتركهم ولا راعي لهم.

أما الذين قالوا إن الله قد أكمل الدين وأتم النعمة وبين كل شيء، فهل يعقل أن يغفل النبي أهم شيء وهو رئاسة الدولة، فقد نظر إليهم بل تياب وأهملت حجتهم، وأكفنت قلوبهم.
ثم خطر ببال الحاكم أن لا يفعل ما فعله الرسول، ورأى من غير المعقول أن يترك أمة محمد هملا لاراعي لهم فيقتل بعضهم بعضا على الرئاسة، فعين من يخلفه حرصا على مصلحة المسلمين، فهل العلماء والمنظرون وقالوا: قد أحسن والله بالعهد، فتوك الأمة ولاراعي لها أمر غير معقول، فلو أن راعي إبلك أو غنمك توك الإبل والغنم ولاراعي لها للمته، على حد تعبير عبد الله بن عمر لأبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

أما الذين قالوا كيف أصاب الحاكم الذي عهد، وأخطأ النبي الذي لم يعهد، لماذا لم تصدقونا عندما قلنا لكم أول مرة إن رسول الله لم يترك الأمر سدى كما زعمتم، وإنما عين للأمة وليا من بعده؟ هؤلاء أهملت حجتهم واعتوتهم الأثرية الموالية للسلطة ورثة الذين شقوا عصا الطاعة، وخالفوا الحاكم والجماعة!!

الصفحة 379

36 - بقوة قادر كل شيء ما فعله الحاكم حلال

قال أفضى القضاة الموردي في الأحكام السلطانية، وقال علامة الزمان أبو يعلى في كتابه الأحكام السلطانية: (الإمامة تتعقد من وجهين: إما باختيار أهل الحل والعقد، وإما بعهد الإمام من قبل. وقالت طائفة: تتعقد الإمامة بخمسة يجتمعون عليها، والدليل بيعة أبي بكر عمر وأبو بكر وأبو عبيدة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة. والدليل الآخر أن عمر جعل الشورى في ستة تتعقد لأحدهم!

وقال آخرون: تتعقد الإمامة بثلاثة، يولاها أمرهم برضا الاثنين، كعقد الزواج لأن العباس قال لعلي أمدد يدك أبايعك.

أما العهد فجائز لسببين 1 - عهد أبي بكر لعمر.

2 - عهد عمر للسته. راجع الأحكام السلطانية صفحة 155

قال إمام الحرمين الجويني (لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تتعقد وإن لم تجمع الأمة).

وقال الإمام ابن العربي (لا يؤمّه في عقد البيعة أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد!

وقال القوطي في نفسه إني جاعل في الأرض خليفة إن عقدها واحد من أهل العقد فذلك ثابت، ودليلنا أن عمر قد عقد

البيعة لأبي بكر!

وقال أبو المعالي من انعقدت له الإمامة بعقد واحد، فقد لُزمت ولا يجوز خلعه.

وقال عضد الدين الإيجي (الإمامة تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق، ونثبت ببيعة أهل الحل والعقد، والدليل

عقد عمر لأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف لعثمان.

راجع الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين صفحة 424 عبد الملك بن عبد الله الجويني، وراجع سنن الترمذي لابن العربي

مجلد 13 صفحة 229 ، وراجع جامع أحكام القآن مجلد 1 صفحة 269 - 273

الصفحة 380

37 - السؤال الكبير

لماذا لم يستشهد أحد على الإطلاق بفعل النبي أو قوله أو تقوره؟ أو بأي نص شرعي من القآن أو السنة؟ وهل خلت

الشريعة التي بينت كل شيء من النصوص التي تحكم أهم شيء، وهو تعيين رئيس الدولة؟

ثم من هو الذي خرج عن هذه الاحتمالات وتلك الصور التي فصلت على كل وقائع التاريخ السياسي الإسلامي؟

وإذا كانت هذه الصور شوعية فلماذا انهار التاريخ السياسي الإسلامي مع أنه لم يخرج أبدا عن هذه الصور؟

ثم لماذا تآكلت مؤسسة السلطة التاريخية السياسية الإسلامية من الداخل وانهارت نتيجة هذا التآكل؟

38 - القوة والتغلب لم يخطر على البال!!!

وأضاف أبو يعلى في الأحكام السلطانية (إن الإمامة تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد) فإذا اعتبر التوك سندا شوعيا

وميرا للاختيار، واعتبر العهد سندا شوعيا وميرا للخلافة والاستقرار؟ فما بالك بمن يدوس على الشوعية، وبمن يتجاهل

الإمام الشوعي فينقض على الحكم ويستولي عليه بالقوة؟

فهل حكمه حلال أو حرام؟ وهل طاعته واجبة أم معصيته واجبة؟

39 - الجواب العجيب والواقع المر المفصل على وقائع التاريخ

يقول أبو يعلى على لسان فريق (ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله

واليوم الآخر أن يبيت ولا راه إماما، وا كان أو فاحرا، فهو أمير المؤمنين) وقال (في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك

فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: تكون الجمعة مع من غلب).

40 - ما هو السند الشوعي؟ ما هو النص الذي استتروا عليه؟

احتجوا بأن عبد الله بن عمر بن الخطاب صلى بأهل المدينة في زمن الحرة، يوم استباححت جيوش يزيد بن معاوية المدينة المنورة، فقال عبد الله ابن عمر: نحن مع من غلب!!
ولأن عبد الله بن عمر قال هذه الجملة فمعنى ذلك أن قوله تشريع، وحجة نافذة على العباد، ويكون من واجب المؤمنين سندا لهذه الجملة أن يؤيوا الغالب والمتغلب بالقوة.
هكذا وبكل هذه البساطة أضيفت الشوعية على فعل القاهرين والمتغلبين على الحكم بالقوة.
وهو عبد الله بن عمر الذي رفض بيعة الإمام علي عند صواحه مع معاوية بن أبي سفيان، وانتظر حتى غلب معاوية، وعندما غلب معاوية بايعه لأنه الغالب.

41 - الغلبة والقوة هي الحكم طوال التاريخ

غلب أبو بكر فصار خليفة، ولأنه غالب عهد بالخلافة من بعده لعمر فصار عمر خليفة، ولأن عمر غالب عهد بالخلافة عمليا لعثمان.
ثم بايعت الجوع عليا بعد مقتل عثمان فغالبه معاوية بن أبي سفيان فغلبت القوة على الشوعية، وصار معاوية خليفة لأنه غلب! وابتدأت ثورة العهد، فعهد لابنه يزيد، ثم غلب مروان ابن الحكم وبدأت ثورة العهد في أبنائه، وجاء العباسيون فغلبوا بني أمية وبدأت ثورة العهد في بني العباس، ثم غلب كل وال على ولايته وتفككت الخلافة العباسية.
وجاء العثمانيون فغلبوا، ودانت لهم بلاد الإسلام لأنهم غلبوا، ثم جاءت جمعية الاتحاد والترقي المدعومة من الغرب فغلبت وتولت مسؤولية تفكيك الدولة العثمانية، وغلب كل وال أو مجموعة على ولايتها، وقامت على أنقاض الدولة العثمانية الدول الإسلامية الحديثة، والله عاقبة الأمور!

42 - متى ابتدأ قانون الاستيلاء على الحكم بالقوة والغلبة؟

ابتداء قانون الاستيلاء على الحكم بالقوة والتغلب، عندما كان النبي على فراش الموت، وكتل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جماعته وحزبه ودخلوا بمواجهة مكشوفة مع النبي نفسه!
قال النبي: قروا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال عمر وحزبه: لا حاجة لنا بهذا الكتاب، (حسبنا كتاب الله!)
وعندما كرر النبي طلبه قال حزب عمر: إن رسول الله قد هجر - حاشا له - فانتصرت القوة، وغلبت الشوعية!
وبعد يوم انتقل النبي إلى جوار ربه واستمر عمر (رضي الله عنه) وحزبه انتصلهم بمواجهة النبي، وتجاهلوا الإمام

43 - لو قبل عمر ونصب الإمام الشرعي

لو أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما سافوا من المدينة إلى مؤتة في جيش أسامة الذي جهزه النبي وأمرهما أن يكونا فيه، وأمر بتعجيل إنفاذه ولعن من تخلف عنه.

ولو أن عمر (رضي الله عنه) وحزبه لم يواجهوا النبي، وقبلوا قيادة الولي الذي عينه الله وأعلنه رسوله وليا من بعده، لما اختلف عليه اثنان قط، ولاستقرت مؤسسة الإمامة أو رئاسة الدولة ولا انتصرت الشوعية، ولما تفرقت الأمة، وبقيت متحدة إلى يوم الدين، ولما طمع بالإمامة طامع، ولما قامت الحروب، ولما ساد على وجه الأرض نظام غير النظام الإلهي، عندئذ تتبع القوة للشوعية وتصبح القوة والغلبة جنديا من جنود الشوعية.

ولكن عمر (رضي الله عنه) فتح باب التغلب والاستيلاء على الحكم بالقوة والتغلب، لحكمة رأها هو وبطون قريش!!!

الصفحة 383

44 - الغالب الذي لم يبطر

عندما غلب عمر وعين أبا بكر خليفة استقام أبو بكر ما وسعته الاستقامة، واستقام عمر ما وسعته ذلك، ولم يتمزا عن الناس، بمسوى المعيشة، فقلن الناس سيوتهما بسوة غورهما من الخلفاء، وسلوكهما بسلوك غورهما من الخلفاء، فوجدوا الفرق عظيما، فارتفعت أسهم الخليفين شعبيا إلى مسوى لا يصدق، فقول أبي بكر وعمر وفعلهما وتقورهما بمثابة شوع، حتى ولو اختلفا مع الشوع بل ومع الآيات المحكمات!

فسهم المؤلفة قلوبهم المنصوص عليه بأية محكمة ألغاه عمر، فأشار الناس بحكمته!

والرسول كان يعطي بالتسوي فميز عمر بالعباء، فاستحسن الناس هذا الإبداع، ثم قال عمر لئن استقبلت من عوري ما استديرت لأردن فضل أموال الأغنياء على الفقراء، مع أنه هو الذي أوجد الأغنياء وأوجد الفقراء، فهل الناس وتوقوا خطوة عمر التريخية!

ثم إن أبا بكر وعمر أول من أشاع بأن رسول الله خلى على الناس أمرهم ولم يعين وليا للأمة من بعده، واكتشف الخليفان أن ترك الأمة بلاراع دمار حقيقي، فعهد أبو بكر وعهد عمر، وأوجدا سنة العهد، فجعل الناس ذلك شوعا واجب الاتباع! بل ويكفيك أن تعلم أنه كان من واجب الخليفة أن يعلن التوامه بسنة رسول الله وسوة الشيخين، كأن سنة رسول الله لا تكفي، فجاءت سوة الشيخين لتكمل سنة رسول الله!!!

وإن كنت في شك من ذلك فاطلع على صورة الموائيق التي طرحها عبد الرحمن بن عوف على عثمان وعلى الإمام الشرعي علي... إلخ.

ومن العجيب أن الناس لم يقلنوا سوة الشيخين بسوة رسول الله وهو نبي، إنما قلنوا سيوتهما بسوة غورهما من

45 - والخلاصة أن التغلب كان هو الطريق الوحيد

والخلاصة أن عمر (رضي الله عنه) قد فتح باب التغلب والاستيلاء على الحكم بالقوة، فصار هو الطريق الوحيد للوصول إلى منصب رئاسة الدولة الإسلامية، عندئذ تستقر الأمور فيعهد الغالب لأحد أواد حزبه أو لأحد أبنائه أو أقربيه.... حتى يأتي غالب جديد، فيعيد الكرة!!

وهكذا قوضت القوة والتغلب دعائم الشوعية في الإسلام، وفتحت شهية الطامعين بالخلافة، فأخذ كل طامع يعد العدة ويكون حزبه تمهيدا للاستيلاء على السلطة بالقوة والتغلب!! والله عاقبة الأمور.

46 - المؤمنون خول وعبيد للغالب الذي يستولي على السلطة

قال الطوي في مجلد 7 صفحة 13 من تزيخه (قدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في دمائم وأموالهم وأهلهم ما شاء) وقال المسعودي في التنبيه والإشراف صفحة 264 ومروج الذهب مجلد 3 صفحة 71 (وبايع من بقي من أهل المدينة على أنه قن ليزيد بن معاوية، ومن أبي أمه إلى السيف!

وقال المسعودي (فسار الحصين ومن معه حتى أتى مكة وأحاط بها ونصوا المجانيق ورمى الكعبة بالنار والنفط ومشاقات الكتان، وغير ذلك من المحروقات، فانهدمت الكعبة التي تحصن بها أعداء الخليفة الذين لم يبايعوه، راجع مروج الذهب مجلد 3 صفحة 71 - 72 ، وراجع تزيخ الخميس مجلد 2 صفحة 303 وتزيخ السيوطي صفحة 2

47 - ما هو موقف الرسول من أفعال الغالب؟

زعموا أن الرسول يؤيد الغالب، فقد روى مسلم في صحيحه مجلد 6 صفحة 20 - 22 باب الأمر بلزوم الجماعة أن الرسول قال: يكون بعدي أئمة لا يهتتون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين، قال فقلت: يا رسول الله إن أركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

قال النووي في شرحه - باب لزوم طاعة الأئمة في غير معصية (وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزول الحاكم بالفسق والظلم وتعطيل الحدود، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين! راجع مجلد 12 صفحة 229 من شوح النووي على صحيح مسلم، وراجع سنن البيهقي مجلد 8 صفحة 158 - 159

قال الباقلاني في كتاب التمهيد (قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث:

لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبخار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه.

وهكذا غطا بغطاء الشوعية كل أعمال الغالب، فكل ما يعمله الغالب مباح له، ويمكن للغالب أن يهدم الكعبة، ويمكن للغالب أن يستبيح المدينة المنورة نفسها، ويمكن للغالب أن يحتم أعناق الصحابة الكرام، ويمكن للغالب أن يحرق بيت فاطمة بنت محمد وأن يقتل فاخ محمد نفسه، وأن يقتل الحسين وأن يسم الحسن، وأن يبديد نرية الرسول في كربلاء!!
قال أبو الخير الشافعي في حق يزيد (ذلك إمام مجتهد)!!

ونقل ابن حجر في صواقه صفحة 221 (بأنه لا يجوز لعن يزيد... فإنه من جملة المؤمنين وأمره إلى مشيئة الله!!
فإذا اقتتعت بكل ذلك فأنت مسلم ومؤمن ومع الجماعة، وإذا لم يقتنع عقلك بذلك فأنت رافضي خبيث، أو متشيع فاسد لأهل البيت الكرام، وبالتالي شاق عصا الطاعة، ومفلق للجمعة والجماعة، وخرج على أمير المؤمنين الغالب للأمة كلها!!

* *

الصفحة 386

الصفحة 387

الأثر الثاني: عزل أهل بيت النبوة الكرام

1 - أهل البيت الكرام شرف الآل الكرام

- 1 - لأن الله عز وجل جعل القيادة السياسية والرجعية فيهم، فأعدهم لذلك إعدادا إلهيا.
- 2 - لأنهم قابة النبي، ولأنهم أفضل البطون البشوية بالنص الشوعي.
- 3 - لأنهم احتضنوا النبي ودعوته وتحملوا في سبيله ما لم يتحملة أي بطن من البطون وحصار قريش للهاشميين لا يخفى على أحد.
- 4 - لأنهم أحد الثقلين فكتاب الله الثقل الأول، وعترة النبي أهل بيته الثقل الثاني، ومن المستحيل بعد النبي أن تهتدي الأمة إلا إذا تمسكت بهذين الثقلين، ومن المستحيل أن تنجو الأمة من الضلالة إلا إذا تمسكت بهذين الثقلين معا.
فالقرآن الكريم وبيان النبي لهذا القرآن هما القانون النافذ، وأهل البيت العترة الطاهرة هم القيادة السياسية والرجعية!
وقد ترسخت هذه البنى الدستورية إبان حياة النبي، واقتنع المجتمع المسلم بسلامتها.

2 - ليس من عند الرسول إنما من أوامر الله

تميز أهل البيت الكرام، وفضلهم المبرز وكونهم أحد الثقلين، وأفضليتهم، هذا الغرايا وغيرها لم يقرها الرسول من عند نفسه، حاشاه، إنما تلقاها رسول الله من الله عز وجل، وأمر الرسول بتبليغها باعتبارها جزءا من الذكر الحكيم، ومقطعا من

مقاطع المنظومة الإلهية. وهكذا فهما المجتمع المسلم.



3 - لبطون قريش تصور آخر

بطون قريش وعلى رأسها عمر (رضي الله عنه) كأن لهارأي آخر، فقد اعتقدت أن هذه الترتيبات لا يعقل أن تكون من عند الله، فهل يعقل أن يعطى الهاشميون النوبة والخلافة ويحوزوا الفضلين معا، ولا ينال بطون قريش منها شيئا؟ تصوروا ذلك وهم يعلمون أن الله أتى آل إواهيم الكتاب والحكمة والنبوة والملك وهم يعلمون أن محمدا أفضل من إواهيم، وأن آل محمد هم أفضل من آل إواهيم، ولكنهم لم يستكثروا على آل إواهيم ذلك واستكثروا أن يجمع الآل الكوام كل ذلك.

4 - القوابة كانت هي الحجة الأولى لأبي بكر وعمر

قال أبو بكر في سقيفة بني ساعدة (نحن عشوة رسول الله). راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 6 وقال عمر مخاطبا الأنصار (والله لا ترضى العرب أن تؤمكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النوبة فيهم، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينزلنا سلطان محمد وموائه ونحن أوليؤه وعشورته إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة) الإمامة والسياسة صفحة 7 - 8

5 - التسليم للحق

ما قاله أبو بكر وعمر حق، فقالت الأنصار لا نبايع إلا عليا، وقال بعض الأنصار لا نبايع إلا عليا. راجع تزيخ الطوي مجلد 3 صفحة 198 ، راجع الإمامة والسياسة صفحة 8 ، راجع مجلد 2 صفحة 269 من شوح النهج، على اعتبار أن عليا هو أقرب المقربين للرسول، وعلى اعتبار أن الولي الذي أعلن الرسول ولايته للمؤمنين أمام جمع يزيد على مائة ألف مسلم، وعلى اعتبار أنه الأعلم والأفهم والأفضل بالنص الشعري.

6 - لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة رأي آخر

أبو بكر من بني تيم، وعمر من بني عدي، ومحمد من بني هاشم، احتجوا بأنهم قوابة النبي، فقالت الأنصار نحن مع قوابة النبي فعلا، ونبايع عليا لأنه سيد القوابة، وأقرب القوابة للنبي، فلم يرق هذا الجواب للثلاثة، خاصة لأبي بكر ولعمر لأنهما أرادا من الأنصار أن يوافقوه القول بأنهما قوابة النبي والأولى به!!

7 - الإنفاف على الحجة

لما اقتنعت الأنصار بأن أهل محمد وقوابته أولى بسلطانه، واقتنعت البيعة لعلي التقي أبو بكر وعمر على هذا الاقتراح، فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، بايعوا من شئتم!! فقالا نبايعك أنت، فانقض بشير بن سعد وبايع أبا بكر! ثم بايعه

عمر وأبو عبيدة، وتوالى المبايعون. ويبدو واضحا أن الترتيب هو أن يكون أبو بكر الخليفة الأول، وأن يكون عمر هو الخليفة الثاني، وأن يكون أبو عبيدة هو الخليفة الثالث، فطالما قال عمر لو كان أبو عبيدة حيا لوليته واستخلفته!!
ويبدو واضحا أن بشير بن سعد وأسيد بن حضير من رُكان الذين اشتركوا بهذا الترتيب!
وعندما انتقل رسول الله إلى جوار ربه لم يكن أبو بكر حاضرا فأخذ عمر يهدد بتقطيع أطراف من زعم بأن الرسول قد مات، واجتمع الناس حوله وأخفوا يسمعون له، فلما حضر أبو بكر استفاق عمر كأن لم يكن به شيء، فكان غاية عمر أن يلهي الناس ريثما يحضر أبو بكر، ويرتبا معا ويخططا معا.
وقد أشار ابن أبي الحديد لهذه الناحية، وبين أن قصد عمر كان كسب الوقت ليحضر أبو بكر.

الصفحة 390

8 - القصد ابتراز الحق باسم القوابة أو بأي اسم

عرف الجميع أن قوابة محمد أولى بموآته وسلطانه، وأن سيد القوابة والمعلنة ولايته هو علي، وأنه هو صاحب الحق بالموآت وسلطان النبي.
هذا الترتيب لم يرق لا لعمر ولا لأبي بكر ولا لبطن قريش، فرأدت وصممت أن تبتز الحق من أهله، فلوحت بالقوابة ورفعت هذا الشعار، حتى أصغى الحاضرون لها، لأن الجوع المسلمة مسكونة بمبدأ القوابة، وعندما أصغوا لهما رفعا شعار البيعة، ثم صار الاستيلاء على السلطة أمرا واقعيًا، وأدرك الناس أن أهواتهم ومستقبلهم مع الغالب، وأن الشوعية قد هزمت فعلا، وأن الضوبة لمن يضوبها فعلا!!

9 - بعد الخروج من السقيفة

الذين بايعوا أبا بكر تحولوا إلى جيش يحميه ويدافع عنه وينفذ أوامره، وتحول عمر إلى نائب أول للخليفة، وأبو عبيدة إلى نائب ثاني للخليفة، فخرجوا معا وزفوا الخليفة زفا حتى جاؤا به إلى آل محمد، ولم يكن هناك داع للاحتجاج بالقوابة على آل محمد فاحتج الخليفة بأن الأنصار قد بايعته بالشورى، ونسي أمر القوابة!!!

10 - التذكير بالحجة الأولى

قال علي احتججتكم على الأنصار بالقوابة من رسول الله، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتكم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا فأنصفونا إن كنتم مؤمنين وإلا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون! فقيل لعلي لقد اختار الأنصار أبا بكر بالشورى، فقال علي:

فإن كنت بالقربى ملكت أمورهم * فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * فكيف بذلك والمشيرون غيب

11 - السلطة تصب جام غضبها مع أهل البيت

استقامت أمور العاصمة، لأن أبا بكر وعمر لم يأخذ حق أحد من سكان العاصمة، إنما أخذوا حق أهل البيت فقط، وابتوا هذا الحق على حد تعبير معاوية برسالته التي ذكرناها أكثر من مرة.
فمن الطبيعي أن صاحب الحق سيبذل جهده ليسترد حقه السليب، ومن الطبيعي الذي ابتز الحق لن ينام قوير العين، ما دام للحق صاحب يطلبه!!

لماذا يطالبون بحقهم، لماذا لم يسلموا للغالب الذي ابتز هذا الحق على حد تعبير معاوية، لماذا يقلقون السلطة التي أخذت هذا الحق، كيف تفعل السلطة بهم؟

الحل أن يهدد علي بالقتل فإذا قتل علي قطع رأس المعرضة؟

وفعلا هذوه بالقتل، ولكن مثل ولي الله لا رهب التهديد بالقتل!

الحل الثاني هو تقنين أهل البيت، فذهبوا إلى العباس ووعنوه بخوء من الأمر له ولعقبه إن تخلى عن دعم الإمام علي، فرفض العباس هذا العرض رفضا قاطعا!

إذا لا حل أمام السلطة سوى أن تحرق بيت علي بن أبي طالب على فاطمة والحسن والحسين معا، أو تهدد علي الأقل بحرق البيت، فيعلم سكان العاصمة أن هذا البيت مشوه، وأن من يتردد عليه غير آمن فتقطع الصلة بين هذا البيت وبين سكان العاصمة، ويحاصر سكان البيت ويغزلون!

وبالفعل أمر عمر بن الخطاب بجمع الحطب ووضع حول البيت، وقال إنه إن لم يخرج من في البيت فإنه سيرقه علي ما فيه، فقيل له: إن فيه فاطمة والحسن والحسين فقال وإن!!!

وهذه رسالة ضمنية لكل من تسول له نفسه بمعرضة السلطة الجديدة فهو لن يكون أعظم من فاطمة ولا من علي ولا من الحسن ولا من الحسين، ومع هذا فالسلطة قاوة على حرق بيت هؤلاء علي من فيه!!

وعندما اكتشفت السلطة أن هذه الإجراءات لم تردع أهل البيت الكوام عن طلب حقه، صادرت على الفور المنح التي منحها الرسول لهم كفدك، وقررت حرمان أهل البيت من تركة الرسول وموائه وأعطت أهل البيت حذاء الرسول ودابته وآلته فقط، وبنفس الوقت ألغت الخمس المخصص لهم بآية محكمة.

عندئذ توقف أهل البيت عن المطالبة بحقهم مؤقتا، لأنهم لو استمروا بالمطالبة فإن السلطة الجديدة ستمنع عنهم الأكل والشرب وسيموتون جوعا!! وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

فاستقامت أمور السلطة تماما عندما اضطر صاحب الحق على السكوت، وعدم رعاج الذين ابتزوا حقه.

12 - الآثار التي ترتبت على مطالبة صاحب الحق بحقه

ازعج أبو بكر وازعجت معه بنو تيم، وازعج عمر وازعجت معه بنو عدي وازعجت لاوزعاجهم بطون قريش، فاعتبروا أن معارضة أهل البيت الكرام لملك بني تيم وملك بني عدي هو معارضة لحق البطون في السلطة، وأضمرُوا في نفوسهم معارضة أهل البيت انتقاماً لمعارضتهم، وتأخير أهل البيت لأنهم رفضوا التقدم الذي أحرزته البطون. وأخذت كل البطون تنتظر نظرة حذر وامتعاض لأهل البيت خاصة، ولبني هاشم عامة!!

13 - افتخار قريش على العرب بالقوابة من الرسول

خرج علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجعل يمشي في أسواق دمشق بعد مجزرة كربلاء (فاستقبله المنهال بن عمرو الصحابي فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ فقال زين العابدين (عليه السلام): أمسينا كبنِي إسرائيل في آل فُوعن، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم! يا منهال أمسيت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منهم،

الصفحة 393

وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا أهل بيت محمد ونحن مغضوبون، مظلومون مقهورون، مثيرون مطرودون! فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال!). راجع فُوح بن أعثم مجلد 5 صفحة 247 - 249 ومقتل الخوارزمي مجلد 2 صفحة 69 - 71 ومعالم المرسين للعسكري مجلد 3 صفحة 166 - 167 قالوا إن رسول الله قال (بأن الأئمة من قريش) لماذا لأن قريشا عشوة النبي، وقفروا عن البطن الهاشمي مع أنهم الأقرب، واعتبروا أن الأئمة من قريش مع أنها الأبعد!

ثم احتجوا في ما بعد بحجة ابن خلدون لأن قريشا مركز القوة والعصبية فطوقوا العصبية مع القوابة! لكن ابن خلدون ينسى بأن عصبية قريش لم تغن عنها شيئاً يوم حُرِبت دعوة النبي ودولته 21 عاماً!

وباختصار فإن المبرر لعامة قريش على العرب هو أن النبي من قريش، وبالتالي فقريش عشوته وهم الأولى بمراثه وسلطانه، ولكنهم ورثوا البعيد، وحرّموا القريب.

إن الغالب يتشبث بكل شيء ليبرر غلبته، والذين يبترون الحقوق يتنوعون بكل وسيلة للحفاظ على ما ابتزوه.

14 - أبو جعفر محمد بن علي الباقر يلخص قصة القوابة

قال أبو جعفر لبعض أصحابه يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا بهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبوينا من الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض، وقد أخونا أننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش، حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجتنا، ثم تداولتها قريش، واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه، وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العواق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكوه، وعولجت خلاخيل أمهات ولأده، فوادع معاوية وحقق دماء أهل بيته وهم قليل حق

ثم بايع الحسين من أهل العواق عشرون ألفاً، ثم غدروا به وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم!
ثم لم تول أهل البيت نستذل ونستظام، ونقصى ونمتهن، ونحرم، ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء في كل بلدة، فحدثوا بالأحاديث الموضوعة المكذوبة وزوروا علينا ما لم نقله لبيغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكوه في زمن معاوية بعد موت الحسن، فقتلت شيعتنا في كل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت دراهمه!
ثم لم يزل البلاء يشتد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين.
ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي... راجع المجلد 3 صفحة 595 من شوح النهج.

15 - القوابة شعار للوصول إلى السلطة أو لتثبيت السلطة

بطون قريش التي ادعت في ما بعد أنها الأولى بالخلافة لأن محمداً منها، والتي افتخرت على العرب بكون النبي منها وأنها الأولى بموآته وسلطانه، لأنها قوابة الرسول... هذه البطون هي نفسها التي قاومت دعوة النبي 13 سنة في مكة، وهي نفسها التي اشتركت بمؤامرة لقتل النبي، وهي نفسها التي أرغمت النبي على الخروج من مكة، وهي نفسها التي حاربت النبي ثماني سنوات بعد إخراجها، ولم تتوقف عن حربه إلا بعد أن هزمت عسكرياً وأحيط بها وحصرت تماماً، فدخلت في دين الله كراهة!
ثم رفعت في ما بعد شعار القوابة لتولى على السلطة، ولتأخذ الحق من أهله الذين هم القوابة الحقيقية.

والقوابة الحقيقية هي قوابة بني هاشم الذين حموا الدعوة، وحموا الداعية أثناء وجوده في مكة، ووقفوا إلى جانبه يوم وقفت بطون قريش ضده، والقوابة الحقيقية هي التي حوصرت في شعاب أبي طالب ثلاث سنوات حتى أكلوا ورق الشجر من الجوع، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب!
القوابة الحقيقية هم الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل نصوة النبي، ونصوة دينه، وهم الذين أخضعوا العرب برواحهم وتبرههم في ذات الله!!

16 - كل سلطة استهلت حكمها بإذلال أهل البيت

أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهما فريق واحد ومن حزب واحد، وهي سلسلة في حلقة واحدة، ابتدأت بأبي بكر، وقد بينا كيف هدد الإمام بالقتل، وهدد بيت فاطمة بالحريق، وبيننا كيف حرّموا أهل البيت من موآث النبي، وكيف صوّرت المنح التي أعطاه النبي لهم، وكيف حرّموا من 1 / 5 الخمس الولد في أية محكمة، وكيف جردوا من أموالهم، واضطروا لأن

يكونوا عالة على الحاكم الذي تعهد بتقديم المأكل لهم.

17 - وفي عهد معاوية

استهل عهده بأنه كتب نسخة واحدة إلى كل عماله بأن بوئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تَاب (يعني علياً) وأهل بيته! فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه ويقعون فيه! وكتب نسخة واحدة إلى كل عماله بأن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي (محببيه وأعوانه) وأهل بيته شهادة! ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة أن انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا رزقه وعطاءه!

وشفع ذلك بنسخة أخرى (من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم (أي أهل البيت) فنكلوا به واهدموا دله! راجع شوح النهج لابن أبي الحديد كما نقلها عن المدائني في كتابه الأحداث مجلد 3 صفحة 595 - 596 من الشرح.

الصفحة 396

18 - وفي عهد يزيد

وبعد موت معاوية جاء ابنه يزيد، الذي تأمر مع سفلة العواق على قتل آخر سبط للنبي ومنعوا عنه وعن أهل بيته ماء الفوات، ثم أباهوهم عن بكوة أبيهم ولم ينجح إلا النساء وقليل من الأطفال، وقصة كربلاء ومأساتها لا تخفى على عاقل.

19 - وفي المقابل عبد الله بن الزبير

وعبد الله بن الزبير الذي كان يتصلع مع يزيد على السلطة، جمع الهاشميين ووضعهم في مغرة وملاًها بالحطب، وهم أن يحرقهم عن بكوة أبيهم باعتبارهم قوم سوء، وألغى الصلاة على النبي حتى لا يضطر أن يصلي على آل النبي (لأن له - أي للرسول - أهل سوء، إذا ذكrote اشأبت أعناقهم، فأحببت أن أكبتهم كما روى ابن أبي الحديد عن ابن الزبير!!

20 - طلحة والزبير

وعندما طمع طلحة والزبير بالملك وضعا أيديهما بأيدي أم المؤمنين، نكثا بيعة الخليفة الشعبي وكونوا جيشاً وهاجموا البصرة، وأشعلوا على الإمام حرب الجمل، ولكنهم هزموا.

21 - كل سلطة غالبية زينت غلبتها بقوابة الرسول

أخذ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الأمر من الأنصار بحجة أنهما قوابة النبي وأنهما أولى بسلطانه، قالوا هذا الكلام بالوغم من وجود القوابة الحقيقية!

وعندما استقامت أمرهما وغلبا على السلطة لم تتغير حجتهما، بل زينا حكمها بالقول بأنهما من قريش، وقريش هي عشوة

ثم جاء الأمويون ونكوا بالقوابة الطاهرة ولعنوها على كل منبر وفي كل بلدة، ومع هذا سخروا وسائل إعلامهم، لإقناع أهل الشام بأن الأمويين هم قوابة الرسول، ولا قوابة للرسول سواهم! واقتنع أهل الشام بذلك!

الصفحة 397

وعندما انتصر أول خليفة عباسي على الأمويين حلف له أهواء الشام بإيمان البيعة وبطلاق نسائهم أنهم لا يعلمون أن للرسول أقرب غير بني أمية!!

ثم جاء العباسيون فقبضوا على مقاليد السلطة بالقوة، وهزموا الأمويين، ثم نكلوا بقوابة النبي القويبة، وزينوا غلبتهم بالقول بأنهم قوابة النبي فهم من بني هاشم!!

وتفاسم وولاية الأقاليم ملك بني العباس، وغلب المماليك ثم غلب العثمانيون، فزينوا غلبتهم بالقول بأنهم قوابة الرسول بحجة أن الرسول قال (أنا جد النبي ولو كان عبدا حبشيا!) وبما أن المماليك والعثمانيون أتقياء فإن الرسول جدهم وهم أولى بسلطانه، لأن الرسول حسب هذا التخريج قريبهم، فزينوا غلبتهم بالقوابة!

ثم سقطت دولة الخلافة التليخية، وقامت الأحزاب السياسية الدينية بهدف إعادة نظام الخلافة، وأخذ كل حزب يدعو لقائده، فدعى الوهابيون لابن عبد الوهاب، والأخوان لحسن البناء، والتحرير للنبهاني... إلخ.

واحتجت الأحزاب بحجة المماليك والعثمانيين، فعمت أنها أولى بالحكم لأنها قوابة الرسول الله! ووجه القوابة أن رسول جد كل نبي! وبما أن قادة الأحزاب وأتباعهم أتقياء، فإن الرسول جدهم كمازعموا!

22 - إذلال أهل البيت

صار إذلال أهل البيت الجزء البارز من مراسيم كل غالب لاستلام السلطة! فالغالب كان يستهل عهده بغزة خاطفة على من حوله من أهل البيت، وقد ألفت الأمة ذلك، واعتوته جزءا لا يتجزأ من الاحتفال باستلام الغالب للسلطة.

فبعد نجاح أبي بكر ومبايعة الأنصار له، هدد عليا بالقتل وطمع الحطب حول بيت فاطمة بنت محمد لإحراقه، وتمت مصادرة منح أهل البيت وحرمانهم من موات النبي، ثم حرموا من الخمس!

الصفحة 398

وجاء الأمويون فجعلوا لعن أهل البيت فريضة، فلعنوهم في كل بلدة وعلى كل منبر، ولم يقبلوا لمحبتهم شهادة، وقرروا هدم دار كل من يحبهم، ثم جاء يزيد فقاد مذبحه كربلاء.

ثم جاء العباسيون، وليشعروا الجوع المسلمة بأنهم على نوب الذين خلوا من قبلهم، نكلوا بأبناء الرسول، حتى أن أحد خلفائهم عندما لم يجد من ينكل به هدم ضريح الحسين وسواه مع الأرض!!

23 - صبت عليهم مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

المصائب التي أتوها الحكام بأهل بيت محمد لو أنها تولت بالجبال لزلت، لقد سئم أهل البيت أفاعيل الحكام المتغلبين وتغلب فئات الأمة فأنزوا عن مسوح الحياة لينجو من بقي منهم وهم قليل وأخفوا قلوبهم للنبي، ولم يظهر منهم إلا الأئمة الكرام فقتلوا واحدا بعد الآخر، وواجهوا الموت بنفوس راضية.

كان أهل البيت هم الشبح المرعب لكل أولئك الذين ابتزوا حقهم وقهروا الأمة بالقوة، وكان أهل البيت هم موضع نقمة الحكام المتغلبين طوال التاريخ، فانسحبوا من مسوح الحدث وقصروا همهم على المحافظة على نقاء الدين وتوضيحه للراغبين من الأمة.

24 - واستقامت الأمة بعد ذهول

فأدرت أن الهدى لا يمكن تحصيله إلا بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترة النبي أهل بيته، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين أيضا كتاب الله وعترة النبي أهل بيته. وأن الأمة وقعت ضحية غفلتها عن الأعياب الحكام المتغلبين وأساليبهم الملتوية!

وهال الأمة ما لحق بأهل البيت طوال التاريخ من ظلم وعذاب وتقتيل وتشريد، واكتشفت عدالة قضية أهل البيت، فبدأت تعيد حساباتها من جديد وترتب أوقافها،

الصفحة 399

ورأت فئات من الأمة أن النجاة من الغرق لا تتحقق إلا بالكوب بسفينة فوح، وهم أهل البيت، وأن الخلاص من التيه لا يدرك إلا بنجوم الهدى وهم أهل البيت، ولا يكفي الحب المجرد لأهل البيت، بل إن الموالاتة هي الطريق الفود للتعبير عن هذا الحب، والموالاتة تعني أن الأمة لن تقبل إلا قيادة أهل البيت، فهم القيادة بالنص الشوعي وقد تبنت الشيعة هذه الأطر.

وأدرت السلطة خطورة هذه الدعوة، فصبت جام غضبها على من يحب أهل بيت محمد ومن يوالي أهل البيت، وأشاعت أن الذين ينادون ولاية أهل البيت هم الذين شقوا عصا الطاعة، وفوقوا الجماعة! وأن هؤلاء القوم مجوس وكفرة، فنفر الناس من كلمة التشيع حتى ليقال للإنسان أنه كافر أخف وأهون عليه من أن يقال أنه متشيع وموال لأهل بيت محمد، فكلمة الشيعة وادفت في أذهان العامة من المسلمين مع أسوء الصفات البشوية، فالعامة من المسلمين لا يستغربون أن يكون الإنسان مسيحيا أو يهوديا أو بوذيا أو قوميا أو شيوعيا لكنهم يستغربون أن يكون الإنسان من شيعة أهل البيت!!

والسبب في ذلك أن الحكام المتغلبين قد قهروا أهل البيت بعد ابتزاز حقهم طول التاريخ، ومع أن أهل البيت لا يشكلون خطرا على الحكام، لكنهم قرروا أن الخطر الحقيقي يأتي من أولئك الذين آمنوا بعدالة قضية أهل البيت وهم الشيعة، فسخر الحكام كل وسائل إعلامهم، وكل مورد الدولة لتشويه سمعة أولئك الذين يوالون أهل البيت، واختلق الحكام وأعاونهم الأكاذيب، وصوروا من يوالي أهل البيت وكأنه العدو اللود لدين الإسلام، وأحيانا كان الحكام يدسون عملاءهم في صفوف الشيعة،

ويختلف هؤلاء العملاء الأحاديث والقصص الكاذبة، وينسبونها لأهل البيت لتتغير الناس من أهل البيت!!
لقد استطاعت وسائل الدعاية والتربية أن تخلق قناعة كاذبة، وأن تغرس هذه القناعة بالعقل الباطن لعامة المسلمين، ولكن
مع جو الانفتاح والتحرر الذي ساد العالم

الصفحة 400

الحديث، فإن الإطلاع على فكر أهل البيت أصبح من ضرورات تقدم المسلمين، خاصة وأن الأمة قد جربت كل شيء
لنهضتها فشلت، ولكنها لم تجرب فكر أهل البيت الكرام!
وما الذي يمنعنا من أن نطلع الناس على فكر أهل بيت محمد بالوقت الذي ندرس فيه بجامعةتنا النظرية الشيوعية والنظرية
التحررية الرأسمالية، فهل يعقل أن كلل ملكس وانجلز وبناء التحررية الرأسمالية، هم أنفع لنا من أهل بيت محمد؟ ما لكم
كيف تحكمون!!

نماذج من غرات الحكام على أهل البيت

1 - الغلة الأولى

بالأمس أي قبل يوم واحد دفن علي ابن عمه وصهره وأخاه رسول الله، ودفنت فاطمة أباه رسول الله، ودفن الحسن
والحسين أباهم وجدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورجع الأربعة كسوة خراطهم إلى بيتهم، فوافد المعزون على
بيت هؤلاء الأربعة، المتصل ببيت النبي والمعروف أنه جزء منه وأنه بيت فاطمة، أو بيت علي.
وفجأة وبدون مقدمات تحركت سوية عسكرية برئاسة عمر بن الخطاب وطلبوا من أصحاب الدار ومن المغزين أن يخرجوا
ليبايعوا الحاكم الجديد أبا بكر!
ولما توانوا عن الخروج أصدر عمر بن الخطاب أمرا بإحضار الحطب ووضع حول البيت استعدادا لإحراق البيت على
من فيه!
وبعد أن تم وضع الحطب نادى عمر: إني قد وضعت الحطب حول البيت وكل شيء جاهز لإحراقه! أخرجوا جميعا
وبايعوا، وإلا أحرقت الدار على من فيها!
فقيل له إن في الدار فاطمة وعليها والحسن والحسين! فقال عمر: وإن!!
فخرج من في الدار، وخرجت فاطمة ونادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله ما لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن
قحافة!!

الصفحة 401

لم يعبأ عمر بصواخ فاطمة، إنما أمر السوية بجر علي إلى أبي بكر!
ولما حضر علي قيل له: بايع. قال علي: وإن لم أبايع فمه؟ قالوا إذا والله نضوب عنقك!!!

راجع تفاصيل الغرة في الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة 6 وما فوق على سبيل المثال، وراجع توثيقاتنا السابقة، وراجع قصيدة حافظ إبراهيم التي يشيد فيها بشجاعة عمر يوم هم بحرق بيت فاطمة!

2 - للبيان فقط

من عادة العرب، من عادة أبناء آدم أن يحترموا أهل الميت وأن يشركوهم مصابهم خلال ثلاثة أيام على الأقل، وأن يحترموا مشاعر نوي الميت ويمتنعوا عن الإتيان بما يؤذيهم، تلك عادة البشر بالتعامل مع الميت أي ميت!!
فكيف يربك إذا كان الميت رسول الله!! وإذا كان أهله هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا!!!
وقبل أن يمضي أسوع على دفن الرسول أحيط أهل البيت علما بأنهم قد حرموا من توكة الرسول، وأن المنح التي منحها الرسول لهم قد صودرت، وأن الخمس المخصص لهم بأية محكمة قد منع عنهم، وأنه ليس لهم من كل ذلك إلا الأكل، والحاكم هو الذي يزودهم بالطعام!!!

3 - غلة ثانية

معاوية يستعد للموت، وقد صمم أن يعهد بالملك لابنه يزيد، ويؤيد هذار عديد وفاجر، ومن غير الممكن عقلا أن يكون خليفة الرسول، ولكن معاوية سخر جيشه وكل مورد الدولة لأخذ البيعة ليزيد ونجح!
ليس أمام الحسين إلا أن يبايع أو يموت!
إذا كانت الأمة قد ركعت بالتهديد فإن ابن رسول الله وسليل الزهراء وشبل علي لم
الصفحة 402

ركع، فخرج من المدينة خائفا يترقب ومعه أهل بيته الكرام وفولريهم، وانتهى مسوهم إلى كربلاء.
كان مع الحسين 72 رجلا فوجنوا بانتظروهم جيشا لجبا قوامه على أقل الروايات أربعة آلاف مقاتل بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص!
ماء الفوات حلال للطير وللإنسان وللحيوان، ولكن عمر بن سعد أصدر أمرا بمحاصرة الحسين ومن معه ومنعهم من الشرب من ماء الفوات! وأصروا إما أن يسلم الحسين تسليم الذليل ويتول على حكم بن مرجانة، أو يموت!

4 - الحسين يخطب بجيش أمير المؤمنين يزيد

أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثم رجوا إلى أنفسكم فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، أأست ابن بنت نبيكم؟ وابن وصيه وابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله؟ والمصدق لرسول الله بما جاء به من عنده؟
أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟
أوليس جعفر الشهيد ذو الجناحين عمي؟

أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله قال لي ولأخي: هذان سيذا شباب أهل الجنة؟
فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويغر به من اختلقه...
فإن فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخوكم!

سلوا جابر بن عبد الله الأنصلي، وأبا سعيد الخوري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن رُقْم، وأنس بن مالك، يخبروكم
أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي.
أفي هذا حاجزكم عن سفك دمي!!؟....

الصفحة 403

5 - لا وقت مع جيش أمير المؤمنين لسماع الخطب

هجم الأربعة آلاف على ال 73 ، وصنع جيش أمير المؤمنين المذبحة وقتل الحسين ومن معه، وقطعت رؤوسهم، وبعد ذلك
أصدر عمر بن سعد بن أبي وقاص أمرا لركوبة من فرسانه لتطأ جثة الحسين وكل الذين قتلوا معه!
وعاد جيش أمير المؤمنين منتصرا، وعاد القتلة ومعهم رؤوس ال 73 رجلا، وأقيمت الأفراح ونصبت أقواس الزينة
والنصر، وأخذت بنات الواسل سبايا واقتيد الوكب إلى أمير المؤمنين يزيد! على أنهم خرجوا على الأمير ونصر الله
الأمير عليهم!!
وانتهت الغلة بإبادة من حضر من أهل البيت!!

6 - من ينكر؟ ومن يعتذر؟

من ينكر هذه الغلة؟ ومن يتنكر لوقائعها المخجلة؟ ومن يعتذر عنها؟
وكيف لو أن الحسين ومن معه اصطدموا بجيش من بني إسرائيل، أو بجيش أمويكي أو إنكلزي، أو بجيش من همج ما قبل
التاريخ، فهل تفعل هذه الجيوش بالحسين وأهله الطيبين ما فعله جيش أمير المؤمنين بهم!!!
ثم لنفترض أن الحسين نصراني، أو حبر يهودي اصطدم مع جيش مسلم فهل يفعل الجيش المسلم باليهود والنصرى ما
فعله بأهل بيت النبوة!!!

لو لم يفعل شيعة الحكام من المخزي غير هذه لكفاهم خجلا وميرا لتبقى رؤوسهم منكسة إلى الأرض!!!!

7 - غلة الثالثة

كان عبد الله بن الزبير يتغالب مع يزيد على الملك، واستولى على بعض الأقاليم، وسمى نفسه بأمرير المؤمنين، وطلب من
بني هاشم مبايعته بإمرة المؤمنين، فتردد الهاشميون، فوضعهم عبد الله بن الزبير في مغلة وملاها بالحطب وهم أن يحرقهم
جميعا أحياء، ولولا وصول نجدة من العواق!

وامتنع عبد الله بن الزبير عن الصلاة على النبي في خطبه، حتى لا يضطر أن يصلي على آل النبي!!
وعندما سألته بطانته عن ذلك قال (إن له أهل سوء إذا ذكوته أشأبت أعناقهم، فأحببت أن أكبتهم) كما يروي ابن أبي الحديد!!!!

8 - غرات لم تتوقف

إن غرات الحكام المتسلطين المتغلبين على أهل البيت لم تتوقف، ولا حصر لها، ولكننا سقنا هذه الغرات الثلاث من باب (فذكر إن نفعت الذكوى). وإن الذكوى تنفع المؤمنين.

* *

الأثر الثالث: تقديس الخليفة الغالب

1 - تميز وعلو شأن الخليفة الغالب

لما انتقل النبي إلى جوار ربه شغل منصبه، وحل الفرس الغالب محله، بعد أن تجاهل الناس الولي الشوعي المعين من قبل الله ورسوله، فأخذ هذا الفرس الغالب يملس سلطات النبي، فهو ولي الأمر الفعلي، وهو الخليفة الفعلي، وهو أمير المؤمنين الفعلي، وهو السلطان الفعلي، وهو الإمام أو قنوة المؤمنين الفعلي، وهو الذي يبين القوان الكريم أو يعين من يبينه نيابة عنه، وهو الذي يفهم النص ويطبق هذا الفهم على الحادثات.
ولماذا لا؟ أليس هو القائم مقام النبي؟ والمحتمل لمكانه؟ والمتصدي لمهامه وصلاحياته.

2 - القائم مقام النبي

هذا الخليفة الغالب القائم مقام النبي، والمحتمل لمكانه، والمتصدي لمهامه وصلاحياته، لم يعينه الله، ولم يعينه النبي، ولم تخزه الجماعة المسلمة، وإنما هو فرس ذكي، طمع بالسلطة فخطط ودبر، واستقطب حوله طائفة من الطامعين بالتعاون معه، فحقق الغلبة، وقهر صاحب الحق، وقهر أواد الجماعة المسلمة، ثم جلس مكان النبي بالتغلب والقوة، وأخذ يملس مهام النبي وصلاحياته بحماية القوة والتغلب، فمن أقر لهذا المتغلب بشوعية احتلاله لمكان النبي، وابلّره لحق أولي الأمر الشوعيين، فهو من المقربين له حتى وإن كان كاذبا ومنافقا بالنص الشوعي، ومن عرضه فهو من المغضوب عليهم، حتى وإن كان ولي المؤمنين بالنص الشوعي!

فالحكم بن العاص، ومروان ابنه لعنهما رسول الله كما وثقنا أكثر من مرة، والحكم بن العاص كان محوما عليه أن يدخل المدينة، ومع هذا وعندما استلم عثمان الخلافة أدخل الحكم دخول الفاتحين، وزوج مروان ابنته وعينه رئيسا فعليا لوزرائه!
وعبد الله بن أبي سوح هو نفسه الذي افترى على الله الكذب، بآية محكمة، وهو الذي أعلن الله في كتابه بأنه لن يهديه لأنه ظالم وكاذب، ومع هذا كان أبرز ولاية عثمان، فقد كان واليه على مصر تاج الولايات الإسلامية.
لماذا؟! لأنهم موضع ثقة الخليفة الغالب!

3 - نور الأمة

يتصلح الفوسان المشحون للفوز والغلبة، والأمة تتوج... فإذا غلب أحد الفوسان واستقامت أموره، يطلب هذا الفرس الغالب وحاشيته من الأمة أن تباع، أي أن توافق بأن يكون هذا الفرس الغالب ولي أمرها، وإمامها، وخليفة نبيها، فمن بايع فقد أفلح، وتولى سبيل المؤمنين، ويحق له أن ينتظر عطاءه ورزقه، ومن أبى المبايع فلا عطاء له ولا رزق، وليس بينه وبين الفرس الغالب الذي قبض على مقاليد الحكم ووخ كل الفوسان إلا القوة، فيسحقه الفرس الغالب بلارحمة، ويندم الذي لم يبائع ولا ت حين مندم، فتوكل الأمة وتقدم الولاء للغالب رغبة أو رهبة!
ف نور الأمة هو مبايعة الغالب وتأييده، وإن أبت فليس بينها وبين الغالب إلا الحرب والسيوف. راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى، والأحكام السلطانية للموردي من 1 - 15 واطلع على القواعد التي وضعها علماء الدولة وجعلوها فضفاضة بحيث تتسع لكل حالة، واطلع على توثيقنا لما قاله إمام الحرمين الجويني، وابن العربي، وأبو المعالي وعضد الدين الإيجي.

الصفحة 407

4 - المتغلب غير المؤهل

عندما اختار الله تعالى نبيه للنبوّة أهله وأعدده لذلك، وعندما نصوه وأقام دولته أهله وأعدده لقيادة الدولة، فلم يختار الله نبيا أو يعين رئيس دولة نون تأهيل وإعداد.
وقبل أن يعلن النبي ولاية علي أهله وأعدده للولاية من بعده وصنع على عينه، فالأهلية الشرعية والإعداد للقيام بهذا العمل أو ذلك، ضرورة من ضرورات الإتقان والنجاح، فالهندسة والطب والفلاحة والنجولة وأي مهنة، لا بد لها من أهلية وإعداد لمملستها.
فحتى يستطيع الطبيب أن يجري العملية الجراحية يجب أن يدرس الطب في جامعة عدد سنين، ثم يترب عمليا عدد سنين، وحتى يستطيع الشخص أن يكون محاميا يجب أن يدرس القانون عدد سنين، وأن يتنموس عمليا تحت إشراف محام أستاذ عدد سنين.
فإذا كان من يملس هذه المهن وأمثالها بحاجة إلى إعداد وأهلية، فمن باب أولى أن يحتاج من يتصدى لقيادة الأمة وإمامتها وخلافة الرسول إلى إعداد وأهلية وتأهيل.

ولما لا، فهو الذي سيكون مرجع القضاة ومعين الولاة، وهو القائد الأعلى للجيش، وهو المبلغ لدين الله نيابة عن رسوله، وهو المبين لأحكام القرآن، وهو أفهم الناس بما أتول إليهم من ربهم، وهو القوة لأنه الجالس محل الرسول والقائم مقامه، فإن لم يكن كذلك فهو هالك لا محالة ومهلك للأمة التي سيقودها.

الفرس الغالب المحتل لمكان النبي ليس له هذا التأهيل، ولم يعد هذا الإعداد! ومؤهلاته وإعداده وشهادته العلمية تتلخص بكلمة واحدة أنه غالب وقاهر ومتفوق على الأمة بالقوة والغلبة والقهر.

5 - من كانت هذه مؤهلاته كيف يدير شؤون الدولة؟

الغالب يسخر مورد الدولة وإمكاناتها لتثبيت غلبته، فيعطي من أطاعه وورفعه، ويحرم من عصاه ويضعه، ثم يسلط الذين أطاعوه على الذين عصوه ويذيق بعض الأمة بأس بعض، حتى تلقي تماما عصا المقاومة والمعلضة، وينصرف كل إنسان

إلى

الصفحة 408

معاشه اليومي، فلا يسأل الغالب عما يفعل! فيصبح الخليفة الغالب هو الحاكم والحكم معا على من أطاعه فرفعه وعلى من عصاه فوضعه، فيوكل المطيع له بالعاصي لحكمه وتستقيم أموره.

أما ما يشجر بين المحكومين من خلافات، فإذا عرف الغالب الحكم الشوعي - وناورا ما يعرفه - وعرف أن تطبيق الحكم الشوعي لا يضر أهل طاعته ولا ينفع أهل معصيته، طبقه، أو أمر بتطبيقه!

أما إذا كان لا يعرف، فإنه يسأل أهل طاعته فإن عرفوا عرفوا، وإن لم يعرفوا يجتهد وأيه، فإن كان هذا الاجتهاد صوابا فهو من عند الله وفضله لله وللخليفة الغالب معا، وإن هذا الاجتهاد خطأ فهو من الشيطان ووزره على الشيطان وحده، وللخليفة الغالب أجر واحد، لأنه قد أخطأ باجتهاده!!

6 - نماذج من اجتهادات الخفاء

الغلاة السلمي عينه أبو بكر أموا وأوره، فبلغت عنه لأبي بكر أبناء، فأمر أبو بكر طريفة أن يلقي الفجاءة، فقال الفجاءة لطريفة: ما أنت بأولى مني، أنا أمير لأبي بكر، وأنت؟ فقال طريفة: إن كنت صادقا فضع السلاح وانطلق معي إلى أبي بكر، فخرج الفجاءة معه بعد أن وضع سلاحه، فلما أجاز الفجاءة كما في رواية الطوي (فأوقد له أبو بكر نورا في مصلى المدينة على حطب كثير، ثم رمي فيها مقموطا، وفي لفظ ابن كثير: فجمعت يدها إلى قفاه وألقي في النار فحرقه وهو مقموط)!! راجع تزيخ الطوي مجلد 3 صفحة 234 - 235 ومجلد 4 صفحة 52 في ذكر حوادث السنة 13 ، راجع ابن الأثير مجلد 2 صفحة 146 وابن كثير مجلد 6 صفحة 319 حوادث سنة 11

أما الحكم الشوعي الصحيح - إن صح جرم الفجاءة - فهو في الآية 33 من سورة المائدة (إنما جزاء الذين يحربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم جزاء في الدنيا ولهم في

أما التعذيب بالنار فهو غير جائز. قال رسول الله: لا يعذب بالنار إلا رب النار.
 راجع صحيح بخري مجلد 4 صفحة 325 باب لا يعذب بعذاب الله - كتاب الجهاد، ومسنند أحمد مجلد 2 صفحة 207
 ومجلد 3 صفحة 494 ، وراجع سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب كراهية حرق العدو بالنار مجلد 3 صفحة 55 و 56،
 وراجع سنن البيهقي مجلد 9 صفحة 71 و 72
 واعتذر العلماء عن هذه المخالفة للنص الصحيح بقولهم (حرق فجاءة السلمي من غلطة في اجتهاده، فلم يتفق مثله
 للمجتهدين).

7 - ندم المجتهد

وندم أبو بكر على فعله في مرض موته وقال: ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء،
 وإن كانوا قد غلقوه على الحرب، وودت أني لم أحرق الفجاءة السلمي وأنني كنت قتلته تسريحاً أو خليته نجيحاً، وودت أني يوم
 السقيفة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر وأبي عبيدة. راجع تزيخ الطوي مجلد 2 صفحة 52 حوادث سنة 13

8 - اجتهاد بمالك بن نورة

مالك بن نورة كان شاعراً وفلسياً من فوسان بني يروع في الجاهلية، ومن أشرفهم، فلما أسلم مالك عينه رسول الله أموا
 على صدقات قومه، ومات الرسول وهو على إمرته، فلما توفي النبي أمسك الصدقة ووزعها على قومه وقال:
 فقلت خنوا أموالكم غير خائف * ولا ناظر في ما يجيء من الغد
 فإن قام بالدين المخوف قائم * أطعنا وقلنا الدين دين محمد
 فغراه خالد بن الوليد، وقال له ولقومه: ضعوا السلاح فوضعوا سلاحهم، وقالوا لخالد نحن مسلمون.

وفي وفيات الأعيان وفيات الوفيات وتزيخ أبي الفداء وابن شحنة أن مالك قال لخالد يا خالد ابعتنا لأبي بكر فيكون هو
 الذي يحكم بنا وفينا، فإنك بعثت إليه غرنا من جرمه أكبر من جرمنا! فقال خالد: لا أقالني الله إن أقتلك! ثم أمر ضوار بن
 الأزور ليضرب عنقه! فقال مالك: أنا على الإسلام! فقال خالد: يا ضوار اضرب عنقه!! وتزوج خالد امرأة مالك بن نورة
 بنفس الليلة.

وفي رواية الطوي عن عبد الرحمن بن أبي بكر فلما بلغ عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر وقال عمر (عدو الله، عدا
 على امرئ مسلم فقتله ثم زا على امرأته!!
 فلما أقبل خالد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من لأمته وحطمها ثم قال: رأيت قتلت امرأة مسلماً ثم تزوت على امرأته! والله

لأرجمك بأحجلك!

فدخل خالد فاعتذر لأبي بكر فقبل عذره، واعتبر خالد مجتهداً ومأجوراً لأنه قتل صاحب رسول الله وأمره.

أما مالك فلا أجر له مع أنه صحابي لأن قاتله خالد بن الوليد من أهل الطاعة!

راجع معالم المدرسين صفحة 83 وما فوق مجلد 2

قال ابن حزم في مجلد 4 صفحة 161 في الفصل في الملل والأهواء والنحل: إن معاوية ومن معه مخطئون مجتهدون

مأجورون أخوا واحدا!

وقال ابن حزم في مجلد 4 صفحة 161 (وعمار رضي الله عنه) شهد بيعة الوضوان وشهد الله له بأنه علم مما في قلبه

فأقول السكينة عليه ورضي عنه، ومع هذا قتله أبو الفادية يسار بن سبع السلمي، فأبو الفادية متأول مجتهد مخطئ مأجور أخوا

واحدا...!

قال ابن تيمية في منهاج السنة مجلد 3 صفحة 19: وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوباً، وتجعلها

من مورد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد....!

وقال ابن حزم في المحلى وابن التركماني في الجوهر النقي: لا خلاف بين أحد من الأمة بأن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل

علياً إلا متأولاً مجتهداً مقوراً أنه على صواب!!

الصفحة 411

وهكذا فإن المقتول علي مثل القاتل عبد الرحمن بن ملجم، وكلاهما مأجور، لأن كليهما مجتهد!!!

والقاتل أبو لؤلؤة مثل المقتول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكلاهما مأجور لأنه مجتهد!!

9 - اجتهادات الخلفاء الغالبين وَاكْمَت وتكاثرت فأصبحت منظومة حقوقية كاملة

اجتهد الخلفاء المتغلبون وأهل طاعتهم في ما لا يعرفونه من الشوع أو في ما لا وغبون بتطبيقه، وَاكْمَت الاجتهادات

وتكاثرت حتى كونت منظومة حقوقية كاملة، سرت على قدم المساواة مع المنظومة الحقوقية التي أتولها الله، بل وتقدمت

عليها، فطبقت كل اجتهادات الخلفاء المتغلبين وأهل طاعتهم، وعطلت الشريعة في ما يتعارض مع هذه الاجتهادات!!! وسنعالج

هذه الناحية بالتفصيل في ما بعد.

10 - الإجتهد ثروة طبيعية لعدم الإعداد والتأهيل

الخليفة المتغلب، غير معد وغير مؤهل لقيادة الأمة.

وإعداد الأئمة وأهل بيته العظمى، وشهادته الكوى هو أنه القوي المتغلب! فمن الطبيعي أن لا يعرف الحكم الشوعي، ومن

الطبيعي أنه لن يقف مكتوف اليدين أمام الحادثات، ومن غير المعقول إنه يقول إنه لا يعرف، ومن غير المعقول أن يسأل أهل

الذكر - أهل بيت النبوة - لأنه لو سألهم لكان في ذلك رفع لشأنهم، واعتوافاً منه بعلو منزلتهم أمام المحكومين!

فمن الطبيعي أن الأمر المتاح الوحيد أمامه هو الاجتهاد أو القول وأيه، فإن أصاب وهو مصيب حتما لأنه غالب، فذلك بفضل الله وعبقويته، وهو مأجور أحران لأنه مجتهد، وإن أخطأ فالوزر على الشيطان وحده، إنه للإنسان عدو مبين، ومع هذا فالخليفة الغالب لن يعود خلوي الوفاض فهو مأجور أحران واحدا في حالة الخطأ!!!
فالعالم كالمشتر يأكل بالاتجاهين!!

الصفحة 412

قد تقول شيعة الغالبين: إنه لا يوجد في الشريعة حكم! ونحن نقول لهم: إن الله قول الكتاب تبيانا لكل شيء، فإله أولى بالتصديق منكم!

11 - مكافأة الخليفة الغالب

علوة على أن الغالب كالمشتر يأكل في الاتجاهين ويؤجر في صوابه وخطئه، فإن الجوع المسلمة تقدوا لعبقويته وحرأته واجتهاده لاستخراج أحكام الله تعالى من رأيه وعقله للحادثات يتوجب عليها أن تكافئه فتعطيه الطاعة بغير حدود، مهما كانت نتائج اجتهاداته، سيان أكانت طاعة الله أو معصية!!

لماذا؟ لأنه خليفة المسلمين، لأنه القائم مقام النبي، لأنه الغالب!!

يمكن للخليفة الغالب أن يضوب أي مسلم، وأن يأخذ حق أي مسلم، وأن يستولي على مال أي مسلم!!!

يمكن لهذا الغالب أن يكون فاسقا أو ظالما أو معطلا للحدود... يمكنه أن يجور... إلخ.

يمكنه أن يهدم الكعبة كما فعل يزيد، يمكنه أن يستبيح مدينة رسول الله، وأن يولد جيشه ألف عناء من غير زوج كما فعل

قائد جيش يزيد!!

يمكنه أن يقتل ويبيد أهل بيت النبوة كما فعل يزيد!!

ومكافأة لهذا الخليفة الغالب يتوجب على المسلمين كافة أن يطيعوه وأن لا يعصوا له أمرا، فهو مجتهد ومأجور على الخطأ

والصواب!!

12 - هذا ليس خيالاً وإليك الإثبات

روى مسلم في صحيحه مجلد 6 صفحة 20 - 22 باب لزوم الجماعة، أن الرسول قال (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي

ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين جثمان إنس! قال حذيفة، قلت: كيف أصنع يا رسول الله؟

قال (تسمع وتطيع للأمر، وإن ضوب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع).



وروى عن ابن عباس أن رسول الله قال: من رأى من إمامه شيئاً يكرهه فليصبر فإن من فرق الجماعة شوا فمات، مات ميتة جاهلية. أنت تلاحظ أن طاعة الأمير اختلطت مع وحدة الأمة فطاعة الغالب هي تعبير عن الولاء لوحدة الأمة، ومعصية الغالب هي رمز الخروج على وحدة الأمة!

وفي رواية أخرى: ليس أحد خرج من السلطان شوا فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية! وروى عن عبد الله بن عمر الخطاب أنه حين كان من أمر (وقعة) الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية قال سمعت رسول الله يقول: من خلع بدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية! معنى ذلك: إذا أراد المسلم أن تكون له حجة يوم القيامة، فما عليه إلا أن يبايع يزيد، وإن لم يبايع يزيد فمات فكأنه مات كافراً! أي الميتة التي يموتها أولئك الذين عاشوا في عصر الجاهلية!!

13 - النووي يضع النقاط على الحروف والبيهقي يؤيد

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم مجلد 2 صفحة 229 والبيهقي في سننه مجلد 8 صفحة 158 - 159 ما يلي وبالعرف وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل - أي الخليفة المتغلب - بالفسق والظلم وتعطيل الحدود، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه... (وأما الخروج عليهم - على الخلفاء المتغلبين - وقتالهم فوام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين)!

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب التمهيد طبعة القاهرة 1366 ما يلي وبالعرف قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبخار وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه.... إلخ!!!

14 - عجا أليس الخليفة المتغلب هو القائم مقام رسول الله!!!

رسول الله نفسه الذي قال لأصحابه: ألا من جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد منه، ألا وإن الشحناء ليست من خلفي، ألا وإن أحكم إلي من كان له عندي حقاً فأخذه مني، فلقيت الله وهو راض عني!! أليس هو النبي الذي قال لأحد أصحابه الخرجين قليلاً عن الصف قبل بدء المعركة: إستو ووكوه بإصبعه، فقال هذا الصحابي يارسول آلمتني اكشف عن بطنك حتى أقتد منك، فكشف النبي عن بطنه الشريف ليققاد منه هذا الصحابي! أليس هو النبي الذي بإمكان أي مواطن حتى ولو كان يهودياً أن يقول له يا محمد أعطني حقي فينيخ النبي للحق ولا يغضب!

ليست أوري متى عصى الله؟ أو متى خالف أوامره؟ أو متى تلكأ هذا النبي عن تطبيق شريعة الله؟ أو متى طلب من أحد أن

يطيعه في معصية؟ أو متى كم الأفواه!!

أو متى صادر الحريات!! أو متى عطل الحدود!! أو متى طمس الحقوق أو ضيعها!!

عجبا لهذا الخليفة المتغلب أو ذلك، أو ليس هو القائم مقام النبي!! أو ليس هو الذي احتل مكانه بالقوة ليقوم مقامه!!

كيف يحل ما حرم الله ويقول إنه مأجور، ويحرم ما أحل الله ويقول إنه مأجور!!

لعله من طبيعة غير طبيعة النبي، لعل له زوايا تفوق النبوة؟ فما هي دعواه؟ لنسمع حجة أهل طاعته، لعلهم يحدثون لنا من

أمره ذكرا!

15 - الخليفة المتغلب ليس خليفة رسول الله إنما هو صفي الله وخليفته!!

روى أبو داود في سننه مجلد 4 صفحة 210 الحديث 4645 باب في الخلفاء، عن سليمان بن الأعمش أنه قال: جمعت مع

الحجاج فخطب.... إلى أن قال: إسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان!!

الصفحة 415

وقيل في مجلس الخليفة العباسي المهدي عن الخليفة الأموي الوليد إنه كان زنديقا، فقال المهدي: خلافة الله عنده أجل من

أن يجعلها في زنديق!! راجع تزيخ ابن الأثير مجلد 10 صفحة 7 - 8

16 - قالوا إن الخليفة المتغلب أعظم عند الله من الرسول نفسه؟

روى أبو داود في سننه مجلد 4 صفحة 209 الحديث 4642 والمسعودي في موجه - ذكر طرف من أخبار الحجاج

مجلد 3 صفحة 147 وابن عبدربه في العقد الفريد مجلد 5 صفحة 52 عن الوبيع ابن خالد أنه قال: سمعت الحجاج يخطب

فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه، أم خليفته في أهله؟!!!

وخطب الحجاج يوما على منبر الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: تبا لهم

يطوفون بأعواد ورقة بالية!! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان!! ألا يعلمون أن خليفة الوء خير من

رسوله!!

17 - وقالوا إن الخليفة المتغلب أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين!

جاء في العقد الفريد مجلد 5 صفحة 51 أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان يعظم فيه أمر الخلافة وزعم أن السموات

والأرض ما قامت إلا بها، وأن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ذلك أن الله خلق آدم بيده،

وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته ثم أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلا إليه، فأعجب الخليفة عبد الملك

بذلك وقال: لوددت أن بعض الخورج عندي فأخاصمه بهذا الكتاب!!

18 - وقالوا إن للخليفة عند الله كرامة أعظم من كرامة الأنبياء!!

أمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبد الله والي مكة فحفر بؤا بمكة فجاءت عذبة الماء طيبة، وكان يستسقي منها الناس فقال خالد في خطبته على منبر مكة: أيها الناس، أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو تعلمون فضل الخليفة.

الصفحة 416

ألا إن إواهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه الله ملحا أجابا، واستسقاه الخليفة فسقاه الله عذبا فاتا!
فكان ينقل من ماء هذه العين فيضعه إلى جانب ماء زمزم!!

19 - ثم تلطفوا فجعلوا الخليفة الغالب مساويا لرسول الله

قال الحجاج في خطبة له كما في سنن أبي داود والعقد الفريد (إن مثل عثمان عند الله كمثل عيسى بن مريم، ثم وأ قوله تعالى (إذ قال الله يا عيسى بن مريم إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة). راجع سنن أبي داود مجلد 4 صفحة 209 والعقد الفريد مجلد 5 صفحة 51

20 - من يتبع الخليفة ويطيعه فهو المؤمن ومن يعانده فهو الكافر

في العقد الفريد وفي تزيخ الطوري حوادث سنة 89 مجلد 5 صفحة 61 وابن الأثير مجلد 1 صفحة 25 وابن كثير مجلد 9 صفحة 76 إن الحجاج بعد أن قرن بين عثمان بن عفان وبين عيسى بن مريم، وعندما تلا قوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) أشار بيده إلى أهل العواق، وعندما تلا قوله تعالى (جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) أشار بيده إلى أهل الشام!!

21 - طاعة الخليفة المتغلب من أعظم القوب عند الله!!!

هدم الكعبة المشرفة حرمة، واتباع الخليفة طاعة، فإذا تعرضت الحرمة مع الطاعة، قدمت الطاعة على الحرمة، فالخليفة رغب بهدم الكعبة والكعبة حرمة، ولكن تنفيذ أوامر الخليفة طاعة، وهنا يتوجب حسب رأيهم أن تقدم الطاعة على الحرمة، فتهدم الكعبة طاعة للخليفة، وقد هدمت فعلا!!

قتل أهل بيت النوة وإبادتهم في كربلاء حرمة، وأوامر الخليفة بإبادة أهل البيت طاعة، عندئذ يضحي بالحرمة من أجل الطاعة، ويباد أهل البيت تحقيقا لواجب الطاعة!!

الصفحة 417

ومن هنا أشيع وتحولت الإشاعة إلى قناعة بأن طاعة الخليفة من أعظم القوب التي يتقرب بها أهل طاعته إلى الله تعالى!!
كان شمر بن الجوشن يقول رب اغفر لي، فقيل له: كيف يغفر الله لك وقد خرجت إلى ابن بنت رسول الله فأعنت على قتله؟ فقال: ويحك فكيف نصنع، إن أرواعنا هؤلاء أمرونا فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شوا من هذه الحرمة! راجع تزيخ

وكان كعب بن جابر ممن حضر قتال الحسين في كربلاء يقول في مناجاته: يارب إنا قد وفينا، فلا تجعلنا يارب كمن غدر! يقصد بمن غدر من لم يطع الخليفة!!

ودنا عمر بن سعد يوم عاشوراء من أصحاب الحسين ونادى: يا أهل الكوفة الرموا طاعتكم وجماعتكم ولا توتأوا في قتل من موق من الدين وخالف الإمام!

وقال مسلم بن عقبة الذي استباح المدينة، وختم أعناق الصحابة وأذلهم، وقتل يوم الحرة إحدى عشر ألف مسلم، قال عن عمله هذا: اللهم إني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحب إلي من قتل أهل مدينة رسول الله، ولا أرجى عندي في الآخرة، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي!

22 - لتبرير هذه الطاعة

وهكذا تدين الناس بطاعة الخليفة الغالب وسخرت كل مورد الدولة لتسيخ هذه الطاعة وجعلها قناعة. وطمعا برفع مقام الخليفة ويوام ذكوه، وتدعيما للتدين بالطاعة انتشرت الأحاديث الموضوعية، فكما فرض الله طاعة رسوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أشاعوا بأن الله فرض طاعة الخليفة الغالب مهما فعل، وحرّموا الخروج عليه مهما فعل، وتصور الناس أن تلك الأحاديث الموضوعية حقيقية، وانتشرت تلك الأحاديث على نطاق واسع، وتثبتت في قيود الدولة وروايات إفتائها، بالوقت الذي كان محظورا على المسلمين كتابة ورواية أحاديث رسول الله الصحيحة بحجة أن الوان وحده

الصفحة 418

يكفي! وبالوقت الذي كانت تحرق فيه أحاديث رسول الله المكتوبة، واستمر الحضر على رواية وكتابة أحاديث رسول 95 عاما بأمر من الخلفاء!! وقد وثقنا ذلك!!

وأمام هذا الفيض الإعلامي الهائل ارتفعت مرتبة الخلافة وبلغت منزلة الخليفة مكانا عليا، خاصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فكان من واجب الخليفة الجديد أن يلتزم بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الصديق والفاروق، كأن سنة النبي وحدها لا تكفي فجاءت سنة الشيخين لإعلان الكمال!

وهكذا ارتفعت الخلافة فوق مرتبة النبوة وبلغ الإسفاف بشيعة الحكام حدا يخجل الإنسان من وضعه. بهذا المناخ القوي، وبهذا الفيض الإعلامي كتبت أحاديث رسول الله بعد 95 سنة من حظر روايتها وكتابتها.

23 - سقوط الأحاديث الموضوعية التي تحض على طاعة المتغلب الظالم

ما جاءت شريعة الله إلا لتوقع منار العدل وتوطد أركانها، وما بعث الله رسولا إلا ليقطع دابر الظلم ويكشف لأعيب الظالمين، فهل من الممكن عقلا أن يخص الرسول على طاعة المتغلب الظالم المعطل للحدود والسالب للحقوق والمصادر لحرّيات الناس وأموالهم؟

وهل من الممكن أن يحض الرسول على طاعة من يهدم الكعبة، ومن يستبيح المدينة المنورة، ويقتل أهل بيته الذين أذهب

الله عنهم الرجس وطهورهم تطهروا!!

سبحانك اللهم هذا بهتان مبين!!!

24 - بعد نظر الخليفة وجمع القآن

وسائل إعلام الدولة صورت الخليفة كرجل بعيد النظر، فقد ركزت وسائل الإعلام تلك بكل قواها على أن رسول الله (صلى

الله عليه وآله وسلم) ترك معجزته وهي القآن الكريم بدون جمع، وأترك الخليفة بثاقب بصيرته أن القآن إن بقي كما تركه

الرسول دون جمع

الصفحة 419

فسيذهب بموت الصحابة الكرام، لذلك شمر الخلفاء الثلاثة عن سواعدهم فجمعوا القآن الكريم الذي لم يجمع قط - كما

ذكروا خلال حياة الرسول - ولولا بعد نظر الخلفاء لضاع القآن الكريم ولاندثر! راجع كنز العمال طبعة الوسالة مجلد 2

صفحة 571 - 572 الحديث 4751 ، وراجع صحيح بخري مجلد 6 صفحة 48 باب جمع القآن، وراجع مجلد 2 صفحة

573 - 574 من كنز العمال، وراجع ابن الأثير في المصاحف الحديث 4767 ، وراجع الحديث 4776 من الكنز وقد نقله

عن الخطيب في المنفق، وعن أبي داود الأثيري، وراجع الحديث 4789 مجلد 2 صفحة 587 من الكنز كما نقله عن ابن سعد

في طبقاته، وراجع الحديث 4796 وراجع الحديث 4756 و 4751 و 4354 وقد نقلها عن ابن سعد وابن حبان وعن

البخري وعن أبي داود وعن مسلم وعن النسائي، والترمذي، وراجع الحديث 4762 و 4764 و 4766

وهي بمجملها تشكل نظرية شيعة الحكام بجمع القآن الكريم، وهذه النظرية تنور حول محور واحد مفاده أن الرسول ترك

معجزته دون جمع، فتصدي الخلفاء لهذه المهمة وجمعوا القآن وحازوا فضل الجمع!

وهكذا صوفوا هذا الفضل عن رسول الله وخصوا به الخلفاء!!

25 - حتى الاسم

ولما تم لفريق جمع القآن ما رأوا احتلوا ماذا يسمون هذا القآن الذي جمعه!

! فقال بعضهم سموه (السفر) فقال عبد الله بن مسعود رأيت للحبشة كتابا يدعونه (المصحف) فسوموه مصحفا! راجع الإتيان

للسيوطي مجلد 63 ، وراجع معالم المدرسين مجلد 2 صفحة 14 - 15 للعسكري!

وهكذا أعطوا فضل جمع القآن وتسميته للخلفاء، بعد أن زعوا هذا الفضل عن صاحبه رسول الله. وقد ذكرنا في بداية

بحوثنا أن القآن الكريم كان مجموعا على عهد رسول الله، وكان بيد الصحابة الكرام عشرات النسخ من هذا القآن المجموع،

وقد قلنوا نسخهم مع النسخ الموجودة عند رسول الله.

الصفحة 420

إن أبسط مخلوق على وجه الأرض سيصل إلى نتيجة أن القرآن إذا لم يجمع فسوف يضيع، فهل يعقل أن الرسول الذي خير فاختار ما عند الله، والذي علم أنه ميت من موضعه، هل يعقل أن لا يصل الرسول لهذه النتيجة فيعرف أن القرآن إن لم يجمع ويكتب فسيضيع؟ وهل يعقل أن الخلفاء أبعد نظرا من الرسول، وأحرص على مستقبل القرآن الكريم من الرسول نفسه!! ولكن الهوى يعمي ويصم!!! يريدون أن يلصقوا كل فضل بالخلفاء!! ولو على حساب الرسول نفسه، ولو على حساب القرآن نفسه!!

26 - بعد نظر جوهري آخر للخلفاء

أشاع الخلفاء وشيعتهم أن رسول الله قد خلى على الناس من أمرهم ولم يعين راعيا للأمة من بعده! أم المؤمنين عائشة تسمي عملية التخلية هذه (توك الأمة هملا ولا راعي لها) راجع الإمامة والسياسة صفحة 23 وانظر إلى قولها لعمر: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا.

وعبد الله ابن عمر يصف عملية التخلية بأنها تضييع للحقوق، انظر إلى قوله لأبيه وهو وجود بنفسه: لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وتوك إبله أو غنمه لا راعي لها للتمته وقلت له توكت أمانتك ضائعة، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟! راجع مروج الذهب مجلد 2 صفحة 349 للمسعودي دار الكتب العلمية بيروت، وراجع حلية الأولياء برواية مشابهة مجلد 1 صفحة

44

ولما استخلف معاوية ابنه يزيد قال: كوهت أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لراعي لها؟

27 - هل يعقل أن يصيب ابن عمر ومعاوية وأم المؤمنين، ويخطي رسول الله؟

إذا قلنا إن رسول الله قد توك أمته ولا راعي لها، فمعنى ذلك أنه توكهم هملا على حد تعبير أم المؤمنين، ومعنى ذلك أنه قد ضيع الأمانة على حد تعبير عبد الله بن عمر، ومعنى ذلك أنه توكهم كالضأن على حد تعبير معاوية؟

الصفحة 421

فهل يعقل أن هؤلاء الثلاثة أبعد نظرا، وأعلم بعواقب الأمور من رسول الله؟!

28 - لنفترض أن هذه الإشاعة صحيحة وأن رسول الله خلى على الناس أمرهم

المفترض بالخليفة أن يقتدي أثر رسول الله فيخلى على الناس أمرهم كما خلى رسول الله، فإذا كان الرسول قد خلى على الناس أمرهم فلماذا لم يخل الخلفاء على الناس أمرهم ويقتنوا برسول الله؟! وإذا لم يخل الرسول على الناس أمرهم، فأين هو الولي الذي عينه رسول الله؟

29 - حقيقة الحال

الرسول لم يتوك أمتة هملاولاراعي لها، إنما عين وليا لها بأمر ربه، وبما أن الولي من بني هاشم، والنبي من بني هاشم، وبما أنه حسب الاجتهاد لا يجوز أن يجمع الهاشميون النوبة والولاية عدلوا عن الولي الذي عينه الرسول، ونصوا آخر بدلا منه!

30 - خوفا من الفتنة

وحتى لا تقع الأمة في فتنة، وحتى لا تتوك أمة محمد هملاولاراعي لها، قرر كل خليفة أن يستخلف من بعده، لأن الخليفة ينظر للناس حال حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته وأن يقيم لهم من يتولى أمورهم، على حد تنظير وتعبير ابن خلدون، ولم ينس ابن خلدون أن يقول بأن رسول الله لم يستخلف! فمعنى ذلك أن الخليفة يتمتع بصلاحيات أكثر من النبي، فالنبي ينظر للناس حال حياته وتبع ذلك أن لا ينظر لهم بعد وفاته وأن لا يقيم لهم من يتولى أمورهم! وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة، ونقلنا عن ابن خلدون في مقدمته.

31 - ولاية العهد أصبحت مشروعة لأنها من سنة الخلفاء

لم يقل أحد من شيعة الدولة أن الرسول قد استخلف أو اتخذ وليا لعهد حتى تصبح ولاية العهد مشروعة أو جائزة، لكنها أصبحت جائزة ومشروعة باجتهادهم

الصفحة 422

لأن الخلفاء اتخذوا أولياء لعهدهم، والخلفاء أوى بمصلحة المسلمين! راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى، والأحكام السلطانية للملوردي صفحة 1 - 15 ، وراجع الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين الجويني صفحة 424 ، وشوح ابن العربي لسنن الترمذي مجلد 13 صفحة 22 وجامع الأحكام للقطبي مجلد 1 صفحة 269 - 273 من تفسيره لآية (إني جاعل في الأرض خليفة) وكلهم قد أجمعوا على أن مشروعية ولاية العهد جاءت من عهد أبي بكر لعمر، ومن عهد عمر لعثمان عمليا أو للسنة نظريا، ولم يقل أحد من شيعة الخلفاء بأن الرسول قد استخلف!

32 - الخلفاء حازوا الفضلين

وهكذا فإن أعظم فضلين في الإسلام حلّهما الخلفاء، فوسول الله ترك القآن دون جمع، فجاء الخلفاء فجمعوا القآن، وهكذا حازوا هذا الفضل وحدهم، ولولا هم لضاع القآن! هكذا ذكروا! ورسول الله توك أمتة دون راع ودون أن يعين ولي عهده، ولأن ولاية العهد ضرورة من ضرورات استقوار النظام السياسي، سن الخلفاء سنة ولاية العهد، وهكذا حازوا الفضل الثاني واستأثروا به وحدهم، وكنتيجة حتمية لولاية العهد استقوت أمور الدولة، ولا سنة ولاية العهد التي سنها الخلفاء لتضاعف عدد القتلى أضعافا كثرة في سبيل رئاسة الدولة، ولما قر للأمة

قار!

وقد ركزت وسائل الإعلام على هاتين النقطتين، فكل مسلم من شيعة الدولة يؤمن إيماناً مطلقاً.

- 1 - إن الرسول مات ولم يجمع القرآن وتركه في صدور الرجال غير مكتوب، والخلفاء وحدهم هم الذين جمعوه وكتبوه.
- 2 - إن الرسول قد ترك أمته ولا راعي لها (خلى على الناس أمرهم) فجاء الخلفاء فسفوا سنة حسنة وهي ولاية العهد.

الصفحة 423

33 - وكلما فعله الخلفاء كان لحكمة

فأعظم شيء عند المسلمين بعد القرآن هو سنة الرسول، وقد أحرقت الخلفاء ما كان مكتوباً منها كما وثقنا، ومنعوا كتابتها وروايتها مدة 95 سنة، وقال الخلفاء: (حسبنا كتاب الله)، وكتاب الله يكفي! ثم جاءت شيعة الخلفاء فقالوا إن الحكمة اقتضت منع كتابة ورواية أحاديث الرسول حتى لا يختلط القرآن بالحديث أثناء فترة كتابة القرآن وهذه الحكمة منقوضة لأن كلام الله المعجز يختلف عن كلام الرسول، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن فترة كتابة القرآن وتوينه كانت خلال عهدي أبي بكر وعمر كما وثقنا عند بحث نظرية جمع القرآن، فطالما أن كتابة القرآن قد انتهت في هذين العهدين فلماذا استمر الحظر على كتابة ورواية أحاديث رسول الله مدة 95 سنة؟!؟

34 - إذا كان كل شيء فعله الخلفاء له حكمة

فما هي الحكمة من مواجهة الرسول؟

رأى الرسول أن يؤمن أمته ضد الضلالة فقال لمن حوله: قروا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً، فقال عمر بن الخطاب وحزبه: لا حاجة لنا بالكتاب، (حسبنا كتاب الله)!

وعندما كرر الرسول طلبه قالوا: إن رسول الله قد هجر، (حسبنا كتاب الله)!!

وقد وثقنا ذلك، وتحدينا كل المسلمين أن ينكروا هذه الحادثة أو يعتنروا عنها!

والسؤال الذي يطرح نفسه أنه إذا كان كل شيء فعله الخلفاء قد فعلوه لحكمة، فما هي الحكمة من مواجهة الرسول نفسه؟

وما هي الحكمة من القول بأن رسول الله قد هجر - حاشا له -؟!؟

ثم إن الأمة كلها قد أجمعت على صحة حديث الثقلين وأن رسول الله قد قال (ترك فيكم اثنين ما إن تمسكتم بهما لن

تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وقد أنبأني اللطيف الخبير بأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني

فيهما)

الصفحة 424

لست أروي ما هي الحكمة من إذلال العزة أهل البيت، ومن إقصائهم عن مسوح الحياة السياسية، ومن تقتيلهم وتشريدهم

ولعنهم في كل بلدة وعلى كل منبر، ومطرده كل من يحبهم، ومن الذي طردهم وأذلهم غير الخلفاء وأهل طاعتهم!

لست أروي ما هي الحكمة من ذلك سوى تصور الخلفاء المتغلبين أن أهل البيت خطر عليهم، إذ من الجائز أن يطلب

صاحب الحق حقه من الذين ابتروه هذا الحق!!

وما هو مبرر الخلفاء المتغلبين لممارسة هذا الأفعال والخروج عن إطار الشريعة سوى ما سموه اجتهادا، والاجتهاد بحقيقته ومعناه هو العمل بالرأي!

35 - هل الشرائع الوضعية أحق بالاحترام من الشريعة الإلهية

الرسول نفسه ليس بإمكانه الخروج عن إطار الشريعة، فطالما تلى قوله تعالى (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) فالرسول ملتزم بالنص، وملتزم بالشريعة والشريعة غطت كل شئ وبنيت كل شئ تماما، فما من شئ إلا وله حكم.

فما هو مبرر الخلفاء لتركوا النص ويعملوا بالاجتهاد، أو بتعبير أدق لتركوا النص الشرعي ويحكموا وفق آرائهم

الشخصية؟!

هل يمكن للقاضي الذي يطبق أي شريعة وضعية أن يتجاهل النص وأن يحكم بما وى؟

إن حكم هذا القاضي باطل من كل الوجوه، وبكل المعايير، فهل الشرائع الوضعية أولى بالاحترام من الشريعة الإلهية!! لكن يجوز للخليفة المتغلب ما لا يجوز لغوه، فكلما يفعله الخليفة وأهل طاعته حلال، وكل ما ينهى عنه الخليفة وأهل طاعته حرام! فيمكن للخليفة أن يتوك النص الشرعي وهو فعل الرسول وقوله وتقوره وأن يعمل وأيه، ثم يجد من يبرر له خروجه على الشريعة وعمله وأيه!

قال القوشجي في صفحة 408 من شوح التجريد (ومنها أن الرسول قد سوى

الصفحة 425

بالعطاء، وأن عمر قد فضل بالعطاء) إن ذلك ليس مما يوجب قدحا فيه، فإنه من مخالفة المجتهد لغوه في المسائل الاجتهادية) تصور أن القوشجي وى أن مخالفة عمر لرسول الله في هذه الأحكام هي من باب مخالفة مجتهد وهو عمر لمجتهد آخر وهو رسول الله!! راجع معالم المورستين مجلد 2 صفحة 68

فماذا بقي من الشريعة برب السماء، إذا كان بإمكان الخليفة أن يتوك النص ويعمل وأيه؟

وماذا بقي من فكة (التميز) التي هي أساس السلطة إذا كان بإمكان الخليفة أن يتجاهل النص الذي وضعه الشرع الحكيم ويعمل وأيه؟

منظومة حقوقية إلهية بموراة منظومة حقوقية وضعها الخلفاء الله تعالى وضع منظومة حقوقية إلهية، والخلفاء وضعوا مع الأيام منظومة حقوقية وضعية، وسلت المنظومتان بخطين مؤزبين متقربين ولكن لم تلتقيا قط! الخلفاء لم يعلنوا بالكلام وبالتصريح تمردهم على المنظومة الإلهية، كانوا دائما يؤكدون أنهم مع المنظومة الإلهية، ولكنهم عمليا تجاهلوا المنظومة الإلهية ووضعوا لأنفسهم منظومة من صنع اجتهاداتهم واجتهادات أهل طاعتهم.

المنظومة الحقوقية الإلهية المتكونة من القَوَانِ الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقرير، منظومة غطت بالكامل ساحة كل شيء، فما من حادثة إلا ولها حكم وتكييف، وما من علاقة إلا ولها تنظيم، وما من مصلحة شوعية إلا ولها طريق موضحة في مطوي هذه المنظومة، وما من حركة إلا ولها هدف رصدت من أجله، لأن القَوَانِ الكريم تبيان لكل شيء بالنص القَوَانِي، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بين للناس ما تولى إليهم من ربهم بالتصوير الفني البطيء ولا وفلا وتقورا، وأعلن الله كمال الدين وتمام النعمة.

الصفحة 426

37 - إذا كانت المنظومة الحقوقية الإلهية بهذا الكمال والشمول

فما هي حاجة الخلفاء لوضع منظومة حقوقية من رآئهم؟

مؤهل الخليفة طوال التاريخ، وشهادته العلمية هو أنه الغالب الذي قهر الأمة وعلا فوقها بالقوة، وابتز الحق من أولي الأمر. فإذا انصاع الخليفة الغالب لأحكام المنظومة الإلهية فإن أول عمل يتوجب عليه هو أن يرد الحق الذي ابتره، وأن يرمي السوط الذي أخضع به الأمة، والغالب لم يقبل بذلك ولن يسمح لأحد أن يجرده من أسباب قوته. الأمة رعايا وهو حاكمها بالقوة، وهو غير قادر على تطبيق الشوع، لأنه غير معد وغير مؤهل لتطبيقه، فمؤهله وشهادته العلمية هي القوة، والمشاكل تحدث لا بد لها من حكم، والخليفة وأهل طاعته لا يعرفون الحكم، وهم غير راغبين بسؤال أولي الأمر الشوعيين!

عندئذ يضطر الخليفة المتغلب وأهل طاعته أن يعملوا وأيهم، فسوا العمل بالوأي اجتهادا!!

أنا لا أوري ما قيمة الاجتهاد مع وجود النص؟ إن أي منظومة حقوقية وأي مشوع لا يسمح بتجاهل النص والاجتهاد مع وجوده.

إن مثل الخليفة المتغلب كمثل أحد الحضور في قاعة محكمة انقض على القاضي وكنفه وجلس مكانه، وزعم بأنه القاضي، وكان لهذا المتغلب مثله يتقاسمون معه المنافع!!

لقد سخرت الدولة برئاسة الخليفة المتغلب كل مولدها وكل وسائل إعلامها، لإثبات أن العمل وأي الخليفة وأهل طاعته هو اجتهاد، والاجتهاد مشروع عند الله، والرسول نفسه مجتهد، ولا حرج إن خالف المجتهد - الخليفة المتغلب - مجتهدا آخر وهو الرسول!!! راجع شوح التجريد للقوشجي كما وثقنا. وقد قاد الخلفاء التاريخ السياسي الإسلامي على هذا الأساس، وتفيض الإعلام اقتنع الناس واختلط الأمر عليهم!

الصفحة 427

38 - أضواء على منظومة الخلفاء الوضعية التي صنعوها من اجتهاداتهم

لا يوجد في النظام السياسي الإسلامي الذي وضعه الخلفاء قاعدة حقوقية واحدة من صنع الله تعالى، وهي بالكامل من

صناعة الخلفاء! وإذا وجدت قاعدة حقوقية إلهية في نظام الخلافة فما ذلك إلا للزينة، وآية ذلك أن رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي الإلهي هو مركز الدائرة، وهو معين ومعد ومؤهل إلهيا ومنصوص عليه، وقد جاء الخليفة المتغلب وجلس بالقوة محل الإمام المعين والمعد والمؤهل إلهيا، ثم جر القواعد الشرعية المتعلقة بمنصب الإمامة، وفصلها على نفسه، وركعها لمصلحتها، وأخرج كل ذلك بقلب جديد من رأيه واجتهاده، ورأي واجتهاد أهل طاعته!

39 - ما هو السند الشرعي لنظام الخلافة التلخي؟

في الحق والحقيقة إن السند الشرعي لنظام الخلافة التلخي هو الإجماع!! لكن متى حدث الإجماع!! وهل يجوز العمل بالإجماع مع وجود النص!!

هل الشريعة الإلهية ناقصة وجاء الإجماع ليكملها؟
ثم ما قيمة الإجماع إن قام أمام النص الشرعي؟!

40 - لا بديل عن إعطاء الخليفة صلاحية النبي

أجمع شيعة الخلفاء على أن الرسول ترك أمته ولا راعي لها، بتعبوهم الملتف:

خلى على الناس أمرهم، فلماذا صلت ولاية العهد جاؤة؟

هل لأن الرسول أمر بها؟ الرسول لم يشوعها ولم يأمر بها حسب رأيهم، ولكنها صلت جاؤة، لأن الخليفة سنها فأبو بكر

عهد لعمر، وعمر عهد للسنة!!

فإذا سألتهم هل خول الله أبا بكر أو عمر رضي الله عنهما صلاحية التشريع وإيجاد مراكز حقوقية جديدة بهذا المستوى من

الخطورة؟ ضاقت صدورهم ولعنوك بقلوبهم، ثم قالوا صلت ولاية العهد جاؤة بالإجماع!!

لكن من الناحية العملية صار الخليفة مشوعا، ومن مهمة أهل طاعته أن يبرروا

الصفحة 428

تشريعات الخليفة! صار الخليفة يتمتع بصلاحيات النبي، والفرق بين الخليفة وبين النبي، أن النبي يتبع ما يوحى إليه من

ربه، والخليفة يعمل رأيه، ويتبع ما يوحى إليه رأيه، أو بتعبير أهل طاعته الملتف: يعمل باجتهاده.

ولا حرج على الخليفة إن خالف النبي وعمل عكس النبي تماما، فالخليفة مجتهد والنبي مجتهد آخر، فالرسول مثلا كان

يسلوي بالعطاء فجاء الخليفة عمر وفضل بالعطاء، فقد أعطى كل واحدة من زوجات الرسول عشرة آلاف درهم وفضل عائشة

وحفصة فأعطى لكل واحد منهما اثني عشر ألف درهم! وخصص لكل مسلم مبلغا معيناً حسب موقعه وأيه، فما هي الحكمة

من مخالفة النبي!!!

إن عمل النبي بمثابة نص شرعي، فما هي الفائدة من ترك النص الشرعي والعمل وأبي الخليفة!!!

ومع هذا فإن الجوع صفقت للخليفة! ثم اكتشف الخليفة الآثار المدومة لمخالفة النص الشرعي، وتفاوتت المداخل فقال إنه

إن عاش ليأخذن فضل أموال الأغنياء ويردها على الفقراء، فصفتت الجوع للخليفة!!! والله غالب على أمره.

41 - وهكذا كون الخلفاء قوانين مولية للقوانين الإلهية

فما من أمر من الأمور له حكم في الشريعة، إلا واجتهد الخلفاء وأهل طاعتهم وأوجبوا له حكما آخر موزيا تماما للحكم الإلهي! فلو جمعت اجتهادات الخلفاء لتكون لديك مجموعة حقوقية متكاملة تقف بخط متواز مع المجموعة الحقوقية الإلهية! وعليك أن تلتحق المجموعة الحقوقية التي صنعها الخلفاء بالمجموعة الحقوقية التي وضعها الله ورسوله! فالدين والشوع هو المجموعتان معا!!

وجاء التزيخ السياسي الإسلامي ونصر المجموعة التي وضعها الخلفاء، وتفنن أهل طاعة الخلفاء باختلاق الأحاديث التي تبرر ما فعله الخلفاء، فلا نجد نصا إلا ونجد نقيضا له، فنص يأمر بعدم إطاعة الظالم، ونص آخر يأمرك بطاعة الظالم حتى لو أخذ مالك وجلد ظهرك! وعليك أن تأخذ المنظومتين الحقيقيتين معا أو تتركهما معا!!

الصفحة 429

وركزت دولة التزيخ السياسي إعلامها على وحدة المنظومتين، وسخرت كل مورد الدولة لإقناع العوام بذلك، ومع الأيام صار العالم كالعامة، وصار التزيخ دينا حقيقيا، وتناسى الناس الدين الحقيقي الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يبق لهم إلا شكله!!
والله عاقبة الأمور، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

42 - للخليفة قداسة فاقت قداسة النبي!

أشاع إعلام الخلفاء أن الرسول كان يغضب فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها.
راجع صحيح بخري كتاب الدعوات، وصحيح مسلم كتاب البر، وهم يقولون ذلك عن خير البشر، وعن صاحب الخلق العظيم، ولكن هل يجروء أحد أن يقول ذلك عن أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما!
وأشاع إعلام الخلفاء أن النبي قد سمع رجلا يوقأ في المسجد فقال النبي: رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا! راجع صحيح بخري - باب قول النبي صلى عليهم، وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى، راجع صحيح مسلم - كتاب فضائل القآن!!! من يجروء أن يقول ذلك عن أحد الخلفاء!!!

وما حدث في الغرفة المبركة لآية. النبي يريد أن يكتب كتابا والخليفة لا يريد أن يكتب النبي! فقال الخليفة وحزبه: لا حاجة لنا بالكتاب (حسبنا كتاب الله)! ولما أصر النبي، قال الخليفة وحزبه: النبي قد هجر!! ومع هذا لا أحد يلوم الخليفة، وما فعل الخليفة ذلك إلا لحكمة، وانتصر الخليفة وكسروا خاطر النبي الشريف!!
فالخليفة حتى بمواجهته مع النبي بطل ولا يقول إلا الحق!!! وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

ذلك أثر من آثار انتصار النظام البديل، والله عاقبة الأمور، إذ قدم المتأخر، وصار المتأخر متقدما!!

الفصل الثامن

تفكيك النظام الإلهي وتعطيل مسيرته المباركة

1 - ركنا النظام الإلهي

النظام الإلهي يقوم على ركنين هما:

1 - كتاب الله المتول وهو القوان الكريم.

2 - نبي الله المرسل وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

أ - بذاته ب - بقوله ج - بفعله د - بتقوره.

فالنظام الإلهي لا يعمل إلا بالاثنين معا، ولا يعطي أكله إلا بركنيه، ولا يستجيب إلا بوحدة هذين الركنين والثقة المطلقة

بهما.

وهذا النظام مفصل ليقود الدين، ويقود النولة، ليحكم الحياة الدنيا، والحياة الآخرة، وليكون نظاما للعائلة الإنسانية كلها.

2 - الإستيلاء على السلطة بالقوة لا يتحقق إلا بتفكيك النظام الإلهي

الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة بعد وفاة الرسول أوكروا استحالة تحقيق هدفهم هذا بدون تفكيك النظام الإلهي

خاصة القواعد المتعلقة بظاهرة السلطة.

3 - الإنواد بالنبي

هنالك وحدة عضوية بين القوان المتول، والنبي المرسل، والقوان معجزة النبي، ودليل نبوته، والنبي هو الشاهد الأوحد على

أن القوان من عند الله، وأن مهمته هي

بيان ما أقول للناس من ربهم، فمن غير المتصور عقلا هدم هذه الوحدة العضوية بين الاثنين، ولكن لا بديل أمام الذين

خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة من هدم هذه الوحدة العضوية تمهيدا لتفكيك النظام الإلهي. فأعلنوا تمسكهم بالقوان

الكريم، وأنه لا خلاف عليه، وقرروا أن يتقودوا بالنبي وحده كخطوة لفك الوحدة العضوية بين القوان الكريم والنبي العظيم!

4 - التشكيك بقول النبي

الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة أشاعوا مبكراً وقبل وفاة الرسول بمدة طويلة أن كلام الرسول كله ليس صحيحاً لأنه يتكلم بالغضب والرضا، فما قاله الرسول بالرضا فهو حق، وما قاله بالغضب فهو ليس بحق (حاش لك يا رسول الله) ولا أحد ييوي غضب الرسول من رضاه سوى أولئك الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة! لذلك منعا للالتباس وإشفاقاً على المسلمين، نهى أولئك الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة نهوا عن كتابة أحاديث رسول الله، ولما علم رسول الله بذلك أخبر الذي أطلعه على هذه الإشاعة بأنها غير صحيحة، وأنه لا يخرج من فمه الشريف إلا حق، وأقسم له الرسول على ذلك.

5 - الدليل على صحة ما ذكرناه

جاء في سنن الدارمي مجلد 1 صفحة 125 باب من رخص في الكتابة، من المقدمة، وسنن أبي داود مجلد 2 صفحة 126 باب كتابة العلم ومسنند أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216 ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر صفحة 85 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنهتني قريش، وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! الصفحة 433

فأمسكت، وذكرت ذلك لرسول الله فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب فما الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق). فتأكد من العواجم السابقة وأسأل نفسك: من هي قريش التي نهت ابن العاص؟ وما هي مصلحتها بهذا النهي؟ ومتى اجتمعت قريش دفعة واحدة عند ابن العاص؟ عندئذ تترك أن الذين نهوا هم أنفسهم الذين خططوا لابتزاز الحق من أهله، وللاستيلاء على السلطة بالقوة! وخطتهم لذلك هي التشكيك بأقوال رسول الله حتى لا يحملها الناس محمل الجد!! ومن الطبيعي أن تنطلق هذه الإشاعات، وأن تجد في صفوف المنافقين أذانا صاغية، والإشاعة تلد إشاعة، والشر يخلق شراً، والإثم يفتح بغير حساب.

6 - مواجهة النبي والتشكيك به وجاهياً

النبي على فؤاد الموت، وجبريل يلازمه، ولا ينقطع عن زيارته، كما وثقنا ذلك. وغرفته المباركة غاصة بعواده، وهو على علم بالفتن التي تتربص بالمسلمين، وتنتظر موته لتندلع، فرأى أن يلخص الموقف لأمتة، وهذا حق له كقائد، لأنه مازال رئيساً للدولة، وحق له كنبي لأنه مازال نبياً، وحق له كإنسان وكمسلم بأن يقول ما يشاء..

فقال للحاضرين (قروا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً).

من يقل لي بوبكم ما هو الخطأ بقول رسول الله؟ وأي عيب فيه!!؟

7 - المواجهة

بمجرد أن سمع عمر عرض النبي هذا قال: (حسبنا كتاب الله) لا حاجة لنا بالكتاب، وانقسم الحاضرون إلى قسمين، قسم يقول قوبوا يكتب لكم رسول الله، وحزب عمر يقول: القول ما قال عمر!!

الصفحة 434

من أقنع الأكثوية التي أيدت عمر بصحة رأيه حتى أيوه سوى رابطة التفكير الحزبي المبييت والموحد!!
ما الذي نفر هذه الأكثوية من عرض رسول الله!!

8 - لو أصر النبي لأصروا بأن النبي قد هجر!

لما عجب الحاضرون ممن كانوا خرج دائرة التخطيط المبييت، وقالوا: قوبوا يكتب لكم رسول الله، صاح حزب عمر، (حسبنا كتاب الله) إن رسول الله قد هجر، استفهموه إنه يهجر!! حاشا لك يا رسول الله!
ولو أصر النبي على كتابة الكتاب لأصر حزب عمر على القول بأن رسول الله قد هجر، ولأثبتوا هذا الزعم بكل وسائل الإثبات!!!

9 - صدموا خاطر الشريف

وصدم خاطر النبي الشريف من تلفظهم بهذه الكلمة النابية، وقال لهم: قوموا عني، ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه! فخرج عمر وحزبه منتصين ولكن على النبي!!
وفاترين ولكن على الشوعية!!!

10 - الدليل على صحة ما ذكناه عن المواجهة مع النبي

لقد ذكر بخلي هذه الحادثة بست روايات، راجع صحيح بخلي مجلد 2 صفحة 9 باب قول المويض قوموا عني، ومجلد 1 صفحة 37 ومجلد 5 صفحة 137 ومجلد 2 صفحة 132 وذكورها مسلم في صحيحه آخر كتاب الوصية مجلد 5 صفحة 75 وصحيح مسلم بشوح النووي مجلد 11 صفحة 95، ومسند الإمام أحمد مجلد 4 صفحة 356 الحديث 2992 وشوح النهج مجلد 6 صفحة 51 ومجلد 2 صفحة 16 الحديث 11 صفحة 94 و 95 من صحيح مسلم بشوح النووي، وابن الجوزي في تذكرة الخواص صفحة 62

والطوي في تزيخه مجلد 2 صفحة 192 - 193، وراجع شوح النهج لعلامة المعتولة مجلد 3 صفحة 114 سطر 27 الطبعة الأولى - بيروت ومجلد 12 صفحة 79 سطر 3

الصفحة 435

بتحقيق محمد أبو الفضل - مكتبة الحياة ومجلد 3 صفحة 167 دار الفكر، وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام صفحة 287 وما فوق.

11 - هل فعل المتغلبون ذلك لحكمة؟ وما هي الحكمة؟

كيف يمكن الاعتذار عما فعله المتغلبون؟ وهل واجهوا رسول الله لحكمة؟ وما هي الحكمة؟
من يرضى لنفسه أن يكون بالصف المواجه لرسول الله؟
من يملك الادعاء بأنه أعلم بكتاب الله من رسول الله، أو أبعد نظراً منه!!
كيف يمكن تفسير ذلك سوى أنه حلقة من سلسلة من الحلقات، تقود إلى السلطة عن طريق القوة والتغلب؟؟؟

12 - التشكيك بذات الرسول حتى بعد وفاته

جاء في صحيح بخري كتاب الدعوات - باب قول النبي: من آذيت، وفي صحيح مسلم - كتاب البر والعدة - باب من لعنه النبي (أن رسول الله كان يغضب فيلعن، ويسب ويؤذي من لا يستحقها...) وجاء في صحيح بخري - باب قول الرسول: وصل عليهم وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى ونكاحه، وفي صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن - باب الأمر بتعهد القرآن، عن عائشة (أن النبي سمع رجلاً يقول في المسجد فقال: رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا....!)
تلك حقيقة جديدة للتشكيك بذات الرسول حتى بعد وفاته، وهي امتداد للحلقات السابقة!!!
الرب جلت قدرته شهد بأن رسول الله على خلق عظيم بأية محكمة، وأنه ما ضل وما غوى، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأنه الشهيد على هذه الأمة، فهل يعقل من كانت هذه صفاته ومن يؤتمن على الوحي، وهو الذي يتبع

الصفحة 436

ما يوحى إليه، هل يعقل أن يهبط إلى الصورة التي صوره بها بخري ومسلم؟
إن أي إنسان عادي يتوقع أن يكون بهذه الصورة!!! فكيف بسيد ولد آدم، وبآخر الأنبياء والرسول!!!
لكنها حلقة وامتداد لحلقات سابقة صورها أولئك الذين أصروا على الاستيلاء على السلطة بالقوة والتغلب ثم انظر إلى الحديث الثاني الذي رواه بخري ومسلم، وكيف أنه من نفس المشكاة، فلو لم يسمع النبي هذا الرجل لبقيت تلك الآية ساقطة!!!
إنها ضوب على نفس الوتر الذي صنعتها القوة المتغلبة، وكانت أول من حرك أصابعه عليه!

13 - مطردة وملاحقة أقوال النبي حتى بعد موته

هذا الرسول البشر الذي يتكلم في الغضب والوضا، يجب إخراجه تماماً عن مسوح الحدث السياسي، وعدم إتاحة الفوصة لأقواله وأحاديثه للتأثير على الحدث السياسي، لأن القوة المتغلبة لا تؤمن إلا بالحق، وليس مضمونا عندها أن كل ما تكلم به الرسول كان حقاً، خاصة الأحاديث المتعلقة بظاهرة السلطة! والحل الأفضل هو:

1 - حرق كافة الأحاديث المكتوبة على عهد رسول الله.

2 - منع كتابة أحاديث رسول الله.

3 - منع رواية أحاديث رسول الله.

14 - حرق كافة الأحاديث

جاء في كنز العمال مجلد 5 صفحة 237 وفي تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 5 عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت (جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة حديث فبات يتقلب، فقلت يتقلب لشكوى أو لشئ بلغه، فلما أصبح قال: أي بنية هلمي بالأحاديث التي عندك فجئت بها، فأحرقها)

الصفحة 437

جاء في طبقات بن سعد مجلد 5 صفحة 140 بتوجيه محمد بن أبي بكر (أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها) وحرقت كافة الأحاديث المكتوبة التي قالها النبي للناس. وبعث في الأمصار من كان عنده شئ فليمحه! راجع بيان العلم لابن عبد البر.

ربك يسولع في هواك

جاء في صحيح بخري مجلد 6 صفحة 24 ومجلد 6 صفحة 128 أن عائشة رضي الله عنها قد قالت للنبي: إن ربك يسولع في هواك!!

وجاء في صحيح بخري مجلد 2 صفحة 122 أن عمر بن الخطاب قال للنبي في صلح الحديبية: أنت نبي حقا؟!!

وجاء في صحيح مجلد 2 صفحة 29 قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أنت الذي وعم أنك نبي!

وجاء في صحيح بخري مجلد 4 صفحة 47 على لسان صحابي للنبي: والله ما قصدت بهذه القسمة وجه الله!

(بنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا في الإيمان)

15 - المطلوب أن كتاب الله وحده يكفي

لقد قال عمر وحزبه للرسول مواجهة: (حسبنا كتاب الله) أي أن كتاب الله وحده يكفي، ولا حاجة لنا بكتابك!! وقد وثقنا ذلك.

وروى بخري هذا الشعر (حسبنا كتاب الله) بست روايات، ورواه مسلم، وذكره النووي عند شوحه لصحيح مسلم، والأمة متفقة على صحته.

كان هذا والرسول على فاش الموت! وبعد وفاة النبي كما روى الذهبي في تذكرة الحفاظ بتوجيه أبي بكر (رضي الله عنه) أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال (إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا،

فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه!



وأخرج ابن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم - باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث مجلد 2 صفحة 147 وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 4 - 5 عن قوضة بن كعب قال: لما سبونا عمر إلى العواق مشى معنا عمر إلى صورة، ثم قال: أترون لم شيعتكم؟ قلنا أردت أن تشيعنا وتكومنا، قال مع ذلك حاجة: إنكم تأتون أهل قرية لهم نبي بالقوان كوي النحل، فلا تعوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم! قال قوضة: فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله!! وفي رواية أخرى: فلما قدم قوضة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر.

وجاء في كنز العمال مجلد 5 صفحة 239 الحديث 4865 ومنتخب الكنز مجلد 4 صفحة 61 عن عبد الرحمن بن عوف قال (ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذيفة، وأبو الورداء، وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا أتهاننا؟ قال: لا أقيعوا عندي، لا والله لا تغلقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم ونود عليكم، فما فرقوه حتى مات!). وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 7 بتجمة عمر: أن عمر حبس ثلاثة وقال لهم: أكثرتم الحديث عن رسول الله.

وجاء عثمان فصعد المنبر ثم قال لا يحل لأحد أن يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر وعمر!! راجع منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد 4 صفحة 64

16 - سريان قار المنع

قامت السلطة بإحراق كل الأحاديث التي كتبت على عهد رسول الله، ومنعت كتابة ورواية أحاديث رسول الله، وبقي قار محاصرة سنة رسول الله قائماً مدة 95 عاماً، ثم قررت السلطة أن ترفع الحظر عن كتابة ورواية أحاديث رسول الله! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة 259 - 261 حيث خشي عمر بن عبد العزيز من ضياع السنة فأمر واليه على المدينة أن يكتب، وأن يأذن بالكتابة.

قال الرهوي (كنا نكوه كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأعراب، فأبينا أن لا نمنعه أحداً من المسلمين! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة 262 لكثرة وشدة محاصرة السلطة للسنة النبوية صلت المحاصرة سنة ألفها الناس، ولما رأى عمر بن عبد العزيز ضرورة كتابة السنة النبوية، رأى الناس في ذلك خروجاً على سنة أبي بكر وعمر وعثمان، فقاوموا في البداية، ثم أكرههم الحكام على الكتابة، فصلت كتابة السنة النبوية فضيلة بعدما كانت جريمة يعاقب عليها الحكام!!

حرق الحكام المكتوب من سنة النبي، ثم حرموا كتابة السنة وروايتها مدة 95 سنة، ثم خطر ببالهم أن يرفعوا الحظر بعد هذه المدة ويبيحوا للناس أن يكتبوا ويرووا سنة نبيهم!
تماما كمن كان بيده عقد من اللؤلؤ فقطع الخيط الذي يجمع حبات اللؤلؤ ثم رماه بين الأشواك والحصى والحجارة، ثم لاح له بعد 95 سنة أن يعود فيبحث عن ذلك العقد ويجمعه من جديد!
إنها حلقة من خطة!!

18 - تفكيك النظام السياسي

وهكذا نجحت السلطة ببث إشاعاتها، والتشكيك بما قاله النبي، وتقسيم قوله إلى قول بالغضب وقول بالوضا، ثم قالت إنه يهجر، ثم منعت كتابة رواية أحاديثه وأحرقت المكتوب منها، ثم رفعت شعار أن القآن الكريم وحده يكفي (حسبنا كتاب الله) والخليفة يفسر هذا الكتاب، لأنه القائم مقام النبي!!
ولما تم لها ما أرادت من فك الارتباط بين القآن والنبي عمليا، وبعد أن استقر النظام البديل، وبعد مضي 95 عاما على وفاة الرسول، وبعد أن صار منع كتابة السنة

الصفحة 440

النبوية سنة للخلفاء... أذنت السلطة بالكتابة ورفعت الحصار عن سنة النبي!! وقد فعلنا ذلك في مستهل هذه البحوث.

19 - تفكيك مؤسسة الإمامة أو القيادة السياسية

بمعنى أن للإمامة أو القيادة السياسية الشرعية شخصية معنوية تحتاج إلى من يعبر عن وجودها بصورة شرعية ويمارس مهامها. فمؤسسة الإمامة لها قواعد حقوقية تحتل مكانا بارزا بالمنظومة الإلهية، ولها شخص مخصص إلهيا لإراز دورها.
فكان رسول الله خلال حياته هو الإمام أو القائد السياسي الذي يعبر عن وجود مؤسسة الإمامة، ويمكنها من أداء دورها ضمن المنظومة الحقوقية الإلهية.
وبدنو أجله كلف إلهيا بإعلان ولاية الإمام علي، فأعلن رسول الله أن الولي من بعده هو علي بن أبي طالب، وأن ابنه الحسن إمام وابنه الحسين إمام أيضا.
وأعلن الرسول اندماج الإمامة كمؤسسة وكشخص اعتباري بعد موته بشخصية الإمام علي، فالإمام علي خاص وأهل البيت الكرام عامة والإمامة وجهان لعملة واحدة، وبينهما وحدة عضوية، فإذا ذكرت الإمامة يتبادر إلى الذهن مباشرة أهل البيت الكرام، وإذا ذكر أهل البيت يتبادر إلى الذهن الإمامة أو القيادة السياسية.
فتكونت وحدة عضوية بين عمادة أهل البيت وبين مؤسسة الإمامة أو القيادة السياسية، وتحقق التكامل بينهما.

20 - ضمن استعدادات القوة المتغلبة

نجحت القوة المتغلبة بضرب الوحدة العضوية والتكامل بين النبي من جهة، وبين القرآن الكريم من جهة أخرى، فشككت بشخصية النبي، وقسمت قوله إلى نوعين قسم يقوله في حالة رضاه وهو الحق، وقسم يقوله في حالة غضبه وهو ليس بحق! كما زعمت وأشاعت القوة المتغلبة، وادعت أنها وحدها القادرة على معرفة ما قيل في غضب الرسول ورضاه! وقد عالجت هذا الموضوع ووثقناه في البحوث السابقة.

الصفحة 441

وخلصت هذه القوة إلى نظرية خطوة مفادها: إن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لأي شيء سواه حتى ولو كان المتكلم هو رسول الله نفسه!! واحتفظت القوة المتغلبة لنفسها. بحق تأويل وتفسير هذا القرآن!! وهكذا نجحت القوة المتغلبة بإخراج شخصية الرسول وقوله وفعله ونقوره عن التأثير على مجريات الأحداث السياسية، حيث فكت الوحدة العضوية بين القرآن الكريم وبين النبي العظيم، وأبقتها بالحدود التي أرادتها، بعد أن فُغت هذه الحدود من مضامينها!

21 - نفس الخطة

كذلك فإن القوة المتغلبة فرقت بين الإمامة كشخصية معنوية ومؤسسة شوعية، وبين الإمام كشخص مخصص إلهيا وشوعيا للقيام بأعباء الإمامة بعد موت الرسول! فُعمت القوة المتغلبة أن الإمام الشوعي حديث السن، وأن مشيخة قريش أقدر منه على تولي مصالح المسلمين، ثم قالت في ما بعد إن شخص من يتولى الإمامة أمر متروك للمسلمين، حيث يؤمرون من شاعوا بالشورى!!! وهكذا فكت الارتباط والتكامل بين مؤسسة الإمامة وبين الإمام الشوعي، وقالت إن الإمامة وحدها تكفي، ولا حاجة للإمام الشوعي، تماما كشعار (حسبنا كتاب الله) الذي رفع بمواجهة الرسول نفسه! وبما أن القرآن وحده يكفي، ولا داعي لأي قول من الرسول! كذلك فإنهم قالوا إن الإمامة وحدها تكفي ولا داعي لوجود الإمام المعين شوعيا! فالقوة المتغلبة هي الأقدر على تعيين إمام يخدم مصالح المسلمين بدلا من الإمام الشوعي! وباختصار انفك الارتباط والتكامل بين مؤسسة الإمامة وبين شخصية الإمام الشوعي، وكوست القوة المتغلبة كل إعلام الدولة وكل مولدها لإثبات صواب ما فعلته!

الصفحة 442

22 - الإمام الشوعي

الإمام علي بن أبي طالب معين شوعيا ليكون وليا للأمة بعد وفاة نبيها، وقد أعلنت هذه الولاية أمام مائة ألف أو يزيدون، وقال له النبي أنت الولي من بعدي، ومن كنت وليه فهذا وليه، وخاطب المسلمين قائلا: إنه وليكم بعدي، وإنه مولى كل مؤمن ومؤمنة بعدي، وقال الرسول: هذا سيد العرب. وقال: أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي، وقال على مسمع كل مؤمن

ومؤمنة: أنت مني بمتولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

تلك أمور ومواتب لم يقلدها النبي لأي شخص على الإطلاق، وعندما أرسل رسول الله أبا بكر (رضي الله عنه) ومعه سورة واءة ليلبغها إلى المشوكين أثناء الحج، أرسل على أؤه عليا ليأخذ السورة من أبي بكر ويلبغها هو، وعند عودة أبي بكر استفسر من رسول الله عن سبب أخذ السورة منه فقال رسول الله: لا يؤدي عني إلا أنا أو علي أو رجل مني! وقد وثقنا ذلك في البحوث السابقة، وفي كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام خصصنا بابا كاملا للقيادة السياسية، كذلك في كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

23 - تلقين المجتمع المسلم

تلقن المجتمع المسلم تلقينا، وتعددت صور القوار الإلهي بهذه الناحية، حتى أصبحت مفهومة للعامّة والخاصة، للمهاجر والطيّق، فكل الناس على علم بأن الولي من بعد النبي هو علي، فلم يصادف على الإطلاق أن أمر رسول الله على علي أحدا.

24 - أعدى أعداء علي ذلك من الشاهدين

أعدى أعداء رسول الله هو أبو سفيان وولده خاصة، وبنو أمية عامة، فقد قاد أبو سفيان حرب الشوك ضد الإيمان ثماني سنوات، وحرب الرسول بكل وسائل الحرب، حتى أحيط به فاستسلم وأسلم.

الصفحة 443

وبعد موت رسول الله وقف معاوية بن أبي سفيان خاصة والأمويون عامة ضد علي وحلوه بكل وسائل الحرب، وغالبوه فغلبوه، فشهادة معاوية حجة عليه، وحجة للإمام، وحجة على شيعة القوة المتغلبة. والنص الحرفي لشهادة معاوية للإمام علي على الصفحة 148 و 149 من كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وعلى الصفحة 14 من مجلد 3 من مروج الذهب للمسعودي حيث أورد النص الحرفي لوسالة معاوية بن أبي سفيان لمحمد بن أبي بكر الذي تشيع للإمام علي ووالاه، حيث قال معاوية وبالعرف مخاطبا ابن أبي بكر: (وقد كنا وأبوك في حياة نبينا زى حق ابن أبي طالب لأرما لنا، وفضله ميرزا علينا.... إلخ. فلما اختار الله لنبيه ما عنده... فكان أبوك وفاروقه أول من ابّوه وخالفه، وعلى ذلك اتفقا واتسقا.... إلخ.)!!

تتضمن شهادة معاوية

1 - إن المسلمين كانوا يرون حق علي ابن أبي طالب بالإمامة لأرما لهم ولا مفر منه، وأن فضل علي كان ميرزا على المسلمين.

2 - إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا أول من ابّوه هذا الحق وعلى ذلك اتفقا واتسقا... بمعنى أن حق علي بالخلافة والإمامة قد توسخ في المجتمع المسلم، وأن المجتمع المسلم كان يعتقد أن هذا الحق لأرم ومؤرم له. وأن فضل علي على الجميع

كان ميزاء، وتموزه عن الجميع كان واضحا، فلما توفي النبي انقض أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على هذا الحق فابواه على حد تعبير معاوية، وعلى هذا الفضل فطمساه، وعلى هذا التمييز فإلاه!

25 - الإمام علي يشهد لنفسه كما شهد عنوه معاوية له

قال الإمام علي كما جاء بالخروج الثالث صفحة 69 من شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد (اللهم إني أستعينك على قوئش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي،

الصفحة 444

وأكفؤا إنائي، وأجمعوا على منزعتي حقا كنت أولى به من غيره، وقالوا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه....!

وعندما انتقلت إليه الخلافة قال (الآن رجعت الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله، راجع المجلد الأول من شرح النهج صفحة

125

وقال مرة مفندا حجة خصومه (وقال قائل إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص، فقلت بل أنتم والله لأحرص وأنا أخص وأقرب، إنما طلبت حقا لي وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي تونه، فلما وقفته بالحجة في الملاء الحاضرين هب كأنه بهت لا يبوي ما يجيبني...!) مجلد 3 صفحة 350 من شرح النهج.

وقال مرة (أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده) مجلد 3 صفحة 286 من شرح النهج.

وقال مرة أخرى (حتى إذا قبض الله رسوله، رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل، واتكفوا على اللوائج، ووصلوا غير

الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب

كل ضلرب في غمرة...!) مجلد 3 صفحة 222

26 - مضمون شهادة الإمام لنفسه

أنت تلاحظ أن شهادة الإمام علي لنفسه تطابق تمام المطابقة شهادة عدو الإمام معاوية للإمام، وهي أن لإمام حق بالإمامة، وأن هذا الحق قد ابتز منه، وأنه كان هنالك اتفاق واتساق على ابواز هذا الحق!

27 - الشهادتان موافقتان لحكم المنظومة الإلهية

إقرار معاوية بأن الإمام علي هو صاحب الحق اللازم على الأمة، واحتجاج الإمام علي بأنه هو صاحب الحق، وقد نزعوه هذا الحق وأخنوا منه بالقوة وأنهم يحولون بين الإمام وبين حقه بالإمامة، هذا يتفق من حيث النتيجة مع المعلوم من أحكام

المنظومة الإلهية التي تؤكد بأن الولي من بعد النبي هو علي فهو مولى المؤمنين مجتمعين،

الصفحة 445

ومولى كل مؤمن ومؤمنة على انفراد، ومن لم يكن علي مولاه فليس بمؤمن حقا، وأن مقام وموتلة علي من النبي هي

بمقولة هارون من موسى، إلا أن عليا ليس نبيا. وأنه لا يؤدي عن النبي إلا علي.

فكل الدلائل تشير صراحة وضمنا أن القائم مقام النبي بعد موت النبي هو علي.

واختيار الشلوغ الحكيم لكلمة (الولي) لها دلالات هائلة فالنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ونسلؤه أمهاتهم.

وما يتبادر إلى الذهن عند ذكر الأم هو ذكر الأب، ولكن للأب حدودا لا يتعداها، فالأب ليس أولى من ابنه بنفسه، ولكن

النبي أولى من كل مؤمن من نفسه، فعلي كولي يتمتع بحقوق الولاية تامة، ألا إنه ليس نبيا، وبغير هذه المكانة يتعذر عمليا

على الإمام أن يملس صلاحيته.

28 - الأمة سلعت ورضيت بحق علي بالولاية

الأمة بأكثريتها الساحقة اعتوت أن حق علي بالولاية مؤم لها، ولازم عليها، وفضله مبرز عليها، على حد تعبير معاوية

وكان ولاية علي كنبوة النبي، خرجة تماما عن أهواء البشر.

وهكذا استقامت الأمور، وحلت أعظم مشكلة وهي رئاسة الدولة، فعندما ينتقل الرسول إلى جوار ربه، تكون قواعد الشريعة

مكتملة، والأمور مستنوية في نصابها، ويحل محل النبي علي، فيتولى قيادة الأمة السياسية، ويتولى مرجعيتها الدينية، لأنه

الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب حسب التشخيص الإلهي، والمعلن على لسان النبي، وتواتح الأمة لأن إمامها متميز بصفاته

عن الجميع، ومشهود له من الله ونبيه.

29 - رفض الشوعية

إذا سلمت الأمة بحق علي بالولاية، واعتوت هذا الحق لازما لها ومؤما، فإن قريشا في نفسها من هذا الحق شيء، فقد

قاومت هذه البطون دعوة النبي 13 سنة،

الصفحة 446

وشكلت هذه البطون جيشا حرب النبي ثماني سنوات، ثم سلمت موكه بنوة محمد الهاشمي، وعندما أعلن النبي ولاية

علي استكثرت هذه البطون على الهاشميين أن يجمعوا النوة والملك، وأن يحوزوا الفضلين معا، ولكن تجربة هذه البطون

الطويلة مع النبي، وحروبها المتوالية مع الولي علمتها أن لمعصيتها ضريبة لا تقوى تلك البطون على دفعها مرتين، لذلك

سلمت بالأمر بالواقع، واختارت الدعة وتمنت لو أن أقدرنا خفية تغيير على الأقل ولاية علي الهاشمي بعد أن أصبحت نوة النبي

قنوا من الأقدار لا طاقة على تغييره!!!

وبالتالي فإن البطون مهياة نفسيا لمناصرة أي فرس يخرج من بين الصفوف ويتنود على هذه الترتيبات التي جمعت

للهاشميين النوة والخلافة.

ولاريب بأن بطون قريش لم تعرض هذا الترتيب علنا أثناء حياة الرسول.

30 - البطون تعقد الآمال على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لقيادتهما

أبو بكر شخصية مرموقة، وبانتصار دعوة الإسلام أصبح عميد بطن بني تيم بغير منزع، وذاع صيته أثر هجرته مع النبي، وعلا مقامه لمصاهرته للنبي، حيث تزوج ابنته عائشة، وأسلم على يديه ثمانية من أولئك الذين قال عمر بن الخطاب عنهم بأنهم من المبشرين في الجنة، وحصر القيادة فيهم.

إنه لا يعقل أن يزأس الولي علي على أبي بكر، صحيح أن هاشما وبكل الموليين خير من تيم، وأن عليا كنفس رسول الله ولا يؤدي عن الرسول إلا علي كما أخبر رسول الله أبا بكر بالذات عندما أخذ منه سورة واءة وأعطها لعلي، ولكن أبا بكر رجل كبير السن وعلي فتى، فهل من المعقول أن يزأس هذا الفتى على مشيخة قريش؟

وهل من المعقول أن يكون هذا الترتيب من الله؟ أم المعقول أنه ترتيب خاص رتبته النبي من تلقاء نفسه؟

الصفحة 447

ثم إن النبي بشر يتكلم في الغضب والرضا، فهل ينبغي أن تحمل كل أقوال النبي على محمل الجد والتصديق؟ هذه الأسئلة وعشرات من أمثالها كانت تتجاوب في نفس أبي بكر، ولكن الوجل ميال للأخرة، ومفضل للأجلة على العاجلة، يؤثر السلامة، ويكوه المواجهة، ويحب رسول الله حقا، فلم يبد أي اعتراض علني على ولاية الإمام علي يوم أعلنها النبي في غدير خم، بل وبادر مع عمر بن الخطاب وقدم التهاني للإمام.

ولكن التسؤلات السابقة لم تروح خياله، ولم تغادر نفسه، وهو مهياً نفسياً لقبول فرس من عالم الغيب يقوده مع بطون

قريش للخروج على هذا الترتيب، لكنه ليس مستعداً أن يقود المواجهة مع علي خاصة، ومع أهل البيت الكرام عامة، إكراما

للنبي، واحتياطاً لدينه.

31 - العملاق عمر بن الخطاب

لنفترض أن بطون قريش كلها سلمت بحق علي بالولاية، وأيدت مبدأ جمع الهاشميين للنووة والخلافة، فهل يقبل عمر بن الخطاب بهذا؟ وهو ابن البطون البار الذي يعلم حقيقة تفكير البطون والذي انوى ليعبر عن مشاعر تلك البطون، وساعده على ذلك أن صيته قد ذاع بالإسلام وأن مكانته قد ارتفعت بالإسلام، وأن مقامه قد علا بمصاهرته لرسول الله، ولفت الأنظار إلى ذاته بكثرة معروضاته لرسول الله، فأصبح عميد بطن بني عدي، وموضع ثقة كل بطون قريش التي دخلت في الإسلام يوم أحيط بها، وموضع إعجاب الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، فقد تعجبوا من جراءة هذا الرجل على رسول الله.

ومع هذا فإن عمر بن الخطاب على كونه معروضاته للرسول لم يعرض عندما أعلن الرسول ولاية علي بن أبي طالب، بل تقدم مع أبي بكر وقدم مع التهاني للولي بالولاية، ولم يظهر أي نوع من المعاندة والمعرضة على حد علمي، فقد اكتشفت بأن

الصفحة 448

معرضة هذا القوار بذلك الوقت بالذات قد تريد القوار توسيخا، وأن احتجاجه على هذا الترتيب قد يؤدي إلى ترتيب جديد

يثبت الأول، وأترك أن المعارضة والاحتجاج وحدهما لا يكفيان، وأنه لا بد من إعداد العدة والتدبير والتخطيط المحكم، ثم تأتي بعد ذلك المعارضة وتوج بالنجاح.

ويبدو جليا من استواء الأحداث أن هذا الرجل العملاق (رضي الله عنه) هو الذي قاد عملية تكفيك الترتيبات الإلهية، وإيجاد الترتيبات الوضعية الجديدة.

32 - المواجهة وطريقة ضوب الشرعية

علي بن أبي طالب ولي الله بالنص، وعلم الأمة بعد النبي بالنص، وصاحب الحق الشرعي ليقوم مقام النبي بقيادة الأمة سياسيا وموجعتها دينيا، وهو لن يتزل عن هذه الحقوق بالوضا، لأنها حقوق خصه الله تعالى بها، وأعلنها نبي الله أمام المسلمين، وشاعت هذه الحقوق بينهم، فالكل يعرف مكانة علي بعد النبي، وفضله المتميز على الجميع، وحقه المسلم به من الجميع، بما فيهم معاوية وآل أمية أجمعين.

ولكن بطون قريش وعلى رأسهم عمر بن الخطاب وأبو بكر بركة أقل ومن شايعهم من الأنصار، يريدون أن يأخذوا هذا الحق من صاحبه، لأكثر من سبب.

لكن عملية أخذ الحق من صاحبه أو تجريد صاحب الحق من حقه، تحتاج إلى وسيلة شرعية، وتحتاج إلى مبرر شرعي. ومبرر التجريد غير ولد شوعا لأن الله تعالى هو الذي تفضل بهذا الحق وأعطاه لعلي، ولأن ولاية علي قد أعلنت بأمر من الله تعالى، ولأن ماة ألف حاج من الأمة شهود على ذلك! لذلك لا بد من البحث عن خطة محكمة!

33 - الطريق الوحيد لتجريد الإمام من الولاية هو القوة والتغلب

لا حل أمام الذين يريدون إلغاء الترتيبات الإلهية، وتجريد الإمام علي من حقه بالولاية وابتواز هذا الحق، لا حل أمامهم غير استعمال القوة والتغلب، وبالقوة يغزل صاحب الحق عن حقه عمليا، ويغزل عن الأمة التي يمكن أن تدعمه ليحتفظ بحقه!

الصفحة 449

والتخطيط المحكم والتدبير المتروي لإعداد القوة، والإخراج المتقن، حتى يكون ابواز الحق بأقل كلفة ممكنة، وبدون معارضة تذكر!

وهذا ما تعهد به وأعد له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فاستجابت له بطون قريش، وبدأ به عمر والنبي بكامل عافيته، ثم أعلن ذلك، ودخل بمواجهة علنية صاحبة حول هذا الموضوع مع النبي نفسه، ولكن عندما كان على فاش الموت عندما قال النبي لمن حوله:

قروا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتصدى عمر للنبي وقال: (حسبنا كتاب الله) وردد الحاضرون من حزب عمر

قائلين: القول ما قاله عمر!!

هل نبتت هذه القناعة في قلوبهم من لحظتها!!

ما المنفر من قول رسول الله: قروا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا!!

وما هو المقنع في قول عمر: (حسبنا كتاب الله)!!

ثم من الذي جعل عمر بمسوى النبي!!

وما الذي مزه عن النبي حتى وجح قوله بقول النبي!! ويتبع ويعصي النبي!!!

إن هذا لأمر عجاب!!!

ولا جواب مقنع على هذه التسؤلات سوى التخطيط المسبق، والتدبير السابق، والاتفاق المبيت لتجريد الإمام من ولايته،

وابتزاز حقه على حد تعبير معاوية، وطمس فضله والاستيلاء على السلطة بالقوة والتغلب!

وما هذه المواجهة مع النبي إلا مقدمة لما سيأتي، واستعراض للقوة التي تم إعدادها بالفعل، وتنفيذ للخطة التي رسمها!

وقد وثقنا أكثر من مرة تفاصيل مواجهة عمر بن الخطاب وحزبه للنبي في الحجرة المباركة.

إذا فإن الوسيلة الوحيدة لإلغاء الترتيبات الإلهية المتعلقة برئاسة الدولة وتجريد الولي من حقه الشوعي بالولاية، هي القوة

والتغلب!

الصفحة 450

34 - توير استعمال القوة وإلغاء الترتيب الإلهي المتعلق برئاسة الدولة

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي جمع القوة، واستعرضها أمام النبي في حجرته المباركة، وخطط لتجريد الولي من ولايته، يعلم علم اليقين أن النبي قد أعلن ولاية علي أمام ما ألف حاج، ويعلم علم اليقين أنه قد قدم التهاني للولي بالولاية وقال للإمام: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو يعلم علم اليقين أن عليا هو عميد أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهرا، وأنه سيد بني هاشم بعد النبي بغير منزع، وهو يعلم علم اليقين أيضا أن مقولة علي من النبي كمقولة هارون من موسى، وأن لدى الإمام علما لدنيا فهو المخول ببيان ما تختلف فيه الأمة من بعد النبي!

وقد شاهد عمر بن الخطاب في كل معرك الإيمان الإمام عليا وهو يصول ويجول ويتنمر في ذات الله، ويستعرض قوة بدنية خارقة، جعلته فارس العرب والمسلمين قاطبة.

كما يعلم عمر أن عليا داخل في آية المباهلة وهو كنفس النبي.

ولا يخفى على عمر بأن عليا هو زوج فاطمة الزهراء ابنة النبي الغالية، وهو والد سبطيه الوحيدين.

كما يعلم أنه لا يؤدي عن النبي إلا النبي أو علي، هذا ما قاله النبي لأبي بكر أمام عمر عندما أخذ منه علي سورة واءة،

بناء على أوامر الله تعالى.

هذا معلوم بالكامل من عمر بن الخطاب.... ولكن بالمقابل فإن عمر بن الخطاب يعتقد أن الرسول بشر يتكلم في الغضب

والرضا، مما يعني أن كلام الرسول لا ينبغي أن يحمل كله على محمل الجد وقد وثقنا ذلك.

ربما كان يعتقد أن إعلان النبي لولاية علي يوم غدير خم لم تكن تنفيذا لأمر إلهي، إنما أعلنها الرسول من تلقاء نفسه، وبناء على تقديراته كبشر، أو بتعبير بطون قريش

الصفحة 451

أنه أعلنها وهو في حالة غضب أو بتعبير علماء شيعتهم فيما بعد أعلنها اجتهدا من عند نفسه، وليس عن وحي! وهو يعتقد أن معنى قوله تعالى على لسان النبي (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) إنما يتعلق ذلك بوحى القرآن، وما تبقى من أقوال النبي وأفعاله وتقديراته فهو موضع مسألة، فهو قابل للاعتراض، وقابل للاحتجاج، وقابل للتقويم، حسب رأي عمر، وسجل احتجاجات عمر واعتراضاته المتلاحقة على رسول الله دليل على ذلك!

35 - مثال من سجل اعتراضات عمر (رضي الله عنه)

لما وقع النبي اتفاقية صلح الحديبية قام عمر بن الخطاب غاضبا وقال: لو أجد أعوانا ما أعطيت الدنيا أبدا، فهو يعتقد - كما يفهم من كلامه - أن رسول الله عندما وقع صلح الحديبية أعطى الدنيا، ولو كان بوسع عمر أن يجد أعوانا لما وافق على الصلح الذي وافق عليه رسول الله، ولألغاه وأبطله بالقوة. وحاول أن يستميل أبا بكر إلى صفه فقال له: يا أبا بكر، ألم يكن وعدنا أننا سندخل مكة؟ فأين ما وعدنا به؟ (يقصد أن الرسول قد وعد المسلمين بدخول مكة) فقال أبو بكر: أقال لك أنه العام يدخلها؟ قال عمر لا، قال أبو بكر: فسيدخلها. فقال عمر ما هذه الصحيفة التي كتبت؟ وكيف نعطي الدنيا من أنفسنا؟ فقال أبو بكر: يا هذا أؤم غزه فوالله إنه لو رسول الله، وإن الله لا يضيعه! فلما كان يوم الفتح، وأخذ رسول الله مفتاح الكعبة قال: ادعوا لي عمر، فجاء فقال الرسول: هذا الذي كنت وعدتكم به، راجع شرح النهج لعلامة المعتولة ابن أبي الحديد مجلد 3 صفحة 790 - 791 شرح حسن تميم.

تلك طبيعة الرجل الذي جمع القوة وجمع بيده كل أسبابها، فهو يعتقد أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والوضاء، وأن كل ما يقوله أو يفعله أو يقره ليس بالضرورة صحيحا، ولعله في صلح الحديبية تذكر أهمية الأعوان، وبدء بالإعداد للإكثار من

الصفحة 452

الأعوان، حتى يقوم كلما يعتقد معوجا، وحتى لا يضطر أن يعطي الدنيا على حد تعبوه، فيضطر لقبول ما يقبله الرسول.

36 - هذا الرجل العملاق هو الحاكم الفعلي والحكم

في حجة النبي أبرز عمر (رضي الله عنه) بعض قوته، وبموت الرسول وانشغال الآل الكوام بمصائبهم، خلا الجولة فنفذ خطواته خطوة خطوة، وعين الخليفة! كان بإمكان عمر أن يعين أبا عبيدة خليفة بدلا من أبي بكر، لأن أبا بكر كان غائبا عندما مات الرسول، ولأن عمر وغب بأن يكون أول خليفة هو أبو بكر، شغل الناس بمقولته أن الرسول قد غاب وسرجع، وتهدد ومن خلفه أعوانه بالويل وتقطيع أيدي وأرجل من زعم موت النبي!

فلما جاء أبو بكر ترك مقولته وتوجه إلى الأنصار، وقد قدر أن تولية أبي بكر ولا أقوى لحجته، وأدحض للشبهات عنه، وبعد استقوار الأمور يعهد أبو بكر إليه بالخلافة فيأتيه ملكا مستقرا!
وقد فهم الولي ذلك في ما بعد فقال لعمر: إحلب حلبا لك شطوه، واشدد له اليوم أمره يورده عليك غدا!
ومن ناحية ثانية حتى في عهد خلافة أبي بكر فإن القول الفصل كان لعمر!

37 - عمر يتقل على قار الخليفة ويموهه والخليفة يشهد أن عمر هو الذي عينه

الكتاب الذي كتبه أبو بكر لعبيبة بن حصن والأقوع بن حابس، أخذاه لعمر يشهد عليه، فلما قرأ الكتاب أخذه منهما ثم تفل فيه ومحاه... فوجعا إلى أبي بكر وقالوا له: والله ما نوري أنت أمير أم عمر؟ فقال أبو بكر بل هو لو شاء كان!
فجاء عمر إلى أبي بكر وقّعه على هذا الكتاب، فقال أبو بكر: كنت قلت لك إنك أقوى على هذا الأمر مني، لكنك غلبتني!
راجع المجلد 3 صفحة 789 - 790 من شوح النهج لعلامة المعولة، تحقيق الشيخ حسن تميم.

الصفحة 453

38 - عمر القوي يقرر ويرسم مستقبل النظام

قرر عمر أن الإمامة أو الخلافة بحد ذاتها ضرورة من ضرورات الإسلام، وأنه لا غنى للمسلمين عنها. وقار عمر في هذه الناحية متفق مع الشوعية نصا وروحا ثم قرر عمر أن الولي الذي عينه الله ورسوله ليشغل منصب الإمامة والخلافة ليس مناسباً ولا لمصلحة المسلمين لأكثر من سبب وبالتالي فقد قرر تجريده من حقه بالولاية أو الخلافة!
وحسب الترتيبات الإلهية فإنه إمام الأمة وخليفتها يجب أن يكون من أهل بيت النبوة بوصفهم القاسم المشتوك بين كل المسلمين، ولأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، ولأنهم أهل العلم والذكر.... وجاء عمر (رضي الله عنه) وقرر عدم أهلية أهل البيت الكرام للإمامة أو الخلافة، وعدم استحقاقهم للوعامة والولاية، لأنهم من بني هاشم، وقد أخذ الهاشميون النبوة فلا ينبغي أن يجمعوا مع النبوة الخلافة، بل يجب أن تكون الإمامة أو الخلافة لبطن قویش تتداولها في ما بينها، ولا مانع لديه من أن تؤول الخلافة إلى الأنصار وإلى الموالي، فسالم مولى أبي حذيفة لو كان حيا لواه عمر الخلافة، مع أنه لا يعرف لسالم هذا نسب في العوب! ولكن يحظر حظاً تاماً أن يتولى أحد من أهل البيت الإمامة، ويحظر أن يولي أي هاشمي أي ولاية حتى لا يدعو لأهل البيت أو لبني هاشم في ما بعد ويخرب ترتيبات عمر (رضي الله عنه) لعهد ما بعد النبوة!

39 - من الذي أعطى عمر (رضي الله عنه) هذه الصلاحيات لإصدار هذه القورات الخطورة؟

هل هو وحي على المسلمين؟ هل خولته الشريعة الإلهية رسم مستقبل النظام السياسي أعطته صلاحية لإلغاء الترتيبات الإلهية ووضع ترتيبات وضعية بديلة لها؟
أو بتعبير أدق على ماذا استند عمر (رضي الله عنه) حتى أصدر هذه القورات الخطورة؟

سند عمر الوحيد لاتخاذ هذه القورات هو القوة والتغلب، فقد جمع حوله الأعوان، وأعد للأمر عدته وأصبح مالكا لكل

خطوط القوة، وتحت إمرته حزب حقيقي يعمل

الصفحة 454

وفق توجيهاته، وبالتالي فإنه هو الذي يعين الخليفة، وهو القادر على توقيع الخليفة، وعلى أن يتفل في قوراته ويمحوها إن

لم رها مناسبة!

ثم هو الذي يحدد من يتولى الخلافة من بعده!

ثم إنه وحده الذي يستطيع أن يحظر على المسلمين كتابة ورواية أحاديث النبي ولا يجرؤ أحد أن يعترضه!

ثم إنه بالقوة كون لنفسه مهابة حتى صلت أفعاله وأقواله وتقوياته سنة فعلية لها من المهابة أكثر مما لسنة النبي!!!

فقد يعترض على النبي ويقول للنبي نفسه، أنت تهجر!! ومع هذا لا يندهش أحد، ولا يلومه أحد، ولا يعلق على هذه الحادثة

أحد، كأن قول عمر (رضي الله عنه) هو القول الفصل!!!

قالوا عن النبي إنه كان يسب ويلعن ويشتم من لا يستحقها! وقالوا عن النبي إنه كان يسقط من آيات القرآن! وقالوا عن

النبي إنه يتكلم بالغضب والرضا ولا ينبغي أن تحمل كل أقواله على محمل الجد! وقد وثقنا ذلك، وقد نقلوا هذه الأقاويل ببساطة

وهي عند الله عظيمة، ومع هذا لم يقل أحد عن عمر شيئا!

إن له مكانة تفوق مكانة الأنبياء في قلوب شيعة الخلفاء، مع أن عمر (رضي الله عنه) لا يمكن أن يقبل ذلك لو كان حيا.

40 - مقاصد عمر (رضي الله عنه) شريفة

كما يبدو واضحا أن عمر (رضي الله عنه) كان يقصد مصلحة الإسلام، ومصلحة المسلمين. ومن المؤكد أنه يؤمن إيمانا

كاملا بأن الرسول قد بلغ الناس القرآن الكريم كما أوحى إليه من ربه. ولا شك ولا ريب عند عمر بذلك. فالرسول لا ينطق

عن الهوى بما يتعلق بالقرآن.

لكنه كما يبدو يؤمن إيمانا مطلقا أنه ما عدا القرآن الكريم، فإن كل أقوال الرسول وأفعاله وتقوياته تصدر عن الرسول

بصفته الشخصية كبشر، وأن ما يصدر عن الرسول يحتمل الخطأ ويحتمل الصواب، وعمر وحده هو القادر على تمييز الخطأ

من الصواب!!

الصفحة 455

قبل رسول الله صلح الحديبية ووقعه، ولكن عمر كان يعتقد أن التوقيع على صلح الحديبية بهذه الشروط دنية، وأنه ما كان

ينبغي لرسول الله أن يوقع هذا الاتفاق ولا أن يقبل به، وأنه لو كان لعمر أعوان ما أعطى الدنية أبدا، لماذا لأن عمر اعتقد أن

الرسول قد وقع الاتفاقية كبشر، وأن هذه الاتفاقية ليست من مصلحة الإسلام، واكتشف أهمية الأعوان يومها.

وعندما أعلن الرسول ولاية علي أمام ألف حاج، قدم عمر التهاني للإمام، معتقدا أن الرسول قد أعلن هذه الولاية من

ثم فكر عمر بمصلحة الإسلام والمسلمين، فأى أنه ليس من المناسب أن يكون النبي من بني هاشم وأن يكون الخليفة من بني هاشم، وأن تحرم بطون قريش كلها من فضل النبوة وفضل الخلافة، وانتظر عمر حتى مرض رسول الله واختار عمر المواجهة بهذه اللحظة، فعندما قال النبي قويا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتصدى له عمر على الفور وقال للنبي: لا حاجة لنا بكتابك (حسبنا كتاب الله)!

وما أن أتم عمر قوله حتى قال من حضر من حزب عمر وبصوت واحد: القول ما قاله عمر!

ولما كرر الرسول طلبه، قال عمر: إن رسول الله قد هجر، وردد أعوانه: إن رسول الله قد هجر!! وقد وثقنا ذلك.

وقد تصور عمر أن رسول الله يريد أن يصوح باسم علي ثانية فمنعه من التصويح وشوش عليه، إشفافا على الإسلام!!!

قال عمر مشوا إلى هذه الحادثة كما ذكر الإمام أحمد بن أبي الطاهر في كتابه تزيخ بغداد مسندا، وكما روى ابن أبي

الحديد في شوح النهج مجلد 3 صفحة 769 تحقيق حسن تميم ما نصه بالحرف:

ولقد رآد (أي الرسول) في موضه أن يصوح باسمه (أي باسم علي) فمنعته من ذلك إشفافا على الإسلام، لا ورب هذه

البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا، ولو وليها لانتفضت عليه العرب من أقطرها...!!

الصفحة 456

عجبا، كأن عمر يعتقد بأنه أشفق على الإسلام من رسول الله!!!

وكأنه يتصور بأنه أوى بعواقب الأمور من رسول الله!!!

والجدير بالذكر أن عمر بن الخطاب كان أول خراج على الإمام من قريش، وأول معروض لولايته، وهو الذي طمع

الخرجين بالإمام وجمع المعرضين له!

قال معاوية بن أبي سفيان في رده على رسالة محمد بن أبي بكر ما نصه بالحرف (فكان أبوك وفاروقه أول من ابؤه

وخالفه، وعلى ذلك اتفاقا واتسقا). راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم صفحة 148 و 149 ومجلد 3 صفحة 14 من مروج

الذهب للمسعودي.

لقد صوح عمر في صلح الحديبية بأنه لو كان له أعوان لنسف الصلح الذي قبل به رسول الله، ولأمضى ما يريد، لأن ما

يريده عمر هو وحده لمصلحة الإسلام، وهو مضمون العاقبة، أما ما يريد وما يفعله رسول الله فهو موضع شك!!!

ومن ذلك التزيخ بدأ بتجميع الأعوان، فلما مرض رسول الله واجه الرسول بأعوانه، وشوع بتنفيذ الترتيبات التي اعتقد أنها

لمصلحة الإسلام، ثم أسس دولة على أساس هذه الترتيبات، وسخر إعلامها ومولدها لإثبات حجة ترتيباته!!

41 - كيف سكت رسول الله على الرجل حتى استقل أمره

كان عمر بن الخطاب حوا يعيش في مجتمع الحوية، وعمر مؤمن بالله وبالقرآن وبالرسول، ويعرض ويحتج حتى على

الرسول نفسه، والرسول لا يضيق صورا بالاحتجاج أو المعارضة فهو الحليم صاحب الخلق العظيم، وهو الإمام العادل القوية،

وهو عبد مأمور أن يبلغ الناس ويعلمهم ويعاملهم على ما ظهر منهم فقط، فإذا يتعلم أصحابه فذلك كفيلا أن يضع عمر بالمكان الملائم له، لقد سمع الرسول كلما قاله عمر في صلح الحديبية واتسع قلبه العظيم بما قال، وعندما فتح الرسول مكة قال: ادعوا عمر، فلما جاء عمر قال الرسول (هذا ما وعدتكم به) إنه أبلغ رد على أقوال عمر يوم صلح الحديبية، وأبلغ درس لو وعاه عمر.

الصفحة 457

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي قال: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) يقصد أنه هو العزيز وأن رسول الله هو الأذل!

ولما اقترح عليه بعض أصحابه أن يقتل عبد الله بن أبي قال (كيف يقال إن محمدا يقتل أصحابه)!!!

تلك هي طبيعة العظمة المحمدية، رجل فهم حقيقة الحياة، واستوعب المنظومة الإلهية، فهو لا يعاقب على النوايا، وهو لا يكلم الأثواء، ولا يصادر حقوق الإنسان، ولا يقع في الظلم، لقد أقام دولته لرفع الظلم، وإشاعة العدل، ورد الحرية للإنسان.

42 - ترويات عمر لأفعاله

أجمع ترويات عمر لأفعاله الحديث الذي جرى بينه وبين ابن عباس أثناء خلافة عمر، وأثبت بأدناه النص الحرفي لهذه المحاور، وكما ذكرها علامة المعتولة بن أبي الحديد.

(قال عمر: يا ابن عباس أتتوي ما منع قومكم منكم؟ قال ابن عباس: لا يا أمير المؤمنين، قال عمر: لكني أروي، قال ابن عباس: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال عمر:

كوهت قريش أن تجتمع لكم النوة والخلافة فتجحفوا جحفا، فنظرت قريش لنفسها فاخترت ووفقت فأصابته! قال ابن عباس: أيمط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟

قال عمر: قل ما تشاء، قال ابن عباس فقلت: أما قول أمير المؤمنين إن قريشا كوهت، فإن الله تعالى قال لقوم (ذلك بأنهم كوهوا ما أتول الله فأحبط أعمالهم) وأما قولك إنا كنا نجحف، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقوابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله الذي قال الله تعالى له (وإنك لعلى خلق عظيم) وقال له (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وأما قولك فإن قريشا اخترت فإن الله تعالى يقول (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخوة) ولقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لو فقت وأصابته قريش.

الصفحة 458

قال عمر: على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول، وحسدا عليها لا يحول فقال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين لا تنسب هاشما إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذي قال الله تعالى لهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا) وأما قولك وحسدا فكيف لا

يحسد من غصب شيئه وواه في يد غوه؟!!

فقال عمر: أما أنت يا ابن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به، فتزول متزلتك عندي؟ قال ابن عباس: وما هو يا أمير المؤمنين، أخونني به فإن يك باطلا فمئلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقا فإن متزلتي عندك لا تزول به.

قال عمر: بلغني أنك لا زال تقول أخذ هذا الأمر منكم حسدا وظلما. قال ابن عباس: أما قولك يا أمير المؤمنين حسدا، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود، وأما قولك ظلما فأمرير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو؟ ثم قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله، فنحن أحق برسول الله من سائر قريش.

فقال عمر: قم الآن فرجع إلى متزلك، فلما قام ابن عباس هتف به عمر: أيها المنصرف إني على ما كان منك لواع حقا. فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقا برسول الله، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع، ثم مضى.

فقال عمر لجلسائه: واه لا ابن عباس مارأيتة لاص أحدا قط إلا خصمه.

43 - تحليل سريع لهذه المحورة

- 1 - عمر (رضي الله عنه) يصوح بأن بطون قريش كرهت الترتيب الإلهي الذي جمع آل محمد النبوة والخلافة معا.
- 2 - إن هذا الترتيب الإلهي مجحف بحق البطون لأنه يعطي الهاشميين النبوة والخلافة وهم بطن من بطون قريش، ويحرم كل البطون الباقية من الفضلين معا.

الصفحة 459

- 3 - مع أنه ترتيب إلهي لكن البطون تتنوع بخشيتها من إجحاف البطن الهاشمي إذا جمع الخلافة مع النبوة.
- 4 - إن الخليفة ترك الترتيب الإلهي القاضي بجمع الخلافة والنبوة لآل محمد، وأوجد ترتيبا بديلا يجرّد آل محمد من حقهم بالخلافة، ويصف ذلك بأنه توفيق وصواب.
- 5 - إن الخليفة يحكم بأن آل محمد غشوا بطون قريش وحسوها، لأنها استودت الخلافة من آل الكرام.
- 6 - إن الخليفة يعلن نفسه كناطق رسمي باسم البطون، وكمدافع عن مصالح بطون قريش.
- 7 - إن أول رجل من قريش اخترع هذه التبروات وتجرأ على إعلانها وأقام دولة التلريخ على أساسها، هو عمر بن الخطاب، فهو بحق ابن البطون البار، والمنظر الأول للنظام البديل.
- 8 - إن الخليفة ينظر نظرة حذر وخوف وريبة إلى كل آل محمد، ويخشى منهم جميعا أن يستردوا حقهم بالخلافة. وتقريبه لابن عباس هو خطة سياسية المقصود منها توفيق آل الكرام حتى لا يبقوا مجتمعين حول علي وابنيه السبطين، وقد تكررت هذه الخطة مع العباس كما روى ابن قتيبة حيث وعوه ببعض الأمر له ولعقبه من بعده إن ساوهم وترك عليا وقد وثقنا ذلك.

44 - ابن عباس واجه عمر بمجموعة هائلة من الحقائق الشرعية بهذه المحلورة

- 1 - إن بطون قريش وعلى رأسهم عمر كرهوا ما أقول الله باختيار آل محمد للقيادة السياسية.
- 2 - إن بطون قريش لم توفق ولم تصب الحقيقة الشرعية عندما اختارت غير الذي اختاره الله.
- 3 - إن خوف قريش من إجحاف أهل البيت إذا جمعوا الخلافة مع النبوة بالرغم من اختيار الله لهم، ليس له ما يببره عقلا وشوعا.

الصفحة 460

- 4 - إن بطون قريش تبنت بالأمر السياسية مواقف مناقضة تماما للموقف الشرعي، حيث إنها تركت الاختيار الإلهي واختارت لنفسها، ووضعت عملية تركها للخيار الإلهي وعملية اختيلها بأنه صواب وتوفيق، ووصفت بالغش والحسد قوما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهروا.
- 5 - لقد أوضح ابن عباس لعمر بأن عمر يعلم علم اليقين من هو الولي من بعد النبي ومن هو الخليفة، وأنه علي، ومع هذا أخذوا حقه.
- 6 - إن بطون قريش حسدت الآل الكرام وظلمتهم عندما جردتهم من حقهم الشرعي بالإمامة.
- 7 - إن الذين ضيعوا حق أهل البيت، بالإمامة إنما ضيعوا بالحقيقة أنفسهم!

45 - عمر (رضي الله عنه) يحتاط للمستقبل

لم يكتف عمر بتجريد الإمام علي من حقه بالولاية وأخذ هذا الحق منه، إنماركز بكل قواه على تجريد أهل البيت الكرام طوال حياة الدولة الإسلامية من هذا الحق، وغزلهم تماما عن القيادة السياسية للأمة. فحسب تنظير عمر فإن قريشا بوضعهم أقباء الرسول وعشورته هم الأولى بسلطانه، راجع كلمة عمر في سقيفة بني ساعدة، ثم طور هذه المقولة فحرم الهاشميين من امتيازات القوابة حرمانا كاملا بدعوى أنهم أخذوا النبوة وحدهم وبالتالي يتوجب أن لا يجمعوا مع النبوة الخلافة، لأن ذلك يؤدي لإجحافهم على الأمة، وهذا التجريد ليس محصورا بؤمن أبي بكر وعمر، بل يريده عمر أن يستمر إلى يوم القيامة.

جاء في المجلد الثاني صفحة 253 - 254 من مروج الذهب للمسعودي وقائع المحلورة التالية:

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: يا ابن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شيء وأعياني ذلك، فمارأيك في العمل؟

الصفحة 461

قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال ابن عباس: ربيده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت بريئا من مثله علمت أنني لست من أهله، فقبلت عمك هنالك،

فإني قلمارأيئك طلبت شيئاً إلا عاجلته.

فقال عمر: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني الموت) وأنت في عملك فتقول هلم إلينا، ولا هلم إليكم دون غيركم، إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم.

قال ابن عباس قلت: والله قدرأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك؟ قال عمر: والله ما أوري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم، أم خشني أن تبايعوا بمتزلتكم منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب. وقد فوغت لك من ذلك.

46 - خلاصة القصة

إن عمر من فوط حرصه على مصلحة المسلمين وكراهيته لجمع الهاشميين النوة والخلافة معا يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يحكموا بعده أبداً، وبالتالي لا بد من إبعادهم عن الولاية والأعمال حتى لا يستغلوا هذه الأعمال والولايات بعد موت عمر فيدعون الناس لمبايعتهم!!! راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والموجعية السياسية في الإسلام صفحة 270 وما فوق.

وقد كوست دولة الخلافة كل وسائل إعلامها ومولدها لتوسيح هذه الأفكار في أذهان الناس وتنفوهم من قيادة أهل البيت، ووضعت بديلاً لذلك قيادة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. حتى تلخص الموقف بسؤال وخيار محدد: فإما الثلاثة وإما أهل البيت، فاختار الناس الثلاثة، لأن وسائل إعلام الدولة وكل مولدها قد خصصت لإخفاء الشوعية على الواقع التاريخي، ولتوجيه كفة أولئك الذين أسوا النظام التاريخي على كفة أهل البيت!



47 - تحريف وتمييع النصوص الشرعية الواردة في علي

ذكر ابن عساكر في ترجمة علي من تزيخ دمشق مجلد 2 صفحة 31 الحديث 934 وابن حجر في صواعقه صفحة 125 والسيوطي في تزيخ الخلفاء صفحة 172 عن ابن عباس أنه قد قول في علي ثلاثمائة آية من كتاب الله عز وجل. وقال ابن عباس: ما أتول الله (يا أيها الذين آمنوا) إلا علي أموها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير. راجع مجلد 2 صفحة 430 الحديث 932 من تزيخ دمشق و صفحة 125 من الصواعق المحرقة.

وعلى سبيل المثال فقد قول قوله تعالى في الآية رقم 7 من سورة الاعد مخاطبا النبي (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وبين النبي هذه الآية فقال: (أنا المنذر وعلي الهاد، وبك يا علي يهتدي المهتدون). راجع مجلد 2 صفحة 417 الحديث 916 من تزيخ دمشق لابن عساكر، وراجع صفحة 107 من الفصول المهمة للصباغ المالكي و صفحة 99 من ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ومجلد 5 صفحة 34 من مسند الإمام أحمد منتخب الكنز بالهامش.

وما زالت وسائل إعلام الدولة تركز، حتى أولت الآيات النزلة في علي عن معانيها، وفكت الصلة بين خصوصية هذه الآيات وبين الإمام علي، فالرجل الهادي بنص القوان والشاهد التالي بنص القوان، والوالي بنص القوان، والصادق بنص القوان، والمطهر بنص القوان، والسابق بنص القوان، والمؤمن بنص القوان، والمتقي بنص القوان... إلخ. تتووع منه كل هذه الصفات بالقوة ويؤخذ منه حقه ويهدد مع هذا بالقتل، ويضطر أن يبكي ويصيح ويلتحق بقبر رسول الله شاكيا باكيا موددا (يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكانوا يقتلونني) وبعد سويعات من وفاة ابن عمه رسول الله يجمع الحطب لحرق بيته على الزهراء وعلي فوخي رسول الله!!

ثم حرفت النصوص الشرعية التي أعلنها رسول الله والمتعلقة بالولي، فإذا ذكرت

الصفحة 463

الناس أن رسول الله قد أعلن ولاية علي أمام مائة ألف مسلم وقال له: أنت وليهم من بعدي، وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة (من بعدي) وقال لمن حوله (هذا وليكم بعدي، ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه) ضاقتوا نوعا بهذه النصوص، ولأنهم أعجز من أن يطمسوها أحنوا يبتدعون التأويلات الفاسدة للنصوص لإخراجها عن معانيها، فقالوا إن الولي يعني الناصر!! والمعين!! عجا للذين عطلوا عقولهم كيف تعني كلمة أبي بكر: إني قد وليت عليكم عمر، وكلمة عمر: لو أن أبا عبدة حيا لوليته، ولو كان خالد حيا لوليته، ولو كان سالم حيا لوليته، لماذا تعني كلمة الولي من عمر وأبي بكر رضي الله عنهما الخليفة، وتعني الكلمة نفسها من رسول الله الناصر والمعين!!!

وعندما تذكر الناس بقول النبي (أنت مني بمقولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) تسرع شيعة الخلفاء بالقول: إن

الرسول قصد بأن عليا هو المسؤول عن البيت!!

شلت أيديهم!! فما هي مصلحتهم بتحريف الكلم عن مواضعه!!!

48 - السر في ذلك التحريف

إن الدولة - أي دولة طوال التاريخ - هي التي تملك السيطرة الكاملة على وسائل الإعلام، وإن لكل الخاضعين لسلطان الدولة يضوبون على نفس الدف الذي يضوب عليه الحكام، أو يتظاهرون بالضوب على هذا الدف. والدولة - أي دولة - تسخر كل مواردها لإثبات سلامة منهجها وإقناع الناس بالرضا وبالتفوه بأنها وحدها صاحبة الأهلية بالحكم، وطمس وتحريف كلما يتعرض مع هذه المقولات!

وبما أن دولة التاريخ السياسي قد قامت بالقوة، واستولت على السلطة الشوعية بالقوة والتغلب، وغزت الإمام الشوعي، ووجدته من حقه بالولاية بالقوة، وغزت أهل البيت الكرام عن نورهم القيادة بالقوة... لذلك فإن القوة المتغلبة وأعانها وأهل طاعتهم حرصوا على تحريف كل نص يظهر فضل القيادة الشوعية، أو يؤكد

الصفحة 464

حقها في الحكم، لتثبت القوة المتغلبة لمن حضر وللأجيال اللاحقة أنها وحدها هي صاحبة الحق بالحكم، أو بتعبير أدق لإضفاء الشوعية على حكمها!

وجاء اللاحقون فاندثشوا من عظمة أولئك الذين وحووا الأمة بالقوة، وقهروا أعداءها، فهاموا بهم، واعتبروا أفعالهم سنة واجبة الاتباع، وخطوا بين القوة المتغلبة وبين الدين نفسه، فالقوة المتغلبة طوال التاريخ والدين وجهان لعملة واحدة، فهم يسمون النظام السياسي في الإسلام نظام الخلافة، فإذا قلت لهم: الخلافة تعني سياسيا خلافة النبي، فإذا كان نظام الخلافة هو نظام الإسلام فما هو النظام الذي طبقه النبي قبل قيام دولة الخلافة؟ بهتوا ولعنوك واتهموك بالرفض أو التشيع أو بهما معا!! وقد يتهموك بالكفر!!!

49 - الغالب هو المبين وهو الولي وهو الإمام

لقد نجحت القوة المتغلبة بابتزاز حق الإمام بالولاية، وعطلته عن بيان ما تختلف فيه الأمة بعد النبي كما أمر النبي، وحالت بينه وبين تطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية على الوجه الأمثل، وحرمت البشوية من علمه وهداه وعدله وآرائه، واستولت القوة المتغلبة على السلطة بالقوة!

ككيف دوت أروها؟ ومن الذي قادها؟ زعيم الفئة المتغلبة هو الذي يحكم أمة محمد أو يعين لها من يحكمها، فهو وليها بدل النبي، وبدل الولي، وهو خليفة نبيها وهو إمامها وهو قوتها، وهو مرجعها الديني، فقد يجلس مقام النبي رجل صالح كأبي، وكعمر، وقد يجلس مقام النبي فاسد كيزيد، والعورة هو من يغلب، فمن يغلب فهو القائم مقام النبي!!

غلبت بطون قريش فأست رجالها الثلاثة الأفاذ. أبا بكر وعمر وعثمان، وغلب معاوية فؤأس، وسلم مفاتيح الغلبة لابنه

من بعده قرأس، ثم غلب مروان بن الحكم قرأس، وتناقل ولاده مفاتيح الغلبة، فسادوا ورأسوا، ثم غالبهم العباسيون

الصفحة 465

فغلبوهم، فسادوا، وغالب العباسيين المماليك وأبراء الأقاليم فقطعوا أشلاء ملكهم، ثم جاء العثمانيون الأعاجم فغلبوا!
وطوال التاريخ والأمة تقدم واجبات الطاعة لمن غلب، وتتلقى السياط من الغالبين، فالغالب مطاع حتى لو خالف الرسول
وانتهك الحرمات، وعطل الحدود، وصادر الحريات.

وقد لا تصدق هذا، فلرجع إلى توثيقاتنا السابقة واقرأ كتب الصحاح!!!!

هذا جزاء وفاق للأمة التي بطوت معيشتها، وتخلت عن وليها، ودحرت أهل بيت نبيها، ثم ادعت أنها عاجزة عن التغيير!!

ولله عاقبة الأمور.

* *

الصفحة 466

الصفحة 467

الفصل التاسع

فك الارتباط بين المنظومة الحقوقية الإلهية وبين أهل البيت

1 - بدء محن أهل البيت الكرام

بشروق نور النبوة بدأت محن الآل الكرام، فقد وقف الهاشميون مع محمد في جهة، ووقفت كل بطون قريش في جهة

أخرى!

بطون قريش تريد أن تطفي نور الله، وتريد أن تمنع النبي من تبليغ رسالات ربه، وتريد من الهاشميين أن يتخلوا عن

محمد، وأن يخلوا بينه وبين البطون حتى تقتله وتريح الناس من شوه!

وقف الهاشميون وقفه رجل واحد بقيادة عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب، وأعلنوا للبطون أنها إذا مست شوة

واحدة من محمد فسيقاتل الهاشميون حتى يفنون عن بكرة أبيهم، ولن يسلموا محمدا ما دام تحت السماء هاشمي واحد يتنفس!

وأمام الإصوار الهاشمي قررت بطون قريش بالإجماع مقاطعة بني هاشم، وبني المطلب الذين انضموا إليهم، وحصرت

البطون الهاشميين ثلاث سنين في شعاب أبي طالب، وقاطعتهم مقاطعة كاملة حتى اضطر الهاشميون أن يأكلوا ورق الشجر

من الجوع، ولم يركعوا ولم ينفضوا من حول رسول الله!!

وتداعت المقاطعة وفشل الحصار، وفاز الرسول وفزت رجولة الهاشميين، واشتد العرض بأبي طالب، وأسلم روحه

الطاهرة، وماتت زوجة النبي الصادقة، وترك موت أبي طالب فاغا هائلا، فقور النبي الهجرة إلى يثرب بعد أن أعد للأمر

علمت بطون قريش بقرار النبي، فاخترت من كل بطن منها رجلا ليضوب الرجال معا محمدا ضوية رجل واحد، حتى يضيع دمه بين القبائل، ولا يقوى الآل الكرام على المطالبة بدمه!
وعاش الهاشميون ساعات عصبية، فانوى من بين صفوفهم فتى من أجود فتيانهم وهو علي بن أبي طالب ونام في فؤاش الرسول ليوهم المتأمرين أن النائم في الفؤاش هو محمد فيقتلون عليا بدلا منه لينجو النبي!!
واكتشفت البطون أن النبي قد نجا ونجح بهجرته، ونجى الله الفتى!
وفي رحاب المدينة وضع آل البيت أنفسهم تحت تصرف النبي ليعطون ولا يأخذون، يقدمون الأرواح بصمت، ولا يتمتعون بأبي امتيئات!

يحملون الأحمال الثقال ولا يشكون، ويعملون لمجد الإسلام ولا يتكلمون!
يحملون لواء النبي في كل موقع، وتتجلى بطولتهم في كل غزوة، وأتحدى كل شيعة الحكام: متى فر علي؟! ومتى تقاعس عن نصوة النبي!! وأتمنى لو يدلوني على هاشمي واحد قد فر أو تقاعس عن نصوة النبي غير أبي لهب؟
وأتحدى شيعة الحكام أن يدلوني على رجل واحد من بطون قريش لم يفر!!!
ونصر الله نبيه، فأقام دولته، وأعز دينه، وأتم نعمته وأكمل هذا الدين، وبين الله كل شئ لعباده، ورتب النبي بأمر من ربه شؤون قيادة الأمة من بعده، وأعلن بأخر حجة له أن الولي من بعده هو علي.
وقدم قادة القوم التهاني للولي، وأعلن الرسول أنه سيمرض وسيموت في مرضه.
ولخص لهم الموقف قبل مرضه.

2 - النبي يلخص الموقف

لطالما تلى آية المودة في القوي، وآية التطهير، وآية المباهلة، وآية الاعتصام، وآية أولي الأمر، وآية أهل الذكر، وآية الإنذار، وآية الولاية، وآية التبليغ، وآية الإكمال، وآية السلم، وآية المسألة، وآية الحسد، وذكرهم بأن القوان قد أوتل عليه وأن

مهمته

الأساسية هي أن يبين للناس ما قول إليهم من ربهم، وأنه أعرف الخلق بكتاب الله، وأقروهم على بيانه، وأنه ميت لا محالة عندما يموض، وأن من واجبه أن يلقي إليهم القول معزوة، وأنه لا بد من أن يلخص لهم الموقف حتى يتمكنوا من مواجهة عصر ما بعد النبوة، فالفتن تتربص وتنتظر موته، والمنافقون الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر والفسوق والعصيان ينتظرون موته لينصوا أحابيلهم وضعاف الإيمان بحاجة لمن يأخذ بأيديهم ويعمق إيمانهم، وأمم من العائلة البشرية ستدخل في دين الله

وهي بحاجة إلى أناس موثقين يعلمونها دينها الحقيقي ويبينون لها القرآن بالصورة التي بينها النبي.
وهناك أناس طامعون بالسلطة وينتظرون موضه حتى ينقضوا على السلطة ويأخونها بالقوة.
وسط هذه المطامع والأهوال لا بد من تحديد جهة تكون الفرق بين الحق والباطل، وبين الضلالة والهدى، فلخص النبي
الموقف معزوة لأتمته.

3 - التأمين ضد الضلالة والانحراف

احتياطاً من الأخطار الفاعوة أفواها، والتي أشرنا إلى موجات منها، أعلن النبي بأمر من ربه، لأنه لا ينطق عن الهوى،
ولأنه يتبع ما يوحى إليه، أعلن بأن الأمة إذا أرادت حقاً أن تبقى ضمن إطار الشريعة وضمن دائرة الهدى، فما عليها إلا أن
تتمسك بثقلين: الثقل الأول: هو كتاب الله فيه الهدى والنور. والثقل الثاني: هو أهل بيت نبي الله عتوته.
وإذا كانت الأمة جادة بكواهبتها للضلالة والانحراف، فلا شئ في الدنيا يقيها من الضلالة والانحراف إلا الثقلان: كتاب الله
وعزوة نبيه أهل بيته.
وزيادة في التأكيد قال النبي: إن الله تعالى قد أخوه بأن الاثنين لا يفترقان حتى يوم القيامة!
هكذا لخص النبي الموقف لأتمته بعد أن أعلن ولاية علي بوصفه عميد أهل البيت العزوة الطاهرة، وبوصفه المعد إليها لقيادة
عصر ما بعد النبوة.

الصفحة 470

4 - صيغ النصوص الشرعية التي لخص بها النبي الموقف والمتعلقة بحديث الثقلين

الصيغة الأولى لحديث الثقلين قول الرسول (يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعتوتي).
راجع على سبيل المثال صحيح الترمذي مجلد 5 صفحة 328 الحديث 3874 وكنز العمال صفحة 153 وتفسير ابن كثير مجلد
4 صفحة 113 والمعجم الكبير للطواني صفحة 137 ، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة 114 والفتح الكبير
للنبهاني مجلد 1 صفحة 503
الصيغة الثانية قول الرسول (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل
ممدود من السماء إلى الأرض، وعتوتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما). راجع
على سبيل المثال صحيح الترمذي مجلد 5 صفحة 329 ، والمعجم الصغير للطواني مجلد 1 صفحة 135 وأسد الغابة لابن
الأثير مجلد 2 صفحة 12 وتفسير ابن كثير مجلد 4 صفحة 113 وكنز العمال مجلد 1 صفحة 154...
الصيغة الثالثة قول الرسول (إني تركت فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى
الأرض، وعتوتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). راجع على سبيل المثال الدر المنثور للسيوطي مجلد 2
صفحة 60 ومجمع الزوائد للهيثمي مجلد 9 صفحة 162

الصيغة الرابعة قول الرسول (إني ترك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). راجع على سبيل المثال مناقب علي ابن أبي طالب لابن المغزلي الشافعي صفحة 234 الحديث 281 والمناقب للخوارزمي الحنفي. الصيغة الخامسة قول الرسول (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني ترك فيكم الثقلين كتاب الله وعتوتي....). راجع على سبيل المثال كنز العمال مجلد 1

الصفحة 471

صفحة 165 الحديث 945 والمعجم الصغير للطواني مجلد 1 صفحة 131 والسورة النبوية لؤيني دحلان بهامش السورة الحلبية مجلد 3 صفحة 331 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة 111 والطبقات الكبرى لابن سعد مجلد 2 صفحة 194، وجامع الأحوال لابن الأثير مجلد 2 صفحة 187...

الصيغة السادسة قال الرسول (كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعتوتي....). راجع على سبيل المثال خصائص أمير المؤمنين للنسائي صفحة 21 والمناقب للخوارزمي الحنفي صفحة 93 والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 136 وكنز العمال مجلد 1 صفحة 167 و 954 ومجلد 15 صفحة 91...

الصيغة السابعة قول الرسول لأصحابه (أست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال إني سألتكم عن اثنين: القآن وعتوتي). راجع على سبيل المثال مجمع الزوائد للهيثمي مجلد 5 صفحة 195 وأسد الغابة لابن الأثير مجلد 3 صفحة 147، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة 115

الصيغة الثامنة قول الرسول (أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله (بي خ. ل) عز وجل، وعتوتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: علي مع القآن والقآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض...). راجع على سبيل المثال الصواعق لابن حجر صفحة 124 وينابيع المودة للفنوزي الحنفي صفحة 285

5 - حديث الثقلين بالتلقين بمعنى أن الهداية لا تترك إلا باثنين معا:

1 - القآن

2 - أهل بيت النبي وعتوته.

الصفحة 472

وأن الضلالة والانحراف لا يمكن تجنبها إلا بالاثنين معا: القآن وعتوة النبي أهل بيته، مما يفيد أن بين الاثنين رابطة عضوية وأنهما لن يفترقا إلى يوم القيامة، فالقآن كلام الله المتروك والعتوة أهل البيت هم الجهة المعنية شرعا لبيان هذا القآن بيانا قائما على الحزم واليقين.

6 - رواية هذا الحديث من الصحابة الكرام

روى هذا الحديث 35 صحابيا وصحابية، وهو جمع يمتنع عقلا اجتماعهم على الكذب، وهم الولي علي ابن أبي طالب، والولي من بعده الحسن بن علي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفلي، وابن عباس، وأبو سعيد الخوري، وجابر بن عبد الله الأنصلي، وأبو الهيثم بن التيهان، وابن رافع، وحذيفة بن اليمان، وحذيفة بن أسيد الغفلي، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وزيد بن رُقم، وأبو هريرة، وعبد الله بن حنطب، وجبير بن مطعم، والواء بن عُرْب، وأنس بن مالك، وطلحة بن عبد الله التيمي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وسهل بن سعد الأنصلي، وعدي بن حاتم، وأبو أيوب الأنصلي، وأبو شريح الخراعي، وعقبة بن عامر، وأبو قدامة الأنصلي، وأبو ليل الأنصلي، وضموة الأسلمي، وعامر بن ليل بن ضموة.

ومن النساء: فاطمة الزهراء، وأم سلمة، وأم هاني أخت الولي علي. راجع رواياتهم في عبقات الأنوار حديث الثقلين مجلد

1

7 - النص الحرفي لصيغة زيد بن رُقم التاسعة

قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال:

(أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا ترك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا

الصفحة 473

به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي!!

راجع على سبيل المثال: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضائل علي ابن أبي طالب مجلد 2 صفحة 362 ، وراجع صحيح مسلم بشوح النووي مجلد 15 صفحة 179 - 180 ، وراجع السورة الحلبية الهامش مجلد 2 صفحة 330 ، وراجع الفتح الكبير للنبهاني مجلد 1 صفحة 252

8 - الصيغة العاشرة برواية زيد بن رُقم

قال قال رسول الله (ألا وإني ترك فيكم ثقلين، أحدهما كتاب الله عز وجل، إلى أن قال الولي عن زيد فقلنا: من أهل بيته، نسؤه؟ قال: لا وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فتوجع إلى أبيها...) على سبيل المثال راجع صحيح مسلم - كتاب فضائل علي مجلد 2 صفحة 362 وصحيح مسلم بشوح النووي مجلد 15 صفحة 181 والصواعق المحرقة صفحة 148 لابن حجر.

9 - روافد حديث الثقلين

حملا على ذات المعنى وتوضيحا له، وتعميما لآثره، نطق رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الأحكام الشرعية،

لتستوعب الأمة وتعرف المقصود:

الصيغة الأولى لوفد حديث الثقلين قول الرسول عن أهل البيت (فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا

تعلموهم فإنهم أعلم منكم). راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة 148 ومجمع الزوائد مجلد 9

صفحة 163، وكنز العمال مجلد 1 صفحة 168 الحديث 958 والدر المنثور للسيوطي مجلد 2 صفحة 60

الصفحة 474

الصيغة الثانية قول الرسول (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق).

راجع على سبيل المثال تلخيص المستترك للذهبي، والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 184 و 234 وتاريخ الخلفاء

للسيوطي.

الصيغة الثالثة قول الرسول (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة فوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل

بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له). راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة

91 ومجمع الزوائد للهيثمي الشافعي مجلد 9 صفحة 168 والمعجم الصغير للطواني مجلد 2 صفحة 22 وإحياء الميت

للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة 113 ، وراجع حلية الأولياء مجلد 4 صفحة 306 والجامع الصغير للسيوطي مجلد 2 صفحة

132

ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد 5 صفحة 92 ، ومقتل الحسين للخرزمي الحنفي مجلد 1 صفحة 104

الصيغة الرابعة قول الرسول (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة

من قبائل العرب اختلفوا فصلوا حزب إبليس). راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة 91 و

140 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة 114، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد 5 صفحة 93 وينايع

المودة للقندوزي الحنفي صفحة 298

الصيغة الخامسة قول الرسول (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي).

راجع على سبيل المثال الجامع الصغير للسيوطي مجلد 2 صفحة 161 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد 5

صفحة 92 والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 185 و 233 ، وذخائر العقبي للطوي صفحة 17

الصيغة السادسة قيل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما بقاء الناس بعدهم؟ (أي بعد أهل البيت) فقال: بقاء الحمار إذا

كسر صلبه!). راجع الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 151

الصفحة 475

الصيغة السابعة خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال (أيها الناس: إن الفضل والشرف والمثولة لرسول الله ونريته،

فلا تذهبن بكم الأباطيل!) راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 174 ويناابيع المودة للقنوزي الحنفي صفحة 169 ، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي صفحة 207 - 208

الصيغة الثامنة قول الرسول (في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي يتقون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفنون!) راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 148 ويناابيع المودة للقنوزي الحنفي صفحة 226 و 326 - 327 وذخائر العقبي للطوي الشافعي.

الصيغة التاسعة (واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين). راجع على سبيل المثال مجمع الزوائد للهيتمي الشافعي مجلد 9 صفحة 172 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي صفحة 8، وإسعاف الواغبين بهامش نور الأبصار صفحة 110

الصيغة العاشرة قول الرسول (إئموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبد عمله إلا بمعرفة حقنا!).

راجع على سبيل المثال إحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة 111 والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 138 ومجمع الزوائد مجلد 9 صفحة 172

10 - صيغة عملية لوفد حديث الثقلين

يقول الشافعي

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القآن أوله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

الصفحة 476

راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة 146 ويناابيع المودة للقنوزي الحنفي صفحة 354 والسورة الحلبية مجلد 3 صفحة 332 الهامش - السورة الدحلانية.

11 - تظافر النصوص الشرعية النبوية مع النصوص الشرعية القوانية

كقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهروا) هذه الآية تولت في خمسة وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. راجع على سبيل المثال صحيح مسلم - كتاب فضائل أهل البيت مجلد 2 صفحة 368 وصحيح مسلم بشوح النووي مجلد 15 صفحة 194 وصحيح التومذي مجلد 5 صفحة 30 الحديث 3258 والمستترك على الصحيحين للحاكم مجلد 3 صفحة 133 و 146 و 147 ومجلد 2 صفحة 416 من تلخيص المستترك للذهبي، والمعجم الصغير للطواني مجلد 1 صفحة 65 و 135 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي صفحة 4 ومجلد 1 صفحة 185 من تريخ دمشق لابن عساكر ومجلد 3 صفحة 259 و 285 من مسند أحمد.

وكقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرة إلا المودة في القربى). راجع على سبيل المثال شواهد التتيريل للحاكم الحسكاني الحنفي مجلد 2 صفحة 130 والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 101 و 135 و 136 وتفسير الطوري مجلد 25 صفحة 25 والمستترك للحاكم مجلد 3 صفحة 172 وتفسير الزمخشوري مجلد 3 صفحة 402 وحلية الأولياء مجلد 3 صفحة 201 وكقوله تعالى (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) أجمعت الأمة الإسلامية على أن الآية تزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. على سبيل المثال راجع صحيح مسلم - كتاب الفضائل مجلد 2 صفحة 360 وبشوح النووي مجلد 15 صفحة 176 وصحيح الترمذي مجلد 4 صفحة 293 وشواهد التتيريل للحاكم مجلد 1 صفحة 120 - 129 والمستترك

الصفحة 477

على الصحيحين للحاكم مجلد 3 صفحة 150 ، وتلخيص المستترك للذهبي بهامش المستترك، مسند أحمد مجلد 1 صفحة 185 وتزيخ دمشق لابن عساكر مجلد 1 صفحة 21 فضلا عن مئات التفاسير... وكقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين). أي مع علي وحزبه. راجع على سبيل المثال شواهد التتيريل للحاكم الحسكاني الحنفي مجلد 1 صفحة 259 و 350 - 356 وتزيخ دمشق لابن عساكر مجلد 2 صفحة 421 الحديث 923 ، وروح المعاني للآلوسي، والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة 150 وكقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). راجع على سبيل المثال شواهد التتيريل للحاكم الحنفي مجلد 1 صفحة 148 وتفسير الوري مجلد 3 صفحة 357 وكقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وهذه الآية تزلت في أهل البيت أيضا. راجع على سبيل المثال شواهد التتيريل مجلد 1 صفحة 334 الحديث 459 - 466 وتفسير القوطي مجلد 11 صفحة 272 وتفسير الطوري مجلد 14 صفحة 109 وتفسير ابن كثير مجلد 2 صفحة 570 وروح المعاني للآلوسي مجلد 14 صفحة 134 وكقوله تعالى (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فمحمد هو المنذر وعلي هو الهاد. راجع على سبيل المثال تفسير الفخر الوري مجلد 5 صفحة 271 وتزيخ دمشق لابن عساكر مجلد 2 صفحة 415 ، والدر المنثور للسيوطي صفحة 4 صفحة 45 والمستترك للحاكم مجلد 3 صفحة 129 - 130 وزاد المسير لابن الجزري الحنبلي مجلد 4 صفحة 307

* *

الصفحة 478

الصفحة 479

الفصل العاشر

رد فعل القوة المتغلبة

1 - صعقت القوة المتغلبة

صعقت القوة المتغلبة التي جمعت القوة وأعدت العدة للخروج على الشوعية وللاستيلاء على السلطة بالقوة بعد وفاة النبي، ذهلت من هذا التكامل والتأبط المتين بين النص الشعري القواني والنص الشعري النبوي، وذهلت من قوة النبي على توضيح مقاصده، والحمل على معانيه بحيث يفهمها العامة والخاصة، وفكرت بطريقة تخرج فيها النبي تماما عن التأثير على مسوح الحدث السياسي، فإذا أخرجته فإنها تحرم على عامة الناس أن يفهموا الحقائق الشوعية، وتفوق بين النبي وبين القوان، فتحول بين الناس وبين معرفة بيان النبي لهذا القوان، ثم تتولى هذه القوة المتغلبة بعد ذلك بيان القوان الكريم بالصورة التي تخدم مطامعها ومصالحها، ويهون عليها بعد ذلك تجريد الولي من سلطانه والانفاد به، وطرد أهل البيت الكرام عن مكانتهم وسمعتهم، وجعلهم سوقة أدلة بحيث يتحكم بهم الدليل، بعد ابّواز كافة حقوقهم وطردهم من مكانتهم والحلول محلهم بالقوة. خطة القوة المتغلبة لتحقيق مقاصدها تمهيدا لسحق أهل البيت

2 - التشكيك بشخصية الرسول وقدرته وحصر قوائمه

قالت القوة المتغلبة إن رسول الله قد بلغ الناس القوان كما أوحى إليه من ربه حقيقة، وانتهى دوره، وما عدا ذلك فكل ما يصدر عن الرسول هو موضع بحث، لأن

الصفحة 480

الرسول يتكلم بالغضب والرضا فهو بشر وبالتالي لا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد!!
والناس بحاجة لمعرفة ما قاله الرسول بغضبه، وما قاله برضاه، ولا أحد يعرف ذلك إلا القوة المتغلبة والطامعة بالسلطة.
راجع سنن الدرهمي مجلد 1 صفحة 125 باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وسنن أبي داود مجلد 2 صفحة 126 باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد 2 صفحة 162 و 207 و 216 ومستترك الحاكم مجلد 1 صفحة 105 - 106 وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد 1 صفحة 85 وأوقاف حديث عبد الله بن عمرو، وتساءل معي من هي قريش!!!
وكيف تحمل كل أهوال النبي وأي القوة المتغلبة على محمل الجد وهو الرجل الذي كان يغضب فيلعن ويسب ويشتم من لا يستحقها.... راجع بريك صحيح بخري - كتاب الدعوات - باب قول النبي من أدبته، وصحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب من لعنه النبي.

وهو النبي الذي رفع عائشة على منكبه لتتظر إلى الحبشة الذين كانوا يلعبون في المسجد فاضطر عمر بن الخطاب أن ينهزم. راجع صحيح مسلم كتاب صلاة العيدين الحديث 18 و 19 و 20 و 21 و 22
والشياطين من الجن والإنس كانوا يلهون وفي جلسة مع رسول الله، فعندما جاء عمر بن الخطاب فروا عندما رأوا عمر، ومن قبل كانوا آمنين ويلهون!!!

فمعنى ذلك أن لعمر هيبة ورهبة وأهمية عند شياطين الجن والإنس أكثر من النبي!

راجع سنن الترمذي - أبواب المناقب، باب مناقب عمر!

بل والأهم من ذلك أن بخلي ومسلم قد رويَا في الصحيح عن عائشة أن الرسول سمع رجلا يقول في المسجد فقال: رحمه الله أذكوني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا!!! راجع صحيح بخلي - باب قول الرسول: صل عليهم، وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى ونكاحه، وصحيح مسلم - كتاب فضائل القرآن - باب الأمر بتعهد القرآن.

الصفحة 481

تفرعت القوة المتغلبة بكل هذه الأسباب وأمثالها من مختلفاتها وأعلنت أن من مصلحة الإسلام الاعتماد على القرآن وحده، وإهمال كل ما قاله الرسول، لأن أقوال الرسول تؤدي إلى الاختلاف، وهي صاورة في الغضب والرضا، ثم إن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لأي شيء آخر سواء أكان نبيا أو غيره.

ثم إن القوة المتغلبة - التي أخذ الله بيدها حتى غلبت هي التي تفسر القرآن وتبينه لمصلحة المسلمين، وهي أقوى بمصلحة المسلمين من أي شخص كان، وهي أقدر على فهم عواقب الأمور من أي شخص كان!!

3 - الشروع بالتنفيذ

القوة المتغلبة تعلم كما يعلم غيرها بأن الرسول سيموت في مرضه هذا، فأرادت هذه الفئة أن تحيط الرسول علما بأن مقاصدها ستتحقق، وأن السلطة ستنتقل إلى يد أمينة وحريصة على مصلحة الإسلام، وأنها بصدد إجماع ترتيبات ملائمة، وأن الأمر لن يكون كصلح الحديبية أبدا، فأعوان القوة المتغلبة يمكنهم الوصول إلى أي مكان بما فيه حجة النبي!

قال النبي: قوبوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتصدى له عمر بن الخطاب قائلا (حسبنا كتاب الله) أي لا حاجة لنا بكتابك، لأن عندنا القرآن ولا نحتاج لأي شيء، سواء منك أو من غيرك.

وما أن أتم عمر كلامه حتى ردد حزبه وبصوت واحد: القول ما قاله عمر، تعجب النبي والأشخاص المتواجدين من غير حزب عمر، فقالوا: قوبوا يكتب لكم رسول الله!

فقال حزب عمر: إن الرسول يهجر، القول ما قاله عمر!!! وقال عمر إن الرسول يهجر، أكرر (حسبنا كتاب الله)!!!

صدم النبي وقال لمن حوله: قوموا عني ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه!

الصفحة 482

لنتأكد من صحة ذلك. راجع على سبيل المثال صحيح بخلي - باب قول العريض:

قوموا عني صفحة 9 مجلد 7 وصحيح مسلم - آخر كتاب الوصية مجلد 5 صفحة 75

وبشوح النووي مجلد 11 صفحة 95 ومسند أحمد مجلد 4 صفحة 356 الحديث 2992 بسند صحيح، وراجع صحيح

بخلي - كتاب الجهاد والسير - باب جوائز الوفد مجلد 4 صفحة 31 وصحيح مسلم - باب توك الوصية لمن ليس عنده شيء

مجلد 2 صفحة 16 ومجلد 5 صفحة 75 ومجلد 11 صفحة 89 - 95 بشوح النووي ومسند أحمد مجلد 1 صفحة 222

ومجلد 3 صفحة 286 بسند صحيح ومجلد 5 صفحة 45 ومجلد 1 صفحة 355 وتاريخ الطوي مجلد 3 صفحة 193 والكامل لابن الأثير مجلد 2 صفحة 320 وصحيح بخري - كتاب العلم - باب كتابة العلم مجلد 1 صفحة 37 وصحيح مسلم مجلد 1 صفحة 28 وصحيح بخري - كتاب النبي إلى كسوى وقبصر - باب مرض النبي، وتاريخ الطوي مجلد 3 صفحة 192 - 193 وكتاب الخزية - باب إخراج اليهود من جزوة العرب من صحيح بخري، وصحيح بخري - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة مجلد 8 صفحة 161 باب كراهية الخلاف.

وراجع قول عمر للرسول إنك تهجر، في كتاب تذكرة الخواص للسبط ابن الجزي الحنفي صفحة 62 و صفحة 36،

وراجع سر العالمين، وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغوالي صفحة 21

وراجع رد الرسول على عمر لما كلم النسوة، في الطبقات الكوى لابن سعد مجلد 2 صفحة 243 - 244 ، وراجع

اعتراف عمر بأنه صد النبي عن كتاب الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي، في شوح النهج مجلد 3 صفحة 114 سطر 27

مطبعة مصر 1 ومجلد 12 صفحة 79 سطر 3 بتحقيق محمد أبي الفضل ومجلد 3 صفحة 803 مكتبة الحياة ومجلد 3 صفحة

167 دار الفكر!!

فبأي حديث بعده تؤمنون!!!

الصفحة 483

4 - الخطوة الثانية

بعد نجاح القوة المتغلبة واستيلائها على السلطة جمع أبو بكر (رضي الله عنه) الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله! شيئًا! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه!! راجع على سبيل المثال تذكرة الحفاظ للذهبي مجلد 1 صفحة 2 - 3 وهكذا أصبح شعار (حسبنا كتاب الله) والاستغناء عن رسول الله قولاً رسمياً تتبناه النولة!!

5 - وزيادة في الاحتياط قورت السلطة جمع أحاديث الرسول المكتوبة وحرقتها

قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة حديث، فبات يتقلب! فلما أصبح قال أبو بكر (رضي الله

عنه): أي بنية هلمي بالأحاديث التي عندك فجنّته بها فأحرقها!! راجع كنز العمال مجلد 5 صفحة 217 والبداية والنهاية،

وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي مجلد 1 صفحة 5

قال ابن سعد في طبقاته مجلد 5 صفحة 140 بتّجمة محمد بن أبي بكر إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب،

فأنشد الناس أن يأتوه بها، وظن الناس أنه سيجمعها!! فلما أتوه بها أمر بتحريقها!!!

ثم قورت السلطة مرة ثانية في عهد عمر (رضي الله عنه) أن تمنع كتابة ورواية أحاديث رسول الله!!! راجع تذكرة الحفاظ

مجلد 1 صفحة 4 - 5 ، وراجع بيان العلم وفضله لابن عبد البر - باب ذكر ذم الإكثار مجلد 2 صفحة 147 ، وراجع كنز

العمال مجلد 5 صفحة 239 ومنتخب الكنز مجلد 4 صفحة 64 ، وراجع تذكرة الحفاظ مجلد 1 صفحة 7 ترجمة عمر .

وجاء عهد عثمان فصعد المنبر وأعلن أنه لا يحل لأحد أن يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر !!!
راجع منتخب الكنز بهامش مسند أحمد .

الصفحة 484

ولم يرفع قار الحظر عن كتابة ورواية أحاديث الرسول إلا في عهد عمر بن عبد العزيز !!!

6 - عندما كتب الحديث رسميا

لما سمحت الدولة بكتابة سنة رسول الله كانت السلطة المتغلبة قد كونت سنة جديدة دأب الناس عليها 95 عاما، فوقفت سنة السلطة جنبا إلى جنب مع سنة الرسول التي دأب الناس عليها 23 سنة ثم حرمت !!

7 - بهذا المناخ انفردت السلطة بأهل بيت النبوة

لم يعد بوسع أحد أن يذكر بحديث الثقلين، فالقوة المتغلبة له بالموصاد، ولم يكن بوسع أحد أن يذكر بروافد حديث الثقلين، فالقوة المتغلبة حرمت أمرها، وانحاز الناس إلى جانبها، لأنها المالكة الفعلية للأعمال والأرزاق والحاضر والمستقبل!
كل هذا سهل على القوة المتغلبة أن تنفرد بالولي فتبوه حقه على حد تعبير معاوية، وتتكلم به وتهدهه بالقتل، ثم تعمم نقمته على أهل بيت النبوة لتجوهم على الانفضاض من حول الولي، وعلى التخلي عن مكانتهم الشوعية والسكوت على القوة المتغلبة التي حلت بالقوة محلهم!

8 - لا مجال للتذكير بتلخيص النبي للموقف

قبضت السلطة المتغلبة على مقاليد الأمور، وشككت بشخصية النبي وقوله وفعله إلا في ما ينفعها، ثم استولت على السلطة وأقفلت آذانها أمام أي محاولة لتذكورها بحق الولي أو بمكانة أهل البيت، أو بتلخيص النبي للموقف، وأصبحت الكلمة العليا للأعوان والقوة التي تم إعدادها وتجميعها وتجهزها للخروج من الشوعية إلى الاجتهاد، ومن النص إلى الوأي الشخصي لقادة القوة المتغلبة.

الصفحة 485

9 - الإنواد بالولي وبأهل بيته وبالهاشميين

الولي احتج بحقه، والقوابة الطاهرة احتجت بمكانتها، فأغضوا القوة المتغلبة واضطروها أن تهددهم بحرق البيت الذي يسكنونه، حتى لا يبقى هنالك شئ اسمه أهل البيت فزعجوا أي سلطة جديدة. راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة مجلد 1 صفحة 12 والعقد الفريد لابن عبدربه مجلد 4 صفحة 259 و 260 ، وراجع شرح النهج لعامة المعقولة ابن

أبي الحديد مجلد 1 صفحة 134 ومجلد 2 صفحة 19 مطبعة مصر ومجلد 6 صفحة 48 تحقيق أبي الفضل ومجلد 1 صفحة 157 دار الفكر، وراجع هامش الفصل لابن حزم مجلد 1 صفحة 73 ، وراجع بحار الأثوار مجلد 28 صفحة 338 و 339، وراجع الغدير للأميني مجلد 7 صفحة 77 ، وراجع أنساب الأثوار مجلد 1 صفحة 286 للبلاوي، وتريخ ابن شحنة صفحة 164 بهامش الكامل مجلد 7 ، وراجع تريخ أبي الفداء مجلد 1 صفحة 156 وأعلام النساء مجلد 3 صفحة 1207

10 - عقوبات إضافية إكراما لحديث الثقلين

لأن القوة المتغلبة والتي استولت على السلطة بالقوة تفهم حديث الثقلين وتقدر صاحبه، ولأنه الولي لم يسلم لها بابلها لحقه، ولأن آل الكرام لم يدخلوا في طاعة القوة الغالبة، ولأن التهديد بقتل علي لم يثته عن المطالبة بحقه، والتهديد بحرق البيت على فاطمة وعلي والحسن والحسين لم يوقف معارضتهم... فلذلك قورت القوة المتغلبة حقنا لدماء أهل البيت الكرام أن تتخذ ثلاث قرارات اقتصادية بحق أهل بيت محمد خاصة والهاشميين عامة، وقدرت أن هذه القرارات هي وحدها التي تجبر آل الكرام على التسليم.

11 - مضمون القرارات العنيدة

- 1 - حرمان أهل البيت من تركة الرسول حرمانا كاملا وإعطائهم حذاء الرسول وآلته ودابته فقط. الصفحة 486
- 2 - حرمان أهل البيت من المنح التي منحها الرسول لهم أثناء حياته، ومساواة هذه المنح فوراً.
- 3 - حرمان آل محمد من 1 / 5 الخمس الولد في آية الأنفال والمخصص لهم، ووقفه فوراً.
- 4 - تتلطف القوة الغالبة فتقدم الطعام والمأكل وحده لآل محمد!

12 - وقت غضب القوة المتغلبة على أهل البيت الكرام

صبت القوة المتغلبة جام غضبها على أهل بيت محمد فهددت عليا بالقتل، وجمعت الحطب لتحرق البيت على علي وفاطمة والحسن والحسين وأصدت قورها بمساواة تركة النبي وحرمان أهل البيت منها، ومساواة المنح التي أعطها الرسول لهم أثناء حياته، وحرمان آل محمد من حقهم في 1 / 5 الخمس كل هذه الإجراءات تمت خلال الثلاثة أيام التي تلت انتقال الرسول إلى جوار ربه!!

لست أوري هل هي عادة العرب بمواساة أهل الفقيد، أم هو أسلوب القوة المتغلبة!!

ربما يتصور القارئ أن هذا إلغاء للكلام على عواهنه، لقد وثقت كل كلمة قلتها في البحوث السابقة، فوجاء الإطلاع على العراجع التي ثبتها عن بحثي لهذا الموضوع خلال المواضيع السابقة.

13 - الإمام علي يشكو بثه وحرنه إلى الله ويبرر موقفه السلمي

قال الإمام علي (فإنه لما قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأوليؤه من دون الناس، لا ينزلنا سلطاناً أحد، ولا يطعم في حقنا طامع، إذ انوى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصار الأمر لغيرنا، وصونا سوقة، يطعم فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك وخشيت الصدور، وخرعت النفوس. وأيم الله ولا مخافة الفوقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويور الدين، لكننا على غير ما كنا عليه! راجع المجلد الأول صفحة 248 - 249 تحقيق حسن تميم.

الصفحة 487

وبث علي أخزانه، واشتكى واحتج، وقد أشرنا إلى ذلك في البحوث السابقة، واحتجت الزهراء، واحتج السبطان.

14 - أبو جعفر محمد بن علي الباقر يشكو حرنه وبثه إلى الله

ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهروا بهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبوينا من الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض، وقد أخبر أننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجبتنا، ثم تداولتها قريش، واحدا بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه، وعهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العواق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكوه، وعولجت خلاخيل أمهات ولأده، فوادع معاوية وحقق دماء أهل بيته وهم قليل جد قليل. ثم بايع الحسين من أهل العواق عشرون ألفا ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم! ثم لم تزل أهل البيت نستذل ونستظام، ونقصى ونمتهن، ونحرم، ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا! ووجد الكاذبون الجاحنون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد، فحدثوا بالأحاديث المكونة وزوروا علينا ما لم نقله لبيغضونا إلى الناس! وكان عظم ذلك وكوه في زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا في كل بلد، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله أو هدمت دره! ثم لم يزل البلاء يشتد ويؤداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين. ثم جاء الحجاج، فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي... مجلد 3 صفحة 595 من شرح النهج تحقيق حسن تميم.

الصفحة 488

15 - معاوية رعى حديث الثقلين وروافده

روى المدائني في كتابه الأحداث أن معاوية:

- 1 - كتب نسخة واحدة إلى كل عماله: أن برئت الذمة ممن نقل شيئاً من فضل أبي تَاب وأهل بيته (يقصد علياً وعترة النبي أهل بيته) فقام الخطباء في كل كرة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه!!
 - 2 - وكتب إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأعوانه ومحبيه وأهل بيته شهادة!!
 - 3 - ثم كتب إلى عماله في جميع البلدان نسخة واحدة: أن انظروا فمن قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا رزقه وعطاءه!!
 - 4 - ثم شفع ذلك بنسخة أخرى (من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم (أي أهل بيت النبي) فنكلوا به واهدموا دله!!
- راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد 3 صفحة 595 - 596

16 - أهل الطاعة ينفنون وأمر المتغلب

فنفذ الولاية والعمال والجنود وأهل طاعة الخليفة المتغلب وأمره وهم يتلون آية التطهير، ويصلون على النبي وآله في كل تشهد، وهم يتلون آية المباهلة، وآية المودة في القربى. وقد أحيطوا علماً بحديث الثقلين وروافده!!!

17 - أهل الذمة

النصرى واليهود أهل ذمة وصانارسل الله بهم، فطعامهم (غير الذبائح) مباح للمسلم، ودمؤهم مصانة وأموالهم محترمة ومحروسة، وحریتهم ليست موضع تساؤل لأن الإسلام وضع لهم حقوقاً وضمن تلك الحقوق، فالقوة المتغلبة طوال التاريخ كانت رحيمة بأهل الذمة.

الصفحة 489

18 - ليتهم عاملوا أهل بيت النبوة كما عاملوا اليهود والنصرى

لم يرو لنا التاريخ أن القوة المتغلبة قد قتلت حوا يهوديا أو راهبا نصرانيا أو شخصية بارزة من شخصيات اليهود والنصرى أو لعنتهم، أو رفضت شهادتهم أو شهادة محبيهم، أو حرمتهم من أرزاقهم أو هدمت دورهم. فمن أمات فاطمة كمداء؟ ومن قتل علياً، ومن ابّوه حقه؟
ومن قتل سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي النبي من هذه الأمة الحسن والحسين؟
من قتل الطيبين في كربلاء؟
من ومن إلخ.

تلك فضائح في سجل القوى المتغلبة التي صانت دماء اليهود والنصرى وأموالهم، واستباححت حقوق ودماء وأموال أهل

بيت النبوة!!!

فليست تلك القوى المتغلبة قد عاملت أهل بيت النبوة كما عاملت اليهود والنصرى!!

19 - سنة الرسول وسنة القوة الغالبة

قلنا إن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي: أقواله وأفعاله وتقلوبه، وضعت موضع شبهة وأعلنت القوة المتغلبة أن القوان وحده يكفي ولا حاجة لأي شئ آخر، ووضعنا لهذه الإعلان موضع التنفيذ، أحرق المكتوب من أحاديث رسول الله، ومنعت رواية أحاديثه مدة 95 سنة، وقد وثقنا ذلك!

وكان القوة المتغلبة لا توجع إلى أحاديث رسول الله إلا في الأمور التي لا تمس مصالحها، أو تزعج سلطانها، أو تشكك العامة في شرعية سلطتها!!

واستطاعت القوة المتغلبة أن تفوق بين كتاب الله وبين نبي الله، وأن تتولى بيان كتاب الله بدلا من رسوله، وبالصورة التي تخدم مصالح المسلمين، معتمدة باللوجة الأولى والأخيرة على رأيها، وعلى رأي أهل طاعتها (الاجتهاد) كما سماه شيعتها في ما بعد!

الصفحة 490

20 - خلال هذه المدة

خلال مدة الحظر الرسمي المفروض من القوة المتغلبة على كتابة ورواية أحاديث رسول الله، وكننتيجة لقيام النظام السياسي البديل، نشأت خلال مدة 95 عاما منظومة حقوقية متكاملة وضعتها القوة المتغلبة في كل فروع الحياة!

وعندما رفعت القوة المتغلبة الحظر عن كتابة ورواية أحاديث رسول الله، تكون عمليا في الدولة سنتان:

- 1 - سنة الرسول التي طبقت خلال عهدي الدعوة والدولة البالغين 23 عاما.
- 2 - سنة القوة المتغلبة التي طبقت 95 عاما وهي الفترة التي حرموا فيها رسميا كتابة ورواية أحاديث رسول الله!

ونشأ بين المجموعتين نوع من التعايش، وإن سلت كل مجموعة بخط متميز ومواز للآخر!

21 - إذا تعرضت السننتان فما هي السنة الواجبة التطبيق؟

إذا تعرضت سنة النبي التي أعيدت مؤخرا مع سنة القوة المتغلبة طوال الترخ، فإن السنة الواجبة الاتباع والتطبيق هي سنة القوة المتغلبة، القوة المتغلبة مدعومة بالأعوان والقوة، ولأنها سادت 95 سنة، ولأنها من صنع الأقياء الذين جمعوا الأمة وقهروا الأعداء، ولأن طاعة القوة المتغلبة واجبة!

فإذا قال الغالب للجيش: إهدم الكعبة المشرفة! فإن هدم الكعبة حرمة، وتنفيذ أوامر الغالب طاعة والطاعة مقدمة على الحرمة، فيتوجب هدم الكعبة فهرا!! لقد وثقنا ذلك وأثبتناه في بحوثنا السابقة، ونتحدى الذين يعرضوننا أن ينفوا مرجعا من المراجع التي ذكرنا.

وسنة القوة المتغلبة دخلت في كل فروع الحياة، وتوغلت حتى في العبادات فللقوة المتغلبة رأي في العبادات.

الصفحة 491

22 - مثال على توجيح سنة القوة المتغلبة على سنة رسول الله

حياة القوة المتغلبة على العبادات أقل من حراتها في المعاملات، أو في الأمور السياسية، ومع هذا فإن سنتها مصونة ومقدمة على سنة الرسول نفسه!! سواء بالمعاملات أو بالعبادات.

23 - صلاة التوايح خير مثال على ذلك

صلاة التوايح لم تكن على عهد رسول الله، ولم تكن على عهد أبي بكر، ولا شوع الله الاجتماع والجماعة لأداء نافلة من السنن غير صلاة الاستسقاء، وكان الرسول يقيم ليالي رمضان ويؤدي سننها في غير جماعة، ويحض على قيامها، فكان الناس يؤدونها بالصورة التي كان رسول الله يؤديها.

وظل الأمر على هذه الشاكلة طوال عهد أبي بكر وحتى السنة 13 من الهجرة.

وفي سنة أربعة عشر من الهجرة دخل عمر المسجد وكان خليفة، فأى الناس بين قائم وساجد ومسبح ومحرم، فزعج ورأى أن هذا خطأ، وأن من واجبه إصلاح هذا الخطأ، فأصدر قراً بسن سنة التوايح جماعة، ونصب للناس إمامين في المدينة يصليان بهم التوايح، إماماً للرجال وآخر للنساء!

ثم عمم قرأه على كافة الولايات والأمصار!! راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد 3 صفحة 31 والطبقات الكبرى لابن سعد مجلد 3 صفحة 281 ، وراجع الملل والنحل للشهرستاني مجلد 1 صفحة 28

أخرج البخاري في كتاب التوايح عن عبد الرحمن بن عبد القادر قال: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متوقون - إلى أن قال - فقال عمر (إني رأى لو جمعت هؤلاء على قرأى واحد كان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قرأى فقال عمر: تمت البدعة!

صحيح بخري - كتاب التوايح مجلد 2 صفحة 252 وموطأ مالك مجلد 1 صفحة 114

الصفحة 492

قال العلامة القسطلاني في أول الصفحة 4 من مجلد 5 من إرشاد السلي في شرح صحيح بخري: سماها عمر بدعة لأن رسول الله لم يسنها لهم، ولا كانت في زمن الصديق (رضي الله عنه)!

وذكر السيوطي في كتابه تزيخ الخلفاء أن عمر أول من سمي أمير المؤمنين، وأول من سن قيام شهر رمضان بالتوايح، وأول من حرم المتعة، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبوتات، راجع تزيخ الخلفاء للسيوطي، والكامل

لابن الأثير مجلد 3 صفحة 31

وغني عن البيان أن الله تعالى قد أكمل الدين، وأتم النعمة، وأن رسول الله قد بين للأمة الصواب في كل شيء، في ما فعله، وما قاله وما قرره، وما لم يفعله الرسول، وما لم يقوه، أو يقوله فهو سنة لغوه وليست له.

بمعنى أن رسول الله لم يسن صلاة التوايح بالصورة التي أوجدها عمر في عهده، وأن سنة الرسول في هذا الموضوع هي

سننه الفعلية التي كانت سائدة في زمانه وفي زمان أبي بكر.

لكن إذا أردت أن ترى ترجيح وأهمية سنة القوة المتغلبة وتفوقها على سنة الرسول، يمكنك مشاهدة المساجد في ليلة من

ليالي رمضان!!

هذا يؤكد على أن القوة المتغلبة سخرت كل وسائل إعلامها وموارد الدولة طوال التاريخ لترسيخ قناعات الغالب، ورآئه

الشخصية، وخلق حالة من الانبهار بقوة هذا الغالب، وبعد نظره! فكان الغالب عمليا أولى بالاتباع من رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم)!

* *